

حكمت محمد كريم
(ملا بختيار)

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

(نضال الجبال أم انتفاضة المدن؟)

ترجمة ومراجعة: الدكتور بندر علي أكبر
(أنور مندلاوي)

الطبعة الثالثة

اكاديمية التوعية وتأهيل كوادر (الاتحاد الوطني الكردستاني)



السليمانية - ٢٠١١

اكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر

مؤسسة ثقافية تأسست بموجب قرار صادر عن المؤتمر الثالث للاتحاد الوطني الكردستاني في العام (٢٠١٠) من مهامها توفير مستلزمات التوعية السياسية، وتوسيع اطر الثقافة العامة، وتعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية في المجتمع، ودراسة قضايا الفكر المعاصر وتهيئة المواد الضرورية لتأهيل الكوادر في مختلف المجالات.

- ❖ الكتاب: ثورة كوردستان و متغيرات العصر.
- ❖ تاليف: حكمت محمد كريم (ملا بختيار). □
- ❖ ترجمة ومراجعة: الدكتور بندر علي أكبر (أنور مندلاوي).
- ❖ التنضيد: آزاد بندر.
- ❖ التصميم و الغلاف: أميره عمر
- ❖ رقم الإيداع: (١٨١٩) لسنة ٢٠١١ المديرية العامة للمكتبات العامة
- ❖ الطبعة الثالثة. □
- ❖ عدد النسخ: (٢٥٠٠) نسخة
- ❖ الطبع: مؤسسة حمدي للطباعة والنشر
- ❖ التسلسل: (٤٠٢)
- ❖ من منشورات اكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر

www.pukhoshiari.com

info@pukhoshiari.com

تناول كل من الكاتبين المصريين (رجائى فايد) و (علوانى
مغيب) هذا الكتاب، وأبدوا رأيهما بصدد محتواه الفكرى
والنظري فى مقالتيں نشرتا باللغة العربية، لذا آثرنا نشر
المقالتيں ضمن الطبعة الثالثة للكتاب .

ثورة كردستان و متغيرات العصر
نضال الجبال – أم – انتفاضة المدن
تأليف: حكمت محمد كريم (ملا بختيار)
ترجمة: الدكتور بندر مندلاوي
قراءة نقدية لرجائي فايد

بداية اندم على سنوات مضت كنت مقاربا خلالها بالمسألة الكردية و قياداتها ، ولم ألتق خلال تلك السنوات بهذه الشخصية (الملا بختيار) ، و أتمنى مخلصا وقد تقدم بي العمر ، أن تتاح لي فرصة لقائه فيما بقى لي من أيام . فالملا بختيار ليس مناضلاً فحسب ، بل هو مفكر من طراز فريد ، أخذ من نضاله الطويل دروساً هامة مكنته من خلق توليفة مدهشة بين الفكر والنضال، بل وجعلته بشجاعة نادرة يتراجع عن نهجه السابق بشأن رؤيته للتحرير، الى نهج جديد يؤسس به نظرية جديدة هو فى بداياتها الآن و مازال أمامه الكثير ليكمل فصول تلك النظرية، لذلك فإنى أكرر ماسبق أن ذكرته حول رغبتى الملحة فى اللقاء و الحوار مع هذه الشخصية .

إن الكمال فى أى عمل لا يوجد إلا فى الجنة الفاضلة فقط ، و أى عمل ينجز لابد من أن تعثر به بعض النواقص، و ان استكملت تلك النواقص فلا بد من قراءة جديدة إلى أن تظهر نواقص جديدة ، هذا الأمر هام و مفيد لأنه دائماً يحفز الإنسان على مزيد من العمل و الإبتقان والإضافة ،

فلو افترضنا عملاً قدم كاملاً فإن ذلك معناه التوقف ، وسد الطريق أمام
أى محاولة للتقدم ، يقول الشاعر العربى .

إذا تم شئ بدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

لذلك فملاحظاتى السريعة عاى هذا السفر الهام لايمكن على الإطلاق
أن تنال من شأنه ولا من قيمته، وللأمانة فهى ملاحظات قارىء قرأ و
وجد فيما يقرأه قيمة كبرى، ووجد بملاحظاته تلك مجرد تحسين و
تجميل لما يقرأ، وإلى بعض الملاحظات السريعة.

١- أثنى الترجمة الرائعة التي قام بها الدكتور بندر مندلاوي والتي

اشعرتني بأن الكتاب كتب اصلاً باللغة العربية، وإن كنت أتمنى

أن يكتب (ترجمه عن لغة كذا) حتى نعرف بأي لغة ألف بها

الكتاب، خاصة وأنني عرفت انه تم تأليفه في إحدى بلدان اوربا

٢- كنت أتمنى ان يحال الكتاب بعد ترجمته إلى مصحح لغوي ،

وهو أمر معتاد حتى لكبار الكتاب العرب ، فالكتاب ملئ

بالأخطاء اللغوية والتي يجب ألا تكون في كتاب بهذه الأهمية.

٣- هل كان الاسلام محتلاً لكردستان بقوة السلاح؟ ما كنت اعتقده

أن الاسلام دخل كردستان لكن الثقافة العربية لم تدخل

كردستان واستطاع الاكرد الاحتفاظ بخصوصيتهم الثقافية في

ظل الاسلام، فهل هذا الوضع يعتبر احتلالاً، وبنفس القياس

من الممكن أن نعتبر أوربا تم احتلالها من قبل المسيحية التي

جاءتها من الشرق ؟

٤- يمتلك الكاتب شجاعة النقد الذاتي، وهذا أمر أحييه عليه،

لكنه يصل بذلك أحياناً إلى مستوى جلد الذات، فكثيراً مايلوم

بعض القادة لأنهم لم يؤلفوا كتاباً في فن القتال، والسؤال هو،

وهل كانت الحركة الكردية في نضالها تمتلك ترف تأليف الكتب والتنظير، تلك الحركة كان أكثر ما يشغلها البحث عن مكان آمن في كهف أو ظل شجرة ثم التخطيط الانى السريع لعملية خاطفة هنا أو هناك .

٥- ويلوم على الحركة الكردية أنها لم تقم ب (إنشاء ربايا وملاجئ حصينة تقاوم المدافع ذات العيار الثقيل).....ويزيد الكاتب في النقد الموجع الذي يصل إلى جلد الذات فيقول (وهذا يظهر العقلية المتخلفة للقوى الكردية التي كانت تمسك بزمام الأمور) ، رغم أنه يقول في مكان اخر من الكتاب (ص ٦٧) (لم يكن لديهم خط عسكري واضح فهم خلطوا بين الحرب الجبهوية وحرب الأنصار بل كانوا يحاربون حربا جبهوية على الأكثر)، وهنا نستشعر لوما من الكاتب لانتهاج أسلوب الحرب الجبهوية ، وبدورنا نسأل (وأنا لست خبيرا أو على أي دراية بالحرب بكل انواعها) هل الحرب الخاطفة التي يشنها المقاتلون وينتقلون بخفة من مكان إلى مكان يلائمها مقرات ثابتة وربايا وغير ذلك ، وألا يعتبر ذلك بمثابة تسهيلات تقدم للعدو لرصد مواقع الثوار .

٦- يعتبر الكاتب أن أكبر نكسة تعرض لها الشعب الكردي الانفصالات والتي كانت حرب إبادة، في حين أن لفظ النكسة و كما قرأته كثيرا في الأدبيات الكردية يطلق على انهيار الحركة بعد إتفاقية الجزائر لذلك فأنى أتمنى توضيحا لذلك يبتعد عن الخلافات بين الفصائل الكردية في النهج والتفكير .

٧- يعود الكاتب للتأكيد على لوم قادة الحركة الكردية لعدم الكتابة عن الشؤون العسكرية، ويرجع ذلك لأسباب ذكرها في (ص ٥٧) ، والأسباب التي ذكرها ومنها عدم توفر كليات عسكرية يجعلنا نسأل، هل نحن نتحدث عن حركة مسلحة أم دولة بها كليات وأكاديميات عسكرية ؟

٨- هناك العديد من الأخطاء في التواريخ وأعتقد أنها مطبعية ومطلوب التصحيح .

٩- حرب السويس بين العرب وإسرائيل ١٩٥٦ ، و الصحيح أنها حربا بين ثلاث دول إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر وحدها ، ولم يكن العرب شركاء فيها ويطلق على تلك الحرب العدوان الثلاثي .

١٠- اثنم تناول العادل العقلاني للكاتب للقضية الفلسطينية ، وذلك لأنني وبكل أسف كنت أتألم عندما أقرأ معظم ما في الخطاب الإعلامي الكردستاني من تدليل لإسرائيل بل وربما يقف بعض من كتاب هذا الخطاب في نفس الخندق المساند لإسرائيل ، لكن الكاتب كان على العكس من ذلك .

١١- لي ملاحظة على مصطلح الثورة المضادة فحسب ما أفهم، فإن ما أفهمه عن الثورة أنها حركة مسلحة مسنودة ومؤيدة من الشعب، أو انتفاضة شعبية، تغير نظام الحكم وتقوم بتغييرات مجتمعية كبيرة ، في حين أن الثورة المضادة تنشب بعد نجاح الثورة، ويقوم بها فلول النظام السابق، من أجل الانقضاض

على الثورة ومكاسبها وربما السعي لإفشالها، وهذا ما يحدث حالياً في مصر، ولكن الكاتب استخدم مصطلح الثورة المضادة في مجال الحديث عن العنف والوسائل الفتاكة التي تستخدمها الحكومات للقضاء على الثورة، وأتمنى على الكاتب أن يراجع ذلك .

تلك ملاحظات لا تقلل إطلاقاً من أهمية الكتاب ، فهو من أفضل ما قرأت. أتصور أن هذا الكتاب ستطبع منه طبعة جديدة بالعربية، وهذا أمر هام ومطلوب، ولذلك فإنني أقترح العمل على علاج بعض الأمور وهي بسيطة ومنها التصحيح اللغوي وتصحيح التواريخ و تحديث الكتاب لأن هناك متغيرات عديدة جرت على الساحة (كردستان - تونس - مصر - اليمن - سوريا) .

أتمنى أن تتضمن عملية التحديث رؤية نقدية لما حدث في الساحة الكردستانية من متغيرات ومنها (توحد الجبهة الكردستانية حركة التغيير(گوران) أحداث ساحة السراي) وأكرر من جديد سعادتي بالكاتب والكتاب، وأملّي أيضاً في لقاء مباشر بالكاتب كما لا يفوتني أن أشكر الأخ والصدّيق الملا ياسين رؤوف لأنه هو الذي أتاح لي هذه الفرصة .

رجائي فايد

كاتب ومحلل سياسي في الشؤون العراقية و الكردية

ملا بختيار والسباحة ضد التيار

علواني مغيب

اتحف حكمت محمد كريم (ملا بختيار) المكتبة السياسية الكردية بكتاب له اهميته النوعية والتحليلية في طرح آراء تمس في الصميم الآفاق المستقبلية للانتفاضات وحروب التحرير، وقد ألم حاذقاً بالتجارب الثورية للامم والشعوب في شتى المحاور. ممهداً الطريق امام المتلقى كي يطل من هذه النافذة على التجارب الثرة للانتفاضات وحروب التحرير التي خاضتها الامم والشعوب قبل وبعد الحربين العالميتين، لقد سلط المؤلف اضواء مشعة على العوامل والنتائج التي آلت اليها هذه الحركات، وبمقدور المهتمين بشؤون الانتفاضات والثورات ان يغنوا تجاربهم من خلال العبر والدروس المستخلصة المطروحة في الكتاب.

يتألف الكتاب من تسعة فصول وسبعة ملاحق مهمة جديرة بالتمعن والاهتمام فالفصول مقسمة على مباحث ومجاور عدة وهي تباعاً: كوردو الشجاع، الشروط الموضوعية والذاتية، الطرائق المختلفة في حرب الانصار، ثورة كردستان وخصائص العصر، النتائج والمستقبل، تشويه الثورة، توطئة في الاصلاح، الثورة بين نهجين، الاعداد لثورة كردستان.

وملا بختيار من حيث هو صاحب مشروع فكري لايقرر سلفاً مايجب فعله. ولو افترضنا انه من اولئك الذين يقررون ويطلبون من الآخرين تنفيذ ماينحازون عليه من الاساليب والآراء. فإنه يكون قد دمر المتعة التي يبعثها الكاتب في النفس. ومع هذه أيضاً فإنه يكون قد قدم السبب الذي تحت طائلته سوف يتم تدمير الخطاب السياسي الكردي، الذي من

ابرز صفاته كما نرى، ونزوعه الى العقلانية والحرص على الاجتهاد بدون اسراف والسعي لتأسيس بنيان يؤمن بالجماعة. مثلما نرى في هذا النص الذي يحترم السياقات المتنوعة من التفكير البشري الذي يدخل معه في حوار هادئ، قوامه هذه الترسانة المعرفية الكبيرة التي يمتلكها ملا بختيار، صاحب التجربة الخصبة في نواحيها المتنوعة: الثقافية والسياسية والعسكرية وسواها من نواحي الفعل النضالي التي يحاكمها المؤلف في هدوء من يمتلك الحججة المنطقية التي تحول دون الوقوع في الانفعال والعصبية وسواها من صفات اولئك الذين يضيعهم غياب المنطق والحجة معها.

ان السؤال الذي سبقت الاشارة اليه، يحتم على المؤلف اتجاهاً في المنهج يتناول تارة نضال الجبال الذي هو نضال مسلح، واخر يتناول انتفاضة المدن، التي هي نوع من النضال الآخر الذي لا يستخدم فيه السلاح بمعناه التقليدي. وهذا من شأنه ان يحمله الى البحث عن ادق التفاصيل، ابرزها في الحالتين الوصول الى النتيجة التي لا يرجح فيها كفة احدهما على كفة الاخرى، في مفاضلة تبدو على قدر كبير من الصعوبة، وان لم تكن كذلك في حالة ملا بختيار الباحث عن افضل السبل التي على الشعوب سلوكها لتحقيق الانتصار وبأقل ما يمكن من التضحيات.

ولعل ذلك يرتبط بما عند بختيار من خزين معرفي، وقدرة على التمييز بين ماهو مفيد ونافع للشعوب في ثوراتها. من بين ما تمكن معرفته، ان بختيار يتحدث ايضاً عن ثورة بلا طليعة تقودها، وهو عبر ذلك، وبهدف تحقيق التقدم والخروج من دائرة المراوحة في المكان ذاته، يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد الفكر الاعتباطي ومعطياته السيئة، بهدف اشاعة طرق التفكير التي تتضمن السلامة وتقلل الخسائر، لذا

نجده في هذا المضمار يسخر من اولئك الذين ينظرون الى (النصير) و(حرب الانصار) على اعتبار انها السوبرمان والسوبرمانية. كما يسخر من اولئك الذين يعتقدون ان البندقية والراية الحمراء والنجم هي وحدها التي يمكن ان تنتصر وتنجح في نهاية الامر. وهو هنا لا يتحدث هكذا بأستخدام هذه المفردات من اجل السخرية المجردة. وانما لانه يسعى نحو تصحيح الطريق والبحث عن منهج في السلوك الثوري يمتاز بالدقة وبضمان الوصول الى نتيجة سليمة.

ومن هنا علينا فهم النتائج التي يتوصل اليها، قبل ان تقرر الوقوف معه او ضده، وهو يجيب على سؤال الكتاب الجوهري: ايهما افضل في الحالة الكردية، نضال الجبال ام انتفاضة المدن؟.

في البحث عن الاجابة المقنعة، يرى ملا بختيار ان الثورات طويلة الامل في هذا العصر، لايمكن ان تتاح لها نفس الشروط الموضوعية التي اتحت لغيرها من الثورات المماثلة ابان العقود الماضية. ولأنه يرى ايضاً بأن الظروف الدولية القائمة (تم تأليف الكتاب عام ١٩٩٢) تعارض تيار الكفاح المسلح، فإن انتصار الثورة، لاسيما على نظام مقتدر مادياً وعسكرياً كما كانت عليه حال النظام في العراق. يبدو ضرباً من الخيال واشبه ما يكون بالحلم المستحيل التحقق. وباختصار يقول: الثورة ليست المناطحة بين الرأس الثوري المكشوف ورأس العدو الحديدي بل هي تأجيج نيران الغضب المقدس للجماهير المضطهدة، من اجل صهر الرأس الحديدي لسلطة العدو.

مانقراً يسير الى ان ملا بختيار يرفض مبدأ التضحية الجانية التي لا طائل من ورائها ويعدها نوعاً من الانتحار، الذي يرفضه رفضاً قاطعاً، وبالقدر نفسه الذي يدافع فيه عن الحياة التي يحرص عليها بكل جماع

الكلمات التي يكتبها، انه يضعنا امام الحقيقة، ولاتقوم بما يقوم به كثيرون ممن يحاولون ارتكاب حماقة خداع القارئ واستدراجه الى مايشبه السراب والوهم، وهذا يجعله يقرأ الواقع كما هو، وليس كما يتخيله الواهمون، صحيح ان حرب الانصار كما يقول قد سجلت بفخر امجادها وانتصاراتها على الظلم والقهر والاضطهاد، الا ان ذلك حدث في وقت كان فيه المجال واسعاً لها لكي تنتصر. هذا يعني انه لا يؤمن بالثبات من العوامل فهي برأيه متغيرة وتتبدل من زمن لآخر.

ثم انه قبل ان يصل الى الاجابة الدقيقة على سؤال الكتاب الذي سبقت الاشارة اليه يقرأ ماحدث في انفلات الجريمة التي تتفوق في بشاعتها على بقية جرائم الابداء التي عرفتها شعوب العالم قاطبة. وهو عندما يقرأ ذلك يقرأ قراءة صحيحة، بعيدة عن الدوغمائية. نعم لقد كانت هناك امجاد صنعها الكرد ابان ثورتهم المسلحة، الا انهم كما يرى لم يحققوا النصر الحاسم، وهنا يقول بجرأة في مواجهة الذات: واصيبت كل الاحزاب الكردستانية المسلحة بكارثة عظيمة اوصلتها الى حد استحالة تحقيق كل اهدافها، وتطلعاتها القومية والطبقية. ويرجع ذلك الى ان الحياة السياسية داخل المدينة تختلف عن ظروف الكفاح المسلح في الجبال، فإذا كانت الجماهير قد وقفت صامدة في الجبال، بوجه هجمات النظام الذي كان يهدد مصير شعبنا وارضنا، وخوفاً على مصير الكرد كذلك، اذا كانت الجماهير داخل المدن قد اخذت المشاعر السياسية والقومية والخدمات السابقة، بنظر الاعتبار بحكم استمرار بقاء البعث وبقاء الاخطار التي كانت تهدد وجودها. لعلها تتخلص من خطر النظام ويحل قسم من مشاكلها بأي شكل من الاشكال، الا ان على هذه القوى ان تعرف ان الثقة التي منحها الجماهير لها، ستقل شيئاً فشيئاً تناسباً مع

مدى تحقيق مطالبها، لأن الحقائق تظهر في المدن بسرعة أكثر و...ينمو وحي الجماهير فيها، بشكل أفضل.

فللجيل مهامه، وللمدينة مهامها، ومشاكل الناس بعد نيلهم الحرية تكون أكثر من مشاكل طريق نيل الحرية.

كذلك.. ينبغي ان يعرف الجميع ان انتخابات البرلمان ومجلس الوزراء ليست اول تجربة لممارسة الحكم الوطني في كردستان، بل هناك تجربة حكومة الشيخ محمود وجمهورية مهاباد المنكوبتين وهما تجربتان سابقتان لشعبنا في هذا الميدان، كما ان المساندة الدولية للقضية الكردية ليست الاولى من نوعها في تاريخ شعبنا، لان معاهدة (سيفر) ومساندة الاتحاد السوفيتي لجمهورية مهاباد مازالتا حيتين في اذهان شعبنا.

صحيح ان الزمان والارضية السياسية والدولية والاقليمية قد تغيرت. وصحيح ان احداث التاريخ لا تتكرر كما هي، لكنه اضافة الى هذه الحقائق هناك حقيقة مصيرية اخرى يجب اخذها بنظر الاعتبار دوماً وهي ان مصير الشعوب هو بين الشعوب نفسها، وكل شعب سنحت له فرصة مواتية كالتى سنحت لشعب كردستان ولم يتمكن قادته من استغلالها على اكمل وجه، ولم يمنعوا فشل هذه الفرصة، عن طريق تقديم الخدمات وتحقيق المنجزات واشاعة الديمقراطية..فإن خطراً جسيماً يظل يهدد هذا الشعب كيف ما يكن تطور الزمان..وفي اية مرحلة يكن التاريخ لاسيما اذا كان الشعب محاصراً كالشعب الكردي.

ومتغيرات العصر.. نضال الجبال ام انتفاضة

من مقدمة كتاب (ثورة كردستان المدن).

مقدمة الطبعة الثالثة

طبع هذا الكتاب المترجم من اللغة الكردية الى اللغة العربية والذي سماه مؤلفه حكمت محمد كريم (ملا بختيار) بـ (شورشى كوردستان و گۆرانكارىه كانى سه ردهم) في العام (٢٠٠٢م) تحت عنوان (ثورة كوردستان و تطورات العصر) ترجمة (انور مندلاوي). وهذا الاسم اي (انور مندلاوي) ليس هو الاسم الحقيقي للمترجم وانما اسم مستعار نشرت تحته جميع كتاباتي ومقالاتي وترجماتي التي نشرت في الصحف والمجلات الداخلية والخارجية طيلة الحكم القمعي الدكتاتوري العراقي البائد، خوفا من ملاحقة السلطة الاستبدادية العراقية، لأهلي واخواني واقربائي واصدقائي الذين كانوا يعيشون في المدن العراقية الخاضعة حينذاك لحكم تلك السلطة. وحينما زال ذلك الحكم في العام (٢٠٠٣) وانتهى بذلك عهد الظلم والقهر والاستبداد على ارض العراق قررنا (المؤلف والمترجم) اعادة طبع الكتاب ثانية، لكن هذه المرة بأسمائنا الصريحة الحقيقية المذيلة بأسمائنا المستعارة تحت عنوان (ثورة كردستان و متغيرات العصر) وتم طبع الكتاب طبعة ثانية مزيدة ومنقحة في العام (٢٠٠٧)، إلا أن المفارقة التي ألمني (انا المترجم) كانت في كتابة اسمي المستعار فقط على غلاف

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

الطبعة الثانية، فضلا عن اني لم احصل حتى على نسخة من هذه الطبعة. لكل ما مر ولطلب القراء الاعزاء وحاجة المكتبات العربية الى الكتب والمؤلفات المترجمة من اللغة الكردية الى العربية ارتأيت طبع الكتاب طبعة ثالثة وتصحيح ما وقع من خطأ سهوا.

المترجم

الدكتور بندر علي

٢٠١١/٥/١٦

كلمة .. وأمتنان

فكرة هذا الكتاب (ثورة كوردستان و متغيرات العصر) اختمرت في ذهني اثناء أتعس نكسة عسكرية واجهت الثورة التحررية الكوردستانية، في العقد الاخير من القرن العشرين (١٩٨٨-١٩٨٩ م)، حيث توقفت الحرب العراقية الايرانية دون أية نتيجة عسكرية حاسمة لطرفي الحرب. وكانت هذه النتيجة العسكرية، من الناحية السياسية والعسكرية والانسانية، في صالح العراق و ايران، لكن مجرد ايقاف الحرب ودخوله حيز التنفيذ، كحقيقة واقعة، أثمر تأثيراً بالغاً في الثورة الكوردستانية، من الناحية العسكرية والسياسية، اذ أدى الى نكسة عسكرية لمعظم قوات البيشمركة: ففي غضون اقل من شهرين لم يبق من آلاف المسلحين للحزب الكوردستانية، سوى بضع مئات مستعدين لأدامة النضال المسلح، كحرب عصابات و ببطولة نادرة، و ذلك في احلك ظرف سياسي و اصعب وضع عسكري.

ان النكسة و تبعاتها السياسية والاجتماعية والنفسية أثرت على افكاري و قناعاتي بشكل شامل و عميق، ونتيجة لهذه التأثيرات راجعت في ذهني المسائل الاساسية المتعلقة بالنضال المسلح، و تأريخ الثورات المسلحة والنظريات العسكرية التي وضعها و صاغها القادة الكبار في تأريخ الثورات (ماوتسي تونغ، جنرال جياب، جيفارا، و كاسترو). و في نفس الوقت، تصفحت مراحل النضال والانتفاضات المسلحة في اجزاء كوردستان، من

القرن الثامن عشر، والى يوم اندلاع الثورة الكوردستانية الجديدة في الربع الأخير من القرن العشرين. ومن خلال دراستي للمسائل النظرية للثورة المسلحة من جهة، ومراجعتي لتاريخ شعبي الكوردي من جهة أخرى، تبلورت عندي عدة قناعات كانت غائبةً، عن افكاري وقناعاتي السابقة. و بناءً على ذلك توصلت الى استنتاج موضوعي حول تلك المسائل، الا وهي كتابة دراسة عن تأريخ الثورات، و خصوصية الثورات، و نتائجها، استناداً الى نظريات و آراء القادة الكبار في الحركات الثورية المسلحة، و النتائج العملية التي تمخضت عنها تلك الثورات، منذ الحرب العالمية الاولى، والى يوم تأليف هذا الكتاب.

إن نتائج هذه الدراسات و التمعن في الاحصائيات الموثقة كانت مذهلة بالنسبة للثورات المسلحة في العالم، وكذلك الإنتفاضات و الثورات المندلعة في كوردستان.

كيف؟

لقد ترسخت و منذ الحرب العالمية الثانية، و لاسيما بعد انتصار الثورة الصينية، و الثورات المسلحة للشعوب الفيتنامية و الكوبية و اللاوسية و الكومبودية، و الثورات داخل قارة افريقيا و أمريكا اللاتينية.. الخ، قناعة مطلقة، لدى معظم الثوريين و اليساريين في العالم، بأن الثورة المسلحة تعد إحدى الركائز و الشروط الموضوعية (الى جانب الجبهة الوطنية و الحزب الطليعي) لتحرير الشعوب من نير الاحتلال، لذلك نجد أن اكثرية الاحزاب اليسارية حملت السلاح لتحرير شعوبها وفق هذه النظرية العسكرية الرائجة بين الشعوب المظلومة و المغلوبة على أمرها بل و انشقت عشرات الاحزاب الشيوعية و اليسارية و الديمقراطية، بسبب هذه المسائل النظرية العسكرية، خاصة داخل الشعوب المظلومة المضطهدة. لكن.. الدراسة

العلمية اثبتت عكس ذلك تماماً، ان اثبات هذه الحقيقة هو احد الأهداف الاساسية للكتاب المترجم هذا. اتمنى، و انا الكردي الذي حمل السلاح طوال (١٤) عاماً في الثورة المسلحة الكوردستانية، و كمؤمن خلال تلك السنين، و قبلها ايضاً، بالنظرية العسكرية السالفة الذكر لتحرير الشعوب من الظلم والاضطهاد - أني قد أفلحت في عرض و توضيح الحقائق التاريخية الموضوعية مثلما حدثت، وليس مثلما صيغت نظرياتها العسكرية في عصر ما من العصور السياسية!

اكتفي بهذا القدر من التوضيح حول الكتاب، واخيراً، لا يسعني الا و أن اشكر اخي ورفيقي في النضال الدكتور (بندرعلي المندلاوي) على قبوله ترجمة الكتاب، و انني على يقين بأن الترجمة قد أخذ من وقته كثيراً. و اشكر ايضاً الدكتور (رؤوف عثمان) على مقدمته التقييمية لمضمون الكتاب المترجم. اشكرهما كثيراً. وارجو من القارئ الواعي، اسعاني بملاحظاته النقدية البناءة.

المؤلف

المؤلف و ذكريات نضالية

١) حكمت محمد كريم (ملا بختيار)، مؤلف هذا الكتاب، من المناضلين والمثقفين الكورد، ومن انشط الكتاب في حقل السياسة والكفاح المسلح والنشاط الجماهيري، وأغزهم نتاجاً رغم انضمامه المبكر الى صفوف الحركة الكوردية، وانشغاله التام بالعمل السري، ثم العمل الكفاحي المسلح في صفوف الانصار، منذ اندلاع الشرارة الاولى للثورة الجديدة في (١٩٧٦/٦/١ م)، والى يوم انتصارها في الانتفاضة ربيع عام (١٩٩١ م).

- ولد في (١٩٥٤/٨/٢٠ م) في مدينة خانقين الكوردية العريقة الواقعة في الجنوب الشرقي من كوردستان العراق، والغنية بآبار النفط، والمشهورة ببساتينها الوارفة الظلال وأراضيها الخصبة التي ترويه مياه نهرها الخالد (ألونْد). وخانقين من المدن الكوردستانية العريقة التي واجهت اثناء الاحتلال العثماني سياسة التتريك، كما واجهت، بعد تأسيس الدولة العراقية، سياسة التعريب والتهجير القسريين، لذلك كانت هذه المدينة دوما مسرحا للنضال السياسي التحرري الديموقراطي.

- انضم الى صفوف (كۆمهلهي ماركسي لينيني كوردستان- العصابة الماركسية اللينينية الكوردستانية) في (١٩٧٠/٦/١٠ م) بعد تأسيسها بعدة اشهر.

- التحق بثورة ايلول المسلحة عام (١٩٧٤ م) بعد فشل اتفاقية (١١/أذار/١٩٧٠ م) المبرمة بين الحكومة العراقية وقيادة الحركة الكوردية نتيجة لتراجع الحكومة العراقية، عن تنفيذ بنود الاتفاقية. وتعرض بسبب آرائه اليسارية، اثناء التحاقه بهذه الثورة، لبعض المضايقات والضغوط السياسية والنفسية، على يد مسؤولي منطقة خانقين.

- عاد الى خانقين عام (١٩٧٥ م)، بإيعاز من قيادة (العصبة) مثل الكثيرين من رفاقه، بعد اعلان انهيار ثورة ايلول في (١٩/٣/١٩٧٥ م)، نتيجة لاتفاقية الجزائر التي ابرمت بين الحكومتين الايرانية والعراقية في (٦/٣/١٩٧٥ م) والتي تنازلت بموجبها الحكومة العراقية، عن بعض من حقوق العراق في مياه شط العرب، وبعض المناطق الحدودية لصالح ايران، لقاء مساعدة شاه ايران في اخماد الحركة التحررية الكوردية المسلحة.

- رغم حجم الكارثة وهول الفاجعة اللتين اصابتا الشعب الكوردي في الصميم، وسيطرة النظام العراقي وأجهزته القمعية على كل شبر من كوردستان العراق بعد اتفاقية الجزائر، وترحيل الكورد من قراهم ومدنهم، واسكانهم في المجمعات القسرية الشبيهة بمعسكرات الاعتقال النازية، وتهجير سكان القرى والمدن الحدودية الكوردية المهمة الى وسط وجنوب وغرب العراق، وتوزيعهم على القرى الفقيرة البائسة، ومنعهم من التنقل والاتصال بذويهم واقاربهم- نعم رغم كل هذه المآسي والعراقيل والعقبات والقمع والاضطهاد والنفي والتشريد، فقد لملم المناضلون جراحاتهم، ورسوا صفوفهم، ووحدا جهودهم، وعقدوا العزم على

- مواجهة المخطط المرسوم الذي درس بعناية ودقة، للقضاء على الوجود القومي للشعب الكوردي وابتلاع وطنه المجزأ كوردستان.
- كانت (العصبة الماركسية اللينينية) التي انضم اليها مؤلف الكتاب، والتي بذلت قيادتها جهودا مخلصه لمنع إخماد الحركة المسلحة، وانهايارها، بعد اتفاقية الجزائر، قد أوعزت - كما أشرنا سابقا- الى كوادرها بالعودة الى ارض الوطن، والعمل من هناك بكل جد وتفان لاعادة تنظيم صفوفها، والوقوف بوجه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الشعب الكوردي الاعزل، لذلك عاد الكثير منهم، وبدأوا العمل السري على الفور بناء على هذا التوجيه، الا ان عيون السلطة كانت لهم بالمرصاد فألقت القبض على معظم العناصر القيادية (للعصبة) في منتصف عام (١٩٧٥م)، وكان (حكمت كريم) من بين المطلوبين الذين لم تتمكن اجهزة السلطة من القبض عليهم.
- في هذه الظروف الصعبة والحرجة، و نتيجة لكفاءته التنظيمية الواعية اصبح الاخ (حكمت كريم) مسؤولا عن تنظيمات الداخل كافة، وكان يحمل معه ست هويات مزورة اثناء تنقلاته بين: بغداد، وكركوك، وكلار، والسماوة، والديوانية، والفلوجة، ودرينديخان، والموصل، ودهوك وباتجاه الحدود السورية العراقية، واربييل، والسليمانية، لاعادة تنظيم صفوف المناضلين والاتصال معهم، وتشكيل الخلايا الجديدة والاجتماع مع مسؤوليها وأعضائها، بكل حذر وحيطة، من اجل تحضيرهم للثورة المسلحة الجديدة.
- بعد الاعلان عن ميلاد الاتحاد الوطني الكوردستاني في (١/٦/١٩٧٥م) وتشكيل قاعدة تنظيمية واعدة للاتحاد في المدن والقرى الكوردستانية،

وبدء مرحلة جديدة من النضال الجماهيري، وتوسيع دائرة النشاط التنظيمي والجماهيري، جاء دور تشكيل المفارز المسلحة لقوات الانصار في جبال كوردستان، للانتقال الى مرحلة الاعلان عن الثورة الجديدة لشعبنا وفق تكتيك واستراتيجية جديدة، وكان للاخ (حكمت محمد) الدور الفعال في هذا المجال ايضا، اذ كان بحكم مركزه القيادي ينسق مع تنظيمات الداخل، لتهيئة المتطوعين وتأمين الاسلحة لهم وارسالهم للانخراط في صفوف (الپيشمرگه) أى الفدائيين او الانصار، في المفارز المسلحة الاولى.

() مما يجدر ذكره في هذا المجال أني كلفت بالتعاون والتنسيق مع الشهيد سلام عبدالرزاق، بنقل الاخ (شيروان شيروهندي) الذي قرر الالتحاق بصفوف المفارز الأولى المسلحة للانصار، في نهاية الشهر السادس من عام (١٩٧٦ م)، من خانقين الى بغداد، ومنها الى السليمانية، حيث كان الاخ (حكمت) ورفاق آخرون بانتظارنا، وقد تولوا القيام بكل ما يلزم لهذا الغرض.

— اما في المجال التنظيمي، فقد ظل اتصاله بتنظيمات الداخل مستمرا، حتى بعد إنتقاله من بغداد الى السليمانية استجابة، لمتطلبات التنظيم والأمن، حيث اذكر جيدا محتوى رسالته التي ارسلها الي عن طريق الشهيد(سلمان داود) الذي زاره بصحبة والده المرحوم الحاج (داود حسين) الشخصية المناضلة المعروفة في اوساط اهالي (مندلي) والكورد الساكنين في بغداد، والشهيد (شيرو عبدالقادر) لمناقشة انضمام (ريكخراوى تۆلهى خويى شهيدان-منظمة ثأر دم الشهداء) الى الاتحاد الوطني الكردستاني، والتي تأسست بعد انهيار الحركة الكوردية

المسلحة عام (١٩٧٥ م) مباشرة، حيث قام اعضاؤها بعدد من العمليات المسلحة ضد اجهزة النظام القمعية داخل بغداد، وقد تمكن الاخ (حكمت محمد) والشهيد سلام عبد الرزاق من اقناع الشهيدان سلمان داود و شيرو عبدالقادر، بعد ثلاث زيارات متتالية الى السليمانية، بضرورة انضمام منظماتهم الى الاتحاد الوطني، والعمل داخل الاطار العام للثورة الجديدة، ليكون لهم دور فعال فيها، لأن عمل المنظمات الصغيرة بشكل منفصل في الحركات الثورية الكبيرة يكون أنيا ومؤقتا، بل وكارثيا أحيانا، وقد اقتنع الشهيدان بهذا، واقنعا بدورهما الاعضاء الآخرين في المنظمة بالانضمام الى الاتحاد الوطني. هذه الرسالة التي طلب مني فيها الاخ (حكمت) أن اكون حلقة الوصل بين اعضاء هذه المنظمة وتنظيمات (الاتحاد) في بغداد، عن طريق الشهيد (سلمان) الذي يربطني به صلة القرابة والمدينة الواحدة، أملا في الحد من بعض التوجهات المتطرفة لدى رفاقه، والتي لمسها من المناقشات التي دار بينه وبين الشهيدان سلمان و شيرو في تلك اللقاءات، والاستفادة من جهاز الرونيو الذي كان بحوزتهم، وتأمين بعض المستلزمات الاخرى لهم، كما ورد في نص الرسالة.

- كما لا أنسى الرسالة التي ارسلها لي عن طريق التنظيم، يعاتبني فيها على عمل قام به أحد اصدقائي، وهو من ابناء مدينتي (مندلي) تجاه احد المناضلين من اقربائه، التحق بالمفارز الأولى المسلحة للانصار، مشهود له بالاخلاص والتفاني والنضحية والكفاءة الى يوم استشهاده، اقتضى عمله النضالي بقاءه في السليمانية، ولهذا التجأ الى قريبه هذا ليقضي بضع ليال معدودات في بيته، إلا أنه سرعان ما طلب هذا

القريب منه ترك بيته، وبحضور الاخ (حكمت)، فأثر هذا الموقف في نفسيهما، بل ألمهما اشد الألم الى حد، دفعه الى كتابة تلك الرسالة التي انتقد فيها بمرارة الموقف المتفرج لبعض المثقفين من قضية شعبهم قائلًا "اذا كان هذا هو موقف المثقف الكوردي من قريبه الذي نذر نفسه للدفاع عن شعبه وكرامة ابنائه، فكيف يكون موقف الآخرين منه، ممن لا يمتنون اليه بصلة، ولا يدركون حقيقة كفاحنا وتضحيتنا".

- كذلك من ذكرياتي معه لقائي به في بغداد بعد تأسيس (كؤمه ليهي خويندكاراني شورشگييري كوردستان-جمعية الطلبة الثورين في كوردستان) في (٢٦/٤/١٩٧٦م) لتسلم البيان الأول لهذه الجمعية منه والذي صدر في السليمانية، وكان قد جلبها هو والرفيقة (وصفية بني ويس)، بمغامرة عجيبة الى بغداد خصيصا، لنوزعها على الطلبة المنتمين الى تنظيماتنا، وبدورهم يوزعوها على زملائهم الطلبة في الجامعات والمدارس الثانوية، وقد اجتمع في تلك الزيارة، وبحضوري، مع ثلاثة من الطلبة الجامعيين لهذا الغرض.

- اضافة الى كل ما ذكر، فانه كان يحضر بين حين وآخر الى بغداد سرا، رغم كونه هدفا للاجهزة القمعية للنظام، ليحضر بنفسه اجتماع لجان التنظيم ومن بينها اللجنة التي كنت اتحمل مسؤوليتها، فيبعث هذا نشاطا وقوة فيها.

○ بعد الاعلان عن قيام الثورة الجديدة المندلعة من جبال كوردستان في (١/٦/١٩٧٦م) وتشكيل الكثير من المفارز المسلحة التي انتشرت في انحاء مختلفة من كوردستان، ونظرا لأهمية تنظيمات الداخل والمفارز المسلحة للتنظيم في السليمانية وبغداد، ظل الاخ (حكمت) الى نهاية سنة

(١٩٧٦ م)، وبالتحديد حتى العملية العسكرية ضد قافلة محافظ السليمانية في صباح يوم (١٩٧٦/١٢/٢١)، ظل مختفيا داخل السليمانية، ليشرف على التنظيمات، وينسق مع القيادة في الجبال، وبعده التحق بصفوف الثورة المسلحة، ليمارس دوره من هناك، وقد جابهته مشاكل وعقبات أثناء مسيرة النضال المسلحة الطويلة نتيجة للنهج السياسي والفكري الذي كان يؤمن به، ويلمس القارئ هذا بكل سهولة في ثنايا وصفحات هذا الكتاب، والكتب الاخرى والمقالات التي ألفها ونشرها، او المناظرات والندوات العديدة التي اشترك فيها.

- ظل في صفوف الثورة الجديدة التي توجت فعاليتها ونضالها بالانتفاضة الجماهيرية في ربيع العام (١٩٩١ م)، والتي كان من المساهمين فيها، بل كان في الصفوف الاولى فيها، ومن المنادين والمطالبين بمحاربة الممارسات المنحرفة والخاطئة لبعض المحسوبين عليها، وآراؤه وتوجهاته هذه ظهرت واضحة وجلية في الفصل المخصص للانتفاضة في هذا الكتاب.

- بعد نجاح الانتفاضة الجماهيرية، انتخب عضوا في البرلمان الذي انتخبه شعب كوردستان العراق عام (١٩٩٢ م) بكل حرية لأول مرة، كما تقلد مناصب حزبية قيادية وجماهيرية عديدة، منها: عضو قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني، وعضو احتياط المكتب السياسي، ومسؤول مكتب المنظمات الديمقراطية فيه، ومن ثم عضو الهيئة العاملة في المكتب السياسي.

- () اتحف المكتبة الكوردية بمجموعة قيمة من الكتب، والدراسات والبحوث والمقالات التي نشرت في مختلف المجالات، والصحف والدوريات التي تصدر داخل اقليم كوردستان العراق وخارجه. ومن كتبه المنشورة:
- ١- هذا الكتاب الذي ترجمناه (شورشى كوردستان وگۆرانكاريه كانى سهردهم- ثورة كوردستان و متغيرات العصر)، وقد طبع في السويد في العام (١٩٩٢ م)، وطبع بالرونيو قبله في (١٩٩٠ م).
 - ٢- (ياخى بوون له ميژودا- التمرد على التاريخ) طبع في السليمانية / كوردستان العراق (١٩٩٨ م)، في مئتين وثمان وتسعين صفحة من القطع المتوسط.
 - ٣- (كۆبه ندى چه ندى بابه تيك - حزمة مواضيع مختارة) طبع في السليمانية / كوردستان العراق (١٩٩٩ م) في (٣٧٢) صفحة من القطع المتوسط.
 - ٤- (ديموكراسى له نيوان مؤديرنيته و پوست مؤديرنيتهدا - الديمقراطية بين الحداثة وما بعد الحداثة) طبع في السليمانية / كوردستان العراق (٢٠٠٠) في (٤٣٠) صفحة من القطع المتوسط.
 - ٥- (ديموكراسى دواى جهنگى سارد - الديمقراطية بعد الحرب الباردة) طبع في السليمانية / كوردستان العراق (١٩٩٩ م) في (٣٣٥) صفحة من القطع المتوسط، وهناك كتب اخرى للمؤلف لم يسعفني الحظ على قراءتها والاطلاع عليها منها:
 - ٦- (له خزمه تى ئه ده ب دا- في خدمة الادب).
 - ٧- (تازادى وكۆمه لى مه ده نى - الحرية والمجتمع المدني).

٨- (كورد ناسيڤك وشوره وي وكورد - مختص في الدراسات الكردية وروسيا والكورد).

٩- وهو الآن رئيس تحرير لمجلة (المدنية) الفصلية منذ (١٩٩٩م) ورئيس تحرير الصحيفة الاسبوعية (جاو دير- المراقب) منذ (٢٠٠٥م)

() ما دفعني الى ترجمة هذا الكتاب هو جملة من الاسباب, لكن اهمها هو: تزويد المكتبة العربية, ومن خلالها, المثقفين العرب, والذين يجيدون اللغة العربية من مثقفي الشعوب الاخرى وخاصة في دول الجوار, بمصدر مهم, عن الكورد وتاريخهم ووطنهم وثوراتهم وانتفاضاتهم وآرائهم حول مستقبل علاقاتهم بالآخرين, ورؤيتهم للاحداث المتسارعة على المستوى الوطني والاقليمي والعالمي, وتحليلهم لها, ونظرتهم ورؤيتهم لما سبق من الاحداث والثورات في عالمنا المعاصر, ولايسعني هنا إلا أن اناشد الاخوة الآخرين, ممن يجدون في انفسهم القدرة والقابلية والرغبة في الترجمة, من الكوردية الى اللغات الاخرى الحية, أن يبادروا الى نقل التراث الفكري والادبي والتاريخي والسياسي الكوردي الى اللغات التي يجيدونها, ليطلع الآخرون عليها, وبذلك يقدمون خدمة كبرى لشعبهم التواق الى الحرية والحياة الكريمة, ولقضيته العادلة المشروعة *

() بقي أن اقول: إنني جابهت مصاعب جمة أثناء ترجمتي لهذا الكتاب, لعل بعضها يرجع الى تجربتي الاولى في هذا المجال, وبعضها الى عدم اتقاني قواعد اللغة الكردية بصورة اكااديمية صرفة, بسبب حرماننا من التعليم باللغة الأم الكردية, لأن التعليم بها كان من ضمن المحرمات في زمننا. وبعضها الآخر يعود احيانا الى الصياغة البلاغية والجمل المركبة المتداخلة التي لجأ اليها المؤلف, للتعبير عن بعض الافكار التي اراد ايصالها الى

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

القارئ بدقة، مما اضطرني الى الوقوف طويلا أزاءها، والتصرف احيانا عند
الضرورة القصوى، لذلك استميت المؤلف والقارئ النبيل عذرا عن كل هفوة
او خطأ او سهو، قد يجده في عملي المتواضع هذا، وأكون شاكرًا لكل
استدراك او ملاحظة او نقد بناء.

شكري وتقديري البالغين الى كل من ساهم او ساعد على اخراج هذا
الجهد المتواضع الى النور.

المترجم

الدكتور بندر علي

(أنور مندلاي)

تقديم

أتحف حكمت محمد كريم (ملا بختيار) المكتبة السياسية الكردية بكتاب له اهميته النوعية والتحليلية في طرح آراء تمس في الصميم الآفاق المستقبلية للانتفاضات و حروب التحرير، و قد الم حازقا بالتجارب الثورية للأمم والشعوب في شتى المحاور، ممهداً الطريق أمام المتلقي كي يطل من هذه النافذة على التجارب الثرة للانتفاضات و حروب التحرير التي خاضتها الأمم والشعوب قبل و بعد الحريين العالميين. لقد سلط المؤلف اضواء مشعة على العوامل والنتائج التي آلت اليها هذه الحركات، و بمقدور المهتمين بشؤون الانتفاضات والثورات ان يغنوا تجاربهم من خلال العبر والدروس المستخلصة المطروحة في الكتاب.

يتألف الكتاب، من تسعة فصول و سبعة ملاحق مهمة جديرة بالتمعن والإهتمام، فالفصول مقسمة على مباحث و محاور عدة، وهي تباعاً: كوردو الشجاع، الشروط الموضوعية والذاتية، الطرائق المختلفة في حرب الأنصار، ثورة كوردستان و خصائص العصر، النتائج والمستقبل، تشويه الثورة، توطئة في الإصلاح، الثورة بين نهجين، الإعداد لثورة كوردستان. أما الملاحق الثمانية ذات الأهمية القصوى في تجسيد مفاهيم الكتاب فهي تباعاً:

الحركات المسلحة المنتصرة بعد سنوات الحرب العالمية الثانية، الحركات المسلحة المستمرة، الحركات المسلحة المنتكسة، الدول التي قامت فيها حركات مسلحة في قارة آسيا بعد الحرب العالمية الثانية، الدول التي قامت فيها حركات مسلحة في قارة افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، الدول

التي قامت فيها حركات مسلحة في امريكا الوسطى بعد الحرب العالمية الثانية، الدول التي قامت فيها الحركات المسلحة في امريكا الجنوبية بعد الحرب العالمية الثانية، ملخص احصائي بالحركات المسلحة في القارات والمناطق الحيوية في العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد وزع المؤلف الفصول على محاور و مباحث متشعبة ضمن اطار الكتاب، موصلاً المقدمات بالنتائج عبر مناقشة وتحليل معتمداً في ذلك على لغة الأرقام والحقائق متى اقتضت الحاجة. ان تأكيد المؤلف على عرض و مناقشة العناوين والمواضيع لم يكن بصورة متماثلة من حيث الكم، بقدر ما كان من حيث أهمية الموضوع، وعلاقته بالهدف الأساس من تأليف الكتاب.

اسهب المؤلف في عوامل فشل التجربة الستالينية التي أعادت الإتحاد السوفيتي الى عهد التخلف، وعبادة الفرد والجمود العقائدي الذي طغى على جل ميادين الحياة. و إن ذريعة الدفاع المستमित على تخوم الأتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية، و تعبئة الملايين للدفاع عنها من قبل ستالين و أجهزته، لا يبرر في حال من الأحوال دكتاتوريته، ولا مظالمه المشينة بحق شعوب السوفيت و مفكرها و مبدعيها، علما ان هذه السياسة اللامتوازنة والمساومة انعكست على الإنتفاضات و مصائر شعوب المنطقة بأتجاه اخلاء الساحة والتقهقر. أما الحكم بعد ستالين، فكان امتدادا لمسيرته، ولكن بطريقة مغايرة، وهي سيطرة النزعة التحريفية على التفكير الفلسفي لقادة السوفيت، في حين ان دكتاتورية ستالين و تحريفية خروشوف وجهان لعملة رديئة واحدة، وهي المروق عن المسار الطبيعي لمهام ثورة اكتوبر. ان فترة الحرب الباردة بين المعسكرين حالت دون وصول حركات تحررية كثيرة الى مطافها الأخير، وأضحى بعضها ضحية مساومات رخيصة بين مصالح الدول العظمى، واول من اکتوى بنار هذه المقايضات اللعينة هو الشعب الكردي، حيث سقطت جمهوريتا كوردستان و آذربايجان في ايران اثر مساومة رخيصة بين ستالين وقوام السلطنة، بعد

ان هدد ترومان جيش ستالين بوجوب مغادرة كوردستان ايران وأذربيجان خلال ٧٢ ساعة وإلا يتعرض للضرب بالسلح النووي- كما اكتشف حديثاً، و أذعن ستالين لهذا المطلب، حيث خابت آمال الكرد، وانطفأت شعلة هذه الجمهورية الكوردية الفتية، فأعدم رئيسها الشهيد قاضي محمد ورفاقه، وقد عاث الجيش الايراني في كوردستان فساداً ودماراً.

كما وتناول الكتاب الثورة الصينية والظروف الذاتية والموضوعية المؤاتية التي ساعدت حرب التحرير الصينية، ثم انحراف تلك الثورة عن مسارها الطبيعي، و تنامي النزعة الدكتاتورية لدى قادتها و سقطات الثورة الثقافية التي بشرت بحرق المراحل والقفز فوق الواقع. ان اهمية الكتاب لاتكمن في تناوله قضايا الثورة و حروب التحرير فقط، بل وتحاول استخلاص العبر والدروس و توظيفها في التحولات الجارية على طبيعة الحركات التحررية في سياق و إطار جديدين.

ان الثورة ظاهرة تاريخية لها كيانها الخاص والمتأثرة بجملة عوامل ذاتية و موضوعية، و قوانينها الخاصة نابعة من مكوناتها، فلا يمكن اجتياز أو خرق هذه القوانين والضوابط عنوة، بغية الإسراع والانضاج المكروهين، لانها تنحرف عن مهامها التي اندلعت من اجلها، انها تستجيب ابداً للمتغيرات السريعة والتحولات الجارية في المجتمع وما حوله. ومن هذا المنطلق سلط المؤلف أضواء كاشفة على الإنتفاضات الكردية المسلحة في القرن المنصرم، كما و تناول جمهورية مهاباد الكردية و ثورة ايلول و انتفاضة (١٩٧٦م) التي فجرها الاتحاد الوطني الكوردستاني في كوردستان العراق، والمهام الخطيرة التي ينبغي ان تقع على عاتق مفكري الإنتفاضة لتحقيق اهدافها وايصالها الى شاطئ الأمان. أفاض المؤلف في مناقشة العوامل الذاتية والموضوعية لانتكاسة ثورة ايلول (١٩٦١م) و تدشين اتفاقية الجزائر الخيانية التي لعبت اطراف عديدة في نسج خيوطها اللعينة، وبالأخص أمريكا، وفي ظل الحرب الباردة، حيث اعترف كيسنجر و معه منظمة بايك صاحبة القرار في امريكا، بأن سياستها تجاه الكورد كانت

لا أخلاقية، أما مصير اطراف الخيانة، فأصبح في وضع يرثى له، حيث لم يحصل محمد رضا شاه صاحب خامس جيش في العالم!! على حفرة أو شبر من ارض ايران الواسعة بطولها و عرضها، فحينما خصص له حاكم مصر انور السادات قبراً في ارض كنانة، تظاهر الغيارى من مصريين شرفاء و طالبوا بعدم تدنيس ارضهم، ونقل جثته الى ارض اخرى، وشهد العالم نهاية دكتاتور العراق صدام حسين المخزية، ولم تكن نهاية نيكسن الرئيس الامريكى الاسبق والمشرف على اتفاقية الجزائر نهاية مشرفة، وكذلك الرئيس الجزائري بومدين! في حين ظلت ثورة ايلول المغدورة و جل الانتفاضات الكوردية الأخرى، بماً ثرها و ابطالها و شهدائها تعلقو بقامتها فوق بطاح التاريخ، حيث الكرد في ارض اجدادهم يتمسحون بأضرحة الشهداء، وهم في أعلى العليين، هذا هو منطق التأريخ تجاه من يضحى لأجل الوطن، و من يرتكس في الخيانة، حيث تلفه عجلة التأريخ و تجعله غباراً تذرؤه رياح العار والنسيان.

ان الأيمان بالبوثة الثورية مكانيا في حرب التحرير والتركيز على الريف وابعاد المدن الكوردية عن مهامها الثورية، واللجوء المستمر الى البندقية والجبال كلما ضاق الخناق على الكرد، مباحث خطيرة و حساسة أشبعها المؤلف تمحيصاً و تحليلاً، ووقف ازاءه موقفاً نقدياً متمسماً بالموضوعية، حيث مستجدات الحياة تفرض وسائل ومواجهات جديدة لا يمكن التغاضي عنها، فالحرب الباردة انتهت، ووضحت امريكا و حلفاؤها المحور الاساس في التخطيط للسياسة العالمية، وانهار السوفيت و حلفاؤهم كلعب دومينو دون اية مقاومة، و رياح العولمة عمت معظم زوايا العالم، ناهيك عن تطور الاسلحة الفتاكة التي تستعملها الدول ضد الحركات التحررية، و تنامي فلسفة الإقتصاد الحر لصالح الشركات المتعددة الجنسيات. ان هذه العوامل و المتغيرات ينبغي ان تؤثر على طبيعة الإنتفاضات والحروب، وتغنيها بعوامل الديمومة، بل و تغير مسارها باتجاه جديد يؤمن لها الفوز، ان تطور التكنولوجيا العسكري المتمثل بالطائرات العسكرية العمودية والدبابات و

أجهزة الاستمکان المتطور، و استعمال الليزر في التصويب والأقمار الصناعية التجسسية و أجهزة الاتصالات المتطورة و المتنوعة، تلعب دوراً خطيراً، لا يستهان به، في اجهاض الانتفاضات المسلحة، و ينبغي الا يغفل تأثير العوامل الخارجية المتمثلة بالتحالفات الدولية و الأقليمية في اضعاف أو افشال الانتفاضات و الحروب الطويلة الأمد. يؤكد المؤلف في اكثر من موقع على عدم التشبث بألية نضالية واحدة في جل المراحل النضالية المتشعبة، و ان انتقال الانتفاضة من الريف الى المدن و القصبات، و تعميمها على فضاءات أوسع بما فيها تعبئة المنظمات الجماهيرية، و المطالبات المستمرة بتطوير النصوص القانونية، لصالح الجماهير العريضة، و تدشين آليات المجتمع المدني الذي يرفض مسوغات المظالم، استجابة منطقية لمتغيرات الواقع، لأن الأصرار على نهج نضالي واحد، و التشبث بألياته و خبراته، تكريس ميكانيكى للنظرة الأحادية التي تعرقل مسيرة الحياة و حركة التأريخ، لأن كل لحظة من عمر الإنتفاضة و الثورة و حركتها المتنامية تقتضي ابداعاً و تجديداً، لافي التطبيق وحده، بل و على صعيد التنظير ايضا، ان ان الأستجابة الواعية و السريعة للمتغيرات العالمية و المحلية الجديدة رفض للدوغما، و إنفتاح موضوعي على القوانين العالمية الجديدة. و بالأخص بعد انتهاء الحرب الباردة و عدم وضوح اسس و منطلق النظام العالمي الجديد، حيث يجد القارىء تنبئاً لبعض المتغيرات المرتقبة في ثنايا الكتاب التي طرحها المؤلف و ناقشها بدقة و موضوعية، تؤكد على اهمية الكتاب الحالية و المستقبلية، لأنها بمثابة مشروع أو تصور لمشروع ثوري لمستقبل الحركة الكوردية، و ان كشف المعادل الموضوعي لإستثمار رفض الجماهير للأنظمة و توظيفه و تعميقة بغية الوصول به الى نتائج ملموسة، يزيل ذلك الحيف و القهر، لأن الحروب العادلة التي خاضتها الأمة الكوردية عبر أماد و قرون موجهة بالأساس الى محتلي ارض كوردستان الذين نهبوا و سوف ينهبون خيراتها، و يستعبدون شعبها تحت مسميات باطلة ظناً منهم

ان التقسيم والضم القسريين، لأرض كوردستان، حالة توفيقه لايجوز انتهاكها !!

و مما يزيد الكتاب اهمية, انه ألف من قبل مناضل افنى زهرة شبابه في حرب التحرير، وخاض أوار الإنتفاضة في اشد لحظات التأريخ الكوردي حراجة, هذه الحالة النضالية لأكثر من عقدين, مع تراكم الخبرات على الصعيدين النظري والعملي, منحت المؤلف قابلية فذة في تحليل طبيعة الإنتفاضات، والخروج منها بنتائج مرضية. لقد ركز الكاتب على أهمية الإنتفاضة المستمرة التي تلعب دوراً فعالاً في استنهاض الهمم الشعبية واكتشاف كل الطاقات الكامنة التي بمقدورها ان تغير مجرى الأحداث، و تعمق ازمت العدو، وتحدث في صفوفه شروخا عميقة, و استشهد بالثورة الفلسطينية التي أصيبت بأكثر من نكسة عسكرية في لبنان والاردن وفلسطين، من جراء اعتمادها الوحيد على الكفاح المسلح، واعتبرها النموذج الأمثل، و تنبأ الكاتب بأهمية الإنتفاضة الطويلة الأمد للفلسطينيين التي تستنزف طاقات اسرائيل، وانها تؤثر على تطور هذه القضية باتجاه فرض الأمر الواقع على اسرائيل، ولكن ضمن اشتراطات و ضوابط، منها انضاج الوضع الثوري و مساهمة كل المنظمات الفلسطينية والفئات الاجتماعية والسياسية والمذهبية المختلفة، والأعتماد على حركة الجماهير المنتفضة التي تجد مسارها النموذجي الأمثل مع وتائر النضال و صيرورته المستمرة، مع مر الأيام تحقق بعض من تنبؤات المؤلف إزاء الإنتفاضة المستمرة لشعب فلسطين، حيث ركع النظام الاسرائيلي أمام عنفوان الإنتفاضة و تضحياتها الجسام، فأنشأ الفلسطينيين حكومتهم.

عرج المؤلف على نضال الشعب الأريتييري الدامي لأكثر من عقدين، حيث لم يتمكن تسع و عشرون (٢٩) سنة من النضال، ان ينقل الثورة الأريتييرية من المقاومة السلبية المسلحة الى مباغته العدو والتخطيط لاستراتيجية التحرر النهائي من ريقة الاحتلال، هذه الحالة تجسد حقيقة دامغة، وهي ان الثورة الطويلة الأمد لا تكفي بوحدها لتحقيق النصر، اذا لم

تستجيب للمتغيرات الجديدة، ولم توظف الواقع المتحرك باتجاه النصر النهائي، والجدير ذكره ان الشعب الاريتيري غدت، لاضحية نتائج الحرب الباردة فقط، بل و تحريفية السوفيت التي ساندت ما نغستو ماريام تحت الذرائع الواهية، لنظرية العالم الثالث التي نسجت خيوطها منظر التحريفية ميخائيل سوسلوف، حيث تساند الأنظمة البرجوازية الوطنية ضد الشعوب المناضلة!، و من الطريف أن برز عامل فعال لانتصار الثورة الأريتيرية هو وقوع الانقلاب في اثيوبيا من قبل مانغستو، و انتفاضة الجماهير الاثيوبية مع الأسناد الخارجي الذي لعب دوراً خطيراً، ناهيك عن تردّي الوضع السياسي والاقتصادي في اثيوبيا واذعانها في النهاية للأمر الواقع.

و أخيراً، حيثما هناك ظلم واضطهاد و قهر الأمم المغلوبة على أمرها، هناك ثورة و رفض و مطاولة بشتى الأساليب، ولا يمكن للمسيرة البشرية ان تتوقف لحظة، حيث كما ورد في ملاحق الكتاب ان بعضاً من الانتفاضات لاتزال في طريقها مع ضحاياها الكثر، و أخرى تحولت الى ثورة المدن و بعض منها انتصر في ظل ظروف استثنائية بالغة التعقيد، تظل مقاومة الظلم والإحتلال ناراً تحت رماد السنين، ستذروها – لا محالة – رياح الفرص التاريخية المؤاتية دون ادنى ريب.

الدكتور رؤوف عثمان

الفصل الأول

١ - كوردو - الشجاع

(كوردو) لفظة عريقة في اللغة الكوردية التي هي لغة الأمة التي سميت بالـ(كورد)، منذ بداية نشوء المجتمع الكوردي. وتعني هذه اللفظة المشتقة لدى علماء علم الأجناس واللغات (البطل)، أو (الشجاع)، أو (الباسل) وهي القاب لا تطلق الا على المحارب والانسان الجريء الذي لا يخاف من الموت في سبيل تحقيق اهدافه النبيلة المشروعة، وليس بعيدا أن يكون مصدر هذه اللفظة، أو نفس تسمية الـ(كورد) بلفظة (كوردو)، جاء نتيجة لحالة الحرب والقتال التي سادت كردستان، في تلك الفترة التي تعرضت فيها، باستمرار لهجمات المحتلين، وكان أبناؤها الـ(أبطال) يتصدون للأعداء بكل جراءة واقدام وثبات، حتى انهم تمكنوا من تضييق الخناق على جيش زينفون المتكون من عشرة آلاف مقاتل، قبل الميلاد^(١) فمن لا يقول ان هذه المعارك والحروب المليئة بالشجاعة والبطولة هي نفسها التي انتجت في ذلك الوقت، كلمة(كوردو)، وأنه حينما يقال (كوردو) كان يقصد به فقط ذلك الشعب الشجاع الباسل الذي اصبح مصدر الحديث للأخبار البطولية في ذلك العصر.

١ - الاكراد، شاكرك خصباك، ص ٥٠٣ - ٥٠٦ .

- زينفون مؤرخ يوناني كبير، لجاء مع المرتزقة الاغريق اليونانيين الذين جندهم كورش ابن الملك دارا لانتزاع العرش من أخيه (ارتخشستا الثاني)، وقاد جموع اليونانيين بعد فشل المحاولة ومقتل كورش عام (٤٠١) قبل الميلاد، وأثناء انسحابه وجيشه الى بلاده عن طريق (كوردستان) تعرض لهجمات مباغتة من المحاربين (الكورد) الشجعان، وقد دون زينفون أحداث هذه الحملة وظروفها وطريق عودتها والمناطق التي مرت بها، مع وصف واسع لسكانها وميزاتهم وبعض عاداتهم، فوفر بذلك مادة جغرافية تاريخية مهمة جدا في دراسة أحوال الشرق القديم ومنها التاريخ القديم للكورد ووطنهم كردستان - المترجم).

في لغات العالم الحية، تشتق كل لفظة، لتدل على حدث أو ضرورة أو رغبة: فهناك حالات استدعت، وتستدعي اشتقاق ألفاظ لأصغر الحاجات الضرورية للإنسان، لذلك كان اختيار لفظة (كوردو) التي تعني (البطولة) للدلالة على شجاعة نادرة أو رغبة في الحرية، لدى الكورد، قل نظيرها في ذلك العهد، اختياراً موقفاً^٥

ان هذه الشجاعة ليست من النوع الذي حفر على الصخور الأثرية التي تعبر عن عنصرية هذا الشعب، أبداً، لأن هذا الشعب وأرضه كانا دائماً، يشكوان في محكمة التاريخ من غزو المهاجمين الغرباء، وقليلاً ما شكا منهما الآخرون، وكانا قتيلين، وقليلاً ما كانا قاتلين^(٦) لذلك: من الخطأ القاتل^٧ أن توضع المفاخرة بـ(كوردو) في خانة التقليل من شأن الشعوب الأخرى. دعونا نواصل الحديث عن هذه الحقيقة، ولو قليلاً، للتفيس عن شيء من آلام التاريخ وهمومه المكنون في اعماقنا^٨

علماء التاريخ متفقون كثيراً على أن الهجرة الكبرى للأقوام الآرية، انطلقت من أوروبا نحو الأراضي الواقعة في أحضان جبال زاغروس، ويبدو أن الأقوام الآرية الأصل تلك، كانت أكثر غنى وقوة وقدرة من السكان الأصليين لهذه المناطق التي هاجرت إليها، لذلك تمكنت من صهر السكان الأصليين في بوتقة مشروع الصهر القومي، من غير أن يفقدوا هم السمات والصفات (الهندو-أوربية)، حيث تفرعت منهم شعوب عديدة مختلفة، والشعب الكردي واحد من هذه الشعوب.

لقد جلب الآريون مع قوافلهم التي حملت مستلزمات مشروع الهجرة صناعة الفلزات وصناعة المستلزمات الحربية البدائية، والحاجات الضرورية لتلك الفترة الزمنية، لأن الآريين، وقبل النزوح عن شمال أوروبا، كانوا يعرفون الحديد والحداثة، ولذلك فألفظة (ناسن) التي تعني (الحديد) جاءت متشابهة في عدد من اللغات (الهندو أوربية). فمثلاً تنطق باللغة الكوردية

- ان مهاجمة وقتل غير المسلمين لعدم دفعهم الجزية في عصر إمارة بوتان في كوردستان الشمالية، واشترك كامران بدرخان الشائر الكوردستاني المنفي الى بلاد الأغريرق مع العثمانيين في قمع انتفاضة اليونانيين، وقتل سمكو لمار شمعون في كوردستان الشرقية- هي من الذنوب الخفية في تاريخ الشعب الكوردي في القرن الثامن عشر - المؤلف-).

(ناسن) وباللغة الفارسية (آهين)، وبالألمانية (ايزن) وباللغة الانكليزية (ايرن)، كما كان لاستخراج الحديد والالمام بالحدادة وصنع الأسلحة المختلفة منه، دور مؤثر في سيطرتهم على المنطقة وما جاورها، وفي انتصاراتهم. ان الهجرة القومية للآريين، حصلت في عصر كانت للحياة الرعوية أهمية كبيرة، اذ حصلت مجابهات دموية بسبب احتكار المراعي في مراكزسكن المهاجرين، ويعني هذا أن المهاجرين طردوا من ديارهم بالحرب والقتال، وفي نفس الوقت سكنوا في مراكزهم الجديدة بالحرب والقتال ايضا. وفي تلك الفترة بالذات، وصل قسم من الأقوام الآرية الى كوردستان، وسكنوا فيها بصورة دائمة.

يبدو أن الظروف المناسبة التي سنحت لهؤلاء: كالتبيعة الجغرافية والمناخية والرعوية، وطرق المواصلات، والينابيع والأنهار والمياه الوفيرة في كوردستان- كان لها دور مهم جدا في توطين هذه الأقوام المهاجرة، ومن ثم دمج السكان الأصليين مع الضيوف المهاجرين.

ان الهجرة والانتقال من مكان الى مكان، والحياة المبنية على تربية المواشي، لا يمكن أن ينظر اليها من الجانب الاقتصادي فقط، بل هناك جانب مهم آخر لها، يحتاج الى بحث ودراسة معمقة، وهذا ملخصه: ان قلع قوم من الأقوام من الجذور عن طريق الحرب، وتوطينهم في ارض جديدة بالحرب ايضا، من اجل تأمين الحياة الاقتصادية، ليس مشروعا تاريخيا سهلا، انما هو بداية لمأساة ترسيخ أقدام هذا القوم على تلك الأرض الجديدة.

كانت تربية المواشي-بحكم مقايضة سلعة بسلعة في ذلك العصر، قبل سك النقود-تعتبر مقياسا لدرجة مستوى المعيشة، حيث تمكنت القبائل الرحل، عن طريق بيع منتجاتها الحيوانية، من الحصول على المستلزمات الضرورية لحياتها المتنقلة، بسهولة ويسر اكثر، لو قورنت بالقبائل المستقرة. علما أن أصحاب المواشي الرحل لا يحتاجون الى الجهد وقوة العمل بقدر حاجات المستوطنين المستقرين في أماكنهم، (وهي كذلك الى يومنا هذا).

فالقبايل المستقرة كانت بحاجة اكثر، الى المحاربين والفرسان والسلاح، لأنهم كانوا يخافون من قطاع الطرق والغزو والنهب.

ان هذه الحالة الاجتماعية القديمة المناسبة للرحيل والانتقال، كانت دوما عاملا مهما جدا في حياتهم، حيث استغلوا العدد الكبير من القوة البشرية، ممن ليس لهم أي عمل، أو لهم عمل غير مهم، ليسلحورهم، من اجل حماية مراعيهم، والمحافظة على حيواناتهم وممتلكاتهم ويشجعوهم على انتاج الحاجات الضرورية، كالاسلحة البدائية والملابس وغيرها.

ومن الطبيعي ان يدفع التوسع في تربية الماشية تلك الشعوب للبحث عن مراعي جديدة، أي الى التنقل والانتقال. وهكذا دخلت هذه الشعوب في صراع مع الشعوب المستوطنة لاقصائها. ولذا نلاحظ ان الشعوب الرعوية البدوية كانت دائما شعوبا محاربة^{١٠} ()

هذه الحالة الاجتماعية الكوردية القديمة في كوردستان، كانت-بلا شك- عاملا مساعدا ومشجعا على المحافظة على الأمة الكوردية ووطنها وتقرير مصيرها أمام المحتلين الأجانب كافة، واذا جرى استبيان هذه الحقيقة بالأدلة والبراهين العلمية الدقيقة، من قبل الباحثين، نعتقد، حينذاك، أن هذه الحقيقة العلمية التاريخية غير المبرهنة حول: كيف تمكن الكورد، على الرغم من عدم وجود كيان سياسي خاص بهم، من أن يحافظوا على أنفسهم وأرضهم ولغتهم وتقاليدهم وتراثهم، أمام كل هذه المعاناة والتعاسة والفناء والقحط والخراب والقتل والنهب والسلب، وألا يفقدوا هويتهم الوطنية أمام هجمات: الجيوش، والدول، وأصحاب الشأن، والأديان، و المذاهب“ نعتقد أنها(الحقيقة العلمية التاريخية)التي ستتضح اكثر فاكثر.

ان عملية المحافظة على هذه المقومات، لم تكن عملا ارتجاليا أو ناتجة بمحض الصدفة، كما أنها لم تتم بمعزل عن الأسس الاقتصادية والاجتماعية، وانما-وبلا شك- كان تأثير الوضع الجغرافي والتكوين الاجتماعي للشعب الكردي آنذاك، في حصولها بمستوى تأثير الوضع الاقتصادي الذي ذكر.

- جان بابي، القوانين الأساسية للاقتصاد الرأسمالي-ترجمة لجنة مؤلفة من: شريف حتاتة، محمد خليل قاسم، سعد كامل، حليم طوسون-ص٤٤).

فالعوامل هذه جميعها كان لها دور مهم في المحافظة على الأمة الكوردية واستمرارية وجودها.

ليس سهلا أن يحافظ الشعب الكوردي على هويته القومية، ووجوده طوال هذا التاريخ المديد، في ظل الهجمات الشرسة المستمرة التي تعرض لها من قبل أعداء كثر ومختلفين، في الوقت الذي لم تتمكن شعوب أخرى من أصحاب الكيانات المستقلة والحضارات الكبيرة والجيوش الجرارة المقتدرة ك: السومريين، والأكديين، والبابليين، والفراعنة، والآراميين، والفينيقيين والاشوريين-من الصمود، بل انصهر بعضهم وذابوا، ولم يبق منهم شيء سوى الآثار التي وضعت في المتاحف التاريخية، بينما الشعب الكوردي الذي تعرض الى الهجوم والاضطهاد والقتل والنهب والحرق والاحتلال، اكثر مما تعرض له تلك الشعوب، بقي حيا مع كل ذلك، ولا يزال راسخا في أرضه وان عوامل بقائه طبعاً يعود الى العوامل التي ذكرتها، اضافة الى المساحة الشاسعة لموطنه ووعورته، وكثافة غاباته، والاف من الجداول والينابيع المتدفقة فيه. وهنا نصل الى الامسك برأس الخيط في العقدة التاريخية المستعصية، لنقول بكل مرارة وأسف:

شعب ووطن أصبحت الحرب والدفاع عن النفس جزءاً مهماً من بقائه، ككيان واحد، ولم يمر ربع قرن من عمره الطويل المديد بلا حروب كبيرة ومعارك مأساوية، فكم يبعث على الأسى والحزن أن يذهب سدى كل هذه التجارب المليئة بالحروب والمقاومة، بسبب عدم ظهور مؤرخين، وباحثين، وسياسيين، وعسكريين، ومحللين، ومثقفين، الى الآن، ليكتبوا، ولو كتاباً عسكرياً واحداً خاصاً، حول ذلك الماضي الذي سجل بالدم والدموع، من تاريخ هذا الشعب بل لم يكتب مذكرة واحدة حول تلك الاحداث الدامية والمستمرة على مدى التاريخ!؟

لقد أهمل كل هذه التجارب، وآلاف من الحروب، ومن الانتفاضات والثورات، ومن عمليات المقاومة التي خاضها الشعب الكوردي، من قبل العجزة والكسالى من ابناءه، وأصيب بداء الاهمال وعدم الاكتراث بالاحداث موكلاً كل ذلك الى ذاكرة الاجيال ومذكرات المحتلين والغاصبين.

لو نظرنا الى الكتب التاريخية التي كتبت عن الكورد، وقارناها ببقية أقسام جوانب حياة الشعوب، لوجدنا انه نال حظا اكبر عما كتب عن الجوانب الاخرى، ومع ذلك لم يكتب عن تاريخه العسكري إلا قليلاً، وما كتب عنه، فان معظمه كان مما لا قيمة له، الى درجة، لو قارناه مع ما كتب عن الحروب والمعارك يجب أن نقول: ان ما يبعث على الدهشة والاستغراب في التاريخ الكوردي أن يعثر على مخطوطات الملالي والشيخو القدامى في زوايا المساجد وأركان الجوامع، وعلى مخطوطات المتصوفة في التكايا، وعلى رفوف (الخانقاهات)، وقد طبع قسم كبير منها على نفقة كتاب ومؤرخين معروفين، مع كتابة مقدمة لها من قبلهم، بينما لا ترى شيئاً يذكر او يسجل بطولات ابنائهم، وتضحياتهم الجسام.

من الواضح ان هذا العمل فيه خدمة، لا يمكن انكارها، لكن المراجعة والحسرة تكمنان في عدم التفات أحد من هؤلاء من الناحية العسكرية، الى الدم المراق، لآلاف الألوف من الذين ضحوا بأنفسهم، أو الذين دفعوا دفعا الى التضحية بأنفسهم في ساحات الحرب والقتال، رغم أن الكورد اعتادوا على العيش مع الأحداث العسكرية والسلاح والبنديقية والمقاومة المستمرة. لهذا، فمن حق كل كوردي أن يوجه عتاباً الى أولئك العلماء والفقهاء الكورد الذين خدموا الدين الاسلامي، منذ بداية فرض الاسلام بالحرب والقتال على الكورد، واحتلال كوردستان، الى حين قيام بدايات حركة التنوير الكوردستانية. لأنهم ظلوا يؤمنون بالمثل القاتل (مادامت المساجد موجودة، فان البيوت حرام عليهم!) ولأنهم كانوا في خدمة الاسلام والاسلاميين، الى الحد الذي، دفعهم الى "تكفير" الآلاف من المخلصين لارض كوردستان وشعبها تكفيراً مطلقاً في بدايات احتلال كوردستان باسم الفتوحات الاسلامية، وكانت تكفيرهم ليس لشيء إلا لايمانهم بعقيدة الوجود القومي للكورد، والتضحية بأنفسهم في سبيل ذلك.

لقد آن الاوان لرجم الشواهد العالية العريضة لقبور أولئك المكفرين بالحجارة، اينما وجدت، سواء في وديان كوردستان أم في سهلها، وربط خرقة خضراء على اشجار وشواهد قبور أولئك القادة الذين نسب اليهم اصدار أوامر احتلال كوردستان. فاذا كانت آراء اولئك وتصرفاتهم بهذه الصورة، اذن لا يمكن ان نلوم: (الدينوري، والآمدي، والشهرزوري، وابن خلكان، وابن سيرين، و... الخ) على كتابتهم مؤلفاتهم باللغة العربية، ككتب الأحلام

والتفاسير الدينية والمذهبية المختلفة. لقد عرف حاجي قادر كويي الذي كان من الشخصيات الاسلامية الكبار هؤلاء حق المعرفة حين وصفهم بـ(الدجاجة التي احتضنت بيضة البيط حتى فقسست عن فرخ لا يشبه افراخها)^(١) فبعد ظهور حركة التنوير الكوردستانية، لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يتخلص الكتاب ولاسيما المشهورين منهم (في الأقل بعضهم) من هذا العتاب، بل اللوم، لأن أكثر أولئك، وان تحدثوا في ثنايا كتبهم عن قصص الحرب والمعارك الدموية، إلا أنهم لم يدرسوها كموضوع خاص، ولم يشرحوا أنواعها وصنوفها ويستخلصوا عبرها.

ان قسما من أولئك المتنورين، اضافة الى انهم كانت لهم اليد العليا في كتابة التاريخ، كانوا أيضا من العسكريين، ومن ذوي المكانة العالية في الامبراطورية العثمانية، وفي الأجهزة العسكرية للدول المحتلة، كما شاركوا في حروب ومعارك كبرى، وقاد عدد آخر منهم الحركات المسلحة، أو عاصروا الأحداث الدموية، أو عاشوا معها، حاربوا، فتأذوا.. انهزموا.. فمثلا، كان الجنرال شريف پاشا قائدا شجاعا لانتفاضة عام (١٩٢٠م) المهمة في كوردستان / القسم التركي. صحيح انه كتب مذكراته التي وصلت الى أيدي القراء اخيرا، لكنه لم يكتب بحشا أو موضوعا عسكريا، بل حتى مقالة عسكرية خاصة بتلك الأحداث العسكرية التي عاشها مباشرة.

أما أمين زكي، وتوفيق وهيي بگ اللذان كان لهما باع طويل في خدمة التاريخ واللغة الكورديين، إلا انهما - وعلى الرغم من كونهما من رجالات الجيش العراقي، ولهما دور كبير في الحروب والمعارك، بل وفي تأسيس الجيش العراقي - لم يكتبتا أية كتابات عسكرية حول الوضع العسكري في كوردستان، سواء عن أعداء الشعب الكوردي، أم عن الشعب الكردي نفسه. فمشاركتهما في تأسيس الجيش العراقي كانت شيئا طبيعيا عندهما، هذا الجيش الذي تصدى للانتفاضات المسلحة الكوردستانية المشروعة بدون تحفظ، لكنهما لم يقتربا من شرح الأوضاع العسكرية لأحداث كوردستان. فهؤلاء هم الذين أسسوا للعدو جيشه القمعي، ونظموا صفوفه، في الوقت

حاجي قادر كويي (١٨١٥-١٨٩٢م) من الشعراء الكورد البارزين الذين عرفوا بشعرهم القومي والوطني - المترجم.

الذي لم يكتبوا صفحة واحدة عن الانتفاضات المسلحة لشعبهم، كموضوع عسكري خاص ناهيك عن التحاقهم بصوف الانتفاضات. لا نستطيع أن نقول: كان هؤلاء غير كفؤين، وغير مطلعين على العلوم العسكرية. فهذا محال، لأنه ليس من المعقول أن توكل دولة امبرياليه تأسيس جيش لدولة محتلة كالعراق، الى أناس غير كفؤين. ان أي تفسير لعدم كتابة المواضيع العسكرية حول الانتفاضات والحركات المسلحة في كوردستان، وما تعرض لها شعبها من قمع من قبل اعدائه-غير صحيح، سوى أن هؤلاء كانوا أناسا يسرون مع السياسة البريطانية، ويؤيدون وجهة نظرها تأييدا مطلقا، وكان عملهم هذا، من الناحية السياسية والعسكرية، في خدمة الامبريالية والرجعية مباشرة. لم ينته الوضع بهذا، بل استمر نحو الاخطر، ففي فترات انتفاضات مناطق بارزان المسلحة، وجمهورية مهباد، نجد نفس الظاهرة العسكرية غير الموضوعية، اذ قاتل الكورد فيها اعداءهم بصورة عفوية ايضا، وكان للعقلية العشائرية الدور الأول في وضع الخطط العسكرية في المعارك التي شهدتها هذه المناطق، ولم يسمح للضباط العسكريين أن يقوموا بدور فعال فيها إلا ما ندر. وما يؤسف له، في هذا المجال أن الضباط الأربعة الأبطال الذين شاركوا في هاتين الحركتين المسلحتين، اعدموا من قبل الحكومة العراقية آنذاك، ولم يفسح لهم المجال كي يخدموا تاريخهم العسكري وتاريخ كوردستان في تلك الفترة. لقد بقي من أولئك الضباط ضابط واحد فقط هو (ميرحاج احمد) الذي مازال حيا، وواضعا يده على (طاقية رأسه)* خوفا من ان تسقطها الرياح العاتية! ولا يعرف مصيره، كيف يكون؟! هذا في الوقت الذي يحمل في مخيلته كنزا من المعلومات والحقائق التاريخية!

لنترك هؤلاء، ولنقترب اكثر من تاريخنا الجديد، حيث ثورة أيلول التي لم تدون وقائعها. فثورة أيلول وفي مراحلها الأولى، كان يقودها حزب مقتدر فيه المثات من الأشخاص والشخصيات السياسية والعسكرية المقتدرة منهم: عشرات الضباط، وعشرات القادة المتمرسين الذين اكتسبوا الخبرات، لطول مشاركتهم في الثورة التي دامت أربع عشرة سنة، وفي خضم أحداثها: عاشوا، ناضلوا، قاتلوا، تجولوا، دخلوا وشاهدوا معارك مختلفة، ضد أعداء

* هذه العبارة في اللغة الكردية كناية عن السكوت والميل الى السلامة.

مختلفين، وكانت في متناول أيديهم أدوات وآلات طباعة، وكان بمقدورهم توظيف المطابع التابعة للدولة في نفس الوقت، ناهيك عن المطابع الأخرى في خارج كوردستان. ان الثورة اندلعت، ثم اخمدت بالشكل المأساوي المعروف لدى الجميع، لكننا لم نجد لافي الماضي، ولا في الحاضر، واحدا من الكوادر العسكرية والسياسية-العسكرية، لثورة ايلول، من المشهورين ومعظمهم أحياء (لم يصيبهم أي أذى) - لم نجد أحدهم، وقد ألف كتيباً عسكرياً عن تلك الأحداث العسكرية، وعن نمط المعارك التي خاضها مناضلو تلك الثورة: فبعضهم صاروا تجارا كبارا، وبعضهم التجأوا الى دول متقدمة، ويعيشون فيها برفاه وسعادة، وعدد غير قليل منهم يقضون أيامهم في ظل نظام البعث أذلاء وأشباه أذلاء، وقسم منهم ظلوا في خندق الدفاع، لكن واحدا منهم لم تهز أو تحرك وجدانه نكبات وكوارث ثورة ايلول وتجارها الغنية، لكي ينبروا، من خلال كتابات كهذه، طريق الاجيال القادمة.

والأغرب من كل ما ذكر هو، ان يؤلف أحدهم، وهو مسؤول معروف ومن القادة العسكريين في ثورة ايلول، وهي في أوج قوتها- ان يؤلف كتابا حول (تعلم اللغة الكوردية بالأحرف اللاتينية) (١٠/٩/١٩٦٣) (١) في وضع من اشد الأوضاع دموية في كوردستان، فهو ينسى واجبه الحقيقي وعمله العسكري، اذ كانت الثورة-بلا ريب- في تلك الفترة، في امس الحاجة الى مواضيع عسكرية، لا الى (تعلم اللاتينية) الذي لم يشرعن شيئا حتى بعد بيان آذار.

ان أناسا من هذا النمط، وبهذا السلوك، كانوا يقبلون تحمل مسؤوليات عسكرية لآلاف من الپيشمرگه*، ويأخذونهم الى ساحات القتال والحرب،

(*) مؤلف هذا الكتاب هو السيد عزيز عقراوي الذي كان قائدا عسكريا مشهورا في ثورة ايلول -المؤلف-

بيان الحادي عشر من آذار، أو اتفاقية (١١) آذار: هي الاتفاقية التي وقعتها الحكومة العراقية وقيادة الحركة الكوردية في ١١/آذار/١٩٧٠، و اعترفت الحكومة العراقية بموجبها بالحقوق القومية للكورد، بما فيها الحكم الذاتي لكوردستان العراق. الا انها سرعان ما تراجعت عن التزاماتها التي وردت في هذه الاتفاقية مما ادى الى استئناف القتال بينها وبين الحركة الكوردية في ١١/٣/١٩٧٤. المترجم .

* الپيشمرگه: اصطلاح متكون من مقطعين

پيش: بمعنى (أمام)

مهركه: بمعنى (الموت)

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

ويرسمون لهم خطط الهجوم، ويدفعونهم الى الموت، او القتل، ويتسببون في حصول الدمار والخراب والحرائق والكوارث لشعبهم، او لغيره من الشعوب، أو ربما ينتصرون ويغنمون، لكنهم لا يستطيعون كتابة صفحة واحدة عن علم الحرب والمعلومات الحربية، وليست لديهم القدرة على التحدث عن المواضيع العسكرية، ولولساعة، في الندوات والاجتماعات الجماهيرية. أليس هذا مضحكا ومبكيا في آن واحد!؟

والاصطلاح بمقطعية يعني: الانسان الشجاع الذي لا يهاب الموت، و يسير أمامه، و بمعنى آخر ادق يعني (الفدائي) - المترجم.

١/١ - هذه الثورة

ان تجربة هذه الثورة تتوطن في عين التاريخ...لان اشعال فتيل الثورة من جديد، وعلى نهج جديد وباخذ العبر والدروس من الماضي (لا سيما من ثورة ايلول) كان يقصد من ورائه ان تكون احسن من سابقتها والا تكرر فيها الاخطاء الماضية، وان تكون الثورة جديدة من كل النواحي، ولهذا: كان من المفروض أن تكون جديدة حقا من الناحية العسكرية، وفي كتابة المواضيع والتربية والتدريب العسكري الثوري، لكنها-أي الثورة الجديدة- قصرت هي ايضا في هذا المجال، مع أن الظروف فرضت موضوعيا الكثير من الأحداث العسكرية على سير المعارك، وكيفية مجرياتها، وشكل تركيبه الثورة، لكنها هي نفسها التي خلقت العديد من المسؤولين العسكريين المعروفين من الذين برزوا، وبرزوا بسبب تأثير مجموعة من العوامل الجغرافية والاجتماعية والقومية والشخصية، وقد اثبتوا استعدادا عسكريا جيدا (خاصة في ساحات المعارك)، وهذا لا يعني انهم استطاعوا حقا اعداد المواضيع الخاصة المتعلقة بالنضال المسلح لثورة كوردستان، كالثورات الطويلة الأمد ذات التراث العسكري الكبير في العالم، والتي لم تكن أي منها اطول مدة من الثورة الكوردية، فبينما تحرروا هم، فشلنا نحن من جديد، وفي الثورة الجديدة ايضا.

ان ظاهرة عدم الالتزام بهذه الحقيقة ناتجة عن قلة الاهتمام ب: البحوث العسكرية، والتربية العسكرية، وكتابة المواضيع العسكرية، وتربية القادة العسكريين المهرة. فحتى الآن لا تعرف إلا نادرا جدا، ولا تتبع إلا قليلا أسس الحرب الجبهوية، وحرب العصابات والحرب المتحركة، والحرب الهجومية، والدفاعية الاستراتيجية، وحفر الخنادق، وانشاء الربايا المستحكمة، والملاجئ الحصينة... الخ.

ليس القصد من هذا أن العقلية السياسية هي التي سيطرت، وأهملت الاهتمام بالتربية العسكرية، أو اننا لا نريد أخذ كل هذه البطولة، والانتصارات العسكرية، والعمليات الفدائية، وتوجيه الضربات العسكرية المؤثرة للعدو-بنظر الاعتبار. لا، ليس ذلك، ولا هذا، انما القصد فقط، هو سيطرة العسكرية المتخلفة التي لم تنتهج فيها ابسط العلوم العسكرية.

ففي جميع أرجاء كوردستان، وبعد كل هذه الحروب الجبهوية الدموية غير المعهودة (كالأنفالات) والتي فرضت على كوردستان، والقصف المدفعي الثقيل الذي لم يحصل مثله في الماضي، لم يتم-مع الأسف-حتى الآن، انشاء ربايا وملاجئ حصينة، تقاوم المدافع ذات العيار الثقيل، فوق الجبال العالية والأماكن المهمة الا نادرا، بل حتى حول المقرات، وهذا يظهر-في الأقل-العقلية العسكرية المتخلفة للقوى الكوردية التي كانت تمسك بزمام الأمور إذ أصبحت اكثر تخلفا من عقلية الذين عاشوا في بداية القرن التاسع عشر. ففي عصر الانتفاضات الكوردية المسلحة. في ذلك الزمن، أنشأ باشا كوره، وبدرخان، والقادة الذين جاءوا بعدهم، وحسب خبرتهم في المدفع والسلاح الثقيل للعدو، أنشأوا قلاعاً عالية حصينة بحيث صمدت أمام قصف الأعداء لعشرات الأيام، بل العديد من الشهور، وما زالت آثار هذه القلاع التي بناها الأمراء، والتي اعتبرت حصينة في حينها-باقية الى يومنا هذا، لكننا نجد القادة العسكريين في هذه الثورة، لم يعطوا أي اهتمام بمثل هذه المسائل، ولم يحسب أي حساب للمدفعية الثقيلة والطائرات الحربية الحديثة المدمرة، بل اصبح الذين حاولوا الاحتماء بالملاجئ مصدرا للسخرية والاستهزاء من قبل زملائهم الآخرين، ويرجع كل هذا الى غياب التربية العسكرية والسياسية الصحيحة.

يبدو أنه من الصعب، والى الآن، أن يعرف أكثرية الكوادر العسكرية الكوردية عيار هذه المدافع، ووزن القنابل، ونوع الصواريخ التي تستعمل كثيرا ضد كوردستان، وكم مرة تتضاعف قوتها وقدرتها أثناء الانفجار، وكم يجب أن يكون حجم وكتلة وسمك الربايا والمقرات، لتتمكن من مقاومة الهجمات التي تشن عليها بهذه الاسلحة، لأن هذه المعلومات مهمة جدا، للصدود أمام هجمات العدو المقتدر، سواء من اجل المحافظة على حياة الپيشمرگه والمواطنين، أم الحفاظ على المعنويات العالية من اجل الصمود. فلو توفرت تربية عسكرية، وتمت تربية الناس بها على أسس علمية ومعلوماتية عسكرية، لكانت أعمال وتصرفات وأقوال الناس وفق هذه التربية، ولعرفوا، ماذا يستعمل العدو، وكيف يتصرفون ازاء ذلك، ولماذا لا يعابون عندما يتخفون أثناء الغارات والقصف المدفعي. فكل من

ليس لديه معلومات عسكرية، ولا يعرف ماذا يستعمل العدو من أسلحة، لا يعرف كيف يتصرف داخل الرييثة والمقر والبيت، وفي العراق أثناء الغارات الجوية والقصف المدفعي، لكنه عندما يعرف، فمن المؤكد انه سيتصرف التصرف الصحيح. فمثلا:

قنبلة ذات (٥٠) كيلو ديناميت تتمكن من نفس ما سمكه قدم واحد من الكونكريت المسلح، وكلما زاد وزن مثل هذه القنابل، تمكنت من قطع، ونسف ما سمكه اكثر وأصلب من الرابايا والتحصينات. فنوعية تكنيك صناعة القنابل في هذا العصر اكثر فعالية واختراقا وتدميرا، اذ تتمكن اليوم قنبلة حديثة ذات اطلاق طويلة من وزن (٨٠٠) كيلوغرام، (وعيار ٨٩) وطول متر واحد، مصنوعة من الفولاذ- من اختراق ما سمكه (١٠) أمتار من الكونكريت ونسفه.

ان طائرات الباجر والميك والميراج الحديثة المتطورة (يملك العراق جميع هذه الطائرات) لها القدرة على الطيران لفترة طويلة، وبحكم صغر مساحة حدود المناطق التي يسيطر عليها الپيشمرگه، من جهة، وسيطرة الحكومة المركزية الكاملة على أكثريه المدن والمناطق المهمة من جهة أخرى، لا تحتاج هذه الطائرات الى مدة طويلة في الطيران للوصول الى أهدافها، فمن ابعد مطار في كوردستان تستطيع الوصول الى ساحات معارك الثورة وأحصن مقر واقع على الحدود بساعة واحدة، لذلك تتمكن هذه الطائرات، وبسهولة، من حمل القنابل الثقيلة ذات وزن (٦) أو (٧) آلاف كيلوغرام، في الوقت الذي لا يمكنها حمل مثل هذه القنابل الثقيلة لمسافات طويلة. هذا، اضافة الى قلة وضعف ما لدى الپيشمرگه من المضادات الجوية مما يساعد هذه الطائرات على التحليق المنخفض والتهديد الناجح والاصابة المباشرة.

فكل طائرة تستطيع حمل (١٦) الى (٢٠) قنبلة مدمرة، بمقدورها تدمير أي مقر أو ملجأ أو رييثة، حتى لو بلغ سمك سقفها (١٠) أمتار من الكونكريت. ونستطيع أن نقول، وبكل ثقة: لم ينشئ أي طرف من الأطراف المسلحة الكوردستانية في هذه الحركة التي يملك عدوها اكثر من (٥٠٠) طائرة حربية، و(٧) آلاف مدفع ثقيل وخفيف - لم ينشئ مطلقا أهم مقر ورييثة وملجأ ونفق له، تحت الأرض، يكون سمك بنائه (خمسة، أربعة، ثلاثة) أمتار من الكونكريت، ومع ذلك كان يراد عن طريق الثورة الطويلة الأمد

وسط شعب، هزم من الناحية العسكرية عشرات المرات على يد قياداته- أن ينتصر هذا الشعب وبهذه الاستراتيجية المتخلفة عن العصر. عندما يقرأ أي شخص ما كتب عن كيفية بناء الربايا، وحفر الخنادق والأنفاق العميقة والكبيرة أثناء ثورات: الصين، وقيتنام، وكوريا... الخ، يعرف حينذاك، كيف بقي هؤلاء على قيد الحياة، في خضم ملايين الأطنان من اطلاق المدافع والقنابل، ليس هذا فقط، بل، وانتصروا في النهاية على أعدائهم.

فلو كان حسم الأمور يتم عن طريق عدد طلقات المدافع والقنابل والقذائف والصواريخ التي دكت، بل حرثت ارض هذه الشعوب، لكان من غير المعقول مطلقاً، أن يبقى أحدهم على قيد الحياة، لا أن ينتصروا. إن هذا الوعي العسكري من لدن هذه الشعوب، قبل نصف قرن بل وأكثر، يدل على مدى تخلف القيادات العسكرية للحزب الكوردستاني عن تطورات العلوم العسكرية وتكنولوجيا الحروب .

ان عدم الاهتمام بالكتابات العسكرية والتربية العلمية الثورية العسكرية، في هذه الثورة، انعكس سلبي عليها، وخلق المتاعب لها. فهي هو عمر هذه الثورة يقترب من عمر ثورة أيلول، وليس بعيداً أن يكمل ذلك العمر (١٤ عاماً)، دون أن تعرف نتائجها، بينما لم يكتب إلا عدد قليل من الكراسات العسكرية الصغيرة حول الحرب وساحات معارك الپيشمرگه. لربما لا يتعدى مجموع صفحات هذه الكراسات (١٠٠) صفحة من القطع المتوسط، اضافة الى ترجمة عدد قليل من الكتب والمقالات والبحوث الأخرى. اما تكتيك واستراتيجية الثورة ومعاركها، ومعارك العدو، والانتصارات والهزائم، ومراحل الشروع والانتعاش، والغليان والنكوص، فلم تدرس ولم تبحث، وتحلل أية واحدة منها، وما زال الناس يفكرون، بعقلية رومانسية ونظرية بحتة، الى يومنا هذا، في السلاح والقتال والثورة الطويلة الأمد، لاسيما الشباب اليساريون المتحمسون.

حصلت تلك الحقائق في هذه الثورة، وألحقت أضراراً قاتلة بالپيشمرگه والمواطنين، في وقت، كانت هناك أربعة أطراف رئيسية في الثورة (بخلاف ثورة أيلول)، وهي (الاتحاد الوطني الكوردستاني، والحزب الديمقراطي الكوردستاني، والحزب الاشتراكي الكوردستاني، والحزب الشيوعي

العراقي)، ولكل منها مؤسسات عسكرية وقوى تنظيمية. فهؤلاء وخاصة (الاتحاد) و(الديمقراطي) يملكون مكاتب عسكرية خاصة، يضم العديد من الأعضاء، وقادة قوات، وفرق، وألوية، وأفواج، وسرايا، وفصائل، وفي صفوفهم العديد من الضباط القدامى والجدد، الذين خاضوا آلاف من المعارك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، ومروا بأصعب مراحل (البيشمركايتي - العمل الفدائي)، ومع هذا يجب أن نقول: بكل اسف، لم يستطع هؤلاء جميعا تحقيق، ولو اقل ما يمكن، من المسؤوليات التي يتحملونها، وهي الكتابة عن الشؤون العسكرية، والتربية العسكرية، ووضع الخطط اللازمة للمقاومة وحماية المقاتلين، والجماهير في الاراضي المحررة.

هناك الكثير من الجوانب العسكرية في كوردستان، حيث تقترب الثورة من هذا الجانب من مراحلها الاخيرة، لكن قادتها وكوادرها لا يعرفون، الى الآن، بكم مرحلة تمر حرب الأنصار، وما مسؤوليات كل مرحلة، وما هو السبيل الى النصر في الحرب طويلة الامد، وما هي الشروط العسكرية والسياسية للانتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى! هنا: لا نوجه نقدنا الى الذين لا يزالون، وهم في نهاية القرن العشرين، زمن أقصى درجات التقدم لأشكال الثورة والثورة المضادة- لا نوجه النقد الى الأميين منهم، أو أشباه الأميين، على الرغم من انهم، ومع الاسف، رضيت ضمائرهم بأن يصبحوا قادة، (مع أمييتهم)، لعشرات الألوف من الأبناء الشجعان المثقفين، ليوقفوا أمام عدو شرس، متمرس بالسلح. ان نقدنا غير موجه الى هؤلاء لأنهم أميون، كذلك حديثنا لا يوجه الى أكثرية المثقفين الذين لا يطبقون قراءة الكتاب من الغلاف الى الغلاف، او قادة الأحزاب، فيكفي أن نبقئهم فيما هم عليه من التخلف وبالطريقة التي يفرضون آراءهم المتخلفة على الجماهير والانصار. تركهم يتمتعون بتخلفهم الفكري حتى يأتي اليوم الذي نراهم مخذولين.

ان حديثنا هو مع الضباط، والخبراء، والكوادر القدامى الشجعان، والذين تعب وناضل قسم منهم حقاً، ولهم معرفة بشؤون الحرب، واكتسبوا خبرات في ساحات المعارك، لكنهم لم يقوموا بأداء واجبهم الحقيقي أيضاً، في موضوع الكتابة عن الشؤون العسكرية، ولم يكتبوا أي شيء عنها، لكن،

وبلا شك، هناك أسباب عديدة لعدم كتابة هؤلاء المقتدرين عن هذه الشؤون، من أهمها:

- ١- انخفاض المستوى العلمي والنظري العسكري، والحزبي لديهم.
- ٢- الهزيمة العسكرية العامة لحركة الشعب المسلحة.
- ٣- عدم توفر الكليات والمؤسسات العسكرية الخاصة بالثورة، وعدم المشاركة في الدورات والكليات العسكرية في الخارج أيضا.
- ٤- سيطرة الفردية، وعدم اتباع سياسة حرية التعبير عن الرأي.

وبلا مؤاربة نقول: اذا لم يثبت المسؤولون المشهورون لهذا القسم العسكري والسياسي لحركة الشعب-مع اعترافنا بجهودهم وشجاعتهم ونضالهم الطويل-في المستقبل حقيقة افضل لمدى امكاناتهم وقابلياتهم العسكرية، ولم يكشفوها للناس، ولم يكتبوا كل التجارب العسكرية للحركة، بصورة موضوعية، للجيل الحالي و للأجيال القادمة، ومن كل النواحي، فانهم يجب أن يعرفوا، منذ الآن، انه سيسجل عليهم في المستقبل القريب ما يفيد: بان مستواهم العسكري كان أوطأ وأضعف مما تحققت في ظله الانتصارات، وانهم مدحوا، وجعلوا قادة عظاما، بقوة السجون وتأثير الزمن، وسلطان التحزب الضيق، وسحر الانتهازية، وعندما يبدو للعيان بصورة جلية، وبصورة تامة، كم كان مستواهم واطئا، فعليهم حينذاك أن يعدوا أنفسهم للوقوف أمام محكمة التاريخ، ليحاكموا، وسينكشف كيف كانوا مسؤولين عن الهزيمة، كما كانوا مسؤولين عن دماء آلاف الپيشمرگه والجماهير الكادحة.

ان هذا الجهد الذي بين أيديكم هو بحث تاريخي لحرب الأنصار التي نمت وتطورت الى ثورة طويلة الأمد، ومن ثم تحولت الى ثورة الانتفاضة، وقد كتب الجانب النظري للبحث من اجل فهم الماضي والحاضر والمستقبل بصورة اوضح. نأمل ألا يكون آخر محاولة من هذا النوع، في ظل هذه الأوضاع العالمية، وفي ظل هذه الظروف غير المواتية، وأن تبذل جهود علمية اكثر، وحسب المستطاع، في هذا المجال، وأن لا يترك المجال للكتاب الأجانب أبدا (لاسيما المسيئون) أن يقيموا الحركة العسكرية في كوردستان حسب

رغبتهم، وأن يجعلوا الانتصار والهزيمة بالمقياس الذي يرتأونه مقياسا للشرعية وعدم شرعية الحركة الكوردية المسلحة، وكان هذا نصيبنا على مر الزمان!

انه لمن دواعي السرور أن يتحمل مهمة انجاز ما لم يتم انجازه في هذا المجال، وبصورة افضل، أناس اكثر اقتدارا، وخبرة وعسكرية، وبلا تقصير، فعدم التقصير هو مساعدة ثمينة للنضال المستقبلي لشعبنا الذي مازال مضطهدا الى اليوم، حتى لو كان فقط من اجل أن يعرف جيل المستقبل حقائق هذه المرحلة، والمراحل السابقة بشكل جيد، ويستفيدوا منها، في الوقت المناسب.

إن التاريخ يثبت أن الماضي والحاضر والمستقبل مرتبط ارتباطا عضويا بعضها ببعض، كما يؤكد على أن عجلة التحرر لم، ولن تتوقف ابدا.

١ / ٢ - جوهر البحث

ان جوهر هذا الموضوع يهدف الى فتح ثغرة في جدار هذه الحلقة المفرغة التي تدار فيها الحركة الكوردية المسلحة من غير الوصول الى النصر، آمليين ألا يسمح الذين يبحثون عن النهج الحقيقي للنصر، للفاشيين أن يصبحوا هم من يحكم ويقرر مصير النضال المسلح في كوردستان، ويكتب تاريخه لعشرات آخر من السنين، ويتطلب هذا، قبل كل شيء، القدرة على مراجعة النفس، وهدوء اكثر، وشمولية اكثر، والابتعاد عن المصالح الحزبية الضيقة، والعاطفة المجردة لتتيار القومي، وتقييما موضوعيا للماضي كما هو، لا كما نشتهي، ومعرفة حاضرننا، وقياس مستقبلنا بالمعايير النظرية المستقبلية (لا بمقياس الفخر والاعتزاز بالنفس او الانكسار والاذلال والشعور بالمهانة).

لاشك، ان المشاكل العديدة للسنوات الطويلة من النضال: حروبها وضحاياها، ومفاخرها ووقائعها المخجلة، وأخطاؤها وخطاياها، ودفع المناضلين الى الوقوع في ارتكاب الاخطاء، والتسبب في القتل غير المجدي عبر الحروب الداخلية، والاتهامات الموجهة اليها، والذنوب التي ارتكبتها-

ان كل هذه الاعمال، سواء شئنا أم أبينا، أثرت قليلا أو كثيرا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في كل الذين شاركوا في الاحداث الماضية، حتى اضطروا الى اتخاذ القرارات، والقيام بالاعمال، واتخاذ المواقف، واحتلال الربايا، كذلك أن يقتلوا، ويُقتلوا، وأن يتخذوا قرارات غير مناسبة في اكثر الاحيان... الى آخره.

هذه الحقائق جميعها -وكيفما كان التفكير فيها- تنغرس كشوكة في عيون كل المشاركين في الاحداث، وفي كل الأحوال، سواء الجيدون منهم أم السيئون. فأى طرف سياسي حمل بندقية، وأطلق رصاصة، أو كانت له مفرزة أو قوة مسلحة، تقع على عاتقه مسؤولية الكوارث، قليلا أو كثيرا حسب وزنه، الى حد اليوم الذي كان له وجود في ساحة النضال، ويصدر القرارات أو ينفذ القرارات، ولكن، كما يقول السلف (يعلق الغنم من رجله والمعزة من رجلها^(١)) أو بعبارة موجزة اخرى كما ورد في الامثال الكوردية (حجارة كل طرف تحرك ماء البركة بقدر ثقلها)^(٢).

ان تقييم نهج الثورة الطويلة الأمد في كوردستان من الواجبات الضرورية الملحة للنضال التحرري في هذا الوقت، لأن: اكثر مثقفي شعبنا المخلصين وضعوا مسؤولية الهزائم على الثورة المسلحة ونتائجها في الماضي، وهذا، وإن كان مهما فقط بالنسبة للمنظرين والكتاب السياسيين والعسكريين في الشعوب ذات السيادة والكيان السياسي، لاغناء مسيرة ثقافتها- فهو عمل مصيري للكورد والشعوب المضطهدة المغلوبة على امرها. ففي كوردستان يوجد قليل من الناس ممن لم يفكروا قليلا أو كثيرا، وبشكل من الاشكال، في مصير الحركة الكوردية المسلحة، خاصة بعد الهزيمة التي أعقبت عمليات الانفال عام (١٩٨٨م)، والتفكير أخذ أبعادا مختلفة: اليأس والسوداوية، والاستسلام، واللجوء الى الخارج، وقضاء الوقت في ايران، و العيش في المخيمات، والفوضى والتسيب في الحياة، كذلك الاصرار

(هذا القول مأخوذ من المثل الكوردي: مهڤ به پيى خوى وبزنيش به پيى خوى هه لده واسرى - المترجم).

(لا ابرئ نفسي من مسؤولية هذه الحوادث بل وكنت احد المسؤولين البارزين في الاحداث منذ بداية الثورة والى الانتفاضة -المؤلف-).

على النضال المسلح من دون دراسة واستقصاء. هذه كلها افكار سياسية وامراض نفسية حصلت نتيجة للهزيمة والكارثة الجديدة، للثورة الجديدة! ان الحديث الذي يجلب الانتباه الان هو ان هناك اشخاصا مازالوا يعتقدون، لاسباب سياسية وتنظيمية وقومية وشخصية عديدة، ان مواصلة الثورة المسلحة الحالية، هي التي تقود الى النصر والنجاح، لكنهم، على ما يظهر لديهم انتقادات ومآخذ على هذا الطرف، أو ذاك القائد، أو الأمر الفلاني، ومن وجهة نظر هؤلاء، لو تم تصحيح المسار والاطفاء التكتيكية وسدت نواقص الكفاح المسلح، وليبت احتياجاته، فان الپيشمرگه كانوا سيزدادون عددا وعدة، وينتصرون في المستقبل.

هذه الاقوال كلها موجودة ومطروحة على البساط، ويجري الحديث عنها الآن في اللقاءات والاجتماعات، وتلتقي حولها الآراء حسب المستوى الطبقي للناس من دون بحث المسائل الاستراتيجية للثورة المسلحة.

من المعروف أن نقد الآخرين أسهل، وأحلى من نقد الذات، لذلك القيت مسؤولية الهزيمة على عاتق اطراف واشخاص معينين، وتمت تبرئة أطراف وأشخاص آخرين، وهذه ظاهرة اعتيادية وسهلة، في خضم هزائم الشعوب. فأحداث التاريخ في بقاع العالم تثبت بأن الانتصارات دائما لها أصحاب كثيرون، بينما الهزائم لم يتحمل أحد وزرها، وأن الآراء الاجتماعية والسياسية المختلفة تبقى ما دامت العدالة الاجتماعية غائبة واحتلال الاوطان مستمرة والاستغلال الطبقي موجودا، لكن المقاييس الموضوعية لتقييم الظواهر هي ثابتة وباقية باستمرار سواء الاجتماعية منها أو الوطنية.

سنحاول، من الآن فصاعدا، أن نتحدث عن كل شيء له علاقة بالحالة الاقتصادية العالمية المتغيرة، ومدى تأثيرها في الأحداث: تكنولوجيا الحرب، وتغير الحالات الاجتماعية، ومواقف الطبقات منها.

ان هذه المواضيع جميعها- بلا ريب- محاولة لاظهار وصول الثورة الطويلة الأمد، كنهج رئيس لتحرير الشعوب المضطهدة، الى طريق مسدود إلا في بعض المناطق الخاصة، واتخاذها كشكل من اشكال النضال التكتيكية التي توضع في خدمة انتفاضات المدن، وإلا فان الثورة الطويلة الأمد التي يتحدث عنها القادة والمنظرون، كقانون ثابت لتحرير الشعوب، قد انتهت

مرحلتها. وأن الاوان لتحديد البديل الثوري الجديد المعاصر للعمال والكادحين والشعوب لاستمرارية الثورة وفق الشروط السائدة لهذه المرحلة. ان هذا البحث له صلة وثيقة، بصورة اكبر، بنظرية الثورة الطويلة الأمد في العالم، كنهج نضالي صعب، انتهج اكثر من (١٥) عاما في الكفاح المسلح في كوردستان من اجل التحرير، لكن دون تحقيق هذا الهدف، بل واكثر من ذلك. فبعد كل انتفاضة مسلحة بقيادة الزعماء والاحزاب القومية الديمقراطية في كوردستان كانت ثورة الشعب الكوردي تنتكس وتفشل، عدا وقوع الآلاف من الاشخاص ضحايا، وتدمير آلاف المدن والقصبات والقرى في كوردستان-، فماعدا كل ذلك نرى على الحارطة التاريخية لكوردستان، المئات من: المحافظات والاقضية، والنواحي والمراكز الجغرافية المهمة، التي خسرتها الامة الكوردية. كل هذا حدث تحت ظل النهج المهزوم لقيادة الاشخاص والاحزاب الانهازمية.. من غير اجراء اي تحقيق او بذل جهود لكتابة بحث علمي حوله وحول كل الهزائم والخسائر الناتجة عنها، لذلك: فإن كان هذا البحث حول نظرية الثورة المسلحة، لكنه في الوقت نفسه يخدم البحث والمناقشة العلميين للكفاح المسلح القومي الكوردي الذي يراه أناس الى يومنا هذا، على انه النهج الوحيد للخلاص والتحرر من الظلم الاجتماعي والقهر القومي، من غير أن ينظروا، ولو نظرة خاطفة، الى التغيرات الشاملة الاساسية الحاصلة في العالم، هذا العالم الواسع الكبير. فمن الواضح انه ليس باستطاعة كل شخص أن يخوض غمار الكتابة والتأليف، كذلك لا يمكن أن يتعمق كل واحد بدقة، ويفكر مليا في مشروع النجاة، والنفاز من ثقب الباب، لكن الذين جندوا انفسهم للنضال بشكل مباشر، من واجبهم-كلهم- أن يبحثوا الآن هذا المأزق العسكري اكثر مما سبق، على ضوء: التجارب، والظواهر والمرييات، والنكبات والهزائم، وعليهم أن يصفوا افكارهم وافكار الناس، وينقوها بمصفاة العلم والمعرفة السياسية والعقلية، وعلى ضوء المتغيرات الهائلة والحاصلة، في نهاية الحرب الباردة ونهاية الالفية الثانية.

ان القضية ليست قضية سطحية وبسيطة، ليست قضية ثانوية ودخيلة، بل هي قضية مصيرية، يرتبط بها مستقبل حياة شعبنا ووطننا. فان لم

ندرس قضية كهذه، ولم نبذل الجهود المضنية من اجلها، فهذا يعني اننا نستحق أن يتعرض وطننا وحركتنا القومية للمساءلة. لذلك اقول وبإيجاز: لكي نحقق الحرية، يجب علينا قبل كل شيء، أن نحرر أنفسنا من كباوس الفكر القديم المتحجر، وبدون التحرر من هذا الكابوس، لا يمكن أن نسعد ونُسّر بالحرية الحقيقية. اذ كيف تتحقق حريتك، إن لم يتحرر فكرك؟! ولا يتحرر فكرك... إن لم يتحرر من رقابة الانانية الضيقة، ومن حب الذات والاطياء المرتكبة، وخاصة الاخطاء الكبيرة والمؤثرة على المصير.

١-٣- نشأة نهج حرب الانصار

ترجع بدايات نشوء حرب الأنصار الى الحياة البدائية الاولية في المجتمع الانساني بل الحيواني ايضا، وكلما تقدم الزمن، تقدمت هي أيضا، وثبتت أسسها، وترسخت اركانها، لكن المحافظة على المجتمعات والدول، في تلك العصور، كانت تتم بالاسلحة البدائية التي كان الحدادون يصنعونها، كالسيوف والرماح والدروع، ليحملها الفرسان المهرة المقتدرون، وقد أثرت هذه الاسلحة، في بعض الاحيان في تهور وطيش مجموعة صغيرة جدا من المتمردين، ليقفوا أمام اعداد كبيرة من المحاربين، ولينتصروا عليهم احيانا. وهكذا، وبعد التقدم الصناعي، ولاسيما في مرحلة الرأسمالية التي تقدمت فيها صناعة الأسلحة ومستلزماتها وأدواتها العلمية: كالسلاح الذي يصيب الهدف من بعيد، والسلاح الاتوماتيكي، والهاونات والمدافع، والرمانات اليدوية والالغام، وأدوات التفجير والانفجار المدمرة، ثم ظهور: الدبابات والمدرمعات، الطائرات والهيلوكوبترات، والغازات السامة، والقنابل الذرية، والصواريخ العابرة للقارات، والصواريخ الموجهة الكترونيا، ومختلف انواع الاسلحة المدمرة، التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية خاصة في الربع الاخير من القرن العشرين. ان كل هذه الاسلحة قد اثرت، في كل الازمنة والعصور، والمراحل والظروف، وبصورة مباشرة على علم الحرب وكيفية ادامة الحروب، وسايكولوجية المقاتلين، وتقوية الانظمة والمؤسسات

(حرب الانصار او حرب العصابات او حرب الشعب بكلمة اشمل، تعبير ارتبط في العصر الحديث بالحروب الثورية وحروب التحرير الوطني للدلالة على تعبئة طاقات الشعب كافة ضد المستعمر او المستغل - المترجم-).

القومية، لاسيما الجيوش، ولهذا تخلت روح المخاطرة والمجازفة والفروسية، وكذلك السيوف البتارة والدروع المتينة- عن مواقعها القتالية للتكنولوجيا العسكرية الحديثة، وأمام هذه الأسلحة المتقدمة ابتكرت مناهج عسكرية جديدة، لمواجهة هذه الاسلحة المستجدة الفتاكة.

ان الظاهرة الجلية الواضحة التي طرحت نفسها في الساحة نتيجة لهذه التغيرات والاحداث هي ظاهرة سيادة نهج حرب الأنصار، كنهج عسكري قائم ومؤثر، يمارس ضد جيش متمرس في اطار قوانين الحرب المستمرة لا المؤقتة.

إن لم يقم نهج حرب الأنصار على ارضية اجتماعية، ووفق الضرورات الاجتماعية والوطنية، فلا يستطيع اعظم الفلاسفة والمفكرين جعلها نهجا، يقرر مصير مرحلة من مراحل حياة الشعوب، ولأنه نبع من اعماق الحالة الاجتماعية والوطنية، لذلك اكتشف له القالب النظري بصورة طبيعية، وفي عشرات التجارب الصعبة. فأمام عشرات الدول الامبريالية والرجعية المختلفة المتمرس، تمكن العمال والشعوب من تحقيق الانتصار من خلال اتخاذهم النهج الثوري المسلح لانتصارهم، وتحررت به عشرات الشعوب والاطان الكبيرة والمتوسطة والصغيرة. فقدما انتهج الامريكيون حرب الأنصار الى جانب الحرب الجبهوية ضد البرتغاليين (١٧٧٥-١٧٨١م)، وحصلوا على نتائج مشجعة عن طريقها. كذلك انتهج في حروب امريكا الوسطى واوربا الغربية القديمة-شكل من اشكال حرب الأنصار، وجني منها فوائد جمة، لكنها، كشكل رئيسي للحرب، جربت في اسبانيا، كتجربة كاملة، وانتصرت في النهاية، وعندما احتلت فرنسا اسبانيا، لم يستطع الجيش الاسباني المهزوم، ان ينزل الى ميدان الحرب الجبهوية مرة اخرى، وباية صورة من الصور، وخاصة بعد هزيمة "فوكاتا" الجبهوية في (١٩ / تشرين الثاني / ١٨٠٩م)، لذلك انسحب جيش اسبانيا الضعيف المهزوم مضطرا، الى الجبال والغابات، ليستأنف بمجموعات مسلحة صغيرة الهجوم والانقضاض على المحتلين انطلاقا من قواعدهما في هذه الجبال والغابات، ونتيجة لعشرات المعارك الكبيرة والصغيرة البطولية تمكن من ازعاج واغلاق جيش نابليون الكبير المحتل المنتصر المتمرس في القتال، وتحرير اسبانيا منه.

يعد هذا النصر، في تاريخ الحرب، لاسيما حرب الأنصار، انعطافة كبيرة في تاريخ المقاومة امام الجيوش الجبارة، واصبح بذلك الشعب الأسباني قدوة لنضال الشعوب المضطهدة الصامدة امام العدو الاقوى.

ان انتصار حرب الأنصار كان بداية لطريق تاريخ طويل، خطأ الاسبان اولى خطواته الاساسية. فبعد هذا، لجأ كل شعب، لم يوفق في حرب المواجهة مع محتليه او مضطهديه- الى اشعال حرب الأنصار بكل حنكة وشجاعة حيث كانت تنتهي بالنصر في النهاية، ومهما طال زمنها، وهناك امثلة كثيرة على ذلك: انتصار الامريكان على الانكليز، وهزيمة النمسا في ايطاليا وهنغاريا، وعلى نقيض ذلك، فكل شعب، وان لم يصمد في حروب المواجهة، ومن ثم اختار حرب الأنصار، ومع هذا لم ينل النصر رغم ذلك، فان الاخطاء الاستراتيجية والتكتيكية لقادتهم كانت سببا في اذلال ذلك الشعب وهزيمته، مثال ذلك بقاء شعوب آسيا وأفريقيا تحت سيطرة العثمانيين، وبعدهم تحت سيطرة الامبرياليين، وفضل مثال على ذلك، هو شعب كوردستان الذي قسمت أرضه بين عدة دول، ولم يكن نضاله، في أي وقت من اجل التحرر، بأقل عن بقية الشعوب المجاورة، ان لم نقل اكثر، لكن الشعوب الاضعف قوة والاقبل عددا من الكورد، كذلك اصحاب الاوطان الاقل مساحة من كوردستان، استغلوا الفرص التي سنحها التاريخ لهم احسن استغلال، وتمكنوا من الوصول الى الخلاص من العثمانيين المحتلين. فبالرغم من ان الكورد حملوا السلاح، وحاربوا في نفس الفترة، وأحيانا قبل العديد من هذه الشعوب، إلا انهم هزموا دائما، لأن معظم انتفاضاتهم المسلحة اتخذت شكل الحروب الجبهوية الواسعة. فبدلا من اتباع شكل جديد مناسب للنضال اعتبروا انشاء القلاع والحصون القوية عملا مهما، لذلك انتصر العدو عليهم، في كل الفرص الذهبية التي سنحت لهم، لأن عدوهم كان الاكثر عددا وعدة، والاقوى سلاحا. لذلك كان هو المنتصر في الحروب الجبهوية دائما، اذ استطاع من احتلال كل القلاع العالية الحصينة واخماد كل الانتفاضات التي قادها الامراء والشيوخ والزعماء، ليس هذا فقط، بل تمكن من القاء القبض على قادتها: كأمير رواندوز (١٨٣٦)، وبدرخان (١٨٣٩)، ويزدان شير (١٨٤٥)، وشيخ عبيد الله النهري (١٨٨٠)، وشيخ محمود (١٩١٤-١٩٣١) والانتفاضات البارزانية

المسلحة. فكل هؤلاء براهين وأدلة على ذلك. ان أيا من اولئك القادة-مع تسجيلهم لمفاخر كبيرة في التاريخ أثناء انتفاضاتهم المسلحة-لم يكن لديهم خط عسكري واضح واستراتيجية عسكرية صحيحة، فهم خلطوا ما بين الحرب الجبهوية وحرب الانصار- بل كانوا يحاربون حربا جبهوية على الاكثر-ولم يعرفوا مميزات كل منها. كان المفروض أن يتخذ قادة هذه الانتفاضات المتعاقبة دروسا وعبرا مما سبق من هذه الانتفاضات، لكننا نجد العكس، اذ نرى بعد كل انتفاضة وقائدها المهزوم، ينشئ من يأتي بعده من القادة قلاعا اشد قوة وعلوا، ويخطط لحرب جبهوية اكبر. ربما ظهر أحيانا، وبعد فشل انتفاضة مسلحة، زعيم او رئيس او (بيگ) شجاع غير مكترث بالنتائج، قام بصورة عفوية باشعال حرب الأنصار، وتمكن من ازعاج العدو واقلاقه لفترة جيدة، ولم تتمكن منه الحروب الجبهوية، لولا اللجوء الى الحيل واليمين الكاذبة، منهم: خان محمود، ونورالله بگ (بعد انتفاضة بدرخان)، وكذلك ابراهيم خان (كفري) ومحمود خان دزلي، في زمن شيخ محمود وبارزاني والبارزانيون منذ الحرب العالمية الاولى والى (زمن جمهورية مهاباد).

لقد ثبت منذ زمن طويل أن الحروب الجبهوية الكلاسيكية التي ظلت لآلاف السنين نهجا عسكريا للامبراطوريات الرجعية الكبرى، لا تحالفها الانتصارات الى النهاية، وأن رياح التغيير قد شملت هذه ايضا كباقي الظواهر الحياتية الاخرى، حيث كانت الامبراطوريات الاحسن تسليحا وتدريبيا وتخطيطا تنتصر على الامبراطوريات الاكبر والاعرق منها. قبل ان تصبح الثورة المسلحة الطويلة الأمد نهجا عسكريا معروفا للشعوب المضطهدة والمحتلة ارضا هنا وهناك، انتهجت حرب العصابات الى جانب الحرب الجبهوية التقليدية، لاسيما عند الشعوب الضعيفة المهزومة، وبصورة متفرقة وذاتية في اكثر الاحيان. فالشعوب تكره محتليها الى الحد الذي كانت الهزائم تزيد من معنوياتهم، ومن اجل تحرير اوطانهم كانوا (الكادحون منهم) يسمعون اقوال حكامهم القساة السابقين او اقوال الطبقة المستغلة لشعوبهم بدون مراعاة-في الاقل-مصلحتها الطبقية،

(بيگ) لقب من الالقاب التركيبية التي كانت تمنح لاصحاب النفوذ والسلطة - المترجم.

وافضل مثال على ذلك، الفلاحون المستغلون (بفتح الغين) في كوردستان. فهم لعشرات المرات: دفعوا الى الانتفاضات دفعا، وخربت بيوتهم، ونهبت ممتلكاتهم، وقتلوا، وهجروا وشردوا. قتلوا من غير تحديد وتأمين اقل حق من حقوقهم الاجتماعية في برنامج القادة الاقطاعيين والشيوخ المتسلطين، وحتى في برنامج المنظمات السياسية التي قامت في بداية او اثناء الحرب العالمية الثانية، لكن رغم كل تلك الحقائق الاجتماعية المرة، فأن الكادحين تصدوا للمحتلين الاجانب حبا لأوطانهم.

في زمن الامبريالية، حيث اصبحت الحرب علما، واتسعت مديات الحروب، بدأت الدول الامبريالية ذات التجارب الحربية المتنوعة الكبيرة والصغيرة، بموجب سعة حجم المصالح الاقتصادية والسياسية لها بزيادة اهتماماتها الحربية، في كل النواحي: التكنولوجية والعلمية والسيكولوجية، بمرور الوقت بصورة اكبر، كما اصبحت الهجوم على الشعوب عندها ضرورة حيوية، لضمان وجودها واستمراريتها، ولم يكن بمقدور الشعوب الدفاع عن نفسها ضد هذا العدو المسلح تسليحا كاملا، بالاسلوب الدفاعي القديم الذي يعتمد على السلاح الخفيف المصنوع يدويا (بنادق الصيد القديمة) والاسلحة التي يستعملها المهربون وقطاع الطرق مثل بنادق (ماهوزر، ومانهير، وانكليزي، وبرنو)، ولم تتمكن من مقاومة المدافع والدبابات، ثم الطائرات، وقدمت تضحيات كبيرة في اكثر الحركات المسلحة التي قامت ضد الامبريالية، في بداية القرن العشرين دون الوصول الى النصر. فحتى انتفاضات المدن، بما فيها اقامة المتاريس، وان كانت مؤثرة، لكنها قمعت بسرعة.

لقد وجد في المجتمع الرأسمالي، ومازال، الآراء الطبقيية المختلفة كد: الفلسفية، والايولوجية، والسياسية، والادبية، والتاريخية، كذلك وجد ومازال يوجد رأيان عسكريان مختلفان، اذ برز مقابل رأي الرأسماليين، رأي العمال كضرورة موضوعية للنضال الطبقي. لقد اثبت قادة العمال بشكل واضح وجلي أن الحرب استمرار للتناقضات السياسية من اجل انتصار السلطة السياسية الطبقيية، لوادة من طبقات المجتمع والحياة الاجتماعية، ولتحقيق هذا، بدأوا يبحثون عن شكل جديد للحرب، يدور كل مواضعه

حول مسألة مفادها هو ان الحرب اداة من ادوات تحقيق الاهداف السياسية، ولا يمكن فصلها عن هذه الاهداف بأي حال من الاحوال. في كل الازمنة التاريخية، كان المستغلون والتحريريون يحاولون قطع صلة الحرب والمحاربين بالسياسة والنهج الايدولوجي، إلا أن الثوريين كانوا يرون العكس، لأن الحرب والسياسة في نظرهم، تكمل احدهما الاخرى، وانهما متفاعلان مع بعضهما، لذلك قاموا بتقييم السياسة على أساس علمية، ومراقبة تكنولوجيا الحرب والمخطط والبرامج الحربية بدقة، وربطها بالنهج الثوري وتطهيرها من الاعمال الوحشية، وجعلها في خدمة العمال والجماهير الكادحة، كما اتخذوا من شراسة الحكام الرأسماليين في الحرب أساسا لعدهم والوقوف ضدهم. وفي خضم هذه الاحداث ابتكروا الحرب الثورية مقابل الحرب الرجعية، ودربوا المحاربين وغذوهم بالوعي الثوري النضالي، من اجل تحقيق الاهداف المشروعة للعمال والشعوب، وكان تأثير الفكر والرأي الثوري واهميتها ياتي عندهم قبل تأثير الحرب والمعارك والاسلحة المتطورة والمستعملة آنذاك.

لقد أصاب (انجلز) هذا الهدف منذ زمن بعيد، اذ قال ان للمتاريس اثر معنوي او سلوكي أكثر فعالية من تأثير المثل والروح العسكرية. فحتى في اقصى درجات حرب الشوارع شدة وضراوة عندما تكون للمتاريس قابلية الصمود والمقاومة الى حين حلول أوان التأثير في المعنويات ينجح المتاريس وينتصر، لكنه، ان لم يصمد حتى ذلك الوقت، كان يفشل وينهزم، وهذه نقطة رئيسية ومهمة، من الضروري ان يدركها كل من ينوي ممارسة حرب الشوارع في المستقبل، إدراكا تاما، ويتذكرها على الدوام. وبهذه الصورة، لم تكن انواع الحروب: الحرب الجبهوية، وحرب المتاريس، كذلك حرب الأنصار، شكلا عسكريا منقطعا عن الفكر، بل كان دائما حسب الرؤية الاممية للعمال مرتبطا بالنضال الطبقي للعمال والشعوب. فحتى بعد الحرب العالمية الاولى، سواء أكانت الحروب نظامية ساخنة، أم كانت حرب المتاريس في الشوارع، أم حرب الأنصار، فهي كانت جميعها نوعا من النضال الثانوي، ينصب في خدمة النضال الرئيسي للعمال والكادحين، المتجسد في الإنتفاضات داخل المدن.

ينظر: الماركسية وحرب العصابات-ترجمة ابراهيم العابد، وماهر الكيالي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-ص٨١)-المؤلف.

١ / ٤ - بعد ثورة اكتوبر

لم تتخذ حرب الأنصار، او أي حرب مسلحة اخرى، في بداية النضال التحرري، كشكل رئيسي للنضال الشوري. فلربما، والى ذلك الحين، لم تكن صورة حرب الأنصار ونظريتها مصوغة بصورة جلية وواضحة، لأن الشكل الآخر للنضال كان لا يزال قائما وله وزنه وتأثيره في انتصار الشعوب، لاسيما في الدول الرأسمالية التي كانت مراكز للنضال الشوري، ولم يكن بعد اوان اعلان بدء نضال الشعوب المتخلفة والمحتلة، ولم تفتح ابواب الثورة الطويلة الأمد على مصراعيها بعد، بالرغم من أن حرب العصابات كانت تطبق-قليلا او كثيرا-ضمن كفاح تلك الامم والشعوب، قبل هذا بكثير. فهذا لينين يقول:

"لا يجوز لحزب الكادحين ان يعتبر حرب الانصار أداة وحيدة للنضال فقط، او حتى كأداة رئيسية للنضال... يجب أن تكون هذه الأداة خاضعة للأدوات الاخرى... كما يجب أن تتعايش مع ادوات الحرب الرئيسية".

من المجدير بالتحليل ان نقول: لماذا كان لينين هذا الرأي في ذلك الوقت؟ او لماذا، لم يجعل لينين الثورة الطويلة الأمد وحرب الأنصار معها نهجا ثوريا رئيسيا، لاسيما في روسيا في ذلك الوقت، بالرغم من انها كانت دولة رأسمالية كبرى، وتنعت بـ(الامبريالية)، رغم تخلفها، وصراعات فلاحيتها الكثيرة، وانها دولة مترامية الاطراف، ومناسبة من حيث طبيعة ارضها الجغرافية للثورة الطويلة الأمد، وكان نظامها في خندق الثورة المضادة لاوروبا، واعدائه كثيرون؟!

ورغم كل هذه الحقائق ومعرفة لينين العميقة بالحرب والعمل العسكري، ومعرفته بحرب الأنصار وقيادته ومهارته، إلا انه لم يجعل من حرب الانصار منهجا، ولم يعتمدها طريقا رئيسيا للانتصار الطبقي للعمال، بل عرف

انظر(لينين، استيقاظ آسيا، مجموعة مقالات، دار التقدم، موسكو، ص١٢).

حرب الأنصار كجدول ماء صغير يتفرع من نهر النضال والكفاح المسلح الكبير. باختصار يرتكز رأي لينين على هذه النقاط:

- ١- أصبحت روسيا في ذلك الوقت مركزا مهما لنضال العمال الثوريين في العالم، بعد أن كان هذا المركز في الماضي مستقرا في الدول الاخرى، ك: المانيا، بريطانيا، فرنسا، وأميركا، وأدرك لينين مستقبل انتصار هذا النضال بأخذ العبر من فشل المراكز الاخرى، لذلك لم يغير نهجه حتى بعد هزيمة انتفاضة وثورة (١٩٠٥ و ١٩٠٧ م) وفشلهما المؤقت، وأصر على قيام الانتفاضة في المصانع والمدن.
- ٢- الى جانب روسيا، في ذلك الوقت، كان هناك أمل كبير في النضال العالمي الذي سيشعل فتيل الثورة العمالية، في كل أوروبا في وقت واحد، او في عدة دول منها من ضمنها روسيا، وأنها ستنتصر، لذلك كان تجريد روسيا من هذا التيار العام بالالتجاء الى نهج الثورة الطويلة الأمد، سيكون خطأ جسيما.
- ٣- كان بإمكان الدول الامبريالية والرجعية التعاون مع روسيا (القيصرية) عن طريق الحرب ومدّها بالسلاح والقضاء على الثورة الطويلة الأمد (خاصة وهي تندلع لأول مرة).

لكل ما مر، لم تتخذ، في تلك الفترة، الثورة الطويلة الأمد نهجا رئيسيا لتحرير العمال والشعوب، بالرغم من وضوح فوائد حرب الأنصار منذ زمن بعيد، ومعرفة تأثيرها، لأن الماركسيين آنذاك كانوا يقيمون الاحداث والظواهر ومسيرة النضال بموضوعية ودقة.

فالاشتراكية العلمية هي فلسفة واقعية، وليست فلسفة خيالية، فهي تنقل الحقيقة من الواقع الى الواقع، وليس من الخيال الى الخيال. فبعد ثورة اكتوبر قام العديد من التجارب الثورية الاخرى للعمال والشعوب، ووصلت الى درجة الغليان، لكنها وللأسف، فشلت لأسباب موضوعية وذاتية وعسكرية عديدة، وفي خضم مأساة هذه الهزيمة تحققت نبوءة (بقطعة آسيا) غير المنتظرة.

وهكذا، كان، عند لينين وثورة اكتوبر، أمل كبير في ثورات الهند وتركيا وايران ومصر والعراق (عدا كوردستان) -للأسف- التي لم تدخل ضمن هذه الثورات، ليس هذا فقط، بل ساند لينين وثورة اكتوبر نظام أتاتورك وشاه ايران لقمع ثوراتها). كان عند لينين وثورة اكتوبر أمل كبير

في هذه الثورات، لكن اكثرها فشلت، واما في تركيا، وان نجحت من حيث بقاؤها سياسيا، لكنها، ورغم مساندة لينين ودولة اكتوبر المستمرة لها، إلا أن الثورة فيها ارتدت، بعد وقت قصير، الى اشرس ثورة مضادة، في المنطقة، وبدأت بمحاربة العمال والكادحين، واضطهادهم وقمع الشعوب التي بقيت تعيش ضمن حدود تركيا الجديدة مكرهة ك: الكرد والأرمن والمجرس، وكان اقل الأنظمة قدرة على اخفاء المضمون القومي الضيق، والاستغلال الطبقي له. وظهر بجلاء، حينذاك، الى أي حد تلتزم البرجوازية المتخلفة في الشعوب المضطهدة-بشعار الحرية والديمقراطية.

إن ضعف سلطة ثورة اكتوبر، وعدم انتصار الحركة العمالية العالمية أجبرا لينين وقيادة ثورة اكتوبر على القبول بعروض سياسية مع الامبريالية، اضافة الى معاهدة (بريست-ليتوفيسك) ^(١) وأدى هذا الى ان يغضوا الطرف عن جملة من الحقائق الوطنية في العالم، منها جوهر البرجوازية-الوطنية في تلك الفترة، والتي انكشفت بسرعة عنصريتهم ورجعيتهم، سواء ضد العمال في بلدانهم، أم ضد الشعوب المضطهدة التي سيطروا عليها، كالكورد والأرمن في كوردستان، وارمنستان الخاضعتين لتركيا.

إن سياسة الكماليين العنصريين في مؤتمر باريس، وعداءهم ووقوفهم ضد معاهدة (سيفر- ١٩٢٠م) لهي ادلة حية على تلك السياسة التي

- هي معاهدة صلح وقعت بين روسيا وألمانيا والنمسا وهنغاريا وبلغاريا وتركيا، في ٣ آذار/١٩١٨، وبموجبها اوقفت الحرب بين روسيا من جهة، وبقية الاطراف من جهة اخرى، وانسحبت روسيا من الحرب العالمية الاولى، بعد أن استولى البلاشفة على الحكم فيها، واضطروا الى التخلي عن مساحات كبيرة وفق هذه المعاهدة، لذلك اعتبر خصوم البلاشفة قبول المعاهدة تفريطا بحقوق روسيا إلا أن اللينينيين اعتبروها تراجعا تكتيكيا ضروريا لحماية الثورة الروسية، لكنهم عادوا وألغوا المعاهدة في تشرين الثاني/١٩١٨ بقرار من الحزب الشيوعي السوفيتي-المرجم-).

٢(معاهدة سيفر - Severres Treaty) هي معاهدة الصلح التي قبلت بها تركيا العثمانية بعد نهاية الحرب العالمية الاولى في ١٠ آب / ١٩٢٠، وقد نصت على استقلال أرمينيا و شبه جزيرة العرب، و وضع العراق و سوريا تحت الانتداب، و اعطاء قسم من الاراضي والمياه التركية الى اليونان، كما تضمنت موادها (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) في الفصل الثالث الذي ورد تحت اسم (كوردستان) على اعطاء حق تقرير المصير لشعب كوردستان، بما في ذلك حق انشاء دولة مستقلة له، الا أن استيلاء كمال أتاتورك على السلطة في تركيا، و اكتشاف النفط في الموصل و كركوك بكميات هائلة أجهضت هذه المعاهدة، و تم استبدالها بمعاهدة (لوزان) التي وقعت في ٢٥/تشرين الثاني/١٩٢٢، والتي بموجبها حرم الشعب الكردي من نيل حقوقه المشروعة - التمرجم.

انتهجها لينين وثورة اكتوبر التي اجبرت روسيا على اغماض عينيها عن جوهر الانظمة البرجوازية المنتصرة حديثا (حقا، لقد اظهر التاريخ ان تلك السياسة قد انطوت على اخطاء كبيرة).

تحرك النظام التركي بذكاء، وجدد باستمرار عهوده لروسيا، لاسيما أثناء مؤتمر باريس (١٨ / كانون الثاني / ١٩١٩ م) حيث كان قادة البرجوازية يصرحون برياء: "نحن معكم على نفس طريق الصراع مع الامبريالية، وساحة نضالنا ضد الامبريالية، هي خط دفاعكم في نفس الوقت ايضا، لذلك ننتظر منكم أن تساندونا، وتمدونا بالمال والسلاح" هذه هي برقية نظام تركيا الى الاتحاد السوفيتي. لقد سبق وقلنا ان: السياسة الخارجية الروسية التساومية اجرتها على اغماض العين عن أشياء كثيرة، لذلك، بالاضافة الى مهارة الكمالين هذه، كانت مصالحهما السياسية متناغمة ومتجاوبة معا، وفي النهاية عادت فوائدها الجمة الى النظام البرجوازي القومي التركي، اذ منح السوفيت في اول اعلان للمساعدات مليوننا من الروبلات الذهبية الى الكمالين الاتاتورك ناهيك عن المستلزمات الحربية الكبيرة الاخرى، كما وقع العديد من المعاهدات السياسية-العسكرية الثنائية المهمة مع تركيا (كانت جميعها في صالح تركيا) وقد وقعت هذه المعاهدات، في وقت لم يكن النظام البرجوازي (الاتاتوركي المنتصر حديثا) مستعدا للاعتراف بالحقوق الديمقراطية للشعوب حتى للشعب التركي، ليس هذا فقط، بل قام، في كانون الثاني عام (١٩٢١ م)، باعدام سبعة عشر شخصا من قادة الحزب الشيوعي التركي، ونفذ سياسة متشددة لاضطهاد العمال والمناضلين الثوريين من ابناء الشعب التركي والقوميات الاخرى. ما من شك، ان روسيا استفادت من هذه السياسة، من الناحية التكتيكية، لكن هذه الفائدة التكتيكية كانت على حساب الاهداف الاستراتيجية للنضال التحرري للشعوب المضطهدة ك: الكورد والارمن، حيث رفعت يدها عن ارمنستان الكبرى وفق معاهدة (١٦ / آذار / ١٩٢١ م) واعترفت بالحدود الشمالية الشرقية لتركيا، ورفعت يدها عن ولايتي اردهان وقارس.

- خدع الكورد والارمن تماما في مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩، وجعلا كبشي فداء للمصالح الامبريالية - المؤلف -).
- النعيمي، د. احمد نوري، تركيا وحلف شمالي الاطلسي، المطبعة الوطنية، عمان- الاردن، ١٩٨١، ص ٥٣.

بعد مؤتمر الصلح في باريس، وقعت روسيا وتركيا مباشرة وفي باريس ايضا معاهدة للصدقة والحياد بينهما، أي (بعد حسم موضوع قضية الموصل)، وقد جددت هذه المعاهدة عام (١٩٣٥م)، ومما ورد فيها: "يتعهد الطرفان بعدم المشاركة في اية معاهدة او أي نوع من الاعمال العدائية التي تستهدف احدهما".

اعطت روسيا عام (١٩٣٢م) ثمانية ملايين دولار كمساعدة لتركيا من اجل تطوير صناعاتها، واعتبر المبلغ دينا بدون فائدة، حدث هذا في وقت كان قادة الحركة في كوردستان-القسم التركي-يائسين من الاعتراف بحقوق شعبهم الكوردي، ولاسيما بعد انتصار الكماليين، لذلك طلبوا المساندة من روسيا، لكن رأي مخططى سياسة الخارجية الروسية، حسب رأي (د. عزيز شمزيني) كان كالاتي:

(بعد دراسة المسألة، ومناقشة الظروف والاضاع، في تلك الفترة، قرروا عدم مساندة الكورد والترك، لكنهم اظهروا بكل وضوح ان الاتحاد السوفيتي يعبر عن تعاطفه مع نضال الكورد ضد بريطانيا).
عجبا لهذا الاستنتاج! اذ لا نعرف كيف يكون شكل مساندة الانظمة اكثر مما قدمه الاتحاد السوفيتي في زمن لينين وستالين الى تركيا الكمالية، إن لم تكن هذه مساندة فكيف يكون شكل المساندة؟! لقد وقعوامعه الاتفاقيات! وتنازلوا له عن الارض! ومنحوه المال والسلاح! وساندوه وقدموا له الدعم في المحافل الدولية! لماذا، اذن، يقدم (د. عزيز شمزيني) تبريرات لهذه الاعمال، وعلى أي مصدر اعتمد في رأيه الذي يفيد ان الاتحاد السوفيتي وقف على الحياد بين الترك والكورد؟! والاغرب من هذا هو ان (د. عزيز)، ومن اجل أن يرسخ تبريره في ذهن القارئ، فهو يعمد الى اغماض عينيه عن الموضوع الحقيقي، وطمس الحقائق التاريخية، في الأسطر الثلاثة التي يتحدث فيها عن موقف روسيا تجاه الكماليين والكورد، ويجر القارئ جرا الى مسألة اخرى، وهي اثبات (تعاطف) روسيا مع الكورد في نضالهم ضد بريطانيا، بينما الموضوع الأساسي هو الحديث عن الكماليين الذين يهددون بصورة مباشرة مصير الكورد.

(شمزيني، د. عزيز، الحركة التحررية الوطنية الكردستانية، ترجمة فريد اسسرد، الطبعة الثانية، مطبعة الشهيد ابراهيم عزو، ١٩٨٥، ص ٧٩).

الجميع يعرف ان روسيا لم تساند الكرد ضد بريطانيا، ليس هذا فقط، بل لم تجب حتى على رسالة الشيخ محمود في (٢ / كانون الثاني / ١٩٢٣ م) في حين كانت بريطانيا العظمى تستخدم كل الوسائل والادوات الحربية، بما فيها الطائرات لقصف القرى والمدن الكوردستانية الآمنة المسالمة، لقمع انتفاضة الشيخ محمود وكانت الصحف البريطانية تنشر على الملأ أخبار المعارك والقصف العنيف على صفحاتها الاولى. ترى، هل تكون المساندة هكذا؟!
لربما كتبت الصحف والمجلات الروسية، او كتب العديد من الكتاب والباحثين الروس، مقالات وبعوثا سياسية جيدة عن الكورد، واصبحت هذه المقالات والبحوث عند (د. عزيز) مصدرا واساسا لتلك التبريرات والاعذار، لكن هذا الشكل من الكتابات الروسية والتعليقات المكتوبة عليها من لدن اصدقاء الروس من الكتاب، لا يخفي هذه الحقيقة التاريخية التي تؤكد على أن السياسة الروسية الرسمية، في الوقت الذي كانت لا تساند الحركة التحررية في جميع أجزاء كوردستان، كانت تساند بعضا من اعدائها، لذلك كان القضاء على جمهورية مهاباد شيئا اعتياديا، عند الروس، ناهيك عن انتفاضات كوردستان تركيا، وانتفاضة سمكو، وشيخ محمود، والبارزانيين، ومادامت الامور، كانت تدار على هذه الشاكلة من قبل السيلسة السوفيتية، فان من الطبيعي أن لا تلقى الثورة التحررية في كوردستان، اضافة الى ارمنستان، أي دعم او مساندة من السوفيت حتما، ليس هذا فحسب، بل اعتبرت ثورة رجعية قامت ضد النظام (التقدمي) في تركيا، لذلك لم يحسب أي حساب لثورة كوردستان كبقية تلك الثورات التي قامت، وارتفع لهيبتها، في تلك الفترة، تحت تأثير ثورة اكتوبر في العالم، ولاسيما في الشرق، ولم توضع الثورات الكوردستانية الاخرى في صف الثورات المسلحة للشعوب المضطهدة مثل: الصين، والهند، وايران... الخ.
إن تأثيرات ثورة اكتوبر في ثورات شعوب آسيا كانت مختلفة: ففي ايران، وفي تركيا ارتدت بشراسة، وفي الهند اخمدت، وفي كوردستان قمعت، وفي العراق ومصر افشلت... وما بقي منها هي الثورة الصينية. وعلى نقيض تلك الثورات، فهي جاءت، فضلا عن التحولات السياسية، بـ(مفهوم عسكري) جديد، الى الوجود.
نعم، من هنا، يجب أن نبحت عن رأس الخيط في عقدة الحرب الطويلة الأمد، ونظرية حرب الانصار.

الفصل الثاني

٢- الشروط الموضوعية والذاتية

الشروط الموضوعية: هي تلك الشروط السياسية التي تنشأ لوحدها بعيدا عن تدخل الانسان و عن رغباته وأهوائه، وبلا قرار من احد، وانما هي ناتجة عن تفاقم التناقض بين العمل ورأس المال، وعلاقات الإنتاج وقوى الإنتاج، واستفحال الازمات بين السلطات وبين الشعوب .

وعلامات توفرها، هي: عدم استطاعة الرأسماليين والمتربعين على الحكم، أصحاب السلطة واصحاب وسائل الإنتاج الذين يؤجرون العمال عن طريق الرأسمال الضخم والنظام الرأسمالي، من مواجهة الحالة التي وصلت اليها الازمات والوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي المتدهور، نتيجة تراكم وتفاقم الصراعات التي تصبح عقبة في طريق تقدم قوى الانتاج، وبهذا تنفجر الازمات والمشاكل الطبقية والاجتماعية والسياسية، انفجارا، ويفلت الزمام من ايديهم، وتخرج الامور من دائرة قانون المؤسسات القمعية وضبطها، وتستمر في الغليان. ولا يستطيعون بعد هذا، او ليس بمقدورهم الصمود أمام زخم المشاكل وازمات الحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتزلزلة. هذا بالنسبة الى اصحاب السلطة والنفوذ من جهة، وأما من الجهة الاخرى، فان الجماهير الكادحة تصل الى الحد الذي لا ترضى فيه بعد ذلك بالنظام القائم والحياة الذليلة التي تعيش في ظلها، وبهذا ينفجر الغضب المحبوس في اعماقها، وتنتفض ضد الوضع القائم. فحينما لا يرضى المرؤوس برئيسه، ولا يستطيع الرئيس تأمين جانب المرؤوس، نعم عندما تصل الحالة المتأزمة الى هذا الحد، فهي تدل على أن العلامات البارزة الواضحة الكبيرة للشروط الموضوعية لإشعال الثورة قد توفرت واكتملت. اجل: لقد حان وقت التغيير الجذري للمجتمع وللحياة الاجتماعية،

من اجل إبعاد الطبقة القديمة، وتفعيل الطبقة الجديدة واحداث التغيرات الاجتماعية والوطنية والديمقراطية الجذرية.

كلما تم صقل الشروط الذاتية بالشروط الموضوعية للثورة، فانها ستكون اكثر نجاحا في المستقبل، أما في حالة فصل الشروط الذاتية عن الشروط الموضوعية، فان اندلاع اية ثورة مسلحة وانتفاضة، فسيعطي نتيجة كارثية . وقد يصادف احيانا اكتمال الشرط الموضوعي دون الذاتي، لكن وبالرغم من ذلك، تبادر منظمة سياسية، او حركة سياسية ما، وتستغل الشروط الموضوعية بشجاعة وبذكاء، وتتمكن من الناحية السياسية، اسقاط نظام دكتاتوري او طرد المحتل، والاتيان ببديل افضل الى الحكم، ك: كوبا، والجزائر، واليمن، والعراق، ومصر، لكن هذه الانتصارات السياسية والعسكرية، قد تصاب، بعد فترة قصيرة، بازمات اقتصادية واجتماعية عميقة، لافتقارها الى الحزب المجرب والحنكة السياسية القيادية، الا ان كوبا التي تختلف عن هذه الدول لم تدخل ضمن اطار هذا الحكم، وسوف يأتي الحديث عنها لاحقا.

لا يمكن ولادة حزب طليعي، باغناء الشرط الذاتي فقط، ومن غير خلق الشرط الموضوعي، كذلك لا يمكن قيام انتفاضات المدن او اندلاع الثورة الطويلة الالامد وايصالها الى النجاح والانتصار، بدونهما معا. فهذا محال كمشروع ثوري، لانه، وفي كل الاوقات، كانت الانظمة-إن لم يغير انفجار الشرط الموضوعي نظرتهم القاسية- بمقدورها، في الاقل، القضاء على الانتفاضات غير الشاملة في المدن، او على اضرابات العمال هنا وهناك، او على الحركات المسلحة الطويلة الالامد صاحبة المئات واكثر من المسلحين، بل القيام بالهجوم الشرس على اقوى الاحزاب السياسية والحاق الاضرار القاتلة بقياداتهم وقواعدهم، لكن هذه الانظمة انفسها، وإن امتلكت سلطات قوية ومؤسسات قمعية متينة، مع خلو الساحة من الحزب الطليعي العمالي - لن تستطيع، وبكل سهولة، الافلات من تحت تأثير ضغط الازمات العميقة للشرط الموضوعي، شريطة وجود محرك مؤثر فيها، كانتفاضة شعوب ايران الشجاعة، وانتفاضة شعب فلسطين، لان غليان الشرط الموضوعي ثم انفجاره سيهز اركان النظام ومؤسساته الاقتصادية، وينسفها في النهاية، لكنه في

نفس الوقت، يعطل النشاط الحزبي او حركة عشرات من مفارز الانصار. فبدون الشرط الموضوعي لا يستطيعون إلا فرض ضغط على قسم او مؤسسة او مدينة او مصنع أو منطقة، وحل مثل هذه الامور لم ولن يكون صعباً، في اي وقت من الاوقات، على الانظمة الحاكمة.

كثيراً ما تجسدت الشروط الموضوعية والشروط الذاتية بين الدول والشعوب على شاكلة صنع التماثيل، إلا أن القيادة اليمينية للحزب وعن طريق السياسة التوفيقية التي اتبعتها اجهضت العشرات من الفرص التاريخية التي سنحت للعمال والشعوب، وتسببت في تقوية وشراسة اعدائهم اكثر فأكثر، مثل: الانتفاضات التي قامت في العراق، في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، وعدم استغلالهما من قبل الحزب الشيوعي العراقي، كذلك انتفاضات مصر وسوريا والسودان وتركيا وايران في الشرق، وبريطانيا وفرنسا وايطاليا والنمسا واسبانيا في اوربا الغربية.

بعد هذا العرض النظري القصير للشروط الموضوعية والذاتية، نعود الى الحديث عن اسس ثورة الصين وكيفية اندلاعها وانتصارها، لكي نشخص نظرية حرب الانصار في الثورة الطويلة الامد للشعوب المضطهدة المستضعفة ضد الاعداء الاقوياء، حيث اعادت ثورة الصين النشاط الى الارواح المنهكة في اجسام اكثر هذه الشعوب.

خرجت الدول الاستعمارية من الحرب العالمية الاولى منتصرة، لذلك، ولبعد نظرها السياسي (الاسيما بريطانيا وفرنسا)، قامت تلك الدول بذرع وقياس مساحات الاراضي التي احتلتها، ثم وزعتها فيما بينها. لقد حققت ونفذت هذه الدول عن طريق مؤتمراتها واجتماعاتها العلنية والسرية كل ما كانت تريد وترغب، ولم يحصل من شيء إلا ما جاء وفق رغباتها وتطلعاتها وكان اقواها ينهب ما هو اكثر واهم، واطعنها كان ينهب ما هو اقل قدرا وابخس ثمناً. ووصل بها غرورها بعد الحرب، الى الحد الذي ارادت كل دولة من هذه الدول أن تؤسس (عصبة الامم - ١٩١٩م)، وتدار وفق المقياس الذي ترتأيه. لقد بلغت مساحة الاراضي المحتلة التي سيطر عليها الانكليز اكثر من (٣٥) مليون كيلومتر مربع وعدد سكانها (٤٥٠) مليون شخص.

ووقعت تحت سيطرة فرنسا، بعد بريطانيا، أراض واسعة، لكن أمريكا التي كانت أغنى هذه الدول ظلت تمنح قروضا لأنكلترا وفرنسا والدول الرأسمالية الأخرى، فمثلا: كانت أمريكا، قبل الحرب، تمنح هذه الدول، قروضا بلغت (٢٠٠) مليون دولار، وقد ارتفع هذا المبلغ الى (١٤) مليار دولار. يعني ان هذه الدول حاربت باموال أمريكا، وحلت مشاكلها بعد الحرب، بهذه الاموال ايضا. علما أن اميركا حصلت على اراضي اقل من (١٣٥) الى (١٤٠) مرة من بريطانيا، و(٤٥) مرة من فرنسا.

فمادام العالم قد وقع تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا المنتصرتين على ألمانيا، وابتعدت اميركا التي حصلت على اقل مساحة من الاراضي المحتلة، فان المصير السياسي للكثرة الارضية قد وقع حتما بين يدي هاتين الدولتين المسيطرتين، لفترة طويلة من الزمن.

ان الإمبريالية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتأسيس عصبة الأمم، قد شرعت تحكم العالم، وتطبق بدايات التجربة السياسية-العسكرية-الاقتصادية العالمية وفق الانطلاقة الجديدة. لكنها إذا ما قورنت بما هو حاصل الآن، فانها كانت تطبق سياسة متخلفة، غارقة في الرجعية، والوحشية، وضد الإنسان والإنسانية، وانها عملت من اجل تأمين مستلزمات الاسراع في نهب اجرة العمل الرخيص للملايين من مواطني عشرات الدول المستعمرة، وكانوا يقتلون، نتيجة لاقبل المطالب الوطنية والديمقراطية، المئات من المواطنين، ويسجنون الالوف منهم، كما كانوا ينصبون المذابح للعمال بسبب مطالبتهم بزيادة (٥٠) فلسا على الاجرة اليومية، او تقليل ساعات العمل نصف ساعة. لقد كان تأمين النفط والمواد الأولية العائدة للشعوب، من اجل تحقيق الاصلاح الزراعي اكبر جريمة سياسية، لا يمكن غض النظر عنها ابدا، وكانت الشيوعية والحركة الشيوعية تتعرض بسببها لأقصى العقوبات.

كانت الإمبريالية تنظر الى حق تقرير مصير الشعوب من زاوية النظرة العالمية الامبريالية السائدة آنذاك، ولم تكن لترضى بغير العبودية لهذه الشعوب، واذا التفتوا التفاتة (انسانية) الى بعض الشعوب واطانها في يوم

ما، فقبل كل شيء كانت تأخذ مصالحها الامبريالية بنظر الاعتبار، ومن ثم تقرر كيفية منح حقوق تلك الانظمة التي كانت مرتبطة بها ارتباطا وثيقا، ولم تكن تهتم برد فعل الشعوب، سواء السياسية منها ام العسكرية، عند القيام باعمالها السياسية، لأنها تمكنت، اضافة الى ذلك، من القضاء على العديد من الانتفاضات العمالية، وثورات الشعوب. وقد اصابتهم هذه الانتصارات العسكرية بعدوى الإمبريالية.

كانت الصين في تلك الفترة اهم دولة في آسيا، وكان لها تأثير فعال مباشر في مصير الهند الصينية، وشبه القارة الهندية، والعديد من الدول في آسيا، إضافة إلى دول اخرى في العالم، ناهيك عن اراضيها الخصب الواسعة، وحدودها ونضالها المشترك مع روسيا. كل هذه المميزات جعلت منها اولوية وهدفا هاما من أهداف الإمبريالية، لا تقبل بخسارتها أبدا، وقد صاغت ووضعت انواعا من الخطط والبرامج والدسائس لجعلها مركزا كبيرا من مراكز الثورة المضادة. وقد اتخذ حكام اوربا الغربية على مر التاريخ شعبا من الشعوب كاداة لتنفيذ دساتهم، واستعملوا على الدوام الشعوب السلافية لهذا الغرض، وخاصة الروس والشعوب السائرة في ركاب روسيا (القيصرية)، لكن الحال قد تغيرت بعد الفترة التي خسروا فيها روسيا، وافزعوا شعوبا سلافية اخرى، إذ بدأت هذه الشعوب تمارس النضال الثوري التحرري، لاسيما بعد أن يسست من الإمبريالية.

لقد كان الصينيون والهنود افضل شعوب الارض عند الإمبريالية في اختيارهم كأدوات وجعلهم رأس رمح في الثورة المضادة، قبل وبعد الحرب العالمية الاولى، خاصة الصين، حيث اندلعت فيها لهيب حركة وطنية وديمقراطية مؤثرة بقيادة (صن يان صن) وحزب (الكومينتانك). وقد انتصرت عام (١٩٣٤م)، وجعل هذا الانتصار الحركات الوطنية للشعوب المضطهدة، والحركات الاممية اكثر تفاؤلا واملًا. لكن إن كان الامر هكذا: كيف تسمح الإمبريالية، بعد ثورة اكتوبر، ان تنتصر ثورة كهذه لتصبح (اكتوبر) جديدا للشعوب المضطهدة؟! لذلك: وبعد مرور ثلاث سنوات من نجاح الثورة البرجوازية الصينية، قامت الثورة المضادة بانقلاب (كانتون ١٩٣٧م)، وسيطرت على كل ارجاء الصين، واطلقت يد (شان كاي شيك)

او بالاحرى يد حزب (الكومينتانك) لتختطف وتزهق ارواح آلاف الالوف من الثوريين، ولتجعل قتل الشيوعيين وحبسهم هدفا مقدسا له...
إن الانقلاب: طبق سياسة (استعمارية) تقليدية تميزت بأقصى درجات التشدد، وكانت على نقيض سياسة انتصار الثورة البرجوازية في الدول الرأسمالية التي كانت ضد الاقطاع، إذ عملت على ترسيخ دعائم الطبقة الاقطاعية في الصين، لان الدول التي اصحت بمرور الزمن دولا إمبريالية، وهيات العالم المستعمر لسيطرتها، تطلبت مصالحها آنذاك، سواء من الناحية الاقتصادية، ام من ناحية قلة التجربة لديها-مساندة الاقطاعية الرجعية ضد البرجوازية التقدمية. فهذه الطبقة كانت ضد حرية الفلاحين، وضد التقدم الصناعي في الدول المحتلة، كذلك كانت مع خرق حقوق الحريات السياسية والقومية.

ففي الصين انتعش الاقطاع والاقطاعية، وتعرض الفلاحون لمضايقة اجتماعية قل نظيرها، وطويت شعارات الحرية والديمقراطية، وفرضت الروح العسكرية والدكتاتورية بدون اقنعة. والتقت الثورة والثورة المضادة وجها لوجه.. وفي مفترق الطرق هذا وقعت قيادة الحزب الشيوعي في امتحان تاريخي صعب وجديد.

ترى: هل تقبل هذه القيادة بالامر الواقع، وبتبرير(الستالينية) و(ستالين) للبقاء داخل (الكومينتانك) من اجل قطع مرحلة البرجوازية بقيادة الطبقة البرجوازية، على انه امر واقعي وصحيح؟! ام تتحمل واجب اكمال اعباء الثورة الديمقراطية على عاتقها، وتتصدى للثورة المضادة؟! اذا ارادت مواصلة الثورة لاتمام اعباء الثورة الديمقراطية، فأى طريق يجب ان تسلك؟ أتكرر تجربة ثورة اكتوبر، وتنشغل بالعمال واحياء المجالس وانتفاضات المدن، ام تفكر في طريق جديد للنضال؟ إن اغلب قيادات الشعوب تقع حسب ظروف بلدانهم المختلفة في اوضاع كهذه، حيث تتطلب دهاء وعبقرية لاصابة الهدف المستقبلي اللازم، لكن التاريخ يقول، ومع الاسف، إن قليلا من اولئك القادة اوصلوا القافلة الى نهاية المطاف، والهدف المطلوب، وأحد اولئك القلائل المتميزين-إن اردنا تقييم احداث هذا العصر بموضوعية-هو القيادة الصينية. ولا نجانب الموضوعية، إن قلنا: ان قيادة الثورة الصينية هي طليعة تلك القلة بين الشعوب المتخلفة المحتلة، ولم

ثورة كوردستان و متغيرات العصر _____

يحصل هذا بتقليد الآخرين، بل بصياغة نهج جديد لثورة جديدة خاصة
بوطنهم، وهي الثورة الطويلة الأمد.

١/٢ - الثورة الصينية

رغم هزيمة ثورة الشعوب، والثورة التحريرية الوطنية الصينية الاولى (١٩٢٤-١٩٢٧ م) والانقلاب الرجعي لـ(شاي كان شيك) ايضا، تمكن الحزب الشيوعي الصيني من ادامة هذه الثورة لأجل تحقيق بقية مهمات الثورة الديمقراطية، عن طريق الثورة الطويلة الأمد، وإزالة الغيوم السود عن سماء مقاومة نضال قارة آسيا، وقد اظهر صمود وانتصارات الثورة المتكررة. أن النهج العسكري الثوري الجديد، لتقرير مصير بعض الشعوب (لا جميعها) في طريقه الى التبليور، ويتجسد هذا النهج في: الثورة الطويلة الأمد لهذه الشعوب. الثورة التي تتلاءم مع الظروف العامة، والخاصة، والاجتماعية والسياسية والجغرافية والعسكرية:

لكي نربط اساس البحث بصورة مبدئية بمضمونه، فمن الضروري أن نجري دراسة حول الصين كمركز رئيسي لقيام الثورة الطويلة الأمد، وبعد ذلك الاتيان بعدد من الامثلة الاخرى، حتى يقارن ويعرف مدى استعداد تلك التجارب الضرورية مع حركة شعبنا، ثم يختار جواب هذا السؤال: يا ترى، هل الثورة الطويلة الأمد... تتغير ام هي غير قابلة للتغيير، أي (ثابتة على نهجها العقائدي المسلح)؟!

لاشك، أن جواب مثل هذا السؤال يكون وفق المنطق الاجتماعي المتناقض، الذي يكون معبرا عن انعكاس المصالح الاجتماعية المتناقضة.. للعمال والبرجوازيين والشرائح الاجتماعية الاخرى !

بعد ثورة اكتوبر، اصبحت الثورة الصينية الطويلة الأمد، والتي انتصرت في النهاية، اكثر الثورات العالمية تأثيرا، وانتهاجا، وقد تناولتها الاقلام بالكتابة، والمخطباء بالحديث اكثر من غيرها في الاقل من الناحية العسكرية والنظرية الثورية، وقد أفادت الشعوب منها كثيرا، والحقت ضربة قاصمة بالاعداء.. وعندما نقول هذا، لا نقصد غض النظر عن الاخطاء النظرية والسياسية والايديولوجية للحزب الشيوعي الصيني، هذه الاخطاء التي توضحت اكثر فاكثرا، لاسيما بعد انتصاره، وبمرور الزمن. ان الذي

نقصه هو: لا يجوز أن نهمل الجوانب المشرقة لهذه الفرص المؤاتية، كما لا يجوز خلط المراحل، ومزج الجيد بالردىء حسب الالهواء.. كلا، لان الخطأ هو خطأ، والصحيح هو صحيح. وهذان القطبان المتناقضان كبقية الظواهر الاجتماعية والطبيعية المتناقضة، يكمل احدهما الآخر، ولا يمكن وزن احدهما بدون الآخر بميزان التاريخ، بمعنى: ان الهدف من البحث هو الجانب العسكري للثورة، وفرضه كقانون ثابت، مثلما هو، من غير اي تغيير، وتطبيقه كقانون لتحرير الشعوب، لا محالة، الى ان يتحرر آخر شعب من الشعوب المضطهدة في العالم.

فهل تتمكن، هذه الثورات في جميع الدول والشعوب المستعمرة والمضطهدة، والاقطاعية وشبه الاقطاعية، أن تنتصر، بسهولة وان تحقق النجاح؟

لنجد اجابة قصيرة على هذه الاسئلة، ولنسبقها بمقدمة تتضمن إيضاحاً نظرياً، كي نحلل الاسئلة على ضوءها.

الثورة الوطنية-الديمقراطية، بشكل عام وموضوعي مثله كمثل الثورة الاجتماعية للعمال، لا يمكن أن تنتصر بدون توفر الشروط الموضوعية والذاتية، فحتى اذا اندلعت، ليس مرة، بل عشرات المرات، وتهيأت لها افضل انواع الاسلحة، وحصلت على نجاحات كبيرة، فانها لن تحقق الانتصار النهائي ابداً.

٢/٢- نوعية الثورة الصينية وكيفية قيامها:

تتصدر الصين دول العالم من حيث عدد سكانها، وتتبوأ المرتبة الثالثة من حيث مساحتها.

وتحت ظل هذه الظروف اندلعت الثورة فيها، إذ بلغ عدد سكانها وقتذاك اكثر من (٤٠٠) مليون نسمة، ورغم ان البلاد كانت مهداً لحضارة قديمة وارضيتها من اخصب الاراضي وذات انتاج وفير، إلا أن النظام الاقطاعي والفكر المذهبي (الكونفوشي) الرجعي، والبطالة، والادمان على المخدرات، وتفشي الدعارة، وتجارة الرقيق، وعشرات من العادات والتقاليد المضرة الاخرى فيها، أدت الى افلاسها واضعافها لمئات من السنين.

ففي الوقت الذي كانت الإمبريالية العالمية، وخاصة اليابان واميركا وبريطانيا، تعد خططها وبرامجها للسيطرة على العالم، كانت الصين تنن تحت وطأة استغلال سياسة الاستعمار القديم الى درجة احنت ظهرها ومنعتها من التقدم والتطور. ففي بلد كبير ومهم بهذا الشكل، لا يمكن مطلقا استمرار الوضع حسب رغبات المستغلين، الى ما لا نهاية، لذلك انفجرت الثورة التحريرية الصينية، ونجحت، ولذلك ايضا رأت الإمبريالية نجاح هذه الثورة التحريرية، وقطعها لمراحلها والوصول الى النهاية-أمرا صعبا، لا يمكن قبوله.

إن نجاح الثورة التحريرية الوطنية الصينية عام (١٩٤٤م)، غير مسار الاحداث الاجتماعية والسياسية في الصين، بشكل نشر الوعي الاجتماعي والسياسي والطبقي والثقافي بين أوساط المجتمع، ودفع الجماهير إلى تحطيم طوق الرجعية والتخلف.

وباختصار شديد يمكن أن نقول أن الثورة الصينية تمكنت من تغيير ما عُرس في العقول والنفوس لمئات السنين، وتبديله في غضون مدة قصيرة. وبهذا تظهر عظمة الثورة. فالثورة-في الحقيقة- هي تغيير المجتمع من الجذور، ومن ثم تكوين المجتمع على قاعدة اقتصادية واجتماعية تقدمية. وقد قيل منذ وقت طويل: إن الثورة تعلم بسرعة عجيبة، ليس فقط القيادة، بل الجماهير ايضا وتحركهم نحو التغييرات.

كانت ثورة الصين ضمن ثورات الشعوب المضطهدة الاكثر جلبا للاهتمام. فقد اهتم الكومنترن(الاممية الثالثة)، بعد لينين، اهتماما ملحوظا بها، وما لفت انتباههم اكثر من أي شيء آخر هو مشكلة الفلاحين، هذه المشكلة التي كانت لب سياسة الشيوعيين في ذلك العصر (وليس هذا العصر).

فنتيجة لسيطرة النظام الإقطاعي، وعدم امتلاك مئات الملايين من الفلاحين للأرضي والمزارع، أصبحت مشكلة الفلاحين جوهر الثورة الديمقراطية القديمة، لأنه لم يكن قد تم حينذاك تنظيم العالم وفق النظام الرأسمالي، ولم يظهر الى الوجود حتى ذاك الوقت السوق المشتركة، ولم تتم السيطرة على البرجوازية الوطنية...الخ، وبسبب كل ذلك كانت مشكلة

الفلاحين، وانتفاضة الفلاحين، وتحريك الفلاحين ضد الاقطاع-خطرا كبيرا على الإمبريالية. فاذا دققنا النظر في كيفية تمكن الاممية الثالثة (الكومنترن)، في مؤتمر أيار (١٩٢٣ م) من جلب انتباه الحزب الشيوعي الصيني، حينذاك نعرف اهمية دور الفلاحين: ان مشكلة الفلاحين، هي مشكلة رئيسية في السياسة كلها.

هذا هو رأي المراكز القيادية العمالية العالمية بالنسبة الى ثورة شعب متخلف ومضطهد. اذن لنقم بغريلة الموضوع وتنقيته، لنعرف، أهو كذلك؟ في تلك الفترة كانت نسبة ٨٠% من الصين والصينيين فلاحين، وكانوا يعانون من ظلم الاقطاع، كما ارتدت الثورة البرجوازية بقيادة البرجوازية الوطنية، وتراجعت عن تحقيق مطالب الفلاحين، وانهار التحالف بين الحزب الشيوعي و(الكومينتاك)، وعطل قانون الاصلاح الزراعي، وتحركت مشاعر السخط وعدم الرضا التي لا حدود لها بين الفلاحين.

صحيح أن الحزب الشيوعي تمكن، في احد الاضرابات، من تحريض (٦٠٠) الف عامل، والحصول على انتصار كبير للاحزاب الشيوعية في البلدان المتخلفة في ذلك الوقت، لكن هذا النصر الطبقي-السياسي لم يغير سير الاحداث في الصين، ولم يضع قانون التطور الاجتماعي في الاتجاه الرأسمالي الكامل، ولم يغير مواقع الطبقات والمواقف الطبقيّة. فعلى سبيل المثال: لم يكن عدد افراد العصابات المسلحة التابعة للاقطاعيين التي كانت تسمى بـ(منتوشان) والتي كانت تمارس النهب والسلب وتظلم الفلاحين، باقل من (٣) ملايين مسلح، بينما كان عدد الجيش الرسمي الصيني (٢) مليونين فقط. أي كان جيش الاقطاع المستغل اقوى من جيش الدولة.

كانت عصابات(منتوشان) غولا يمتص دماء الفلاحين، وكان النظام الانقلابي الرجعي سندا لها. فاذا كان الحال على هذا النمط وجوهراثورة الديمقراطية قد شوه، فان هذا يعني حقا ان مشكلة الفلاحين تصبح المشكلة الرئيسية للثورة الصينية ضد الثورة المضادة المنتصرة، من اجل انجاز مهمات الثورة الديمقراطية.

٣/٢ - الثورة في أي مكان؟

في المدينة أم في الجبل؟ لقد نجح الانقلاب، وهزم إضراب العمال، وتعرض الشوار إلى المطاردة، وكانت ثورة الانتفاضة في المدينة التي جاءت على شاكلة ثورة أكتوبر، تقليدا فاشلا.

لقد رأى (ستالين) أيضا انه من الافضل للحزب الشيوعي الصيني الاستمرار في تحالفه داخل (الكومينتانك)، حتى بعد الانقلاب، وأن يستمر في ذلك، كما قبلت اكثرية قيادة الحزب الشيوعي الصيني، في تلك الظروف، بهذه السياسة أيضا، لكن الجناح اليساري في الحزب لم يقبل بهذه السياسة، وقدم بدلا منه نهجا يساريا شعبيا مسلحا من داخل المدن بل من الارياف بين الفلاحين، لكن هذا التوجه قد رفض في بادئ الامر، بكل قوة، لان زعيم الجناح اليميني للحزب حينذاك (ليتشن تومو) كان يميل إلى المحافظة على صداقة (الكومينتانك) بالمعيار الذي كان ستالين يتبناه، حتى انه خفف من قوة العداء للاقطاع، لكي لا يغضب النظام منه.

وعندما قامت انتفاضة الفلاحين، ثم اخمدت، طردت اللجنة المركزية، على اثرها (ماوتسي تونك) واسقطت عضويته من المكتب السياسي، كما اصدرت بيانا ضده أيضا، وسمت تلك الحركة الفلاحية التي قادها (ماو) بـ(حركة البندقية) لكي يظهر القائلين بها على انهم يساريون بعيدون عن النضال الحقيقي للعمال، إلا أن (ماو) ورفاقه اليساريين شكلوا، من جديد، جيشهم، ونظموه، وقادوها الى الجبال، وصاروا وسط الفلاحين، ووقفوا ضد الاقطاع، ونظموا، وسلحوا الآلاف، في الحزب والجمعيات التعاونية والجيش الاحمر متخذين حرب العصابات نهجا عسكريا استراتيجيا لهم.

وبهذا الشكل اندلعت الثورة الطويلة الامد، رغم المعارضة الشديدة لأكثرية قيادة الحزب، وعداء (ستالين) لها، وعزل (ماو) من قيادة الحزب. وقد أصبحت القرى والفلاحون والجبال، هي القاعدة والبودقة للثورة، لا المصانع والمدن، رغم تمتع حركة العمال والحزب الشيوعي، بمساندة وتأييد (الاممية العالمية) والعديد من وسائل الدعم الاخرى... لماذا حصل هذا؟ لأن: - للصين ظروفها الخاصة بها، ولا يمكن أن تصبح اسيرة للقوانين العامة والجمادة.

- الحركة الفلاحية كانت قوية وتحركت ضد الاقطاعيين.
- الثورة المضادة والامكانيات العسكرية والامنسية للحكومة الرجعية، كان باستطاعتها الحاق الهزيمة بانتفاضات المدن.
- الثورة الزراعية عطلت.
- الحزب الشيوعي كان بمقدوره قيادة الجماهير.
- الصين بلاد واسعة مترامية الاطراف، ولم تتطور بشكل متجانس.
- الإمبريالية، علاوة على هزيمتها في روسيا، اصيبت بضائقة اقتصادية وسياسية عميقة ايضا.
- الصين اصبحت صاحبة تجربة تاريخية نضالية مسلحة كبيرة خارج المدن.
- واخيرا كان لها عدو قوي، وفيها اقطاع مقتدر، وفلاحون ضعفاء مضطهدون.

تلك هي مميزات الثورة الصينية الطويلة الأمد وخصوصيتها، التي جعلوا منها قوة، تستطيع انتهاز فرصة تاريخية، ليقود الحزب الشيوعي اكثر الثورات الطويلة الأمد نجاحا، كشكل من اشكال نضال الشعوب المستضعفة المضطهدة ضد اعداء اقوياء مستغلين، ويحقق لها النصر والنجاح. فكل واحدة من هذه النقاط ضلع مهم من الاضلاع المكونة لإطار الثورة وهي فيما بينها بصورة عامة على وئام وخصام، واتفاق وعداء، كما فيهما الجيد والردىء، نصفها يستفيد منه العدو، والنصف الآخر يفيد الثورة، وبها جميعا تكونت الاوضاع الاجتماعية والسياسية والعسكرية والملاح الاقليمية الصينية. لقد نظرت القيادة الشجاعة للثورة الصينية بدقة وعلى مهل في اسس كيفية قيام الثورة، ولم تكن منعزلة او سريعة الاعتقاد والتصديق، ولم تقلد أي طرف، ولم تر فقط الجانب الجيد او الجانب الردىء، كما حددت معالم المستقبل، وقيمت بشكل منظم كل النواحي الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وبعد دراسة كل هذه الحقائق اصدرت قرار قيام الثورة الطويلة الأمد كأول تجربة ثورية جديدة: ولم تبادر الى اشعال هذه الثورة كيفما اتفق، بدون تخطيط، وباستعجال، اعتمادا على الحظ والرغبة، من اجل الشهرة، او اخفاء لعقد الذنب القديمة، او إفراغا لكراهية قديمة، او تعويضاً عن انحراف وتراجع في الماضي، او طمعا في اتفاق سياسي وانقلاب عسكري. ليس هذا ابدا، انما قاموا بالثورة، لأنهم كانوا ضد

الاقطاع، ومزيدين للفلاحين الفقراء، اعطوهم الارض، وساعدوهم، واسسوا لهم جمعيات تعاونية، وبنوا لهم مئات المستشفيات والمدارس والانفاق، وآلاف الملاجئ والاعمال الاجتماعية الجيدة. كما منعوا تدخين الافيون، ومنعوا الضرب والظلم والاضطهاد، واعتبروا السلوك السيء جرماً، وقضوا على عمليات السلب والنهب وقطاع الطرق، ونزعوا السلاح من الاقطاعيين ومسلحيهم، ونظفوه، وبذلوا جهوداً لتغييرهم وتربيتهم من جديد. ولم يقتلوا الاسرى، ليس هذا فقط، بل ربوهم تربية جديدة صحيحة، واحياناً جندوا الآلاف منهم كفدائيين. واعتبروا السرقة جريمة كبيرة، اضافة الى انهم منعوا الكوادر السياسية والعسكرية من السرقة، او أن تصبح السرقة مهنة لهم، بل طهروا مناطق الفلاحين من مئات اللصوص وقطاع الطرق الكبار والمشهورين الذين كانوا اصحاب الآلاف من المسلحين، واخضعوا بعضهم لتربية جديدة، وتمكنوا من تغيير تربيتهم وافكارهم، وكان فيهم من اصبح قائداً عسكرياً مشهوراً في الثورة، ومحبوباً من قبل الجماهير وقوات الانصار.

٤/٢ - أسير.. جبهة

وضعت القيادة مصير الثورة والصين فوق كل مصلحة اخرى، لذلك، ورغم اكثر من عشر سنوات من الحرب الداخلية، ورغم مقتل الآلاف من الشيوعيين ونكبات لاحدود لها، الا أنها كانت سباقة في اقتناص الفرص لقيام (جبهة وطنية متحدة) ضد العدو الرئيسي (اليابان)، اذ سارع الحزب الشيوعي الى رفع شعار الاتحاد مع (الكومينتانك) للوقوف معاً ضد المحتلين الاجانب، ولم يستغل الحزب الشيوعي عداء اليابان للكومينتانك، من اجل تعميق الحرب الداخلية. نعم، لم يستغل هذه الفرصة للثأر والانتقام من الكومينتانك العدو اللدود للشيوعية والشيوعيين، ليس هذا فقط، بل على العكس من ذلك، فمنذ دخول اليابان الاراضي الصينية باذر الحزب الشيوعي الى رفع شعار الاتحاد مع (الكومينتانك) على الفور، رغم القوة التي كان الحزب الشيوعي الصيني يتمتع بها ومكانته، وتمرسه على التجارب، الا ان ذلك لم يعرفه عن النهج الوطني الرئيسي الذي يتطلب هذا الموقف. فحينما عبأت اليابان جيشها للهجوم على الصين، تفجر صراع

عميق داخل الجيش الصيني الرسمي، حول اتخاذ موقف صحيح ضد اليابان، فكل مؤيدي (شان كاي شك)، كانوا يرون ان هزيمة الثورة الداخلية، من الناحية العسكرية اهم من أي شيء آخر، وأرادوا حل الموضوع ورفع شكوى إلى (عصبة الأمم) عن طريق الدبلوماسية ضد الهجوم الياباني على الصين. وفي النهاية، انفجر الصراع، وتمكنت فرقة وطنية من اسر(شان كاي شك) في مدينة من المدن الصينية، وكانت لهذه الفرقة علاقة سرية مع الثورة المسلحة. لقد تم اللقاء القبض على ألد اعداء الثورة، وبهذا سنحت فرصة كبيرة للشيوعيين للانتقام والثأر، ووقعت قيادة الحزب الشيوعي أمام امتحان تاريخي: فإما الدفاع عن الوطن، أو الانتقام من انقلابي رجعي؟ ان الفرصة التاريخية هذه نادرة في التاريخ، تقرر مدى قدرة القادة على تأمين تقرير مصير الشعوب.

إن طرد اليابان وتحرير الوطن، والقضاء على عدو عنيد، يضع الموقف الثوري، والشعور الانتقامي والحقد والكراهية على المحك. يقينا، إن الناس الحقودين والميالين إلى الانتقام وغير المروضين بالفكر المدني (وهي جميعها سلوك الطبقات المستغلة)- يضعون حقدهم وانتقامهم فوق مصالح الوطن والشعب والافكار، وعلى النقيض من ذلك، فان الثوريين، لا يجعلون صومعة الانتقام من اجل النصر، مكانا لعبادة الذات و صب الاحقاد.

ومن أجل هذا: لم يعتبر الحزب الشيوعي الصيني إلقاء القبض على (شان كاي شك) فرصة للانتقام من قاتل الآلاف من الشيوعيين، بل اعتبره فرصة نادرة للمصالحة العامة للقوى الثورية والوطنية ضد اليابان، كعدو رئيسي. ففي هذه الاوضاع المصرية، ومن اجل القضاء على الحرب الداخلية لم يلق الحزب الشيوعي الصيني القبض على (شان كاي شك) ليعذبه ويحطم نفسيته، ويشهر به، بل احترامه، وبذل جهودا للاتفاق معه بسرعة.

لنلاحظ، كيف ذهب الزعيم الثاني للحزب الشيوعي وللثورة (شوان لاي) الى ملاقاته عدوهم العنيد السجين: بعد فترة قصيرة من وصول الوفد الشيوعي، ذهب رئيسه (شوان لاي) للقاء (شان كاي شك) الذي ارتبك كليا لهذه المقابلة، خصوصا انه كان يعاني قليلا من اعتلال صحته، وسوء حالته النفسية نتيجة للحدث، حيث تغيرت ملامح وجهه اثناء المقابلة،

واصفر لونه، لأن (شوان لاي) كان مبعوثا سياسيا سابقا عنده. كما ان (شان كاي شك) قد خصص عام (١٩٢٧م) جائزة مالية مقدارها (٨٠) الف دولار لمن يقتل (شوان لاي)، لكن (شوان لاي) دخل الى الغرفة التي كان (شان كاي شك) معتقلا فيها، وحياه تحية اخوية^١ ترى ما هو السر في هذا السلوك وهذا النوع من المواقف؟ أو مثل هذا الحدث التاريخي هل يحصل، من تلقاء نفسه، ومن غير اسس طبقية وثورية واخلاقية عالية، أم لا؟

الجواب هو أنه: في ذلك العصر، حيث الثوريون متأكدون من مستقبل سياساتهم، وتقييمهم الاحداث بموضوعية، كانوا، عندما يلقون القبض على عدو برجوازي من ألد اعدائهم، يتصرفون معه بهذه الصورة الاخلاقية الرائعة، من اجل المصلحة العليا للوطن. أما البرجوازيون الخاقدون المتذبذبون فهم على النقيض من هذا-بالضبط-لأنهم بلا مستقبل سياسي واجتماعي، لهذا، عندما يلقون القبض على احد الثوار حتى، وان لم يقتل احدا منهم، وسعى يوما الى كسب صداقتهم-يعذبونه، ويتصرفون معه تصرفات جبانة ليخفوا جنبهم الحقيقي، ويحاولون التخلص من خطره تماما. وإستنادا إلى هذه الحقائق السياسية والايولوجية:

- فلو لم يقدر ذلك الحزب الثورة الصينية الطويلة الأمد، ولم يتصرف قائده وقيادته بهذا الشكل، لم يكن بالمستطاع-قط- نجاح التجربة الاولى للثورة الطويلة الأمد.

وفي الحقيقة، لو لم تكن قيادة الثورة ضد الاقطاع، والى جانب الفلاحين، ولم تمنحهم الارض، وتؤسس لهم (١٤٣٣) جمعية تعاونية، لما وصل عدد الانصار المنتمين الى هذه الثورة من المئات الى عدة ملايين.

- ولو لم تكن البلاد مترامية الاطراف، رحبة واسعة متعددة الألوان والاجناس، وطبيعة ارضها ملائمة للثورة الطويلة الأمد، لكانت الثورة

- انظر: ادغار سنو، النجم الاحمر فوق الصين، الراحل الاول في تاريخ الثورة الصينية ترجمة كمال ابو الحسن، وكمال ابو العز، ص ٤٦٧.

غير قادرة قط على الصمود امام الهجمات التي كانت تشن عليها باكبر القوات، ومن ثم مقاومتها والانتصار عليها. فمثلا: بعد اربع حملات ذات التعداد المليونى، لم تصمد الثورة أمام الحملة الخامسة، وقررت القيام بـ(المسيرة الكبرى) وتمكنت بنجاح قطع (٦) آلاف ميل في اصعب عملية انسحابية في تاريخ الثورات قاطبة، استغرقت (٢٣٨) يوما، كانوا يواجهون فيها المعارك فيها يوميا. إذ وقعت في (١٥) يوما منها معارك عنيفة جدا ولم يتح في هذه الايام وقت للاستراحة الا قليلا، وقد تسلقوا أثناءها (٢٨) سلسلة جبلية صعبة، خمس منها تغطيتها الثلوج في الفصول الاربعة، واعترضت مسيرتهم العديد من الانهار، واجتازوا حدود (١٣) ولاية ومع هذا تمكنوا من تحرير (٦٢) مدينة، واخترقوا صفوف عشرة افواج كبيرة للمرتزقة، إن هذا العمل التاريخي لهذه الثورة التي كانت تملك، في بداية انسحابها، مئات الآلاف من قوات الأنصار المحملين بأنواع مختلفة من الاعتدة والاسلحة والمؤن الثقيلة، لو شوهد في فلم سينمائي من الممكن أن يعتبر فيلما سينمائيا ليس الا. لكن الاعمال البطولية الملحمية في ظل قيادة ثورية، وداخل حركة ثورية، لحركة ثورية كبيرة، وعلى ارض فسيحة واسعة كالصين ليس غريبا، بل لاشك انه يحقق النصر حتما. فمثلا: لو لم تكن مساحة الصين (٩٧٨٠٠٠٠) تسعة ملايين وسبعمائة وثمانين الف كيلومتر مربع، بل حتى لو كان نصف هذه المساحة، لكان نجاح الانسحاب حلما مستحيلا، ولو لم يصل الانسحاب الى نهايته المطلوبة، لتعرضت الثورة الى الهزيمة قطعا.

إن جميع تلك الحقائق، هي ركائز أساسية للثورة الصينية الطويلة الأمد المنتصرة التي اصبحت مكانا وملهما للشعوب التواقفة إلى الحرية والاستقلال. يبدو انه، اضافة الى هذه الاسس التي حددتها علميا قيادتهم، وصاغت النظرية الثورية على اساسها- من غير الجائز تناسي العامل الخارجي الذي كان له دور مؤثر في النصر، لا سيما وقبل كل شيء مساعدة

السوفيت التي استمرت طوال استمرار الثورة. فبالرغم من اختلاف موقف (ستالين) حول الثورة والمواقف الستالينية التي كانت تطبق آنذاك بصورة عشوائية-استمرت تلك المساعدة. فبحكم النجاح والتقدم الموضوعيين للثورة التي فرضت نفسها على الرأي العام العالمي، نالت المساندة الايمية ايضا، كما ساعدت الظروف الأيمية اثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية، لا سيما تحالف اليابان مع النازية والفاشية في تلك الفترة- الثورة الصينية سياسيا وعسكريا بشكل واسع، حيث كانت تستطيع تلقي المساعدة، من كل الاطراف والجبهات، حتى من الدول الامبريالية ايضا، من غير تردد أو خوف من لصق تهمة الارتباط بالامبريالية بها.

٥/٢- العودة الى الماضي

في صياغته لنظرية الثورة الطويلة الأمد، وحرب العصابات استفاد (ماو تسي تونگ) استفادة كبيرة من المصادر الحربية الكلاسيكية، خاصة من تراث الصين نفسها التي كانت بلادا زاخرة بالتجارب العسكرية القديمة، إذ كتب لأول مرة في التاريخ اقدم مصدر للحرب والنزال من قبل المفكر العسكري الصيني المعروف (سن تزو) باسم (فن الحرب). ان اهمية هذا الكتاب، اضافة الى كونه اول كتاب عن الحرب، تكمن في أنه بحث في علم الحرب، وصاغ برنامجا عسكريا للحرب* - كما أنه من ناحية النهج الاجتماعي كان كتابا ساميا ومباركا عند الناس في حينه. لقد ألف (سن تزو) هذا الكتاب، في عصر الشقاء والعبودية ذاك، عصر امتصاص دماء العبيد والفلاحين، في عصر القتل، لكنه لم يؤلفه وفق هوى النهج العسكري السائد آنذاك، كما لم يجعل من تصرفات القادة العسكريين في تلك الفترة اساسا لنظريته، بل:

* قبل قرنين ونصف برز عبقرى صيني، وكتب عن الحرب وقواعد الحرب، لكنه لم يظهر في هذا العصر كاتب واحد في الشؤون العسكرية بين الكورد، او الشعوب المظلومة الاخرى، رغم قيام عدة ثورات في اوطانها. المؤلف

ارشد المقاتل والقائد العسكري الى عدم الفصل بين الحرب والقتال، والهجوم والضرب، وبين حب الانسان والانسانية والعدالة والمطالب الشرعية. شجعهم على: ألا يكونوا شرسين، ولا يقتلوا الابرياء، وان يتصرفوا مع الاسرى بشجاعة وخلق.

فقبل (٢٤) قرنا، أي (٢٤٠٠) سنة، صاغ مفكر عظيم هذه المعاني السامية، فكم هذا رائع وعظيم! وكم هو سام وشريف! لقد أفاد ماو بالاضافة الى تلك الحقائق والمثل السامية، من آلاف الحوادث، والوقائع القديمة والمنصرمة، ومزجها مع مقالاته واقواله. وربطها مع البعض، وصقلها في بوتقة ضرورات العصر، ونتيجة لحاصل ضرب كل تلك الحقائق التاريخية والحكم والوقائع الماضية الثمينة، اعطى (ماو) بمهارة المجال لنمو حرب الانصار ونشرها، وجعلها نظرية مستقلة للثورة الطويلة الأمد، وأداة فعالة بيد الشعوب المضطهدة المنهكة الضعيفة لتستعملها ضد اعداء منتخبين اقوياء، بشرط أن تنسجم النظرية مع الشروط العامة والخاصة.

إن نهج الثورة الطويلة الأمد هذا، وإن لم يصبح قانونا عاما لنضال الشعوب، فقد طبق جنبا إلى جنب الحزب الطليعي والجبهة الوطنية، كالقانون، كما التزم به العديد من الشعوب المضطهدة الاخرى في العالم، وقد أنتصر بعضها، وانخرق معظمها.^٥

إن الشعوب التي استطاعت أن تصل إلى اكتشاف القوانين العامة والخاصة للتطور الاجتماعي وللحرية والتحرر، ومزجت فرصة توفر الشرط الموضوعي مع الشرط الذاتي والخاص هي التي انتصرت، منها: شعب قويتنام، والجزائر، وكوبا، ولاوس وكمبوديا، واوغندا، كما سار العديد من الشعوب الاخرى على طريق الثورة الطويلة الأمد، وقدمت ضحايا كثيرة، وأبدت شجاعة جيدة ايضا، لكنها هزمت، مثل: اليونان، وإسبانيا، وماليزيا، وبوليفيا، والأرجنتين، وكولومبيا، وبيرو، والبرازيل... الخ.

[من الشائع الى الآن، أن معظم الثورات المسلحة قد انتصرت، لكن العكس هو الصحيح، فمعظمها هزمت. في نهاية الكتاب سنثبت هذه الحقيقة في الملاحق السبعة] المؤلف.

فهناك العديد من الشعوب تنتهج طريق الثورة الطويلة الأمد ايضا والى يومنا هذا، وماضية في سيرها، مثل: شعب كوردستان، وفلسطين، والتاميل، وبورما، وبيرو، والسلفادور . وفي هذه السنة، بالتحديد، انتهت الحرب الداخلية الأوغندية، حيث تمكن شعبها من دحر العدو، وكان انتصار جبهة (سانديستا) مدويا. فبلا شك، إن كان النهج الثوري للثورة الطويلة الأمد قد نجح في اول هجمة له، وبعدها وصل الى اهدافه في العديد من الدول الاخرى، فسوف ينتظر منه بالتحديد أن يستمر تأثيره، قليلا او كثيرا، الى اليوم، وأن يكون له تابعون وفدائيون. وأن تجرى عليه مناقشات ومجادلات، ويدخل ضمن الاحاديث والمواضيع الخطيرة.

فليست هذه الحالة ظاهرة شاذة، فإلى الآن تناقش بحماسة الظواهر الثانوية والفلسفية غير الاصلية التي تزيد اضرار بعضها عن فوائدها، إذن كيف لا تناقش هذه النظرية العسكرية الثورية، في الوقت الذي مازالت تنتهج كطريق للخلاص والحرية، في الوقت الذي مازالت عشرات الشعوب مضطهدة الى الآن، تجرمن قبل قادة واحزاب على انتهاجها والسير على هديها؟ لكن، ترى الى اين وصلت نتائجها؟!

إن معرفة هذا مهم جدا، نأمل أن نكون قد سلطنا الضوء في هذا البحث، على جواب هذا السؤال.

() () ()

الفصل الثالث

٣- المناهج المختلفة في حرب الانصار

ما وضحناه فيما سبق، كان ملخصا لمفهوم حرب الانصار والثورة الطويلة الأمد لبلاد الصين، التي تم تقليدها، بشكل عام، في بلدان اخرى. واعتمد نهجها العسكري كطريق للنصر والخلاص، ليس هذا فقط، بل وطور ايضا، لاسيما في كوريا وقيتنام. ففي قيتنام دامت الثورة اكثر من (٣٠) عاما، وفي كوريا اكثر من (٢٠) عاما.

هذه البلدان بدأت بحرب عصابات في حدود معينة بادئ الامر، ثم طورتها الى حرب انصار، ولكن على مساحة اوسع، وهكذا الى حرب متحركة، فحرب دفاعية استراتيجية، ومن ثم الى حرب متكافئة استراتيجية، وفي المرحلة الاخيرة الى الحرب الهجومية الاستراتيجية التي حوصرت فيها المدن والعواصم، وحطمت آخر مقاومة للعدو، ورفعت عن طريقها رايات النصر في ربوع تلك البلدان.

لقد توضح مما سبق ان الشروط الموضوعية والشروط الذاتية، في تلك البلدان كانت مهيئة لاشعال فتيل الثورة، وكلما كان الأمر يتطلب تشكيل جبهة وطنية، واشكالا مختلفة اخرى من النضال. كانوا يبادرون إلى انجاز العمل المطلوب. فهذه الأعمال الضرورية داخل الحركة الفلاحية والجماهيرية الواسعة ضد المستبدين الجائرين، قد تم العمل من أجلها وانجازها حتى نجحت وانتصرت، ولم يتحقق هذا النصر إلا بالساندة الاستراتيجية والعالمية غير المحدودة والظروف الدولية المواتية، ومع جميع تلك الحقائق المصرية، فان زمن انتصار ثورة أي بلد من تلك البلدان اصحاب تجربة الثورة الطويلة الأمد- لم يقل عن (٢٠) عاما إضافة إلى التضحية بمئات الالوف من الشهداء، وتدمير الآلاف من المدن والقصبات والقرى والمؤسسات

الاقتصادية. (سنأتي بعد ذلك الى مدى الدعم، وقوة الاعداء)، هكذا إذن كانت حال هؤلاء، لكن تجربتهم لم تكن هي الوحيدة في الساحة آنذاك، بل كانت هناك ثورات أخرى إندلعت في بلدان عديدة غيرها وبطرق مختلفة أخرى، وأنتصرت، لذلك فهي تشكل لذاتها أساسا لبحث ساخن آخر، إذ هناك رأي يفيد بأن هذه الثورات قد خرجت من إطار قانون ثورات الصين وقويتنام ومثيلتهما، وأصبحت تعرف في العالم، على انها ثورات مناهج مستقلة، وسمات خاصة.

أما كيف يكون هذا، وكيف لا يكون؟ فمن الضروري أن نقيم لهذه الأمور مرصدا.

١/٣ - أولا: كوبا

قبل (٥٠٧) سنوات، وبالتحديد في (٢٨/أكتوبر/١٤٩٢م) إصطدم بجذاف سفينة كريستوف كولومبس بجرف جزيرة كوبا، وبذلك اصبحت كوبا اسما لاحدى دول امريكا الوسطى.

ومنذ اكتشافها، الى عام (١٨٩٩م)، بقيت محتلة من قبل الاسبان، وخاضعة لهم إلا عاما واحدا هو (١٧٦٢-١٧٦٣م) حيث خضعت لحكم الانكليز. وبذلك ظلت محتلة من قبل الاسبان لمدة (٤٠٧) سنوات عجاف، وبعدها انزلت الولايات المتحدة الامريكية قواتها فيها، وظلت خاضعة لها بصورة مباشرة او غير مباشرة، عن طريق مرتزقتها.

إن الاحتلال والاضطهاد القومي الطويل الامد دفع الكوبيين الى النضال منذ عام (١٨٦٨م) ولمدة (١٠) سنوات. في غضون السنوات العشر تلك، قامت انتفاضة دموية، قتل فيها (٨٠) الف اسباني، و(٤٠٠) الف كوبي. وفي عام (١٨٩٥م)، انتفض الكوبيون من جديد، لكنهم هزموا ايضا وبعد (٣٠) سنة من هذه الانتفاضة الفاشلة، تمكنوا بمساعدة مباشرة من امريكا من طرد الاسبان، لكنهم ظلوا في خصام وعدم وفاق مع الامريكان وباستمرار، لأن الاحتلال الامريكي كان اكثر وطأة وشدة، وفي النهاية وقعت كوبا، منذ سنة (١٩٣٣م) تحت هيمنة الدكتاتور

(باتيستا)، حيث استمرت طيلة سنوات حكم هذا الدكتاتور الاضرابات والانتفاضات، وكان اهم الاحداث السياسية التي وضعت دكتاتورية (باتيستا) على المحك، عملية انتخابات عام (١٩٥٢م)، التي رشح فيها (٣) اشخاص انفسهم لرئاسة البلاد، وحاز باتيستا المرتبة الثالثة من حيث عدد الاصوات التي حصل عليها، ولكنه، كعادة الدكتاتوريين في هذه المسائل، لم يعترف بخسارته، واستولى على اكبر قاعدة عسكرية في (هاقانا) العاصمة، وابطل عبر انقلاب عسكري نتائج الانتخابات، وفرض نفسه رئيساً للبلاد.

كان (كاسترو) في ذلك الوقت محامياً، يبلغ من العمر (٢٥) عاماً، وقد طالب، في أحد ملتقيات (هاقانا) الاعتيادية، بانزال العقوبة المناسبة بـ(باتيستا)، لأنه: خرق الفقرة السادسة من قانون الحماية الاجتماعية لبلاده، بقيامه بذلك الانقلاب. وقد قال في جانب من حديثه: منطق الاحداث يقول، لو كانت، في كوبا، محاكم ومحجون للعدالة، لعاقبت (باتيستا). وإن لم يعاقب (باتيستا)، وبقي كذلك مستمرا في عمله حيث هو الأمر والنهي في البلاد، ورئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، وقائد القوات، ورئيس الاركاب للقوات المسلحة، ورئيس المؤسسات المهمة الاخرى في الدولة، وصاحب السلطات التنفيذية والتشريعية، ومالك ارواح وممتلكات شعب كوبا، أي صاحب كل شيء. في حالة كهذه لا يبقى أي وجود للمحاكم ولا للعدالة في كوبا، بل ستزول هذه المحاكم، ولا يظل للعدل والانصاف أي اثر.^(١)

لاشك، أن اقوالا نارية كهذه، وفي اشد ظروف كوبا تعقيدا وتشابكا، ستجعل صاحبها في المستقبل صاحب ثورة، وكان كذلك فعلا. بعد ذلك الملتقى الشهير، تألق نجم كاسترو، وتعرضت كوبا، باستمرار، لأزمات اقتصادية واجتماعية، سياسية وعسكرية اكثر، وبدأت الاحزاب السياسية جميعها تخوض النضال، كل حسب منظوره الطبقي، وكان الحزب الشيوعي الكوبي اكثر الاحزاب الشيوعية في امريكا اللاتينية قوة وتأثيرا، حيث كان

انظر: مسائل نيمكر غربي، كوبا: كاسترو و انقلاب منوجهر كمالی طه - مؤسسة انتشارات أميرکبير، تهران ١٣٦٦...، ص ٣٢٨-٣٢٩.

اول حزب تمكن من المشاركة في مجلس وزراء وطني، تشكل في عام (١٩٢٥م)، لكن هذا الحزب ايضا مثل الاحزاب الـ(ريفيثيزميه-التعديلية)* الاخرى في العالم-اصيب بداء الخوف من الثورة! في عام (١٩٣٤م)، اسقط نظام (ماكادو) الدكتاتوري عن طريق انتفاضة مسلحة شاملة، لكن الحزب الشيوعي الكوبي تهرب من تحمل أي مسؤولية، بدعوى الخوف من تدخل الامبريالية في الشؤون الداخلية لكوبا، ليس هذا فقط، بل طالب العمال بالتخلي عن الانتفاضة ايضا. هذه السياسة اليمينية الموجهة للحزب المذكور استمرت لفترة طويلة، وحاول عن طريق الاصلاح والبرلمان تطوير البلاد والتقليل من آلام الشعب السياسية، وما لم يفكر فيه قط كان الواجب الاساسي الملقى على كاهله، وهو: اسقاط الحكومة المستبدة وازالتها عن طريق الثورة.

وجد الشعب في هذا البلد ان طريقه الثوري هي في عكس اتجاه طريق (الريفيثيزميه)، ولم يكن باستطاعة شعب، كان مجموع دخل الفرد السنوي فيه (٣١٢) دولارا، في الوقت الذي كان دخل الفرد في الدولة التي احتلت ارضه، والتي تبعد عنه (١١٢) ميلا-يبلغ (٢٢٢٩) دولارا سنويا، أي ما يقارب سبعة اضعاف-لم يكن باستطاعة شعب جائع كهذا، وامام محتل مصاص للدماء كهذا، ألا يفكر في الثورة، وألا يضرب عن العمل، وألا ينتفض، ويشور، املا في البرلمان، والشعارات الـ(ريفيثيزميه) الخداعة، وابعاد التدخل الامريكي في شؤون وطنهم.

* (التعديلية والتعديليون – Revisionism and Revisioniss)

الريفيثيزميه: أي التعديلية، مصطلح سياسي يطلق على عملية إعادة النظر في مقولات واستنتاجات كارل ماركس وأفكاره. و ادخال بعض التعديلات عليها دون الخروج عن الاطار العام للنظرية الماركسية.
الريفيثيزميون: هم المفكرون والسياسيون الاشتراكيون و مؤيدوهم الذين قاموا بعملية إعادة النظر في التراث الفكري السياسي والاقتصادي الذي خلفه ماركس، وادخال التعديلات عليه دون التمرد على الخط الاشتراكي العام أو الاطار الماركسي في النظرية والتطبيق، و قد يطلق عليهم (التحريفيون) ولاسيما من قبل المتمسكين بالاصول، أي (التقليديون) ومن التعديلين: برنشتاين، كارتسكي، روزالوكسمبورغ، بوخارين.. (المترجم).

٢/٣ - ثورة بلا طليعة

قيل: ان الحزب الشيوعي كان اقوى حزب في كوبا، وما الفائدة اذا كان هذا الحزب يهاب من الثورة! فبدلاً من تشجيع الجماهير وتهيئة الارضية المناسبة لها، فعل العكس. فحينما بدأت الجماهير باتخاذ مواقف ثورية، سارع هو الى تهدئة الوضع وتشبيط همم الجماهير، وبمعنى آخر: تهيأ الشرط الموضوعي للثورة والتغيير في كوبا، لكن عدم توفر الشرط الذاتي اجهضه، فلو كانت الامور تجري وفق القانون العام والموضوعي، لكان من المحتم الا تقوم الثورة أبداً في كوبا، لكن، ظهر أن الواقع ليس كذلك!

صحيح انه لم يكن في كوبا حزب طليعي، وانه لم تكن قيادة النضال بيد الحزب، كذلك لم تكن كوبا بلادا واسعة كبيرة وصاحبة شعب كثير العدد مثل الصين، وان لها حدودا بحرية مع امريكا التي هي زعيمة الامبريالية. كل هذا صحيح، لكن مقابل تلك الحقائق، كانت لكوبا ظروفها الثورية المحركة الخاصة بها، والتي تختلف عن الظروف الثورية المحركة في الصين وقيتنا وكوريا، والتي تتجسد في:

- غليان وغضب جماهير المدن ضد نظام باتيستا المكروه.
- معاناة الفلاحين تحت وطأة اشد انواع الاستغلال في المزارع الكبيرة للنظام، حيث كانت مزرعة قصب السكر تشكل الجزء المهم الاكبر من اقتصاد كوبا.
- معارضة جميع الاحزاب والاطراف السياسية والمهنية، والنقابات والجمعيات الثقافية، للنظام.
- ضعف النظام من الناحية العسكرية، بالرغم من انه كان نظاما دكتاتوريا.
- شعب كوبا كان صاحب تجربة نضالية تاريخية، تميزت بالروح الثورية الحية النشيطة.

كل هذه العناصر، وعناصر اخرى، هي التي ادارت عجلة الحركة الثورية وجعلت كوبا قاعدة الثورة في امريكا الوسطى، فلذلك: من الخطأ القتال أن

يظن أن نظام (باتيستا) المدعوم من امريكا سقط من تلقاء نفسه، او تم ذلك فقط من جراء تشكيل قوات الانصار. ان تحليلا كهذا هو تحليل خاطئ، ويوقع الناس في خطأ نظري كبير، لأن رأيا كهذا ليس له اساس علمي، وكثيرا ما اصبح سببا لهزيمة الكثير من الاطراف اليسارية والحركات المسلحة في العديد من المناطق.

ان الثورة المسلحة، ليست مشروعا منفصلا عن بقية الظواهر والوقائع الاخرى، بل انها مشدودة شدا محكما بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والنابعة من هذه الظواهر وبسببها، تنجح او تفشل.

هناك، من يظن ان (النصير) و(حرب الانصار) هما (كالسويرومان والسويرومانيه)، كما يظنون ايضا أن: البندقية والراية الحمراء والنجمة، هي التي تحقق النصر والنجاح في نهاية الامر. ومثل هذه الآراء تنشر من قبل المنظرين والكتاب، من ذوي الميول اليسارية، بين الشباب اليساريين وذوي الإتجاهات اليسارية، ولاسيما مقولات (روجيه دوبريه) غير المثمرة، والى حد ما (جيفارا) ايضا، والتي عرفت باسم (البؤرة الثورية) في العالم. كما كتب الكاتب الفلسطيني (منير شفيق) المعروف في اوساط الدول العربية والثورة الفلسطينية، بحوثا ودراسات كثيرة عن حرب الانصار، كقانون ثابت ومنهج دائم لتحرير الشعوب المضطهدة، واختار العديد من الكتب والكراسات حول هذا الموضوع. وهي في معظمها نتاج افكار قادة حرب الانصار العالميين، وقد لاقت في كوردستان العراق رواجا كبيرا، إلا أننا نجد (روجيه دوبريه) في هذه الايام مشغولا منذ فترة طويلة ب(بؤرة) السوق المشتركة، من اجل الحصول على درجة حزبية في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الفرنسي الذي يتزعمه (فرانسوا ميتران)، كما نجد منير شفيق الذي أضاع اسمه و شهرته السابقة، يعمل من اجل (الماركسية - الاسلامية) انحرافا من اقصى اليسار الى اقصى اليمين.

في كوبا، لم يكن كاسترو- بعد أن اصبح وجها معروفا للمعارضة اليسارية - ماركسيا، ولم يكن في الحزب الشيوعي، او أي حزب آخر. انما بدأ هو شخصيا، بعد أن تعب ويئس من الوصول الى اهدافه عن طريق المحاكم، والبرلمان، والمظاهرات والاضرابات- بدأ بتنظيم حركة مسلحة في

سنة (١٩٥٣م)، وانتهج طريق الكفاح المسلح كشكل آخر للنضال، وهاجم مع (١٧٠) مقاتلا معسكر (مونكا) الذي كان فيه الف جندي، حيث هزم هو ورفاقه، وبعد هزيمتهم، انسحبوا الى جبال (سيراماسترا) التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر (١٣٩٦) قدما، وبعد عدة ايام من البقاء في سفح الجبل، واثناء نوم عميق، وبعد تعب شديد، ألقي القبض على كاسترو واثنين من رفاقه، وبعده يسلم اخوه راؤول وعدد من رفاقه الذين كانوا متخفين في نفس الجبل انفسهم، اثر اللقاء القبض على كاسترو، وبالصدفة المحضة كان يقود تلك المجموعة من الجنود الذين ساروا مباشرة باتجاه المكان الذي يتواجد فيه كاسترو-صديق قديم لـ(كاسترو) اسمه (بدروساريا)، وكان من المقرر أن يُقتل كاسترو فورا، في أي مكان يشاهد فيه، لكن صديقه القديم هذا، وبالرغم من انه كان عسكريا، ولديه اوامر بقتله، وفي حالة قتله له، يكرم من قبل الدولة، إلا أن مشاعر الصداقة والانسانية المجردة من أي هدف شخصي آخر، لم تعطه مجالاً لارتكاب جريمة كهذه ضد صديق قديم له، وبمجة تفتيش جيوب كاسترو، يقترب منه، ويهمس في اذنيه قائلاً: عليك ألا تكشف عن اسمك الحقيقي في الوقت الحاضر. يفهم كاسترو مغزى ذلك، وحينما يوصلونه الى (هاقانا)، تكون وكالات الانباء والصحف والاحزاب، قد اخذت علما بذلك، وبهذه الطريقة تمكن من انقاذ حياته. ومن المناسب هنا أن نعرض حقيقتين:

- كان الوضع في كوبا يغلي غليانا ثوريا، وبشكل لم يتمكنوا فيه من قتل حتى قائد الحركة المسلحة، علو بالرغم من القاء القبض عليه، وهذا لم يكن قليلا بالنسبة الى قائد مثل كاسترو، كي يعرف ماذا يفعل، وكيف يحرر شعبه.

- ان بدروساريا هذا، وبالعامل الذي قام به تجاه كاسترو، قد كتب اسمه بماء الذهب في صفحات تاريخ كوبا، لأن المال والمكافآت، والمكانة والدرجات، لم تؤثر في شعوره الوطني والانساني. حقا ان بطلا كهذا، يتألق نجمه باستمرار في سماء الوطن.

بعد فشل هذه الحملة، يخرج كاسترو من السجن، ويصبح، اكثر من ذي قبل، ثوري كوبا المشهور، ثم يترك المدينة ويلتحق بالجبل، ويؤسس حركة ثورية باسم يوم الهجوم.. فبعد إعداد وتنظيم ذاتي دقيق وحيوي، تمكن في

عام (١٩٥٨م) من اعادة تنظيم الحركة المسلحة من جديد، وكان برنامجها السياسي يهدف الى تنظيم كل المعارضة الكويبة التي تؤيد النضال الثوري من أجل إقامة جمهورية ديمقراطية، وقد أثمرت جهوده في تنظيم هذه الاطراف:

- ١- حركة ٢٦ حزيران.
- ٢- حزب "أتن-تيكوس".
- ٣- اللجنة القيادية الثورية.
- ٤- حزب العمال.
- ٥- حزب ثورة كوبا.
- ٦- الحزب الديمقراطي.
- ٧- اتحاد الطلاب.
- ٨- منظمة الضباط.
- ٩- انتفاضة المقاومة.

هذه الاطراف، اسست فيما بينها اتحادا قويا، لكنهم أهملوا الحزب الشيوعي، لأنه كان ضد الحركة المسلحة، وينشر بين الجماهير أقوالا مثل: (كاسترو بعمله هذا يخلق كارثة، ويجهض نضال العمال)، لكن الحزب الشيوعي بدأ، مع مر الأيام، يغير موقفه، لذلك عومل كطرف ثانوي في المعادلة اثناء فترات النجاح والانتصار، لكن وعلى الرغم من موقفهم ذلك، لم يسمح كاسترو باتخاذ موقف شديد ضدهم، كي لا تحصل مشكلة عميقة في جبهة الشعب المتحدة.

هذه الحقائق التي عرضت باختصار، تظهر أن ثورة كوبا لم تكن مغامرة، قام بها اشخاص متهورون دون تفكير في النتائج او العواقب، او انهم كانوا يفكرون فقط بطريقة (البؤرة) في النجاح والنصر (كما كان يراد أن يظهر بهذا الشكل لاحقا)، بل كان قادة الثورة يأخذون، بنظر الاعتبار، الخط السياسي والوحدة السياسية وانتفاضة الجماهير، وبعد ذلك قاموا بالكفاح المسلح.

صحيح أن الثورة المسلحة كان لها ضغط مؤثر على النظام، لكن وضع تاج النصر على الرؤوس، وصل الى غايته، في المدينة، عن طريق انتفاضة شرائح المجتمع المختلفة، وليس فقط عن طريق فوهة البندقية، حتى ان

كاسترو لم يصدق، عندما علم أن باتيستا هرب نتيجة لانتفاضة الجماهير، واعتبر ذلك من قبيل المزاح والدعابة، وقال: نحن، مازلنا في بداية الطريق. ولم يكن كاسترو على خطأ في هذا القول، لان الثورة، في تلك الفترة التي سقط فيها النظام- لم تكن تملك الا الفي نصير: بمعنى: لو كان كاسترو وثار كوبا قد اتخذوا بمظهر دكتاتورية باتيستا، لامتنعوا عن اشعال الثورة بتلك السرعة، وعندها، حرموا من استغلال تلك الفرصة التاريخية. اذن، في هذه البلاد، كان الشرط الموضوعي لقيام الثورة ملائما تماما، وبالرغم من عدم وجود حزب طليعي، لكن قادة الثورة تصرفوا، بذكاء وبراعة شديدين، داخل المعارضة، ولذلك نجحوا وانتصروا.

٣/٣- امريكا اللاتينية

بعد انتصار ثورة الجبال المسلحة، أثرت انتفاضة جماهير المدن الكوبية إلى جانب حرب الأنصار، كتجربة جديدة الشكل والمحتوى، في الفكر السياسي اليساري، ووضعت على طريق اعادة النظر في نهجه القديم، وظهر الى الوجود العديد من الآراء والتحليلات السياسية-العسكرية عن انتصار ثورة كوبا، وعندما حسمت كل الآراء النظرية المختلفة داخل تلك الجماعات اليسارية، وتبلورت في (البؤرة الثورية)، وكانت نتيجة المعادلة في جمع تلك الآراء وصياغتها في تلك النظرية هي، في الواقع، نقيض للرأي اليساري الكلاسيكي في تلك الفترة المتمثل في:

- ترى، هل يستطيع الحزب القيام بالثورة؟!
- أو هل تستطيع الثورة تأسيس الحزب؟!

لقد اصرا اصحاب الرأي القديم جميعهم على انه بدون الحزب الطليعي (ينبغي أن يكونوا هم الطليعة) لا يمكن، ولا يجوز التفكير في الثورة حتى وان امكن ذلك.. وعلى النقيض من هذا الرأي، كان اصحاب نظرية (البؤرة) وية ضد تلك الاحزاب، وكانوا يعتبرونهم جنبا، وآراؤهم مستهلكة لا قيمة لها، وكان إنشاء (البؤرة) عندهم عملا ثوريا مصيريا، وكان انتصار ثورة كوبا خير مثال لديهم، يستعملونها كورقة (جوكر) في ايديهم، ضد خصومهم، بل واكثر من ذلك، فهذا (ريجييه دوبريه) يسخر قلم

(البؤرة) وية ليقول: "ففي بعض البلدان, تجد الجماعات الثورية التي تنتفض وتعد أنفسها, بشكل جدي للكفاح المسلح - نفسها مراقبة و مطاردة من قبل هذه الاحزاب (الماركسية - اللينينية) التي تحلى الكثيرون عنها, اكثر مما هي مراقبة و مطاردة من قبل منظمات القمع المتنامية للدولة"^(١)

هذه الرؤية والنظرة ضد الاحزاب القديمة لقيت مساندة, وغدت زاوية رؤية لسياسة جديدة, في امريكا اللاتينية, وبهذا اصبح النضال ضد الاحزاب المسماة بـ(الشيوعية) من الواجبات الكبرى للنصير. ولهذا لم يستمعوا إلى المقولات القديمة أمثال القول الشائع: (ما يقوله الحزب صحيح, وما لا يفعله غير صحيح, ولو لم يكن الحزب الطليعي موجودا, فلا يمكن عمل أي شيء) هذه الكلمات كثيرا ما تقال, ونادرا ما كان يعمل بها وفي امريكا اللاتينية, ولاسيما بين اليساريين, لم تبق لها أية قيمة, وكان ينظر اليها كمجموعة من الآراء الملققة الزائفة. لقد حاصرت في النهاية حرارة النضال المسلح وقوتها امريكا اللاتينية, وانفجرت مشاعر المقاومة المسلحة. إن(البؤرة)الثورية عندما قامت بانتفاضاتها المسلحة عام (١٩٥٩م), بعد انتصار ثورة كوبا, في (سانتو دومينغو, باراغواي, كولومبيا, امريكا الوسطى, شرق البرازيل, بيرو, كوزوكو... الخ) - تحركت في القرى, وبين الفلاحين, وشكلت في الجبال والغابات مجموعات مسلحة من الانصار وارتكت المنطقة لسنوات عديدة, ربما لـ(٥) سنوات كحد اقصى, حيث انتشر بين اعضائها ايضا سوء التفاهم والخصومات والصراعات الداخلية (التي تزامنت مع الحرب الداخلية في كوردستان), انتشارا مهلكا, وانتهاز اعداؤهم وبمساندة الإمبريالييه, فرصة الحرب الداخلية, ليستعدوا,

البؤرة الثورية: هي النظرية التي صاغها (جيفارا) وهي تؤكد على اولوية الكفاح المسلح, و مهاجمة انتهازية و جمود الاحزاب الشيوعية و (انتظارياتها) التي تقضي باجماع كل الشروط الموضوعية والذاتية للثورة بصورة ميكانيكية بدون ان تهتم بتسريع هذه الشروط. اما البؤرة الثورية الجيفارية التي تتكون من أقلية من الرجال المناضلين المسلحين, فتسهم في خلق هذه الشروط, و تعتبر الارياف المكان الملائم لهذه البؤرة-

المترجم
(١) روجيه دوبريه, ثورة في الثورة, ترجمة الياس سحاب, الطبعة الاولى, ١٩٦٩ - ص١٤٥.

وينقضوا على الانصار، وبذلك هبت عواصف الهزيمة في (كولومبيا، واكوادور، وبيرو، وباراغواي)، وتحطمت حركة الفلاحين في البرازيل بقيادة زعيمهم البارز (خولياو). وفي الأرجنتين، وبعد أن ابطل النظام نتائج انتخابات حرة - انفجرت انتفاضة شعبية كبيرة لكنها سرعان ما اُخمدت، ونتيجة لذلك، اصيب العديد من الجماعات والمنظمات البرجوازية الصغيرة اليسارية، بالدوار والتشنج والتقلص، وتراجعت، وعادت الى داخل قوتعتها الضيقة، منها:

- حركة العمال والطلبة والفلاحين الكولومبيين.
- اتحاد الشبيبة الثورية الاكوادورية.
- حركة اليسار الثوري، وجبهة اليسار الثوري.
- طلائع اشتراكيي ارجنتين.

- حركة مساندة الفلاحين، وجناح يسار الحزب الاشتراكي لأوروغواي.

يبدو من هذه الاسماء ان هذه الانتفاضات المسلحة كانت حصلت للغليان الذي اصاب اليسار، بعد انتصار كوبا، ولذلك، اُخمدت ايضا وانتكست بسرعة.

إن جيفارا الذي كان مهندس هذا المنهج الثوري وثاني قائد مبدع لثورة كوبا المنتصرة، وتدرس كتبه التي تتحدث عن نهج حرب الانصار، ويستفاد منها، الى اليوم، الذي إن غض النظر عن أخطائه التي ان سكتنا عنها، فستلحق ضررا، ومع ذلك يبقى، مجد ذاته، بطلا ثوريا، مبعث فخر تاريخي، وإلا أنه مع كل هذا، نجده-بعد تجربة عميقة، ومستوى سياسي وعسكري عاليين، وشهرة اكثر-يترك منصب الوزارة في كوبا، ليتوجه الى غابات بوليفيا وجبالها، كي يحرر بلدا آخر من بلدان امريكا اللاتينية.

فجيفارا كان يعتقد أن انشاء (البؤرة) مقدمة لانتصار الثورة، لذلك يصل هو وعدد من رفاقه الى بوليفيا، ويكونون هناك عددا من المفارز المسلحة، ويؤسسون نواة جيش لاضرام نار الثورة. ويخوضون عددا من المعارك الناجحة، لكن (البؤرة) بقيادة قائد مثل جيفارا، لم تتمكن، ليس فقط، من تحرير بوليفيا، وانما عجزت حتى من إنقاذ حياة جيفارا ورفاقه، وكان السبب في ذلك كما نرى هو: اختلاف ظروف بوليفيا وكوبا اختلافا

كبيرا: لم تكن في بوليفيا حركة ثورية، كما لم تكن الاحزاب والجماعات اليسارية على وئام فيما بينها، ليس هذا فقط، بل لم تكن على استعداد ايضا لتقديم العون لجيفارا.

فمن الناحية الاجتماعية، قدم النظام البوليفي، بعد (٢٠٠) عام من الاستغلال الاقطاعي، بعض المكاسب الطبقيّة المادية للفلاحين، وقد قللت هذه المكاسب التناقضات الطبقيّة، كما انعشت السوق والتعاملات الرأسمالية، وهدأت الى حد كبير، غضب الفلاحين وكرهيتهم. فكل هذه الحقائق خففت من وطأة الوضع السياسي البوليفي، لذلك لم تتمكن (البؤرة) وجيفارا من تحريك الناس، خاصة الفلاحين منهم. وبهذا ظهر أن:

- ١- انتصار ثورة كوبا له علاقة بمجموعة من الشروط العامة والخاصة، ولا يشترط أن تتكرر الصورة طبق الاصل، في مكان آخر.
- ٢- لم تكن (البؤرة) تجسد القانون العام لتحرير شعوب امريكا اللاتينية والشعوب المضطهدة الاخرى، كما يراد لها أن تكون، أو تتبع.
- ٣- اذا كانت الإمبريالية قد فوجئت بالثورة الكوبية، ولم تدرك في البداية مخاطرها، لكنها، بلاشك، اخذت عبرا ودروسا كبيرة منها، بعد انتصارها، وانقذت نفسها والانظمة المرتبطة بها، لذلك من الخطأ القاتل أن ينظر الى وضع بوليفيا من منظور الثورة الكوبية.

وهكذا كان... فبدلا من أن تنجح وتنتصر تلك الدول التي كانت قواعد للنضال المسلح في امريكا اللاتينية، وأن تكون تكرارا لكوبا عديدة اخرى- فقد جعلت محنات لتجارب نجاح الثورة المضادة وعشرات من الانقلابات الفاشية والدكتاتورية، بل والخطر من ذلك كله هو قلب الصراع ما بين نضال اليساريين والحكومات المستبدة، الى صراع قاتل بين شعوب المنطقة، وبكل عنف: الاكوادور ضد بيرو، وبيرو ضد بوليفيا وشيلي، وبوليفيا ضد باراكواي، وشيلي ضد الارجنتين... الخ. لقد انفجرت كل هذه الصراعات بدسياسة الإمبريالية. والسبب الأساسي الطبقي لتلك الهزائم والاضاع يعود الى الدور الضعيف للبرجوازية الصغيرة. فافراد هذه الطبقة، بحكم موقعهم الاقتصادي المهزوز، يمكنهم أن يصبحوا ممثلين لموجة ايدلوجية يسارية، حيث يتحركون بفعل خيانة البرجوازية الوطنية وضعف العمال في البداية ويشورون بقوة، لكن، حينما تصبح المهمات صعبة وتعرض قافلة النضال عقبات

ومشاكل معقدة، عندها لا تستطيع هذه الطبقة الضعيفة مقاومة النفس الطويل الامد للامبريالية والرأسماليين المرتبطين بها، لأن البرجوازيين الصغار ضعفاء من الناحية الاقتصادية وخاصة في الدول التابعة، وهم اقوياء من هذه الناحية، لذلك إن لم تحد الشروط الموضوعية من حركة الإمبريالية كما حصل في كوبا، فان البرجوازية الصغيرة، لا تتمكن من الصمود امام الإمبريالية، عن طريق رفع الشعارات اليسارية، والسير في طريق حرب الانصار، كما لا تتمكن من تفعيل اسلوب حرب الانصار وتطويرها الى انتفاضة لاسقاط حكم الدائرين في فلك الإمبريالية في المدن. إن الضعف الاقتصادي للبرجوازية الصغيرة بصورة عامة، في منافسة الانظمة الخاضعة للامبريالية، باسم الماركسية-اللينينية، باشكال مختلفة- قد اثر سلبا، بلا شك في ثورة بلدان امريكا اللاتينية، وبعض بلدان اسيا، وعرضها لهزائم كبيرة.

إن كان بقاء البرجوازية الصغيرة، في فترة قيام الرأسمالية- الى جانب دورها المفيد في نظر الطبقات الرجعية- قد تسبب، وباستمرار، في حدوث الكثير من المشاكل للعمال، وإن بقي للبرجوازية الوطنية شيء من ضغط وطنيتهم، الى تلك الفترة، وان تخندقت البرجوازية الصغيرة، ولو من وجهة نظرهم ضد الطبقة الاعلى والاقوى منها. فينبغي مع كل ذلك أن يعرف، هكذا ايضا، ولاسيما بعد انتشار نفوذ الإمبريالية وتوسع دورها، وانتهاء دور البرجوازية الوطنية، في النضال الوطني- ان البرجوازية الصغيرة لاتزال تشكل خطرا أشد وأقوى من السابق على العدالة الاجتماعية والاشتراكية الحقيقية، لأن الطبقة السابقة (البرجوازية الوطنية) التي كانت تدافع وتنحاز الى جانبهم خوفا من البرجوازية الصغيرة، لم يبق لها وجود كطبقة لذاتها، وبذلك خلا الميدان للبرجوازية الصغيرة، لكي تثبت اقدامها فيه، حيث لا يعيرون اي اهتمام للعمال ولأفكارهم، بعد الآن، وخاصة في الدول المغلوبة على أمرها، ولذلك ايضا نجدهم يناهضون بشدة العدالة الاجتماعية والافكار الديمقراطية اليسارية، في اطار النضال التحرري للشعوب، لانهم يريدون ان يسيطروا على زمام الحكم، بعد ان تيقنوا من اخلاء الساحة السياسية والسلطة لهم، من قبل البرجوازية الوطنية .

٤\٣ - مميزات كل نهج من النهجين

كانت للثورة المسلحة في كوبا، وفي تلك الدول، اضافة الى الفرق الاساسي الواضح الموجود بينها وبين الثورة الصينية الطويلة الامد- فروق اخرى بينهما. فهذا كاسترو نفسه يقول: "لم اقرأ، لحين قيامنا بالثورة، أي كتاب لماوتسي تونگ"، ويعني هذا أن قيادتي البلدين، صاغتا نهج التحرر والحرية من منظورين مختلفين.

فظروف الصين تطلبت نمطا معيننا من أنماط النضال، وظروف كوبا تطلبت نمطا آخر. فالحركة الفلاحية تلك، وذاك الاستغلال الاقطاعي اللذان كانا موجودين في الصين، كانا موجودين في كوبا ايضا، لكن بنمط آخر، وبشكل مختلف.

في الصين التي كان عدد سكانها اكثر من سكان كوبا، بمئات المرات لم يكن فيها إلا حزبان كبيران هما: كوميتانك، والحزب الشيوعي. احدهما كان صاحب السلطة، والآخر كان معارضا ثوريا، بينما كان في كوبا العديد من الاحزاب والاطراف المعارضة، والحكم كان بيد دكتاتور. كما كان وضع مدنها مختلفا، وقد قامت الثورة في كل منهما، في ظروف مختلفة. ناهيك عن الوضع الجغرافي للبلدين. فكما كانت الفروق هذه واضحة بين الصين وكوبا، هكذا ايضا قامت الثورة المسلحة في البلدين بأسلوبين مختلفين، ولكن في كليهما بدأت بحرب الانصار، وهذا يوصلنا الى أن الثوار، بالرغم من اختلاف اوضاع بلدانهم من حيث الظروف الموضوعية، وهم امام الانظمة الدكتاتورية القوية، كانت فكرة حرب الانصار تسيطر عليهم، لذلك، في كوبا ايضا، اضافة الى تلك الفروق التي كانت موجودة بينها وبين الصين، فقد تم التفكير في هذا النمط من الحرب، ليس هذا فقط، بل تم انتهاجها ايضا. إن خصوصية كوبا تكمن في أن (الحزب الطبيعي) لم يقد الثورة، كما حصل في الصين، ولم ينتظر الى أن يولد ذلك الحزب كشرط لقيام الثورة. كذلك في كوبا، وإن بدأت الثورة بحرب الانصار، لكن لم تحرر القرى والمدن الصغيرة واحدة تلو الاخرى، ثم العاصمة (كما حصل في الصين)، بل كانت ثورة

الانصار شكلا من اشكال النضال التحرري، تلاحم مع النضال داخل المدن الذي قرر هو، في النهاية، مصير الثورة ونظام الحكم، أي: حينما تعمقت الازمات في مدن وقرى كوبا، ولم يُجدِ النضالُ البرلماني، والاصلاحي، والاضرابي، والجماهيري، نفعا، ولم يستسلم نظام باتيستا الدكتاتوري- آمن كاسترو ورفاقه حين ذاك بضرورة انتهاج طريق حرب الانصار، كشكل مؤثر ضاغط على النظام، وكدافع قوي للاسراع في تفجير التناقضات، من اجل تهيئة ارضية مناسبة لاندلاع انتفاضة جماهير المدن والقصبات، وقد حصل هذا -فعلا- وبالضبط.

اذن، ثورة كوبا المنتصرة هذه، وكل المحاولات التي تلتها في تاريخ امريكا اللاتينية، وفي نفس المنطقة الجغرافية وضد الامبريالية الامريكية، والآنظمة الشرسة المرتبطة بها، وعلى الرغم من تقليدها لنهج ثورة كوبا، وباخلاص - لم تصبح قانونا ثابتا لنضال الشعوب الشبيهة لكوبا، (ظهر هكذا، في الاقل). فلو لم تكن الشروط الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والعسكرية الثورية، لاسيما في المدن، وبعدها في القرى-مهينة، كما هو مطلوب، فلم يكن بالأمكان تحرير أي بلد من تلك البلدان، هكذا بالبطولة والشجاعة فقط، او بالمبادرة بتكوين (البؤرة الثورية)، كما إن تقليد كوبا، بلا تحليل دقيق، يعني السير بالشعوب في طريق مجهول، والى مصير مجهول، ولا شيء غير ذلك، والنتيجة هي الهزيمة المحققة.

إن الثورة، لا تقام بالتقليد الأعمى، لذلك، وحتى لا تقع الشعوب في فخ التقليد المفزع، وتقليد الشعوب المنتصرة، فمن الضروري أن يحافظ قادة وقيادات الشعوب على انفسهم، من ان تتعرض لتأثير رومانسية نجاح ثورة الشعوب، وأن يبتعدوا عن العاطفة الخالية من أي اساس علمي، لاشعال فتيل الثورة، كذلك، يجب ان ينظر الابناء الثوريون الاعزاء والواعون بدقة الى مواقف القادة، وينتبهوا لنتائج قراراتهم وسياساتهم، ولا يتحقق كل هذا، إلا بمستوى عالٍ من الالتزام بالنظرية الايدولوجية، والخبرة المكتسبة من التجارب، وبممارسة السياسة في ميادين النضال الفعلية.

في كثير من الاوقات، يدفع النظام القومي والاستغلال الطبقي، والوضع السياسي الصعب، والكوارث، والحوادث- الشعوب، والطبقات التقدمية، والاحزاب السياسية، ذات النفوذ، الى أن يتخذوا مواقف ناقصة، ويردوا على الضرورات الآتية بمشاريع سياسية صعبة، فمادامت الارضية لهذا المشروع، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، غير مواتية، كما هو مطلوب، فلا شك، ان هذا الامر ومعه الظروف الذاتية والموضوعية حتى لو أستمروا للاحزاب والثورة وقادة العمل السياسي والعسكري الكبار، لفترة طويلة من الزمن، إلا أنه لا يحقق نصرا استراتيجيا، لان اساس المشروع مبني على الرمال، فإن قيل: ان ثورة (نيكاراغوا)، بعد انتصار ثورة كوبا، قد نجحت الى حد كبير، بسلوكها نفس الطريق، فلماذا، اذن لا يؤدي انتهاج نفس الطريق الى النصر، عند شعوب العالم الاخرى؟ إن جواب هذا السؤال يكمن في ثنايا هذا الحديث القصير الآتي عن ثورة (نيكاراغوا).

٣ / ٥ - ثانيا: نيكاراغوا

نيكاراغوا من بلدان امريكا الوسطى الصغيرة، تبلغ مساحتها (٦) آلاف ميل مربع، وحينما اندلعت فيها الثورة، كان عدد نفوسها اكثر من مليونين ونصف، ٥١% منهم من القرويين، والبقية الباقية هم من سكان المدن.

تعتبر نيكاراغوا وفق السياسة-الجيوپوليتيكية التوسعية للولايات المتحدة الامريكية-مفتاح امريكا الوسطى، لذلك فمثلا كانت قويتنام الواقعة في جنوب شرق اسيا ذات اهمية قصوى بالنسبة لامريكا، كذلك كانت (نيكاراغوا)، في امريكا الوسطى، مهمة جدا لامريكا.

ومادام الامر هكذا، فان امريكا وحلفاءها تبذل كل ما في طاقتها من اجل المحافظة على بلاد تتسم بهذه الاهمية الجغرافية، وفي منطقة جغرافية مهمة كهذه، وتعمل بكل طاقتها على عدم خسارتها بأي ثمن، لكن الحياة والاحداث الاجتماعية والسياسية التي تنعش الشروط الثورية للتغيير ستفجر الازمات بالصد من توقعات الإمبريالية تماما. بشرط ان يبادر الى

تطوير تلك الشروط، وأن تستغل من قبل اصحابها الحقيقيين. ففي نيكاراغوا كان الامر كذلك، لأن ٢٥% من سكان المدن، و ٢٥% من سكان القرى، كانوا عاطلين عن العمل، واكثر من نصفهم أميين، كما كانت نسبة الاطباء والمستلزمات الطبية منخفضة بشكل كبير، كذلك كانت حال الدور السكنية التي كانوا يسكنونها. كما كان الموت يخطف الآلاف من اطفالهم، والام الجوع والتجويع تفتك بهم، وتنهك قواهم، حتى ان ٨١% من بيوتهم كانت تخلو من انايب المياه الصالحة للاستعمال. اذن، كيف يرضى شعب مبتلى بكل هذا، بنظام دكتاتوري مثل (سوموزا)؟ وبأي شكل وبأي دعم، يستطيع النظام اقناع الشعب، وحل مشاكله ومنعه من السير في طريق الثورة؟! نعم كان: الوضع الاقتصادي والاجتماعي، والجغرافي والسياسي، لنيكاراغوا وشعبها على تلك الصورة، لكن هذا لا يعني أن الشعب فيها انتفض، وقام بثورته الناجحة، بصورة عفوية * لا، ليس هذا مطلقا. فلو قلدت قيادتها ثورة كوبا او اية ثورة اخرى في العالم، وقام النيكاراغويون بثورتهم، من غير حساب للظروف الذاتية لنيكاراغوا، لذهب هؤلاء ايضا بالداء الذي أصاب بلدان امريكا اللاتينية وثوراتها الفاشلة.

لقد تهيأت كل الشروط الموضوعية للقيام بالثورة في البلاد. فلا النظام كانت لديها القدرة على حل مشاكله، ولا الشعب كان يرضى بعد الآن بالنظام. فالأداة الوحيدة لإبقاء النظام، والتي ظل محتفظا بها، كانت القتل والسجن والارعاب، ولم يبق له سند إلا حراسه، وامريكا.

اما الحركة الثورية، فكانت تمتلك وسائل الضغط والقوة والتأثير. وكانت منظمة، ومعدة بشكل مبدع، كما اتحدت كل اطراف المعارضة في جبهة (ساندينستا) واتحاد القوى الاشتراكية، حيث توحدت اكثر من (٢٠) منظمة للطلاب والعمال ومن الشرائح الاخرى، واسبوا العديد من اللجان المهمة العاملة ضد النظام، وصاغوا برنامجا ثوريا مشتركا، كما اعلنوا عن تشكيل حكومة مؤقتة، وبمرور الوقت ازداد عدد المعترفين بهذه الحكومة المؤقتة، وفي المقابل، ازداد الرأي العام العالمي والدول التي رفضت ايديها عن سوموزا.

وفي خضم تلك الاحداث، أتخذ النضال المسلح كوسيلة للوصول الى الخلاص من الحكم الدكتاتوري، وقد تمكن النضال المسلح كباقي المشكلات المستعصية على الحل، من تأجيج نار الغضب والرفض لجماهير المدن والقرى اكثر فاكثر، ومزج شيئاً فشيئاً بين نضال المدن والجبل، ونضال العمال والكادحين والفلاحين والكسبة والوطنيين، واعدتهم معا للانتفاضة. وبالرغم من المقاومة الشديدة للنظام ومساندة امريكا له، إلا أن الانتفاضة توجت النضال المسلح باكاليل النصر والنجاح.

مع ان العديد من محاولات القيام بالثورة في كوبا قد فشلت، إلا أن هذا الأمر أثبت للجميع بالتجربة أنه في حالة التخلي عن روح التقليد اليساري الاعمى، وتمكن الشعوب بصورة موضوعية من تحليل: القوانين العامة والخاصة، والاحوال، والظروف، والاصدقاء والاعداء، والمدن والجبال، وقدرة المعارضة اليسارية للطبقات التقدمية - بأسلوب ثوري في اوقاتها وأزمانها وبشكل مؤسساتي، وخلق قوة ايولوجية مادية محركة للجماهيرمنها، في هذه الحالة فقط تتمكن القيادة الحائزة على ثقة الجماهير، والمجربة الامينة الصادقة في سوح النضال من اخذ العمال والشعوب نحو النصر حتما. أما بكتابة الجمل الثورية وتعليق الشعارات الانعزالية والتكتيكية والمضللة والاستراتيجية المعكوسة... او الاصرار على نهج الثورة الطويلة الامد، دون اخذ بقية والمستلزمات الضرورية بنظر الاعتبار، وكما هو مطلوب، كالتغيير والتطوير، والعلاقات الاقتصادية والظواهر الجديدة... فمن الصعب ان ينتصر العمال والشعوب. فحتى لو قدمت من اجل انتصارهم تضحيات بلا حدود، فإنهم سيهزمون حتما، كما هزمت عشرات الحركات المسلحة والانتفاضات والمظاهرات الصاخبة.

الفصل الرابع

٤ - النتائج والمستقبل

إن المجتمع والتطور الاجتماعي للشعوب، تتكون بصورة معقدة ومختلفة وليس باستطاعة احد التحكم في خط سيرهما، وكل محاولة لصنعهما، او تحريكهما حسب الرغبة والارادة، او وفق مقياس واحد ثابت من غير مراعاة الظروف والظواهر الطبيعية، ستنتج عنها نتيجة خطيرة. ومن خلال النظر إلى سير ظهور احداث هذه النتائج الخطيرة لتفسير الاخطاء، ينزلق السوء نحو الاسوأ فالاسوأ، وتحدث، وتتكرر هذه الحالة في الاشياء الصغيرة والكبيرة على حد سواء... الخ. لكن نتائج هذه الاحداث، مهما تكن غير مريحة، فانها، وفق القانون الديالكتيكي (نفي النفي)، ستهيء طريق الوصول الى نتيجة افضل، وتضع المخلصين على طريق الشعور بالمسؤولية والموقف الصحيح، فهؤلاء المخلصون، ان كان مستواهم الفكري، وامكانياتهم النظرية واخلاصهم السياسي بمستوى الطموح والنتائج، فانهم يستطيعون القيام بانجاز واجب ثوري أمام العمال والشعب والتاريخ، او في الاقل بناء أسس انجاز هذا الواجب، وان لم يكونوا كذلك، وكان مستواهم اقل من المستوى المصيري المطلوب، فانهم هكذا سيدورون في حلقة مفرغة، الى حين سقوطهم بصمت.

أية ثورة يا ترى؟ وكم تحتاج الثورة الى مستلزمات ضرورية اخرى للنضال، لاسيما في هذا العصر؟

هذان سؤالان، يحددان مصير الثورة المسلحة، ومعرفتهما والعمل بهما، هما مقياس النجاح والنصر، والجهل بهما وخرقهما مصدر للفشل والهزيمة. ان النجاح ليس مرهونا بالمال غير المحدود والسلاح المؤثر والمساندة المطلقة، بل قبل كل هذا، والاهم من كل هذا، هو ضرورة معرفة ان مصير الثورة

مرتبط بالاستراتيج، والشعار الصحيح، والتكتيك والسلوك الثوريين، فاذا لم يصغ ذاك الاستراتيج والشعارات والتكتيكات بصورة علمية، فان السلاح والمال والمساندة فقط، لا تستطيع ايصال الثورة الى النصر والنجاح، بل تفسدها، وتشوه السلوك الثوري لكوادرها ايضا. حينما: يصاغ الاستراتيج حسب المبدأ والقاعدة الاساسية للعمل والسلوك، وتستمد منه الشعارات الواضحة، ويعمل التكتيك الصحيح والممارسة الصحيحة سورا للثورة، حينذاك تصبح قرارات قيادة الثورة ملزمة للجماهير ومرشدة لها، وتطمئنهما على النجاح والنصر...، ويصبح هذا السلوك باستمرار اساسا لتحريك الجماهير الكادحة بشكل اوسع.

٤/١ - التغيير والتطوير

في الفصول الماضية، حللنا، بشيء أكثر من الاختصار، عددا من امثلة واشكال الثورات، وكل ما كتبناه يتعلق بالماضي، حيث مازالت ثورة كوردستان اسير تلك المنطلقات الثورية القديمة حتى يومنا هذا. نستطيع أن نقول اننا من حيث ابداء الرأي والتحليل، قد قيمنا قليلا وضعنا الحالي، لكننا، مع هذا، قمنا بحركة نحو الأمام أملا في مستقبل مشرق. لندقق النظر معا في هذا النص: إن الثورة الاجتماعية في القرن التاسع عشر بامكانها أن تأخذ مادتها، من نص المستقبل فقط، لا من الماضي. فهذه الثورة، إن لم تنبذ تماما جميع المعتقدات الخرافية الماضية، فلا تستطيع انجاز واجباتها الخاصة بها. أما الثورات السابقة، من هذه الناحية، فكانت تحتاج الى تذكر الاحداث التاريخية للعصور الماضية، لاختفاء مضامينها حتى على أنفسها، اما ثورات القرن التاسع عشر، فلكي تتمكن من كشف مضامينها الحقيقية لانفسها ينبغي أن يفتشوا عن الموتى، ليدفنهم الموتى. فهناك تركت الجملة المضمون، وهنا يترك المضمون الجملة.)^٥

٥ - ههژدهی برۆمیری لویس پوناپارت، وههژدهی سیامهندی شاسوار، ل: ٩٩. (الثامن عشر من بریم، لویس بوناپارت، ص ٩٩)

ان جوهر هذا القول يملك حيويته، الى يومنا هذا ويبقى حيا خالدا، لو اخذت المتغيرات بنظر الاعتبار. إن الدول الاقطاعية وشبه الاقطاعية المحتملة (طبعا السابقة) تمكنت، بعد ثورة الصين، أن تأخذ الظروف الجديدة بنظر الاعتبار، وترفض ربط أنفسها بمجموعة من القوانين الكلاسيكية، وفي كثير من الاماكن، بصورة عامة، ألزمت أنفسها بالسير على نهج جديد، ونبذت النهج القديم، ونجحت في هذا المجال.

لقد تغير الان الكثير من الاشياء، في العالم، لو قارناها بعصر انتصار الثورة الصينية، وبما بعده. ومن الضروري أن يأخذ المفكرون والواعون والثوريون ذلك بعين الاعتبار، وينظروا الى المستقبل، ولا يربطوا مستقبلهم بالماضي، وألا يكونوا متحجرين، وان يهزموا (الدوكماتيزمية) (١) حتى لو كان هذا الماضي مفيدا ومسار نظريته ومعتقداته ناجحا بفعل الزمن والظروف السائدة آنذاك، فمادام الزمن والظروف قد تغيرت، فيجب تغيير النهج ايضا، ولن نبقى متمسكين به لانه اثبت نجاحه في الماضي.

فكل شكل من الاشكال: الاقتصادية والسياسية، والعسكرية والصناعية، والثقافية والانسانية هي ادوات من ادوات تحقيق الاهداف البعيدة والقريبة. فبعض من هذه الادوات توارثتها الطبقات، وبعضها الآخر، هي من صنع الطبقات نفسها. إن الادوات المتوارثة تتطور، وتمتزج بالادوات المبتكرة، وتستعمل وفق المهمات الرئيسية والثانوية للمراحل التاريخية.

فالادوات هذه، وفي كل مرحلة من المراحل، ووضع من الاوضاع، ومهما تكن مهمة ومؤثرة، قد تتغير عندما تتغير مرحلة، ويأتي وضع جديد.. هذه الحقيقة هي من القوانين الاولية لـ (الديالكتيك) (١) وليست اية اداة من

(١) الدوكماتيزميه: نهج فكري يقوم على التزمته والايان المطلق بامتلاك الحقيقة ويتميز بالتعصب والتحجر الفكري والاجتماعي والسياسي - المترجم).
(الديالكتيك تعني الجدلية، وقد نشأت على يد ماركس وأنجلس، وتطورت الى المادية الجدلية التي هي علم القوانين العامة الاساسية للتطور في الطبيعة والمجتمع والفكر. ان لب النظرية الجدلية هو الاعتقاد بان التناقض هو نسيج الاشياء، فكل شيء يحتوي في داخله على جانب ايجابي وآخر سلبي، وفي كل شيء جانب ينمو، وآخر يموت. هناك مبدأ آخر لهذه النظرية وهو مبدأ نفي النفي الذي يحدد سير

ادوات النضال، حتى لو حققت اكبر النجاحات، وفي العديد من البلدان والشعوب- تبقى خالدة وثابتة الى الأبد.

إن تاريخ نضال العمال والكادحين والشعوب مليء بالعشرات من الاشكال النضالية المتغيرة: الاضرابات، والمظاهرات، والانتفاضات، وحرب الشوارع، والاحتجاجات، وثورات المدن وحرب الانصار، والكفاح المسلح في المدن (الاغتيالات والتخريب)، لكن أي شكل من تلك الاشكال النضالية لا يصبح صنما ليعبد. يجب ان نعرف، انه سوف لا يبقى في المستقبل البعيد، وحسب المنظور العلمي للأشياء- أي أداة من أدوات النضال خالدا، ليس هذا فقط، بل وحتى طبقات المجتمع أيضا بما فيها طبقة البروليتاريا والطبقات الاجتماعية الاخرى، بل والشعوب ايضا سوف تتغير رويدا رويدا وباستمرار تحت تأثير الاحداث والافكار والتطورات الاقتصادية والصناعية والاعلامية والفكرية والفلسفية، وتتطور وترتقي الى مستويات حضارية وحادثية عالية.

٤/٢- الثورة تتغير

الثورة المسلحة هي أيضا أداة من الأدوات النضالية التي ولدت من رحم الحروب القديمة، وأصبحت تراثا للطبقات المسحوقة، لأن المستغلين، في كل المراحل، والى الآن، فرضوا سلطاتهم القاهرة، وحافظوا عليها، بالحرب، ولم تترك مطلقا اية طبقة حاكمة كرسي السلطة طواعية لطبقة جديدة، طيلة التاريخ.

الثورة المسلحة، جرت، وتجري عليها تغييرات مختلفة، كذلك: الثورة الطويلة الامد ايضا، على الرغم من أن هناك شعوبا مازالت اراضيها محتلة الى الآن، لأن العلاقات قد تغيرت والظواهر قد تبدلت ولم تبق كالسابق، كما ان تكنولوجيا الحرب مازالت مهيمنة، وثورة الرأسماليين المضادة متناغمة وفق مصالح انظمتها المختلفة.

العملية الجدلية. فهناك الموضوع ثم هناك نقيض هذا الموضوع أو نفيه، ثم هناك نقيض النقيض، أي نفي النفي. فالنظام الرأسمالي هو نفي للنظام الاقطاعي والنظام الاشتراكي هو نفي للنظام الرأسمالي وهكذا في بقية الاشياء- المترجم).

ترى، أمن الضروري أن يعتبر الشوار نهج الثورة الطويلة الامد، وحرب الانصار قانونا وحكما قاطعا، لا رجعة ولا مراجعة فيه، الى اليوم الذي تبقى فيه أرض شعب من الشعوب في العالم محتلة، وأن هذه الاداة النضالية، لاغيرها، هي الاداة الحقيقية للنصر، ام لا؟

منذ فترة طويلة، وجواب هذا السؤال، يدور حوله جدال، واخذ ورد، ونقاش وبحث، وفي كل الاوساط إلا داخل الشعوب المضطهدة المقهورة كالشعب الكردي. هذه الشعوب التي تعيش دائما مع الثورة المسلحة، بالرغم من انها لم تحقق في ظلها الدامي أي شيء، كالشعب (الأذري، والبلوجي، والارمني*، والبشتو، والتاميلي... الخ)، فلا هي تتخلى عنها، ولا هي مستعدة لدراستها على ضوء التطورات الحديثة، ولذلك ايضا فهم لا يستطيعون اكتشاف البديل الافضل للنجاح. ان عدم اكتشاف البديل الثوري، ستبقي هذه الشعوب مستغلة ومضطهدة. فكما تفسر كل الظواهر والاحداث في الكون والعالم، هكذا ايضا تفسر وتحلل حرب الانصار، من وجهات نظرا اجتماعية متباينة ومتناقضة، فهناك من المنظرين من يصر الى الآن، اكثر من السابق، على اعتبار حرب الانصار النهج الاسلم للانتصار، وهناك من يعتبر التقرب من هذا الشكل من النضال نوعا من الجدل العقيم واليسارية المتطرفة. وامام هذين الاتجاهين ظهر خط جديد، يعتبر اصحابه كلا الاتجاهين والرأيين: سواء نهج الثورة الطويلة الامد ام الوقوف ضده، يعتبرونهما رأيين خاطئين، ويعرضون بديلا عنهما دراسات ذات طابع جديد، ويؤيدون صياغة استراتيجية جديدة، تتناسب مع تطورات العصر. فأى من هذه الطرق، صحيحة، وأي منها خاطئة؟ وما هو سبب الخطأ والصواب في كل منهما، وما هو نوع مصدر الخطأ؟

هذه الاسئلة يرتبط بها مصير نضال الشعوب، وهي ايضا مفتاح لايجاد طريق الخلاص والحرية، وأي طرف يتمكن من الاجابة عليها بصورة علمية

* قسم من الشعب الارمني حصل على استقلاله بعد انهيار الاتحاد السوفيتي واصبح له كيانا مستقلا في العقد الاخير من القرن العشرين ولكن القسم الذي يعيش في تركيا ما زال يرضخ تحت نير الاحتلال الى الآن- المترجم.

والبرهنة عليها بشكل موضوعي، سيقدم مساعدة تاريخية من الان فصاعدا لاعداد برنامج علمي وعملي مستقبلي للكادحين. وعلى العكس من ذلك، فان خطأ اليسار واليمين في الاجابة عنها، سيكون له اضرار مخيفة على الحاضر والمستقبل.

ان الاجابة تتحمل المئات من الدراسات والكتابات، ومن المفروض ان تستحوذ على اهتمام كل المفكرين والسياسيين والعسكريين المقتدرين، وعليهم ان يدرسوا هذا الموضوع بعناية.

٣/٤- تغيير المواقع الطبقيّة

مثلا اثرت الظواهر الرأسمالية الجديدة، ومنذ القدم قليلا او كثيرا، بصورة عميقة ام سطحية-في الاوضاع الاجتماعية والمواقف السياسية، اثرت ايضا هذه التطورات الرأسمالية الكبيرة الفعالة مباشرة في الوضع الاجتماعي، بشكل، غير هذا التأثير المكانية السياسية للعلاقات الاجتماعية بل وحتى الطبقيّة.

ففي الماضي كان يجوز، بشكل أو بآخر، وفي دول كالعراق، أن تنافس البرجوازية الوطنية الصناعية الضعيفة، بعضا من الدول الاستعمارية، او بعضا من شركاتها الضعيفة، ومن اجل النجاح في هذه المنافسة كانت البرجوازية الوطنية تعتمد على المشاعر القومية والمقاومة الوطنية والمواقف التحريرية. ويتم هذا في الحالات السياسية الخاصة، التي لا تحس فيها البرجوازية ان خطر انتشار النضال الاشتراكي اكثر من خطر الامبريالية على وجودها، لكنها تقترب من الامبريالية حينما تشعر بخاطر النضال الالديمقراطي والاشتراكي، وسبب ذلك هو المصالح الاقتصادية المشتركة بينهما، والتي تفرض نفسها موضوعيا، لذلك ودرء لهذا الخطر الذي يهدد مصالهما الطبقيّة المشتركة، اقتربت، منذ أمد بعيد، من الامبريالية. فإذا كانت تلك الحقيقة بالنسبة للبرجوازيين الذين كانوا يوصفون بالوطنية في السابق، هكذا، ولاسيما، حينما لم تكن الامبريالية بالشكل الحالي، من حيث رأس المال والصناعة والتكنولوجيا مهيمنة نصف هذا القدر، فمن الواضح أنها (البرجوازية) وفي هذه الظروف التي قد تم انسلاخ البرجوازية

عن الفلسفة الوطنية، وانها امام سيطرة الشركات المتعددة الجنسية الحالية التي تحكم اقتصاديا أغلب دول العالم، فان هذه الطبقة حاليا، ليس فقط، لا تستطيع بمصانعها الصغيرة، ومنتجاتها غير المهمة (التي كان بإمكان الاحتكاريين غلقها متى ما شاؤوا)- أن تدخل في منافسة مع الاحتكاريين. لقد تمكنت الامبريالية من لجم البرجوازية تماما. فهذه الطبقة، بدون الامبريالية لا تستطيع حتى انتاج خيوط (قيطان) الاحذية لوحدها، بمعنى: إن البرجوازية الوطنية كطبقة صاحبة ثقل سياسي - طبقي، تم اخراجها من دائرة الحركة التحررية-الديمقراطية، وارتبطت باحكام بالامبريالية، و أصبحت منذ زمن بعيد جزءا من النظام الرأسمالي العالمي، وأداة لتحقيق أهدافها السياسية. فالبرجوازية الصناعية في بلد مثل بلدنا، حتى اذا لم تكن السلطة بأيديها، كما كان في الصين، فان مصلحتها الاقتصادية ارتبطت، بشكل أساسي باقتصاد الأنظمة الحاكمة في بلدانها، وهي بدورها (الأنظمة الحاكمة) خاضعة او تابعة للامبريالية.

إن البرجوازية الوطنية وباختصار، هي ضمن المعسكر الرأسمالي وضد المعسكر الاشتراكي. ولذلك فهي عدوة طبقية للعمال ونضال الشعوب، وضد الاشتراكية والتحرر- الديمقراطي أيضا.

كان الفلاحون أيضا: في السابق جوهر النضال الوطني- الديمقراطي، كما كانوا يؤلفون أكثرية محاربي الثورة الطويلة الامد، وقد حصل هذا ايضا لأن الاقطاع المشع كان مهيمن، وكانت له حصة الأخ الأكبر في محصول الفلاح، من غير أن يبذل أي جهد او مال. لذلك، كان هناك تناقض رئيسي بين مصالح الفلاحين والاقطاعيين، وكان الاصلاح الزراعي اهم مطلب للفلاحين، ولم يكن ليتحقق هذا الاصلاح في الماضي بدون الديمقراطية، ولذلك أيضا عندما بدأت الثورة التحررية، من القرى، حمل الفلاحون السلاح في تلك المناطق التي نضجت فيها الشروط الموضوعية والذاتية للثورة، واصبحوا أكثرية في الحركات المسلحة التحررية، وان لم يكن الشوار يدركون تلك الحقيقة الاجتماعية لما اقتربوا من الفلاحين، وسلحوهم، لكن، ومنذ الخمسينات (من القرن العشرين) وما بعدها، تغير الوضع الاجتماعي والموقع الاقتصادي للفلاحين باستمرار. فمن جانب، اقتضت، الى حد ما، مصالح الثورة شبه الناجحة للبلدان الخاضعة، بقيادة البرجوازية الصغيرة

والبرجوازية الوطنية- أن تخطو خطوات اقتصادية كبيرة، لصالح الفلاحين، وتحريرهم مباشرة -وفق خطة برجوازية- من الاستغلال الاقطاعي. فمن هذه الناحية، خطوا، ويخطون خطوات ملموسة لصالحهم، ومن الناحية الاخرى تتطلب المصالح المشتركة التي تربط الامبريالية بالانظمة البرجوازية الخاضعة، أن تسود العلاقات الرأسمالية في القرى وبين الفلاحين، لأنه لو لم يكن المستوى المعيشي وقوة الشراء والبيع عند الفلاحين مرتفعا، فلن يكون رواج البضائع الرأسمالية وسوقها منتعشين، لذلك: تمت مكننة القرى بصورة اكثر وباستمرار، مقارنة بالماضي، وايصال الطرق اليها، وأنشئت فيها المراكز البيطرية، والمدارس والمستشفيات، والى حد ما مراكز لمحو الامية بينهم، ونتيجة لهذا العمل ازداد إنتاج هذه القرى، وازدادت عمليات البيع والشراء لهذه المنتجات، وازدهرت اسواقهم، وارتبطت باسواق المدن.

هذه العوامل جميعها غيرت الوضع الاجتماعي للفلاحين، وجعلتهم يعيشون في ظل مجتمع اكثر أمانا وسعادة من الحياة التي كانوا يعيشونها في ظل الإقطاع.

إن هذه التغيرات الاقتصادية، إن لم تكن قد غيرت من الاساس الوضع الاجتماعي للفلاحين، فبلا شك، يجب أن نكون مطمئنين من انها غيرت الوضع الطبقي في الدول الغنية الخاضعة التي حصلت فيها تلك التغيرات- بشكل لا يسمح فيها أن يجعل الفلاحين جوهر الثورة الوطنية-الديمقراطية، لأي سبب آخر، او تحت تأثير أي سياسة قديمة، لذلك، ومنذ تلك الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، سوف لا يصبحون- طبعا- اكثرية جيش الثورة الطويلة الامد التي تبدأ من القرى، وتطرد العدو، وتنظف الوطن منه. فمن الصعب بعد هذا أن تحرك شعارات البرجوازية الصغيرة المحكومة، او البرجوازية الصغيرة المتسلطة على الشعوب المضطهدة الفلاحين كالسابق، عندما كان الاقطاع متواجدا على الساحة، ولم يؤلف العمال طبقتهم بعد، ولم يستطيعوا قيادة انفسهم وقيادة الكادحين، فمن الصعوبة في حالة كهذه ان يحركوا الفلاحين ويدفعوهم الى الاخراط في الثورة الطويلة الامد، وإلى تشكيل جيش منهم، ومن ثم تحرير المدن انطلاقا من الجبل، وعن طريقهم. فالفلاحون دائما، في البلاد المتخلفة المحتلة شبه الاقطاعية يؤلفون القسم الاعظم من البرجوازية الصغيرة، لكن بعد الثورة البرجوازية تعطى اهمية

اكثر للمدينة، كواجب من واجبات الديمقراطية (حتى البرجوازية) ايضا، ويقل عدد الفلاحين وبسبب هذا التناقص في عدد الفلاحين يرتفع المستوى الحياتي والمعيشي لهم، لاسيما في البلدان التي تكثر فيها المنايع النفطية ومختلف المواد الخام الاولية في باطن الارض. فهي منذ فترة طويلة تطبق ستراتيجية مقلدة لاوريا على حساب الزراعة والفلاحين، وتعطي اهمية اكثر من اللازم بالمدينة، وتريد، وبقفزة واحدة، ومن غير الاهتمام بالمستوى الثقافي والمدني، والاقتصادي والاجتماعي - إيصال مستوى بلدانهم ألى المستوى الاوربي المتقدم، وادخال الاغنياء اصحاب رؤوس الاموال من رعايا الدول المحتلة صفوف الرأسماليين المتسلطين. لاشك ان هذا خطأ استراتيجي قاتل لرأسماليي البلدان المحتلة، وقد استفادت منها الامبريالية من كل النواحي، لكن هذا الفشل لا يغير شيئا من حقيقة أن الوضع الاجتماعي للفلاحين قد تغير، وأن حياتهم، وعددهم، ومحل سكناهم، وموقفهم الطبقي، لم يبق كما كان في السابق.

هذه الطبقة، في بلدان كالعراق الحالي، مشدودة الآن أكثر بالعلاقات الرأسمالية والسوق الرأسمالية، حتى لو كان الشعور القومي لدى هذه الطبقة مازال قويا، وبقايا العشائرية والمشكلات الطبقيية مازالت قائمة فيها بحكم السياسة العنصرية للانظمة التي حكمت وتحكم العراق، كنظام حزب البعث. فبلا شك، هناك فلاحون فقراء، مازالوا لا يملكون ارضا. لكن بالرغم من كل هذه الأمور، و شدة قساوة السياسات العنصرية التي مارسها وتمارسها الانظمة الحاكمة في العراق ضد شعب كوردستان، ظل الفلاحون طبقة مالكة للأرض إلا القليل منهم، وأن الأرض، كما هي معروف، مسألة حيوية وهامة بالنسبة لهم، لذلك نرى في هذه الثورة -نتيجة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية- ان الفلاحين لم يربطوا مصيرهم بالثورة الطويلة الأمد إلا قليلا، وإنهم كانوا أقل ميلا وعددا في حمل السلاح من المثقفين من ابناء المدن، وقد تسبب هذا أيضا في انقسام أحزاب البرجوازية الصغيرة في كوردستان، والتي كانت قد نظمت انفسها في ثورة ايلول من الناحية السياسية والعقائدية بصورة افضل وباشكال متنوعة، وحاربت بشجاعة اكثر، ودخلت معارك اوسع واشمل. فهذه الاحزاب انقسمت الى اطراف عديدة، وصاغ كل طرف برنامجها الخاص، واراد كل طرف

جر الفلاحين الى داخل قواته بشكل مختلف ايضا، لكنهم فشلوا في تحقيق ما ارادوا.

اذا أخرجنا من المعادلة كل الأعمال السيئة لكل الأطراف التي ادت إلى ادخال اليأس والبرود إلى قلوب الفلاحين وانفسهم، بل وحتى إذا لم تتباين ذلك أيضا، فإن الفلاحين وجمعا غفيرا من سكان المدن، قد أصابهم اليأس نتيجة لحاصل جمع الهزائم والإندحارات التي منيت بها الحركة التحريرية الكردستانية، وفقدوا الأمل في نجاح الثورة المسلحة والقيادة البرجوازية، ولم يكن التأثير السلبي للحرب الداخلية بأقل من ذلك في خلق هذه الحالة، لكن، ومع أخذ هذه الحقائق بنظر الاعتبار، يجب الوقوف عمليا عند اساس المشكلة الذي يتمثل في القضية: الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والمصالح الطبقيّة للفلاحين، لان بقية الظواهر التي أشرنا اليها سابقا، تفرعت من هذه المكانة الاقتصادية. فهذه الحقيقة الاقتصادية والطبقيّة كان لها دائما دور مصيري في تاريخ فلاحي جميع شعوب العالم، وفي انتفاضات وثورات الفلاحين، او وقوفهم على التل وتفضيل مصالحهم الذاتية على ماعداها.

إن الصين وفيتنام، وكوريا وكمبوديا، ولاوس والجزائر، وكوبا ونيكاراغوا... الخ، كل واحدة من هذه البلدان قامت فيها الثورة، وعلو بالرغم من اختلاف النهج التحرري لكل منها، إلا أنها جميعها ساهمت في حل قضية الفلاحين والوقوف معهم ضد الاقطاعيين، جنباً الى جنب المسؤوليات الوطنية الاخرى لها، بل واكثر من ذلك، ولاسيما في الصين وفيتنام اللتين فجرتا النضال ضد النظام الاقطاعي، وتحرير الفلاحين قبل النضال الوطني والتحرري، لأن الوضع الاجتماعي فيهما، ومرحلة نضالهما تطلبا ذلك. هذه الحقيقة عينها جعلت اكثرية الفلاحين محاربين في جيش الثورة الطويلة الامد لتلك البلدان، التي انتصرت في النهاية، بينما هناك من يقول والى الان: ان العمال هم الطليعة والفلاحون هم الحلفاء للعمال!!

كذلك، في كوريا، وطيلة خضوعها لليابان، كان النظام فيها يحافظ على الاقطاع، ولم يحصل أي تغيير على العلاقات الانتاجية للفلاحين فيها. لكن بعد الحرب العالمية الثانية وتدخل امريكا وفرضها نظاما رجعيا مرتبطا ومسنودا من قبل الاقطاع، انتفض الفلاحون الكوريون ضد الاقطاعيين قبل اندلاع الحرب الوطنية الدفاعية، واعتمادا على انفسهم

تمكنوا من الحصول على ٧٠% من الانتاج، وكان هذا ايضا سببا مهما جدا لانتصار شعب كوريا، بينما نفس الأداة، أي (الفلاحون) أصبحت عاملا في فشل العديد من الثورات لان الوضع الطبقي المناهض للاقطاع قد فات اوانه عندهم. مثلا:

٤/٤ - بوليفيا: ضريح جيفارا

جيفارا، بعد أن كان القائد الثاني لمسيرة ثورة كوبا، ولعب الدور الثوري الاكبر فيها، تخلى طبقا للنهج الذي كان يؤمن به عن منصب الوزارة والحياة المرفهة التي كان يعيشها بعد انتصار الثورة في كوبا عام (١٩٦٥م)، وسلك طريق الحياة الحرة الكريمة او الموت، في سبيل انتصار النهج الذي آمن به، وانتصار الثورة في بلد آخر من بلدان امريكا اللاتينية التي تناضل ضد الولايات المتحدة. يقينا كان جيفارا يؤمن بان النهج الذي اوصل ثورة كوبا الى خاتمة النجاح والانتصار، سيحقق انتصارات اخرى ايضا، وفي بلدان اخرى نظير كوبا. ففي حديث له بعد انتصار ثورة كوبا، عبر جيفارا في قسم منه عن ايمانه بنهج حرب الانصار في قارة امريكا بهذا الشكل: "نحن نعتقد ان ثورة كوبا منحت ثلاث دعائم مهمة، للحركة الثورية في قارة أمريكا، في وضعها الحالي، الاولى: هي ان باستطاعة قوى الشعب الانتصار على الجيش في الحرب. والثانية: ليس من الضروري دائما أن ننتظر استكمال كل الشروط الثورية، لان الانتفاضة نفسها تخلق هذه الشروط. أما الثالثة فهي: يجب أن تكون ساحة عمل النضال المسلح، في القسم المتخلف من القارة الامريكية، في القرى، بشكل رئيسي.^(١) وفي آخر رسالة له، تركها لكاسترو قبيل رحيله، يقول: "شعوب العالم الاخرى تحتاج الى جهدي المتواضع. انا اعرف ان هذه الرغبة التي لا تستطيع أنت تحقيقها بسبب مسؤولياتك، هي التي ابقظتني، ومنذ ذلك اليوم نضجت لغة مختلفة بيننا"

- ارنستو جه كوارا در انقلاب (بادو مقالة جاب نشدة) انتشارات مرواريد ، ترجمه: م. أ. رهجو ، ص ١٨.

- روجيه دوبريه ، الثورة في الشور، ترجمة: الياس سحاب ، الطبعة الاولى، يناير ١٩٦٨، منشورات دار الآداب ، بيروت، ص ٢٤.

بمعنى آخر: عندما إطمأن جيفارا، وأصبح واثقا من نفسه ومن نهجه، ومن نظرية حرب الانصار، والوضع المتأزم في قارة امريكا، ومن التجربة القيادية المقتدرة له ايضا، بادر إلى ترك كوبا متوجها الى بوليفيا، لاشعال فتيل الثورة وحرب العصابات فيها.

وصل جيفارا الى بوليفيا، واشعل فتيل حرب العصابات نحو الثورة فيها، وشكل العديد من المفاوز المسلحة، واسس معسكرا للانصار، وقام بتدريبهم، كذلك دخل عدة معارك ناجحة، لكن الحقائق الاجتماعية اثبتت له، شيئا فشيئا، أن الثورة لا تقوم بالتقليد الاعمى، وان نظرية حرب الانصار لا تحقق هكذا، وبكل سهولة وبصورة اعتيادية، شروط النجاح من الناحية الاجتماعية. إن احد الشروط الضرورية للنجاح في هذا المجال: (وهو هدف هذا القسم من البحث ايضا) هو مشكلة الفلاحين. إذن، لندقق النظر، ولنر هذا القائد الواثق من نفسه، وهو يعيش في خضم دوي الاحداث، الى أي نتيجة توصل في حل مشكلة الفلاحين : (الى الآن نعاني من عدم مشاركة الفلاحين. هذه حلقة مفرغة، فمن اجل أن نجعل الفلاح ملتزماً يجب ان ننجز اعمالنا باستمرار في الاماكن الخالية، لكن تنفيذ هذا يحتاج الى رجال كثيرين-احداث حزينان).

ويقول حول نفس الموضوع: "نحن نشعر دائما بعدم انضمام الفلاحين الى صفوفنا، بالرغم من بعض الدلائل المشجعة التي تفرض اسلوب استقبالنا من قبل بعض الفلاحين من كبار السن المعروفين-تموز ١٩٦٧" (١)

اولئك الفلاحون الكبار المعروفون، ليس فقط استقبالهم الحار، بل حتى لو دخلوا هم وأبناؤهم وأحفادهم الى صفوف مفاوز جيفارا والجيفاريين، فان (بؤرة) هم (لا الثورة) كان مصيرها الفشل المحتم، لان الثورة تتطلب حركة ثورية فلاحية واسعة ضد الاقطاع، لا استقبال الشيوخ المعروفين! او حتى عطف العديد من العشائر!!

تلك هي (بؤرة) بوليفيا التي فشلت-مع الاسف- في ظل قيادة جيفارا، واستشهد هو ايضا بسببها، واطهر الباحثون بعد ذلك، انه: بالرغم من خضوع بوليفيا للإستبداد والاضطهاد الذي تعرض له شعبها، والقهر السياسي والوطني الذي فرض عليه، من قبل امريكا الامريالية، إضافة إلى الاستغلال الطبقي المهين ضد العمال والكادحين، إلا أن الحركة الثورية لم تتمكن من إيجاد الطريق الثوري الصحيح، والسير فيه بثبات نحو تحقيق الهدف وذلك: لعدم نضج الوضع الثوري في المدن البوليفية، من الناحية الموضوعية، ولعدم تقييم الشروط الموضوعية والذاتية فيها بصورة دقيقة، إضافة إلى عمليات الإصلاح الزراعي التي نفذت حديثا، بعد (٢٠٠) عام من التعسف والاستغلال البشع الذي كان يتعرض له الفلاحون من قبل الاقطاعيين مصاصي الدماء، وليس بعيدا أن تكون هذه الخطة(الإصلاح الزراعي) من خطط الثورة المضادة جاءت لمنع تكرار تجربة كوبا في بوليفيا، ولهذا لم ينتفض الفلاحون، ولم ينضموا إلى صفوف (البؤرة).

كانت مفارز جيفارا الثورية-بلا شك-بعيدة عن الحاق الظلم بالناس والقيام باعمال، لايرضون بها، واجبار الفلاحين، إنما كانت تحتمهم كل الاحترام، ومن اجل ألا يتعرضوا لعقاب الجيش وايدائه، ابعدوا مقراتهم عن القرى، لذلك لا يمكن جعل أي عمل او فعل سيئ من هذا القبيل سببا في فشلهم، عدا تلك الاسباب الاجتماعية والسياسية التي تحدثنا عنها، والتي كانت لها علاقة بتلك التطورات التي حققتها الرأسمالية المتطورة، بعد الهزائم التي منيت بها الحركات المسلحة طبقا لخطة امبريالية جديدة، من اجل تطوير اسواقها، كذلك من اجل منع إنبعاث الثورة. وقد شملت هذه التغييرات بصورة اكثر طبقتين من طبقات المجتمع: طبقة البرجوازية الوطنية، وطبقة الفلاحين. إن البرجوازية الصغيرة اتخذت من هذه التغييرات ظهيرا وسندا جديدا لها ضد العمال واليساريين بطريقتين:

١- في ظل الانظمة الرأسمالية الدولية غير المرتدة إلى الفاشية، حتى الآن، والتي تقبل بحق النظام الديمقراطي والحكم بالفوز حسب الاكثرية الانتخابية، تحت ضغط الاحداث، إلى حدما، تسعى هذه الطبقة إلى

جعل الفلاحين حلفاء لها، لكي يجردهم من التحالف مع العمال والحركة السياسية المعارضة في المدن، في مرحلة النضال من اجل الديمقراطية، ولا تبخل بأي جهد في هذا المجال، ومادام الوضع هكذا، فهي ناجحة في سعيها، لأن الفلاحين وبرجوازيي المدن الصغار تجمعهما مصالغ مشتركة في هذه المرحلة.

٢- في مقابل الانظمة الفاشية أمثال النظام العراقي، وبسبب عدم انضمام الفلاحين الى صفوف الثورة الطويلة الامد إلا قليلا، تسعى البرجوازية الصغيرة بشكل اكثر من الزمن السابق للبرجوازية التي كانت وطنية، لتبؤ مكان الطليعة في الثورة الشعبية، او في مرحلة اتمام وتحقيق واجبات الثورة الديمقراطية، ولا يهتما حتى لو تم ذلك عن طريق السلطة الفاشية، وعندما تشعر بخطر العمال الثوريين، فانها تقاومهم بشدة، ويكون قمع الديمقراطية عندهم حينئذ مثل ذبح الدجاجة!

وفي كل الأحوال، فإن دراسة الوضع الاجتماعي للفلاحين وتقييم موقفهم الطبقي، ومستوى تقدمهم والوضع النفسي لهم، والاديان ومذاهبهم المختلفة، وعاداتهم وتقاليدهم، وعلاقاتهم الاسرية والعشائرية، وارضيتهم ومياهم، ومنتوجاتهم وكيفية تسويقها، لاسيما في هذا العصر الذي تقدمت فيه الصناعة، وانتشرت مكننة القرى والمزارع وتطويرها باستمرار- ان دراسة هذه الازواض والتعمق فيها، بالشكل الذي ذكرناه، مهمة وينبغي إيلاء الاهتمام الشديد بها لكي يعرف بدقة مدى تطورالوضع الاقتصادي والاجتماعي للفلاحين ومدى استعداداتهم، للاختراط في صفوف الحركات المسلحة، او في انتفاضات المدن. فمن دون المسح الشامل لهذه الحقائق الاجتماعية في القرى، وبين الفلاحين، فان القيام بحرب العصابات والثورة الطويلة الامد داخل الارياف، لهُر مغامرة خطيرة.

الفصل الخامس

٥- تشويه صورة الثورة

تعود ارضية نمو وانتشار الايدولوجية (الريفديثيزمية)، أي اعادة النظر في الشيوعية، الى الوضع الاقتصادي الذي ساد بعد فشل كومونة باريس التي دامت من (١٨/آذار/١٨٧١) الى (٢٨/آيار/١٨٧١) كأول تجربة فاشلة للثورة الاشتراكية، والتي يتحمل مسؤولية فشلها على الوجه الاكثر الفوضيون، لأنهم: لم يهاجموا، ولم يثوروا في الوقت المناسب وعندما هاجموا، مزجوا بين مرحلتي الديمقراطية والاشتراكية، وعندما فعلوا هذا، لم يهاجموا، بعد انتصارهم البدائي، اعداء العمال في باريس، الذين التجأوا الى (فرساي)، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة، وحينما سنحت تلك الفرصة المناسبة لهم، هاجموا عمال الـ(كومونه) واغرقوهم في دماء الآلاف من رفاقهم.

هذه الهزيمة، الحقت بالعمال ضررا كبيرا، ودرت على البرجوازيين ربحا اكبر، وكان ضررها للعمال يكمن في اليأس الذي اصاب نفوس البعض من انصارهم، بعد الهزيمة، ويكمن ربحها للبرجوازيين في النظرة المتفائلة الى المستقبل التي تولدت لديهم نتيجة لهزيمة (الكومونة)، كما رسخت هذه الهزيمة اطمئنانا اكثر في قلوبهم وثقة اكبر في نفوسهم. لقد ادى انتصار البرجوازيين وهزيمة العمال الى ظهور النهج الاصلاحى داخل الحركة العمالية الفرنسية والالمانية والانكليزية، كما ادى الى انطفاء جذوة الشعور الثوري وتناسي الموقف الطبقي لدى العمال، وتهيأت الارضية الاقتصادية والاجتماعية المناسبة لهذه الفكرة، التي نمت وترسخت على الاساس الاوربي حيث: وجدت اوربا بعد الحرب (الروسية- الالمانية) سنة (١٨٧٠-١٨٧١م) التي انتهت بانتفاضة باريس الشاملة الكبرى- وجدت نفسها في استراحة طويلة دامت (٢٠) سنة، وتمكنت الدول الاستعمارية في غضون ذلك من كسب فوائد وارباح كثيرة من المستعمرات، واثر هذا في المسار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ايضا.

ومن هنا بدأت محاولات صياغة الاتجاه الاصلاحى نحو الاشتراكية. فبعد جورج فالمر الذي كشف منذ عام (١٨٩١م) بدايات هذا الاتجاه، نزل الى ميدان المناقشة والكتابة عن الماركسية والثورة والاشتراكية العلمية، في تلك الفترة ادوارد برنشتاين كأشهر الكتاب والمنظرين (الريفيثونزميين) وبهذا وضع نفسه في الخندق المناقض للمبادئ الثورية الماركسية وحاول اثبات:

- ١- عدم صحة نظرية حتمية انحلال المجتمع الرأسمالي من جراء تناقضاته الداخلية، وبهذا رفض المادية التاريخية، وبطل النضال الطبقي.
- ٢- دحض وفند مقولة: (الثورة الاجتماعية العمالية هي السبيل الوحيد الى الانتصار على الرأسمالية).
- ٣- تحقيق الاشتراكية عن طريق الاصلاح الاجتماعى، المتمثل في: انتشار الجمعيات التعاونية والنقابات، وتنامي الديمقراطية بهدوء... الخ!

باختصار:

فان برنشتاين غير اتجاه الحزب الثورى العمالي، من اتجاه حزب ثورى اجتماعى، الى حزب اصلاحى اجتماعى، وغير مسار الماركسية من النهج الثورى الى نهج اصلاحى، ووضع الثورة في متحف التاريخ، وجعل الرأسمالية نموذج الحياة الأبدية، وطوى صفحات الاشتراكية العلمية، وتلقى كاوتسكي هذه الآراء والافكار وحافظ عليها، وفرضها شيئا فشيئا، حتى اصبح، بعد برنشتاين وريثه بلا قناع ولا خوف، وبهذا انتشر هذا الاتجاه تماما داخل (الاممية الثانية)، وبعد موت انجلز، قبل الحرب العالمية الاولى، اصبح هذا الاتجاه سائدا. وفي هذه الاثناء ظهر الخوف من قيام حرب امبريالية، الى الوجود، وكانت الحرب فرصة للعمال، لكي يستغلوا مشكلات الرأسمالية من اجل القيام بالثورة. لقد اندلعت الحرب، وسنحت افضل الفرص، لكي تتمكن الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية من إبطال مفعول قرارات مؤتمر (شتوتكارت-١٩٠٧م) الاممية ضد اشعال الحرب غير المشروعة، وتهيئة الارضية المناسبة لاندلاع الثورة الاجتماعية.*

* علينا ان نعترف بان الاحداث، وبعد انتهاء الحرب الباردة منذ اواخر التسعينات، ولحد اللان، اثبتت صحة اكثرية الآراء الديمقراطية والاصلاحية لهؤلاء المنظرين الكبار، وان اكثرية الاحزاب الشيوعية واليسارية في العالم ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي وانحداره

في (٤ / آب / ١٩١٤)، وبناء على قرار للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني صوت أكثر من (١٠٠) عضو من أعضاء البرلمان (الرايشتاخ) لصالح ميزانية الحرب. ان الحزب المذكور بتصرفه هذا قد اثار اكثر من غيره من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، في الاشتراكيين والعمال، لأنه كان يعتبر القلب الكبير النابض للاممية، كما كانت الاحزاب الاشتراكية الاوربية ينظر اليه، كنموذج مثالي لنضالهم، ولهذا اتخذ الاشتراكيون الديمقراطيون في فرنسا وانكلترا، من بعده، نفس الموقف. ففي البداية، عندما وصل الخبر الى لينين، كان يظن انه دعاية من دعايات الشرطة الالمانية، لكنه تأكد لديه بعد ذلك انه خبر صحيح، لذلك انبرى لهم وتصدى لموقفهم، كذلك فعلت (روزا لوكسمبورك وليبيكنيختيش) اللذان اتخذوا موقفا ثوريا من النهج (الريفيثيزمي)، ولكن، لم يتمكن أي من اولئك ايصال اهم انتفاضات عمال المانيا، وفي ادق مراحل نضال عمال العالم، الى النصر والنجاح، حيث كانت ثورة اكتوبر بحاجة ماسة الى تلك المساندة حتى تخرج من حصار كيان الدولة الوحيدة، وتجسد الثورة الاشتراكية عمقا دوليا، وتسير، كشورة اكتوبر، نحو النصر*.

لقد ظهر خطر (الريفيثيزمية) على مستقبل ثورة العمال والشعوب، في ذلك الوقت اكثر من الاوقات الاخرى، وبهذا اصبح (الريفيثيزميون) سببا لاجهاض افضل الفرص الثورية، وغرسوا في جسد حركة المضطهدين حراب البرجوازية المسومة، ومنذ ذلك الوقت خرج التاريخ من مساره الصحيح، ولم يعد الى وضعه الطبيعي حتى الآن.

وبهذا الشكل، استطاع (الريفيثيزميون)، أي الاصلاحيون أو التحريفيون بمعنى آخر، استغلال آراء الشيوعيين الطوبائيين، وتشدد (البلانكيين)^(١) في خلط المهام الديمقراطية بالثورة الاشتراكية، في أول فشل

يتخذون هذا النهج السياسي والفكري استراتيجية جديدة لاجزابهم - مؤلف -
الطبعة الاخيرة المنقحة .

* تنبأ ماركس وانجلز في حينه باندلاع الثورة الاشتراكية في المانيا أولا، لكن النازية انتصرت فيها على النقيض من تنبئهم -

للمعمال لتحقيق مطالبهم الديمقراطية والاصلاحية. فلو لم يكن الامر هكذا، ولو كان العمال قد ناضلوا بحماس من اجل تحقيق مطالبهم الديمقراطية لتهيئة ارضية افضل للاشراكية، لوصل مسار الحياة لذلك الزمن وتلك الارضية، الى وضعنا الحالي، بشكل آخر. مع الاسف لم تؤخذ من هذه التجربة الدرس الوافي للثورات المقبلة، لذا ارتكبت الاخطاء مرة اخرى. ففي ثورة (شباط/١٩١٧م) الروسية، استطاع العمال والكادحون اثبات دورهم التاريخي في نجاح الثورة الديمقراطية، في زمن ضعف البرجوازية، وعندما انتصرت ثورة اكتوبر، كان ينبغي أن تنفذ المهمات الديمقراطية ايضا، بأخذ العبر والدروس من كومونة باريس، ولكن العكس هو الذي حدث، إذ بدأت مباشرة عملية فرض الاشتراكية، بعد نجاح ثورة اكتوبر مباشرة. إن الفرق بين ثورة اكتوبر وكومونة باريس، يكمن في أن (الكومونة) لم تقترب من المهمات الديمقراطية، بل حتى من الدولة، لكن البلشفيين نزلوا الى الميدان باسم الجمهورية الديمقراطية، وبعد ذلك تسرعوا في فرض الاشتراكية. حقا، ان حضور لينين والبلشفيين والمستوى العالي للوعي الطبقي والسياسي، في تلك الفترة، هو الذي حافظ على تجربة اكتوبر ورسخها، لكن التاريخ استرد، في نهاية الأمر، ضريبة تشويه الحقائق، فتعمقت العضلات التي اخفيت تحت ظل سلطة العمال، حتى انفجرت اخيرا بشكل مأساوي* فمع ان لينين ادرك خطر فرض الاشتراكية بالقوة، في سنوات حياته الاخيرة، وبدأ بمحاولة جادة لاعادة التوازن، وذلك باعادة اعطاء الاهمية للديمقراطية، الا أن الموت عاجله قبل تنفيذ ما قرره. ان ذلك الموت الذي حل في غير اوانه هياً الساحة لرجل عنيف شرس كـ(ستالين) ليخلف لينين، ويحل محله، ومنذ ذلك الوقت، وقبل أن نفض التشابك بين خلط مهمات الديمقراطية والاشراكية، ونوضح خطأه، خرج التاريخ من مساره الصحيح والتاريخ في النتيجة النهائية لا يرحم الذين يخطؤون لاسيما اصحاب الاخطاء الكبيرة.

(اوغيست بلانكي (١٨٠٥-١٨٨١) من الاشتراكيين الطوباويين الفرنسيين، قضى معظم حياته في السجن او في المنفى او وراء المتاريس، اصبح ممثلاً شهيراً للشيوعية الطوباوية - المترجم -)

١/٥ - الديكتاتورية الستالينية

كان ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣م) زعيما للحزب الشيوعي السوفيتي طيلة (٣٠) عاما، كما كان معروفا في اوساط الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وأثناء تطويره وتغييره الى الحزب الشيوعي، بانه من المناضلين الاقوياء الصامدين والعاملين لاسقاط النظام القيصري، وكان قبل انتصار ثورة اكتوبر (١٩١٧م) الاشتراكية وخلال تطوير ثورة شباط البرجوازية الى ثورة اشتراكية حقيقية، كادرا مؤثرا وقائدا مشهورا للنضال السري، وتمكن بشجاعته ومقدرته ضمان كسب ثقة قيادة الحزب، ليصبح عضوا بارزا في قيادته في فترة النضال السري الصعب. ولم تأت هذه الثقة إلا نتيجة لقدرة تنظيمية وسياسية وتطبيقية، لكن من الضروري أن نعرف هذه الحقيقة ايضا، وهي: ان الاشخاص السياسيين والمناضلين لا تظهر حقيقة قدراتهم، ومستواهم، وسلوكهم، ونفسياتهم، وعلاقاتهم ومرونتهم في فترة النضال السري، كما تظهر على حقيقتها المجردة في فترة النضال العلني والمكشوف، بل هناك، وفي اوقات كثيرة، اشخاص عديدون يظهرون عكس ماهيتهم وجوهرهم الحقيقي، في اوقات النضال السري الحزبي والاعمال الحزبية واثناء المناقشات وابداء الرأي في الندوات والاجتماعات، لاسيما الاشخاص الذين هم في جوهر تكوينهم اشخاص انتهازيون وانانيون ومتلهفون الى تولي المناصب. وكثيرا ما يحتاج وضوح ماهية الانسان وخاصة الانسان البارع، والكاتب، والذكي، والمقتدر، الى وقت اطول من الاشخاص الضعفاء والاقبل مستوى، لأنه يخفي، لفترة طويلة، تلك القدرة والذكاء، من اجل تحقيق اهدافه، واغراضه، ورغباته للتستر على ماهيته الحقيقية الى فترة طويلة من الزمن، ويستطيع ان يمثل بالضبط شخصية مناقضة لشخصيته * نحن نعتقد أن اخذ هذه الحقائق، بنظر الاعتبار، عند تقييم ستالين واشخاص كستالين، في التاريخ القديم والحديث، وفي كل الامم، عمل ضروري لتقييمهم تقييما عادلا ودقيقا.

لو أراد أي شخص أن يعرف نقطة الانقلاب في حياة ستالين وظهور الماهية الحقيقية لهذا الشخص، عليه أن يرجع الى ايام ما قبل، وما بعد

موت لينين. نعم، من هناك يمكن أن توضع اصبع على حقيقة السنوات الطويلة لتاريخ ستالين.

من الواضح ان لينين قبل وفاته كان يوجه انتقادات كثيرة لستالين بسبب صفاته وتصرفاته داخل الحزب، كما انه قبل وفاته، طلب في وصيته عدم انتخابه لقيادة الحزب، حتى انه لم يسمع نصيحة اطبائه حين منعه من الكتابة والقراءة، وهو على فراش الموت حيث، كان هذا عنده اهم من حياته، لأنه يتعلق بمستقبل الحزب، ولذلك لم يعمل بنصيحتهم، ونفذ ما اقتنع به، وكتب ما أراد، لاسيما عن (تروتسكي وستالين)، لكن ستالين وضع مباشرة بعد موت لينين وصيته تحت قدمي انانيته وذاتيته، واستعمل سلطاته لتأمين قيادة الحزب، ووراثة لينين لنفسه، بأي ثمن، ونجح في ذلك فعلا.

ومن الممكن انه، قبل هذا، وفي السنوات الماضية، قد واجه ستالين أحداثاً كثيرة، صغيرة او كبيرة لم تكن ملائمة مع رغباته ومراميه، لكنه تحملها، وصبر نفسه عليها، لكن موت لينين المفاجئ، والصراع من اجل السلطة في مفترق الطريق التاريخي ذلك، لشخص مثل ستالين الذي كان يتمتع بمقدرة اقل من الآخرين امثال تروتسكي وبخارين اللذين كانا من مرشحي القيادة المناوئين له، وتأكد له انه لو ضاعت منه هذه الفرصة، فلا يمكن أن تتاح له فرصة اخرى بهذه السرعة، او لربما يتعرض الى هزيمة منكرة، ولم يبق كل ذلك امامه حل إلا اظهار ماهيته الحقيقية التي اخفاها طيلة سنوات النضال السري، وامام لينين ايضا، وبهذا طبق ستالين الستالينية على تلك الارضية الاجتماعية والسياسية داخل الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي، بعد موت لينين على الرغم من الوضع الاقتصادي الخطير لبلاده، وبدأ بتصفية معارضيه، وتنفيذ خطته، التي نفذها في ثلاث مراحل:

- قبل الحرب العالمية الثانية

- في زمن الحرب

- بعد الحرب

فقبل الحرب، قضى على كل معارضيه اليمينيين واليساريين، بحجة المحافظة على اول دولة اشتراكية، وتطبيق الاشتراكية في دولة واحدة،

واستنادا الى احصاء ثبت مضمونه عليه، قتل اكثر من نصف مليون كادر وعضو من اعضاء الحزب، و(١٦) عضوا من اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية، كما قتل ما بين (٣-٥) ملايين فرد، لاسيما من الفلاحين. ففي المؤتمر السابع عشر للحزب، بلغ عدد اعضاء الحزب (٢٨٠٩٧٨٦) مليونين وثمانمئة وتسعة آلاف وسبعمائة وستة وثمانين عضواً، اما في المؤتمر الثامن عشر فقد بلغ عدد اعضاء الحزب، مع قبول (٤٠٠) الف عضو جديد (٢٤٧٠٦٦٦) مليونين واربعمائة وسبعين الف وستمائة وستة وستين عضواً*، أي تم قتل وتطهير اكثر من (٧٥٠) الف عضو من اعضاء الحزب^١.

بعد أن طهر حسب اعتقاده المعارضين داخل صفوف الحزب، ومن اجل أن يستمر في عدائه للديمقراطية، ويظهر نفسه على انه ثابت على النهج الشيوعي، اقترح ستالين في خطاب ألقاه امام المؤتمر الخامس عشر (١٩٢٧م) الاسراع في قيادة الحركة الشيوعية السوفيتية نحو انتصار الشيوعية، ومن اجل الوصول الى هذا الهدف اعطى اهمية كبيرة للصناعات الثقيلة ومكننة البلاد من غير دراسة، وفرض الاشتراكية في المجال الزراعي، ولكي يتمكن من تنفيذ اهدافه المنحرفة كافة، يقول في نفس المؤتمر هذا عن المعارضة: "انهم اعداء للينينية ومتعاونون مع الامبريالية".

وبعد أن تحقق له ما أراد في هذا المؤتمر، بدأ بفرض الاشتراكية الستالينية! في القرى وبين الفلاحين، وكبس بالقوة خمسة وعشرين مليون عائلة فلاحية في (٢٥٠) الف جمعية زراعية، ومن عارض هذا الاجراء القسري من الفلاحين صفي بتهمة الخيانة... لقد وصل عدد الضحايا حسب آخر الاحصاءات المعلنة في روسيا الى (٢٥-٣٠) مليون ضحية، أي اربعة

* ان لينين تا كورباتشف، ترجمه: نكارش محمود طلوعي، سازمان انتشارات هفتة، چاپ اول ١٣٦٧، ص ٢٢٢.

(كثير من المغيبين في زمن ستالين اعيد اليهم الاعتبار السياسي والنضالي في زمن خروشوف، واعيد كذلك الاهمية الحقيقية لـ(كامينيف، زينوييف، بوخارين) وهناك آخرون سيأتي دورهم).- المؤلف.

أضعاف نفوس الكورد في تلك الفترة (قليل...!) صحيح ان ستالين لم يفرض الأمية والنضال المشترك في تلك الظروف، لكن في الواقع كان اهم سياسة لستالين هو تطوير الستالينية في الاتحاد السوفيتي وخارجه، سواء من الناحية الاقتصادية والصناعية، ام من الناحية السياسية والايولوجية، وهذه السياسة هي التي احدثت، في البداية، الروح الثورية داخل البلاد السوفيتية، ومن ثم خارجها. يبدو أن الحرية في الداخل كانت مؤمنة، الى حد ما، قبل ستالين*، لكن ستالين: قتل وحبس وغيب معارضيه، إن هذه الاعمال سواء كانت مقصودة أم غير مقصودة، فقد قضت على الماركسية- في الاقل الى حين ظهور حقيقة الستالينية- على الرغم من محاولة اخفاء آثارها من قبل الحزب وكتاب ذاك العصر.

ما كتبه (بوخارين)^(١) في رسالته إلى زوجته قبل أيام من إعدامه شهادة صادقة ووثيقة دامغة لتلك الحقبة السوداء المظلمة: " حياتي تنتهي وها أنا أحني رأسي تحت مقصلة الجلاد، وهي ليست مقصلة البوليتاريا التي يجب أن تكون بلا رحمة في مثل هذه المواقف. وأمام هذه الآلة المجهنمية أشعر بضعف مطلق، لانها اكتسبت سلطة كبيرة بطرق كثيرة، فهي تعلق الأكاذيب المخجلة بمجمل الايمان والعقيدة. فان كنت قد اخطأت في اشكال بناء الاشتراكية اتمنى ان لا يكون الحكم علي اقوى من الحكم الذي اصدره فيلادميريلج. لقد سرنا نحو هدف واحد، ولم يكن النهج مرسوما بعد، ولكل زمن طبيعته وظروفه. كانت برافدا في ذلك الوقت قد خصصت صفحة كاملة للمناقشة والحوار، وسار الجميع على افضل السبل في المناقشة والحوار، اذ كانوا يختلفون احيانا ويتفقون احيانا اخرى، ويسرون معا. انا اناديكم

* ظهر حديثاً أنه حتى في زمن لينين كان هناك بعض من الضغط على الديمقراطية، شمل العمال ايضاً - المؤلف.

بوخارين، نيكولاى ايقانوفيتش (١٨٨٨-١٩٣٨) ثوري و منظر شيوعي روسي وصفه لينين في رسالته الاخيرة انه (اعظم المنظرين واكثرهم قيمة في الاشتراكية) كان عضواً في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي، و رئيساً لتحرير صحيفة اسفيستيا الناطقة بلسان الحزب. اختلف مع ستالين عام ١٩٢٩، اتهم بالخيانة والتآمر. اعدم عام ١٩٣٨ (المترجم).

ايها الاحفاد المجدد لقيادة الحزب ان تبحثوا بدقة، وتدرسوا بامعان واجباتكم التاريخية في خضم هذه الامواج المخيفة للجرائم التي تشوه الوجه الناصع للحزب وتحنقه، انني انادي كل اعضاء الحزب كافة".

يا ليت بوخارين والاشخاص الآخرين مثله حافظوا على أنفسهم وعقولهم وأقلامهم بأي ثمن، وسجلوا بكل هدوء: الجرائم والانحرافات والتراجعات والنفاق والخيانات التي ارتكبت في تلك الفترة، ورد الآخرون عليهم، عندها، نعم عندها فقط، كانت كل الحقائق تعرف كما هي، لا كما أريد لها أن تكون، حيث يُقِيم الآن الاشخاص الاحياء الاحداث الماضية بدلا من عاشوا أحداثها من الاموات*.

نعم... لقد قضى ستالين اضافة الى بوخارين والعديد من القادة المشهورين السوفيت الآخرين، بسبب اختلاف الرأي والفكر، على آخرين غيرهم خارج روسيا وداخل الكومنترن^(٢)، منهم (بلاتن) الزعيم السويسري المشهور، و(كانتكي) زعيم بولونيا، وزعيم اوكرانيا الغربية وبلروسيا وستونيا وليتوانيا وعدد آخر من قادة اليوغسلاف والبلغاريين والهنود والاييرانيين... الخ.

عندما طُفح على السطح خطر الحرب النازية، تهيأ لستالين افضل الفرص، ليقوم تحت ستار المحافظة على الدولة الاشتراكية باستعراضات غريبة ومساومات سياسية، على حساب الاممية. فمن جانب اعتبر كل انواع ابداء الرأي المخالف جريمة كبيرة، ومن جانب آخر، كان يحتقر أي شكل من اشكال الاستقلال الايدلوجي، بحجة تخريب جبهة الشعوب. إن ما جرى في هذا الوقت من مثل هذه الاعمال، كان صحيحا، لو جرت ضد النازية

- جان لنشتين، تأريخ الظاهرة الستالينية، ترجمة جوزيف سماحة، ص ١٢٠، ١٢١.
* هذه الجرائم ارتكبت في خضم احداث اكثرية الثورات الا ان الحقائق التاريخية عنها مازالت مخفية، ومنها الجرائم التي ارتكبت اثناء قيام الثورة التحريرية الكوردستانية- المؤلف - الطبعة الجديدة المنقحة.

[الكومنترن: او الاممية الثالثة أو الاممية الشيوعية، اسم مركز ادارة الحركة الشيوعية الدولية، تم انشاؤها عام ١٩١٩، الغيت عام ١٩٤٣. (الترجم)]

وحافظ على الاستقلال التنظيمي ايضا، ورفضت التبعية، لاسيما التبعية لدكتاتور، رفعه زمن الشمولية، الى المنزلة التي اصر على البقاء فيها. في المؤتمرات التي عقدت زمن الحرب:(طهران، يالطا، بوتسدام) كما اشرنا اليها سابقا، اتفق ستالين مع رؤساء الدول الرأسمالية، وعلى حساب العمال والشعوب وحسب رغبته، على رسم خريطة جديدة للعالم، وأصر فقط على عدم الانسحاب من المناطق التي تشكل خطرا على السياسية الستالينية، ومن الدول الدائرة في فلك الاتحاد السوفيتي مثل: بولونيا، المانيا، والدول الاوربية الشرقية الاخرى. اما في المناطق التي لم تكن تأتي منها تلك المخاطر، او كانت تأتي، لكنه لا يستطيع فرض رأيه، كان يستسلم بهدوء، لكي لا تثار ضده المخاطر الاخرى. فحينما ضمن له بولونيا والمانيا، كما أراد، تخلى، بسهولة، عن ايطاليا واليونان والنمسا. وفي ايران ايضا، وبعد معارضة استمرت الى حين الحصول على عهد اعطاه (قوام السلطنة)رئيس وزراء ايران آنذاك لستالين يعطى بموجبه لروسيا امتياز استخراج النفط الايراني - سحب ستالين فورا الجيش الاحمر من ايران، بحجة الاستماع الى نضائح امريكا، وأدار ظهره لأذربايجان وجمهورية كوردستان الوحيدة. فبالاضافة الى عدم مساعدته للانتفاضة المسلحة في كوردستان تركيا قبل الحرب ضد الكماليين الطورانيين الذين كانوا يخرقون علنا حقوق الانسان الكوردي، ويغربون كوردستان، ويبيدون الآلاف من سكانها- لم يكتفوا بهذا فقط بل قدموا لأولئك الكماليين المال والسلاح والدعم السياسي (كما هو الحال بين روسيا والعراق في الوقت الحاضر). فهو لم يساند الثورة الصينية ايضا، وكان لا يهتم إلا قليلا بمصير الحزب الشيوعي الصيني الذي كان في حينه صاحب مئات الآلاف من الانصار المسلحين، ويدير ربع الصين ، لذلك رضي بسهولة أن يشغل نظام شانكاي شك مقعد الصين الدائم في مجلس الامن الدولي الى جانب امريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي. لقد ألحق عمله هذا- بلا شك-من الناحية السياسية والدبلوماسية، في الاقل، ضررا كبيرا بالثورة الصينية.

يبدو أن ستالين كان لا يتوقع انتصار الثورة الصينية، بعد الحرب، لذلك رضي بانضمام الصين تحت حكم شان كاي شك الى صفوف الدول الكبرى.

أما في كوريا: فقامت الثورة فيها بقيادة (كيم ايل سونك) ضد اليابان * فقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بـ (١٥) سنة، تهيأت، بوقوف اليابان الى جانب النازيين والفاشيين في المانيا وايطاليا-فرصة كبيرة لشعب كوريا الذي كان الى ذلك الوقت موحدا، لينجح وينتصر على محتليه اليابانيين، لكن هدفا كهذا، بلا شك، لم يكن ليوافق رغبات الامبرياليين، حيث سبق وقرر (روزفلت، شرشل، و شان كاي شيك) في مؤتمر القاهرة (١٩٤٣م) وحسب رغباتهم مصير كوريا كما شاءوا، كذلك في مؤتمر (بوتسدام-١٩٤٣م) بحثت امريكا وروسيا وبريطانيا والصين (قبل انتصار ثورتها) مصير كوريا بعد الحرب، ولأول مرة في التاريخ بحثت مسألة تقسيم كوريا، ووافقت روسيا، بدون التشاور مع ممثل الشعب الكوري، على ذلك، ورضيت به. على ما يبدو، وكان الهدف من ذلك، هو تنظيم كوريا بشكل، يؤدي الى خلع سلاح اليابانيين من قبل امريكا وروسيا باقل المشاكل والخسائر، وبهذا برزت كوريا الشمالية ذات الـ (٩) ملايين نسمة، المتخلفة من كل النواحي، وكوريا الجنوبية ذات الـ (٢١) مليون نسمة صاحبة الصناعات الثقيلة.

من الواضح ان ثوار كوريا لم يرضوا بهذا التقسيم، ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت حقيقة سياسة الامريكان في هذا المجال، حيث قتلوا في اربع سنوات فقط (١٩٤٦-١٩٥٠)، وبصورة مباشرة (٢٥٠) الفا من ثوار شعب كوريا، وجعلوا الحياة في كوريا كجهنم تحت ظل سيطرة امريكا والرجعيين، ولهذا لم يرض شعب كوريا بهذا الوضع، واستمر في ثورته. وسارعت الصين لنجدته بكل طاقاتها، وقدم ستالين مجرا مساعدات سخية له من السلاح والمستلزمات الحربية. بمعنى آخر، لو رضي الشعب الكوري بالسياسة التي رسمها السوفيت، والدول الاخرى لتقرير مصيره، لكان عليه اختيار الخضوع لامريكا والرجعيين، كماهي عليه الان كل من: اليونان، وكوردستان، وأذربايجان، والدول الخليجية.

لم تمر الاحداث، اضافة إلى ما ذكر، في المناطق العالم الأخرى كما تشتهي القوى الكبرى، ولم يتمكن ستالين ايضا من صناعة او عرقلة نضال العمال والشعوب، ضد مضطهديها ومحتليها، كنضال:

١- الشعب الفلسطيني والعربي ضد اسرائيل وبريطانيا (١٩٤٨-١٩٤٩).

- ٢- غواتيمالا ضد هيندوراس (١٩٥٤).
- ٣- فيتنام ضد فرنسا (١٩٤٦-١٩٥٤).
- ٤- لاوس ضد فرنسا (١٩٤٦-١٩٥٤).
- ٥- اندونيسيا ضد هولندا (١٩٤٦-١٩٤٩).
- ٦- ماليزيا ضد الانكليز (١٩٤٨-١٩٥٧).
- ٧- كينيا ضد الانكليز (١٩٥٢-١٩٥٣).
- ٨- الجزائر ضد فرنسا (١٩٥٤-١٩٦٢).
- ٩- فليبين (١٩٤٩-١٩٥٤).
- ١٠- كولومبيا (١٩٥٣).
- ١١- كوردستان ضد النظام العراقي الدكتاتوري (١٩٥٨-١٩٦١).

إذ لم يتم الاتحاد السوفيتي، في عهد ستالين وبعده، بدور فعال في تلك الاحداث، ومن المفيد أن يقال هنا انه: في تلك الفترة الحرجة والدقيقة من نضال شعب: الصين، وكوريا، والشعوب الاخرى، كان (ماوتسي تونك، وكيم ايل سونك) يعرفان ستالين بصورة جيدة، لكنهما اغمضا اعينهما عن سياساته التوفيقية والدكتاتورية خوفا من أن يهاجمهما بصورة اسوأ، او كانا لا يعرفانه عن قناعة تامة ومعلومات دقيقة. فأى الرأيين كان صحيحا، وفي الحالتين كلتاهما، فان سكوتهما إلى الابد لا تبره أية ذريعة أو سبب، فلو قيل أن الظروف الحساسة التي كانوا يمرون بها اعطتهم نوعا من الذرائع العسكرية والسياسية التي بررت سكوتهم، فمذا يقال بعد تحرير كوريا والصين وظهور الحقائق؟! اذ لا تستطيع أي حجة أو ذريعة تبرير سكوتهم لا سيما بعد موت (ماو) وبقاء (كيم ايل سونك) على قيد الحياة إلى الآن. إلا أن نقول: انهم أيضا إما براغماتيون، او انهم مثل ستالين في السلوك والتصرف! إن طبيعة بناء الاشتراكية، في الصين، وكوريا، مثال مشوه لهذه المرحلة التاريخية من منظور ثلاثة عوالم مختلفة وخطأ قاتل لتسريع الانتقال من مرحلة الديمقراطية نحو الاشتراكية (الثورة الجديدة!) وعدم الازعان الى مطالب (شعب التبت) وعبادة شخص (ماو). في الوقت الذي عاد ضررها كلها على الاشتراكية، ووصلت النتيجة ايضا الى التراجع والى عودة الرأسمالية وابداء الآلاف من المتظاهرين والمطالبين فقط بالحريّة والحقوق الديمقراطية.

أما في كوريا، فبالإضافة إلى انخفاض مستوى معيشة الناس انخفاضاً شديداً مقارنة بكوريا الرأسمالية، فإن الاشتراكية لا أساس لها أبداً، والعمال ليسوا قادة كما يتظاهرون، والديمقراطية ليست لها حتى رائحة. ماعدا ذلك، فإن (كيم ايل سونك) الذي يعرف نفسه على أنه (شيوعي!) -نصب نفسه، بقرار ثبته في دستور بلاده، قائداً للحزب ورئيساً لكوريا إلى آخر يوم في حياته. والاسوأ من ذلك هو أنه بمفرده له الحق في حل مجلس الوزراء والغاء قرارات المجلس التشريعي الأعلى والمجلس التنفيذي! فلا يوجد شخص على وجه الأرض بهذه الصلاحيات إلا اللهم صدام حسين... فحتى الدول الملكية لا يملك ملوكها صلاحيات كيم ايل سونك.

وبهذا الشكل عرفت الستالينية في غضون أكثر من ربع قرن، كنهج متمسك بالقمع والعنف، وحرقت وشوهت جوهر الاشتراكية والروح الثورية، في الاتحاد السوفيتي وخارجه. هذا النهج الديكتاتوري لم يقلل ضرره عن ضرر الذي لحقه أعداء الديمقراطية والاشتراكية بنضال العمال والشعوب، لأنه ماعدا:

- تشويهه للاشتراكية.
 - خرقة للديمقراطية.
 - قتله الملايين.
 - تحريبه للحزب البلشفي.
 - زرع العراقيل في طريق نضال العمال والشعوب.
- ماعدا ذلك كله، كان لخطر هذا النهج ضرران مؤثران آخران أيضاً، ظلا إلى الآن مصدراً للأخطاء والذنوب الكبيرة للثوريين:
- ١- فعلى المستوى العالمي، أطفأ شرارة الاشتراكيين الحقيقيين على المدى البعيد، ومهد للرأسماليين والرجعيين كي يتخذوا من الستالينية رأساً لمرحمهم المسموم وأن يستعملوه ضد الاشتراكية، وإلى الآن، كما قللت جرائم ستالين من شأن اليسارية الديمقراطية بين شعوب أوروبا وأمريكا والمناطق الأخرى في العالم، إلى حد كبير.
 - ٢- بسبب تطبيق الدكتاتورية الستالينية باسم الاشتراكية العلمية وتركيز الاشتراكية في دولة واحدة للوقوف أمام الامبريالية، إنخدع الملايين من

الناس الجهلة، واحتسبوا قمع المعارضة الثورية حلالاً، ودفع هذا الامر ايضا العمال والمثقفين الثوريين في روسيا والعالم الى عدم الاستمرار في المعارضة الايديولوجية والطبقية ضد الستالينية. بمعنى: كان خطر اليمينية من الناحية الايديولوجية اقل من خطر الستالينية ومنتبعي هذا النهج داخل حركة العمال والشعوب ايضا، لانه عند الوقوف ضد اليمينيين ستعرف مخاطر العداء للعقيدة الطبقية والاشتراكية بسرعة. في حين ازاء الستالينية، فانها لا تعرف بسرعة، ليس هذا فقط، بل يشتد العداء للاشتركية اكثر بسبب اخفاء الستالينية نفسها تحت ستار هذه الاشتراكية، لاسيما من قبل تلك الاحزاب التي استمتعت بسماع صوت طبول ستالين من الخارج، وعاشت تحت تأثير نجاح ثورة اكتوبر ولينين. هذا السبب اثر تأثيرا سلبيا في نضال عمال العالم، وكفاح الشعوب المحبة للحرية من جهة العامل الذاتي للنضال الطبقي، لهذا نرى، في تلك الفترات التاريخية، أن تيار الحركة الطبقية العمالية قد خف جريانه وهدأ واندفاعه السابق، ولم يشاهد قيام حتى انتفاضة كبيرة واحدة، بعد الحرب، في جميع انحاء العالم، لتصبح مركزا جديدا للنضال الديمقراطي والاشتراكي، ويرجع السبب الذاتي الاكبر والاهم لذلك، الى أن ستالين تعاون مع الدول الرأسمالية، للمحافظة على توازن التناقضات الاساسية والرئيسية العالمية والاقليمية والأمية، ومن اجل تحقيق هذا الهدف، رضي فقط بالمكاسب التي حصل عليها في أوروبا الشرقية، بعد الحرب. هذه هي القاعدة التي كانت متبعة آنذاك اللهم اذا اصرت قيادة او حزب بالضد من ارادة ستالين، على نهج مستقل وثوري.

في ظروف العالم والاتحاد السوفيتي هذه التي لم تحدث فيها اية تطورات كبيرة، مات ستالين، وتولى الحكم وقيادة الحزب بعده وريث يميني آخر.

٢/٥ - خروثشوف: الانقلاب على ستالين

نيكيتا سرغييفيتش خروثشوف (١٨٩٤-١٩٧١) انتسب الى الحزب الشيوعي البلشفي عام ١٩١٨، بعد الثورة البرجوازية الروسية، وبدأت

تجربته السياسية بعد ذلك، وهذا يعني انه لم يتقوّل داخل بودقة القضايا الايدولوجية والنظرية السياسية، وإنما انخرط في الحركة السياسية تحت تأثير انتصار الثورة، بدون تجارب ومقدمات نظرية وعملية.

من الواضح أن انتصار ثورة اكتوبر كان حدثا تاريخيا، لكنه لم يمض وقت طويل حتى تعرضت للأخطاء والمشاكل العميقة، وواجهت اعداء ألداء متنوعين. وأصبح اولئك الاعداء وتلك المشاكل والأزمات عقبات كبرى أمام تحقيق مهمات الثورة الديمقراطية والاشتراكية. فزمام الأمور وقع بين يدي دكتاتور شرس، وحينما ينتصر الدكتاتور يتضح أن الديمقراطية لا يبقى لها أي وجود، أي: لا يبقى للحرية أي وجود، ولا يتمكن بقية قادة الثورة وكوادرها وشخصياتها المقتدرين، أن يفكروا، بحرية، في مصير الثورة، وحل مشاكلها، او حينما كانوا يفكرون فيها، كانوا لا يستطيعون طرح افكارهم ومقترحاتهم ناهيك عن تطبيق قراراتهم واقتراحاتهم، لأنهم كانوا يعرفون مسبقا ان (الرفيق ستالين) لا يسمح لهم بذلك. إن عدم تأمين الحرية، وفرض الدكتاتورية، هو احد الاضرار الكبيرة الناتجة عن سحق امكانيات الناس المقتدرين في المجتمع وداخل الاحزاب والحركات السياسية، وفي كل النواحي، لاسيما من الناحية الاقتصادية والنظرية والايدولوجية والسياسية والعسكرية، ولهذا السبب فقط، كانت تربية الكوادر في تلك الفترة والارضية التي نضج فيها كوادر ثورة اكتوبر الجدد، في داخل الاحداث المضطربة القاسية، وخاصة بعد موت لينين- تختلف عما سبق من تربية ديمقراطية الى حد معقول، كانت سائدة زمن لينين، اذ تغيرت نحو الأسوأ، وخاصة بالنسبة للمراكز القيادية. فإذا كان ستالين اول من خرق الديمقراطية وحاد عن مبادئها الاساسية، فلا يسمح إذن أن يُربى كوادره ورفاقه عكس تربيته هو. فلو لم يكن ستالين ومؤسساته الخاصة مطمئنين من ولاء اولئك الكوادر والرفاق، لما تقدموا بذلك الشكل داخل الحزب والدولة. يقينا لا يمكن لأشخاص مثل هؤلاء أن يخرجوا عن السياسة الستالينية، بأي شكل من الاشكال.

كان خروشوف من اولئك الكوادر الذين تربوا في زمن ستالين، وداخل المدرسة الستالينية، فلذلك تقدم على الآخرين، ووصل الى قيادة الحزب والدولة. فمذ أن اشترك في المؤتمر الرابع عشر للحزب عام (١٩٢٥م)، اصبح احد المخلصين للستالينية، وعمل بحماس ضد مناوئتها ومعارضيتها، وحصل على ثقة ستالين، عن طريق اصدقاء ستالين المقربين، وتقدم درجة فدرجة، الى أن اصبح، في المؤتمر السابع عشر الذي انعقد عام (١٩٣٤م) عضوا في اللجنة المركزية، وفي عام (١٩٣٨م)، والذي يعتبر العام الدامي للقضاء على معارضي ستالين، اصبح خروشوف السكرتير الاول للجنة المركزية في اوكرانيا، وبعد سنة اصبح عضوا في المكتب السياسي.

بهذا الشكل، كان خروشوف يمارس عمله الحزبي الى اليوم الذي ظل فيه ستالين حيا، وظل مقابل كل الجرائم التي ارتكبتها ستالين: قتل، تغييب... تصفية اشهر قادة الحزب، وغياب اقل قدر من الحرية والديمقراطية-نعم، ظل مقابل كل هذه الجرائم، صامتا، لا يحرك ساكنا (مادامت النار بعيدة عنه)، وجعل ضميره طعمة لقرارات ستالين الذي لا ضمير له، وقبح في فجوة من فجوات الزمن لليوم الموعد^(١) حتى انه كان محل ثقة ستالين، الى درجة ظل قريبا منه طيلة سنوات تحمله للمسؤولية، كما كان احد القلائل الذين وثق بهم ستالين، واعتمد عليهم عن قرب، وفي اليوم الذي مات فيه ستالين، كتب خروشوف في مذكراته عن ذلك اليوم: "لم استطع أن أتمالك نفسي، فبكيت، ينبغي أن اقول: في موت ستالين بكيت بصدق!". وفي بيان اللجنة المركزية بمناسبة موت ستالين الذي كتب-بلا شك-باشراف خروشوف، جدد الوفاء فيه لستالين قائلا: "كان ستالين رفيق لينين، والمديم المكمل لنهجه، والقائد والمعلم الملهم للحزب الشيوعي والشعب السوفيتي".^(٢)

وحيثما وقع زمام القيادة، في الاتحاد السوفيتي، بيد خروشوف، تقاذفته امواج أمرين خطيرين متلازمين، فمن ناحية كان خروشوف من خريجي

[إن هذه الانانية وحب الذات وانتظار الفرصة المناسبة، تكررت داخل اكثر ثورات العالم، وارتكبت جرائم كبيرة في هذا المجال (المؤلف)]
أز لينين تا كورباتشف ، ترجمة: نكارش محمود طلوعي، سازمان انتشارات هفتة ،
چاپ أول ١٣٦٧ ، ص ٢٦٨ .

مدرسة ستالين، حيث تربي فيها على يدي ستالين، وهذا يتطلب منه الاستمرار على نفس النهج الدموي العنيف، ومن الناحية الاخرى، كان يعرف، تحت ثقل أي وضع قاس، يئن الاتحاد السوفيتي ويتألم، هذا اضافة الى المهمات الدولية التي اضافت الى ما كان يحمله خروشوف والقيادة السوفيتية الجديدة-ثقلًا آخر لم يكن اقل من ثقل الجانبين الآخرين. كان الحزب يعيش في مأزق انعدام الديمقراطية والحرية، وتصفية مئات الالوف من الكوادر وابعاد الالوف من المناضلين الى المنافي البعيدة. فالدولة كانت تعيش في مستوى منخفض من التقدم: صناعة متأخرة، زراعة قليلة الانتاج، مستوى الحياة المعاشية متدن، تطور اجتماعي مشوه. وأما على المستوى العالمي، فإن العمال والشعوب المضطهدة، كذلك الاحزاب المعروفة اسما ب(الشيوعية) والشيوعيون ايضا، كانوا ينظرون الى السوفيت بعين ملؤها الامل بالمستقبل، لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ اصح الاتحاد السوفيتي مالكا للسلاح النووي، فعليه أن يساعدكم اكثر، ليوقفوا ضد الدول الامبريالية، وينتصروا عليها. إن انتصار الصين وكوريا الشمالية زاد من أمل السوفييت، وبث فيهم روح النشوة والانتعاش.

اتخذت الرأسمالية العالمية الولايات المتحدة الامريكية زعيمة جديدة لها، وارادت الولايات المتحدة، كدولة صاحبة قوة اقتصادية غير محدودة، أن تنزل الى الميدان بسياسة عصرية، حيث اخذت العبر والدروس، على ما يظهر، من بريطانيا الزعيمة السابقة للامبريالية، وكانت، الى حد ما، تعد بالديمقراطية، وتتعهد بتنفيذ المعاهدة (الاطلسية) لصالح الشعوب، وتعلن هذا لسكان الارض كافة، لكنها قررت في داخلها أن تكون مهمتها الاولى هي التصدي الحازم للشيوعية والشيوعيين، واحتلال الشعوب وقمع اليساريين والانتصار في الحرب الباردة. ففي تلك الفترة التاريخية المرحجة، كانت هذه المشاكل مطروحة على الساحة السياسية الدولية:

- الحرب في الهند الصينية ضد فرنسا.
- الحرب في لاوس (پانت-لائو) ضد فرنسا (١٩٤٦-١٩٥٤).
- الحرب في ماليزيا ضد الإنكليز (١٩٤٨-١٩٥٧).
- الحرب في كينيا (مائوماتو) ضد الإنكليز (١٩٥٢-١٩٥٤).

- انتفاضات تونس ضد فرنسا (١٩٥٢-١٩٥٦).
 - ثورة الجزائر ضد فرنسا (١٩٥٤-١٩٦٢).
 - ثورة قبرص ضد الإنكليز (١٩٥٥-١٩٥٩).
 - ثورة الكاميرون ضد الإنكليز (١٩٥٧-١٩٦٠).
 - التدخل العسكري في السويس (١٩٥٦).
 - التدخل الأمريكي في لبنان (١٩٥٨).
 - تدخل المخابرات الأمريكية (CIA) في غواتيمالا-هندوراس (١٩٥٤).
 - التدخل الفرنسي في موريتانيا (١٩٦١).
 - التدخل الفرنسي في بيروت (١٩٦١).
 - ثورة كوردستان (١٩٦١-أيلول).
- =
- كذلك:

- ثورة مصر المنتصرة (١٩٥٣).
- الاضراب الشعبي الجماهيري لفقراء المانيا الشرقية (١٩٥٣).
- اضراب عمال بولونيا (١٩٥٦).
- ثورة ١٤ تموز العراقية.
- انتفاضة هنغاريا والتدخل العسكري السوفيتي (١٩٥٦).

حصلت كل هذه الاحداث واحدة بعد الاخرى في زمن خروشوف الذي كان هو نفسه يعاني من تلك الاوضاع الصعبة داخل الاتحاد السوفيتي التي اشرنا اليها فيما مضى. لقد كان خروشوف صاحب امكانية قيادية محدودة، حيث ظهر، بعد ذلك، انها كانت غير كافية، لتوليه ذاك المنصب الكبير، في زمن الصراعات المتشعبة والمتعددة الجبهات: السياسية والعسكرية والتكنولوجية والثقافية والصراع النووي والسيكولوجي.

يقول خروشوف في مذكراته: "مازلنا الى الآن أسرى نشاطات عهد قيادة ستالين، ولم نتمكن التخلص من سيطرته، حتى بعد موته. لقد تمكنا التخلص عام (١٩٥٦م) فقط، من بقايا السايكولوجية المجنونة التي اخذت بتلابيبنا في فترة مطاردة اعداء الشعب. فحتى (ذلك الوقت) كنا،

على هذا النمط، أسرى خيال كهذا، وشك الستالينية الدائم، وفي حصار فرضه الاعداء علينا، اجرنا على معاداتهم بالمثل".

ويستمر في حديثه، قاتلا: "لم يكن قابلا للتصور عندنا أن يعد كل هذه الاعدامات وحلقات الابداء التي حدثت جرائم من الناحية القانونية، لكنها في الحقيقة هي نوع من الجريمة! لقد ارتكب ستالين جريمة (طبق قوانين) جميع دول العالم، حاله كحال الدول الفاشية نظير المانيا الهتلرية وايطاليا الموسولينية، فهو يستحق العقاب عليها".^(١)

بمعنى: كان خروشوف يؤمن بالستالينية لمدة (٣٠) عاما، وحتى بعد موت ستالين، وهذا يثبت بوضوح أن خروشوف لم يقف ضد ستالين او يعارض سياسته قط، والى يوم بقائه حيا، ولم يمر ذلك حتى في خياله. وعندما مات، بكى عليه، كما أن البيان الذي كتبه له ليلقيه بمناسبة رحيله لم ينطو على أية حيلة، لكنه، بعد (٣٠) عاما من الدراسة والتحليل والمناقشة، ظهر لخروشوف ورفاقه أن ستالين، ليس فقط لم يكن: رفيق لينين، والساتر على نهجه والمعلم الملهم للحزب الشيوعي السوفيتي، بل كان واحدا من اكبر المجرمين في التاريخ المعاصر ك: موسوليني وهتلر وآخرين من الذين يضاف اسم ستالين إلى سجل أسمائهم الاسود.

كان خروشوف في مراحل اعداده للعضوية، ونيله رتبة الكادر، ثم زمام القيادة- تربي في المدرسة الستالينية، ورفع الى القيادة برضا وموافقة ستالين، وكان مخلصا له، بعد موته، طيلة (٣٠) عاما، فوا أسفاه! هل يجوز، بعد دراسة ومعرفة المضمون الحقيقي لستالين الذي ظهر انه مجرم كهتلر، أن يصبح طالب من طلاب مدرسة (هتلر الاشتراكية) في سنة واحدة فقط او بعد اعلان الحقائق مباشرة- شيوعيا بهذه السهولة؟! طبعا، لا: فلو كان باستطاعة المرء أن يكون شيوعيا وقائدا للحركة الشيوعية بهذه السهولة، لربما كان بالامكان، وبسهولة ايضا جعل الرأسماليين العالميين من كبار الشيوعيين. وبذلك تتحقق الشيوعية في كل ارجاء العالم.

(١) ادوارد كرانسكاو، خاطرات سياسي خروشوف، ترجمة: محمد رفيعي مهرآبادي ص ٨٠.

إذا كان طابع الاحداث يسير هكذا، ويصبح خروشوف زعيما في خضم تلك الاحداث، أفلا يثبت هذا أن (طاحونة الجاهل يديرها الله)؟!^(١) لا، ليس هذا فحسب بل لقد اصبح شخصية سياسية مهمة في الاتحاد السوفيتي، وفي العالم (لكنه لم يكن قائدا محنكا). لقد اصبح كذلك نتيجة لتجاربه السياسية الطويلة، واعماله الحزبية في زحمة تلك الاحداث، لاسيما اثناء الحرب، وعما اكتسبه من خبرات جراء اداء مسؤولياته وتولي مناصبه التي حصل عليها. كان يرى العالم وفق منطقته ورغباته، ومنطق ورغبات المحيطين به، ويخطط من هذا المنطلق، كما حاول تخفيف عبء الستالينية من زاوية رؤية تلك الظروف والاحداث، وكان هذا عملا حسنا والحق يقال. فمن الواضح انه كان باستطاعته مثل معلمه، أن يكون وريثا لدكتاتوريته. فأحد مفاخره الكبرى هو ازالة الستار عن وجه الجريمة والممارسات الخفية لستالين، والاعتراف بالاطعاء الكبرى، على الرغم من ان اعتراف الاطعاء أو اخفائه هو شيمة سياسية وثقافية، لا يتجرأ عليه كل السياسين وكل القادة.

ففي زمن خروشوف نفسه تم انتاج الصواريخ العابرة للقارات لأول مرة، كما ارسل الى الفضاء الخارجي عام (١٩٥٧ م) اول قمر صناعي روسي عن طريق قوة الدفع الصارخي.

وبعد مرور عدة اشهر من نفس السنة، ارسل الى الفضاء الخارجي القمر الصناعي الثاني الذي كان اكبر من سابقتها بست مرات، وكان يحمل كلبا، وقد اذهل هذا العمل الجبار العالم كله. لقد كانت هذه الاختراعات الكبيرة محل فخر العمال والشعوب المكافحة لنيل حريتها، ومصدرا لسرورهم المنقطع النظير، كما سببت للرأسماليين في عين الوقت خاصة زعيمهم امريكا التي كانت مسيطرة من الناحية التكنولوجية - سببت لهم هما واحراجا سياسيا وصناعيا وعسكريا كبيرا، لأن امريكا البعيدة عن متناول اليد اصبحت الآن، بعد انتاج مثل هذه الصواريخ البعيدة المدى والعابرة للقارات التي من الممكن تزويدها برؤوس نووية، اصبحت غير محمية، بل

- (مأخوذ من المثل الكوردي (فانشى نهزان خوا دهيكيرى) والذي يقال عندما ينجح بعض الجهلاء ويتفوقون على غيرهم رغم جهلهم - المترجم.

مفتوحة امام هذه الصواريخ المدمرة، وبهذا اصيب ميزان القوى العسكرية للقوى الكبرى في العالم بخلل، لا مثيل له، حيث مال الى جانب السوفيت، بعد هذه العملية، ولفترة من الزمن. لقد وجدت الدول الغربية وامريكا نفسها، ولاول مرة بعد حرب عالمية لا نظير لها، في وضع عسكري غير متوازن* فبعد أن لعبت دورا مهما للغاية في عمليات الانتصار على النازية، في هذه الحرب، وجدت نفسها في وضع حرج عكس الحالة التي سادت بعد الحرب العالمية الاولى، حتى أن زعيمها الجديدة التي كانت تتباهى باعظم اختراعات العصر التكنولوجية- فوجئت بهذه الابداعات السوفيتية التي جعلتها تسير وراءها بخطوات. لقد ادى اندحار النازيين الى ترسيخ الوعي في النفوس، وتوسيع الرؤية عند الناس بصورة اكثر، كما ادى الى تطوير الفكر الحر وانتشار المطالبة بالحرية وكانت التناحرات السياسية والايديولوجية بين الاتجاه الرأسمالي والاشتراكي على الصعيد العالمي محتدما وقويا.

كانت الحالة إجمالا ملائمة لتعميق النهج الشوري، وكان الوضع مهيأ لانتصار العمال والشعوب، وكان من الممكن، بعد كشف الستالينية على حقيقتها في تلك الظروف المعروفة، كما حصل بعد انتصار ثورة اكتوبر- كان من الممكن تطوير النضال الاممي وتعميقه، وتحقيق مهام التحرر والديمقراطية بصورة افضل، بين التيارات الديمقراطية والاشتراكية واليسارية كافة، وحلحلة الخلافات الجانبية المضرة، لكن قيادة، لا تؤمن هي نفسها بالديمقراطية، كيف يمكن أن تكون ظهيرا وسندا لديمقراطية الشعوب!؟

تسلم خروشوف زمام الامور في ظروف عالمية جديدة، ومن الممكن القول إن احداثها السياسية كانت تختلف عن الاحداث السياسية في زمن ستالين، واهم ميزة واضحة لهذا الاختلاف هي حركة المقاومة الوطنية- السياسية التي تفجرت في الشرق وفي افريقيا وامريكا اللاتينية ضد الاستعمار، بقيادة البرجوازية الصغيرة.

فبعد الحرب العالمية الثانية، برزت الى الوجود اربعة اشكال من التناقضات الحادة، في العالم والتي سميت بالحرب الباردة، ووصلت في زمن خروشوف الى قمة الغليان والانفجار:

- ١- استمرار الحروب الكلاسيكية (القديمة).
- ٢- الحروب التحررية ضد الاستعمار.
- ٣- الحروب الداخلية: الطبقية، والقومية، والمذهبية.
- ٤- الحروب السايكولوجية (النفسية).

لقد وصلت ضحايا تلك الحروب في الاعوام (١٩٤٥-١٩٨٢) إلى (١٢,٥) مليون شخص، أي بلغ سنويا إلى (٣٥٠) الف ضحية^(١) وبلغ عدد ضحايا الحروب التي نشبت بسبب مشاكل الحدود الدولية (١٠) ملايين شخص، وهي عبارة عن:

- الحرب بين الهند والصين (١٩٤٦-١٩٧٥ م).
- الحرب بين الهند وباكستان (١٩٤٧-١٩٤٩-١٩٧٩ م)^(٢)
- حرب السويس (١٩٥٦) بين العرب واسرائيل.

معظم تلك الحروب الكبيرة والمعارك الداخلية كانت إما ضد الإمبريالية، أو اشعلت بدسائس من الإمبريالية. فبوجه عام كانت الحروب من اجل الحرية وضد الإمبريالية مباشرة كما حصل في: كوبا، لاوس، الهند الصينية، ماليزيا، كينيا، تونس، الجزائر، قبرص، الكاميرون، الكونغو، انغولا، اليمن الجنوبي، غينيا بيساو، فلسطين، موزنبيق، كاتانكا، كردستان، اريتريا... الخ. في هكذا ظروف للعالم، إذ أصبح الاتحاد السوفيتي فيها مالكا لأكثر سلاح فعال مؤثر فيه، كما أصبح العمال والشعوب المناضلة الواقفة كالسور الفولاذي ضد الإمبريالية، حلفاء له، وكان ينظر اليه، إلى ذلك الحين، على أنه قلعة الاشتراكية وملاذ الاحرار، ولم يكن لدى جميع الاحرار اقل المعلومات عن جرائم ستالين، حينذاك، وكانوا يعتبرون ما يسمونه من أخبار وانتقادات موجه إلى ستالين، هنا أو هناك، هي من تهمة واختراعات الإمبريالية، ويقمع بشدة، إلى أن اعلن خروشوف عن الجرائم الخفية لستالين. في ظروف كهذه، كانت شعوب العالم أكثر تلهفا وشوقا لسماع ورؤية ابتكارات ومخترعات السوفيت وحلفائهم، وكان أمل خلاص الشعوب

١١ اطلس استراتيجي ص ٤٧. جهان، ژار رشاليتيم و ژان پيرازو ص ٤٧.
(نفس المصدر السابق ونفس الصفحة)

المضطهدة يمتد ويتسع بقدر تأثير السوفيت في العالم، لكن خروشوف، بعد أن فرض نفسه، وقتل قسما من معارضيه، أو ازاحهم عن طريقه، وأمسك بزمام السلطة في الاتحاد السوفيتي، واطمأن على نفسه وعلى الذين حولته، عند ذلك بدأ بتطبيق سياسته الخاصة المنطلقة، من رؤيته الذاتية الى العالم، بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (١٩٥٦م). وما يتعلق ببحثنا من هذه السياسة من الناحية النظرية التنظيمية، هو حقيقتان:

١- سياسة التعايش السلمي بين الاشتراكية والرأسمالية.

٢- بناء الاشتراكية بطريقة التطور اللا رأسمالي بقيادة البرجوازية الصغيرة.

هاتان الاطروحتان مرتبطتان بمرحلة مصيرية، مرحلة ظهور الحقائق: الاقتصادية، والاجتماعية، والنظرية، والسياسية للاتحاد السوفيتي التي تراكمت، لفترة طويلة، في عهد ستالين، لكنها اخفيت عن طريق النهج الخاطيء للاشتراكية. وهكذا صاغ ستالين، منذ الحرب العالمية الثانية، على الرغم من عناده وتشبته برأيه- استراتيجية التعايش السلمي مع الرأسماليين، وعلى هذا الاساس الذي عرضه في اجتماع السادس من شباط/١٩٤٤م، للمجلس الاعلى للاتحاد السوفيتي: "الكي تتاح فرصة ضرورية ومنتسح من الوقت، للاتحاد السوفيتي، لاعمار ما خربته الحرب وبناء البنية التحتية، نحن محتاجون الى زمن طويل من الصلح، ومن مصلحتنا أن يعيش العالم الرأسمالي، لفترة طويلة والى حد ما، وليس الى الابد، في صلح واستقرار".

في هذا الحديث، تؤكد بوضوح أن السوفيت مهتمون بالمحافظة على الكيان الرأسمالي، سواء بقصد اعادة اعمار البلاد ام تحت أي ذريعة اخرى. إن اعادة بناء البلاد، بعد حرب تدميرية، هي- بلا شك- من الواجبات

[عندما نقول بناء الاشتراكية، بلا شك قصدنا هو نفس البرنامج السياسي الذي كان الاتحاد السوفيتي يتبعه، وليس الاعتراف باشتراكية السوقية (المؤلف)].
(ارتوركند - يالتا يا تقسيم جهان، ترجمة: محمد طلوعوي، چاپ أول ١٣٦٥ ص ١٨١).

المهمة لقيادات الدول، كذلك إبرام أية اتفاقيات سياسية وتكتيكية أخرى، لكن هذا لا يمكن أن يتم على حساب المبادئ الأساسية، ومن أجل الوصول إلى ذلك، فإن الرأسمالية من غير المشاكل، والمتنعة بالصلح والاستقرار، يجب أن تكون بالضغط على العمال والشعوب المناضلة، وهذا الضغط يرتبط بعدم تقديم المساعدة والعون، بل والعداء، وعدم التشجيع، وتشيط هم المناضلين الديمقراطيين التحررين والاشتراكيين. فهذه الاعمال بلا شك سهلة على ستالين، ليس هذا فقط، بل حتى تدبير القتل والمذابح والنجاح في تدبيرها وتنفيذها.

كان هدف ستالين بالأساس من هذه السياسة هو طمأنة بريطانيا وأمريكا، في المؤتمرات الدولية وفي ابداء الرأي واصدار القرارات، بشكل أصبح الرئيس روزفلت واثقاً من نفسه ليقول: "أنا لا اتحدث عن افكاركم وآرائكم. فكلامكم قول مأثور، لكن بالنسبة لي اشعر بأن ستالين ليس ذاك الرجل الذي تتصورون".

كان لهاري هاكنز نفس التصور، فهو يقول "ليس لدى ستالين أي اصرار على رأيه، فهو لا يريد شيئاً سوى أمن بلاده... حتى اني ارى أن أضع بين يديه كل ما استطيع، ولا اطلب منه بدل ذلك أي شيء، وهو كذلك ايضاً يترك هذه الاعمال بدون تصفية، ويتعاون معي من اجل انشاء عالم يعيش فيه الجميع في وئام وحرية.

وهذا هو دليل اطمئنان أمريكا من سياسة ستالين والتي تم تقسيم العالم بموجبها، بعد الحرب، وهي التي أدت إلى تقسيم ممتلكات المانيا وفق اهوائهم ورغباتهم. يبدو أن الهدف الرئيسي للإمپيريا ليه، كان قطع المساندة والتأييد من النضال الثوري لعمال العالم، وكفاح احرار الشعوب المحتملة. ففي البند الـ(٩) من البيان الختامي لمؤتمر (يالطا) الذي جاء تحت عنوان (الاتحاد في زمن السلم، هو نفسه في زمن الحرب) أكد المؤتمرون على

أن قرار المحافظة على الصداقة والتعاون العالميين يعتبر: واجبا مقدسا تم التأكيد عليه وربطه بميثاق الاطلسي.^(١) تلك القرارات صدرت في زمن ستالين، بعد الحرب العالمية الثانية، لذلك ليس صحيحا، بأي شكل من الأشكال، تلك الافكار والآراء التي قالت: إن خروشوف هو مؤسس السلام الدائم في الاتحاد السوفيتي. بل إن هذه الآراء كانت تنشر في الاكثر من قبل (الماويين). ان ما فعله خروشوف هو في الحقيقة ادامة لنفس السياسة، لكن مع خصوصيتين اثنتين تتعلقان به: الاولى: هي ازالة دكتاتورية ستالين. والثانية، هي فضح تلك السياسة علنا، والقضاء عليها، ومحو آثارها داخل ضباب التبجح والتباهي بالاشتراكية.

قبل بروز تلك المباديء الجديدة حاول خروشوف بكل الوسائل، أن لا تظلم جرائم ستالين في زوايا التاريخ المخفية فترة اخرى، فرغم معارضة شديدة، تمكن شيئا فشيئا، من تنفيذ قراراته حول تعرية الستالينية، والاعلان، لأول مرة عن تلك الحقائق التي كانت تعتبر افتراءات امپيرياليه، في الماضي. إن مبدأ التعايش السلمي الدائم، والتطور اللا رأسمالي كانا مسألتين اقتصاديتين، فكريتين، سياسيتين شاملتين أثرت كل واحدة منهما بصورة معينة، بشكل منفرد ام معا، في: سير الاحداث، والسياسة الدولية، ونضال العمال والشعوب. إن مضمون ونتائج تحقيق المبدأين مرتبطان مباشرة بنهج الثورة والنضال الثوري، او لنقل بشكل اوضح هما مرتبطان بإيجاد نهج (تحريفي) وان هذا النهج المبتدع الجديد وضع. على النقيض من سابقه، في قالب مصلحة تحرير العمال والشعوب، وبدعوى انه اشتراكي ايضا. إن مصدر هذه المبادئ، اضافة الى تلك الظروف الصعبة داخل الاتحاد السوفيتي، ومستوى فهم خروشوف ورفاقه، نقول اضافة الى هذا كله، فان الشرط الموضوعي السياسي والعسكري الذي تهيأ في العالم، كان عاملا مؤثرا ومشجعا لخروشوف وسوسلوف (الذي يعتبر منظر مبدأ التطور اللا

(ميثاق الاطلسي ميثاق مشترك صدر في ١٤/آب/١٩٤١ عن كل من: فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة حينذاك، و ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، بعد اجتماع في (نيوفاوندلاند)، ينص على (٨) بنود، انضمت اليه (٢٥) دولة اخرى- المترجم).

رأسمالي في زمن خروشوف)، لكي يصوغا هذه المفاهيم والمبادئ. لقد اعتقدوا ووفق حساباتهم انهم سيتمكنون، بعد نزع طوق الستالينية من على جسد السوفيت وحلفائهم، من توظيف الظروف السياسية والعسكرية العالمية تلك، والسير بها نحو الهدف الذي يريدون تحقيقه، طبقاً لمنظورهم العالمي الذي هو بديل عن النهج الثوري ومضاد لاتجاه حركة سير عجلة الثورة، ويقودون النضال السياسي العسكري للبرجوازية الصغيرة داخل الشعوب المضطهدة والدول المطالبة بالاستقلال عن طريق التطور اللا رأسمالي الهادئ، والعون الاقتصادي- نحو الاشتراكية. اذا كانت المسألة ليست هي الثورة والثورية، فان الرأسمالية الاحتكارية ستستقر، وتصمد بصورة افضل. ومن اجل نجاح هذا ايضا، ولامتصاص ردة فعل الاحتكاريين، قدم الحل التوفيقى الداعي الى التعايش السلمى الدائم.

إن مبدأ التطور اللا رأسمالي هو مبدأ يناقض المبادئ التطبيقية للاشتراكية العلمية التي نادى بها مؤسسها، لأن رسالة بناء الاشتراكية، بموجب هذا المبدأ، انتزعت من العمال، ووضعت على عاتق البرجوازية الصغيرة التي هي أساسا عدوة الاشتراكية والعمال، كما أنها، على المستوى العالمي، قاعدة واسعة للرأسمالية حيث تكمل هذه الطبقة، عن طريق صناعاتها الصغيرة، الاطار الاقتصادي للنظام الرأسمالي، ومن ناحية اخرى، هي عامل سياسي مؤثر، يحد من تنامي النضال الطبقي والاجتماعي التحرري، مع أنها، وبسبب الظروف الخاصة، والشعور القومي، وفي مرحلة محدودة، لديها شعور وطاقات وطنية، ولكن ليست اشتراكية ابداً.

منذ ظهور الاشتراكية، بل ومنذ ظهور النضال الثوري، لم يلحق أي مبدأ ونظرية نفعا بالبرجوازية الصغيرة، وضررا بالعمال، بقدر مبدأ التطور اللا رأسمالي. فكل من برنشتاين، وكاوتسكي ومقلديهما، كانوا مباشرة في خدمة الرأسمالية، لكن هذا المبدأ حافظ، وبشكل مستقيم ومباشر، على حكم البرجوازية الصغيرة، وأزال خطر القضاء عليها، وفي المحصلة النهائية اقتنصت الإمبريالية هذه الفرصة التي سنحها لها هذا الطرح، واستغلته لصالحها. فلا بد أن تقتنصها، وتستغلها لصالحها، لأن جوهر هذا المبدأ يخدمها، بصورة غير مباشرة، كما كان يراد بهذا الاسلوب الملتوي جر البرجوازية الصغيرة نحو الاشتراكية:

"ففي اطروحات البرجوازية الصغيرة التي لاتغيب، كما يظهر، على المسرح السياسي في الدول الافرو اسيوية، لفترة طويلة من الزمن، يجد الماركسيون براعم مزروعة بصورة صحيحة، يرعونها ويعتنون بها، ونحن على يقين من ان هذا المسار صحيح، وينبع ايماننا هذا من ان الاحزاب الديمقراطية الوطنية لا سيما التيارات اليسارية منها التي انبثقت من الاشتراكية الوطنية غير الماركسية، تستطيع ان تسير نحو الاشتراكية العلمية اذ يتربون عليها، ويصقل اذهانهم بها في المحصلة النهائية اثناء مسيرة النضال والانتصار على التناقضات والخلافات الفكرية".^(١)

وهكذا... في جميع تلك البلدان التي حققت فيها البرجوازية الصغيرة نوعا من الحكم السياسي المستقل عن طريق الانقلابات العسكرية او الانتفاضات الوطنية الشعبية، خاصة في اسيا وافريقيا- بذلت محاولات لتطبيق هذه الاطروحة غير المرنة، وبامكاننا، بالادلة، التأكد من أن نتائج كل هذه المحاولات كانت محيية لآمال الاشتراكية، بل وآمال الديمقراطيين ايضا، بشكل كبير. ومنذ بداية الستينات، فصاعدا، تقهقرت الاحزاب الشيوعية، والاكثر من ذلك هو أن هذا النهج الخاطئ المتسلل الى اعماق حركة العمال والكادحين، اضعف الحركة بشكل خطير. لقد استغلت البرجوازية، طوال ربع القرن الذي اضعف فيه نضال العمال، وقل فيه خطر الثورة والانتفاضة وأبعد فيه خطر انتصار الاشتراكية- استغلت الوضع الاقتصادي والسياسي العالمي المتقدم، والمستوى العالي لمداخله وثرواته، لتثبيت دعائم وجودها، والقضاء على مناوئتها، حتى وصل الأمر الى هذه الحالة التي تستمر فيها الانظمة الفاشية والدكتاتورية في: العراق، مصر، اندونيسيا، الصومال، الهند، الجزائر،... الخ، لعدم وجود النضال الشوري والديمقراطي للعمال والكادحين- تستمر هذه الانظمة، وهي مدينة وخاضعة للاقتصاد الرأسمالي، في استغلال واضطهاد الفقراء والكادحين وخرق الحقوق الطبقيّة والديمقراطية، في بلدانها، وفي مقابل كل هذه الأمور، والى اليوم الذي يبقى فيه مبدأ التطور اللارأسمالي شائعا، لن يحقق نهج أي طرف من اطراف المعارضة إلا الهزيمة والخسران، سواء الذين استمروا على النهج الخاطئ ام الذين انتهجوا نهجا مغايرا. لكنهم في الحقيقة، استمدوا سياستهم

(اوليا توفسكي-بافلوف-اسيا المختار-دار التقدم-موسكو-ص(٢٦١).

المسماة بـ(الثورية) داخل الحركة الطبقيّة والوطنية من أفكار أولئك المتخاذلين المنصاعين للرأسمالية.

كان ضرر سياسة التطور اللارأسمالي أكثر داخل حركة العمال وفي اعماق نفوس الأحزاب اليسارية، في البلدان التي كانت تحكم سياسيا من قبل البرجوازية الصغيرة، واثرت تأثيرا بالغاً في مستقبلها، لكن هذه السياسة كمثيلاتها الاخريات لم ترسخ وجودها في صفوف الاحرار وعشاق الحرية إلا قليلا.

إن الغريب في هذا الامر هو أن البرجوازية الصغيرة الحاكمة استعملت هذه السياسة، لضمان تأييد ومساندة السوفيت وحلفائهم لها، هذا من جانب ، ولتخفيف خطر العمال ومعارضة خطط الأحزاب اليسارية، على الصعيد الداخلي من جانب آخر. فمع أن نهج التطور اللارأسمالي، حتى لو طبق بين الشعوب المحتلة من قبل الإمبرياليه، عن طريق الأحزاب التابعة للسوفيت، فإن البرجوازية الصغيرة في الشعوب المضطهدة، وبسبب مواقفها القومية التحررية التي هي في الجوهر موقف انتصار طبقتها، قد تمكنت من أن تضع الأحزاب اليسارية، في هامش الحركة التحررية، وأن تحتل هي الموقع الطبيعي داخل هذه الحركة.

ففي جميع تلك الدول التي تمكنت البرجوازية الصغيرة من طرد المحتلين منها والانتصار عليهم، بالنضال المسلح او بالانتفاضة او الانقلاب، اصبحت الأحزاب العمالية، احزابا تابعة ومؤيدة ومصفقة، للقوى البرجوازية وسائرة خلف الاحداث إلى يومنا هذا ف: العراق، والجزائر، ومصر، والصومال، وانگولا واليمن وسوريا... الخ، هي امثلة صارخة على الحالة تلك. وفي هذا افضل دليل على أن البرجوازية الصغيرة تطبق هذا النهج حينما تكون ممسكة بزمام السلطة، ولا تطبقه حينما تفقد زمام السلطة، ولم يكن الأمر هذا من اجل الاشتراكية، عندما أريد بقدرة قادر أن يوضع في هذا القالب، لكن، لحسن الحظ، فشلت تلك المحاولة.

ومن اجل بيان هذه الحقيقة أكثر، نرى ان قوى البرجوازية الصغيرة للشعوب المحتلة، والتي لا تطبق ابدأ مذهب التطور اللارأسمالي في مرحلة الاحتلال- نراها تطبق هذا المبدأ بكل سهولة، عندما يتولون مقاليد

السلطة، لأنهم عندما يكونون محكومين وخاضعين لسلطة الغير، فان هذا المذهب لا يرفعهم الى فوق هرم السلطة، وحينما ينجحون في الاستيلاء على السلطة، فانه يحافظ على نجاحهم المستهدف من قبل العمال الثوريين. ان خطر التطور اللارأسمالي يكمن في هذا، لذلك نحن نرى، والى اليوم، أن كل الدول التي تمت مساعدتها بصورة المنظومة المسماة بالاشتراكية، كانت حليفة للرأسمالية من الناحية السياسية والاقتصادية، بل كانت اكثرها ضد العمال والاشتراكية بكل قوة. وأصبحت الثورة والثورية بين عمال تلك الشعوب بتشويه عميق.

النتيجة هي أن الاتحاد السوفيتي، والدول الاوربية الشرقية التي مازالت تطبق هذه السياسة التي تؤمن بها (ليست الدول التي تخلت عنها)، ووراءهم عمال وشعوب البلدان الساعية الى الحرية، والتي وجد أن التطور اللارأسمالي حق مشروع قد اصيبت جميعها باضرار بالغة جراء هزيمة تلك السياسة. وفي المقابل تمكنت الرأسمالية من تحويل التطور اللارأسمالي، الى تطور رأسمالي، بشكل حقيقي، ولم تتمكن الغرب الرأسمالي ابدا طيلة تاريخها بهذا الشكل المتين من: تأمين اسواقها، وبيع بضائعها، والحصول على الارباح والفوائد الضخمة، واكثر من ذلك قلت مشاكلها الاقتصادية والسياسية، وبسبب هذا ايضا، نرى انها بدأت بالهجوم على الفلسفة العمالية، وبالعامل على كم أفواه الطبقة العمالية، وعلاوة على ذلك، اصبحت حاملة للواء الديمقراطية والحرية، ساعية لكسب التأييد والمساندة لتوجهاتها وآرائها، جاعلة من دكتاتورية ستالين وغياب الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي والدول المشابهة لها امثلة وبراهين على صواب سياساتها وتوجهاتها، وهي ليست على خطأ في هذا، فبعد (٤٤) سنة من بناء الاشتراكية في رومانيا، انتفض شعبها ضد القادة الشيوعيين بشكل، قتلوا زعيمهم (شاوشيسكو)، ولم يسمحوا بدفنه مع زوجته في بلدتهم، واثبتت

(بعد الطبعة الاولى لهذا الكتاب، هزمت اليمين الديمقراطية التي جعلت مشالا للديمقراطية الثورية والتطور اللارأسمالي، واتحدت مع اليمين البرجوازية وقبله تكشف بطلان تطبيق نظرية التطور اللارأسمالي في العراق وسوريا ومصر والجزائر- المؤلف).

الاحداث في بولونيا، في الوقت نفسه، على مدى الفرق الشاسع بين الوضع السياسي والاجتماعي للعمال، وبين نظامه الذي كان يدعي الاشتراكية. وفي مقابل هذا... يجعل (جيمي كارتر) الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية منتجعه الصيفي مركزا للحوار بين الحركة التحررية الأريترية والنظام الاثيوبي، من اجل الحصول على حق تقرير المصير للشعب الأريترى! حصل هذا في الوقت الذي كانت الطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة السوفيتية تقصف بكثافة شعب اريتريا وثوارها، لكي يتمكنوا عن طريق مساعدة (منغستو ماريام) من اقامة الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية!

إن طروحات خروشوف هذه، الحقت-عدا الاضرار الايدولوجية والسياسية- اضرارا نظرية بالغة بالحركة الاممية، ومنذ تلك الفترة، والى الآن اصيبت الاممية بأزمة عميقة ولا نعتقد ان تتعافى من هذه الازمة المستفحلة لان احداث التاريخ لن تتكرر ابدا.

بعد انكشاف حقيقة هذه الطروحات، اتخذت الصين والبايما مواقف متشددة حيالها، وانفجر عداً شديداً بينهما وبين معتنقيها^٥ كان هذا على الصعيد العالمي، وأما على الصعيد العمالي والاحزاب العمالية، فقد انعكس الصراع بشكل نظري، ولم يمض وقت طويل حتى انقسمت الاحزاب التي كانت محسوبة على الاممية الى مجموعتين، وكان الاتحاد السوفيتي والصين قطبي المجموعتين المتصارعتين. فالصين ظلت معروفة لفترة طويلة كطليعة للنهج الثوري للشعوب بين اكثرية اليساريين في العالم، لاسيما بين الشعوب المحتلة التواقفة للحرية:

- في الفترة التي اختار فيها السوفيت التعايش السلمي الدائم مع الرأسمالية، رفعت الصين شعار القضاء على الإمبريالية عن طريق ادامة الحرب الثورية.
 - حينما جعل السوفيت التطور اللارأسمالي نهجا للبلدان المضطهدة النامية، رفعت الصين لواء الثورة الطويلة الأمد من المنظور الماوي للعالم، ومن ثم تبنت الصين نظرية العوالم الثلاث.
- بلاشك، كان هذان المنظوران العالميان مختلفين كلياً، وفي ذلك الحين ايضا لم يكن المستوى النظري والفكري للناس عالياً، ولا الحقائق السياسية

معروفة بهذا الشكل الحالي، وكانت للصين منزلة كبيرة ومؤثرة في العالم بسبب ذلك الانتصار الكبير الذي حققته، كما كانت محبوبة جدا، واذا كانت المشاكل في الصين حينها لم تكن قد وصلت الى درجة الانفجار بعد، والحقائق لم تعرف، والمستوى النظري كان متدنيا، ولم تعط للمناظرة الفكرية اهمية، فمن الطبيعي أن تستطيع الصين الوقوف أمام الاتحاد السوفيتي، وأن تصبح قطبا مؤثرا بين اليساريين، بشكل يجمعهم حوله. لقد وقف التاريخ وقفة طويلة أمام تلك المشاكل، حين شوهدت الصراعات والاراء التطبيقية المختلفة التي جرى التعامل معها بصورة غير منطقية- سير الاحداث وحرفت الحقائق الموضوعية وذهب هباء نضال عشرات الملايين من العمال واليساريين في العالم.

٣/٥- ماو: الثورة المرتدة

لقد اوضحنا سابقا أن (ماو) كان يمثل الجناح اليساري في الثورة الطويلة الأمد داخل الحزب الشيوعي الصيني، وانه اوصل، وبنجاح، نظرية الثورة الى النصر، كما اثر في الحركة التحررية للشعوب المضطهدة والحركات اليسارية ايضا. ان ذلك النجاح الذي تحقق في الصين، ألحق ضررا تاريخيا، في الاقل، من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية- بالرجعية في الصين واليابان، وبالإمبرياليه ايضا، لذلك قاموا بمعادة الثورة بكل ما يملكون من قوة وإمكانية.

إن الشعوب دائما تكره المحتلين كرها بلا حدود، و تواقفة الى الحرية والاستقلال الى الحد الذي، حتى لو لم تكن لها قيادة طليعية، فهي مستعدة للقبول بالقيادة البرجوازية، لطرد المحتلين، ولتقديم قرابين لا تحصى، ولا تعد، من اجل ذلك. هذه حالة نفسية، تشترك فيها كل الشعوب المضطهدة، وتمتزج مع المشاعر الوطنية والقومية بشكل، تستطيع كل قيادة، حتى القيادة العشائرية المتخلفة، في فرصتها السياسية المتاحة لها، أن تستفيد منها، وتستغلها لصالح طبقتها، والامثلة الصارخة على هذه الحقيقة كثيرة، ولكي لا نذهب بعيدا، فهذه كوردستان دليل حي أمامنا، لكنه، ومع الأسف الشديد، فان أحد مضار (الريفيزنيزمية) في البلدان المتخلفة هو

عدم ادراك هذه الحقائق، وعدم الاهتمام بالنضال القومي، الذي يكون دائما في صالح البرجوازية وضد مصالح العمال^٥

إن (ماو) ورفاقه، لم يتخلفوا عن عصرهم. فحينما رفعوا لواء التحرير، لم يكونوا (ريفيثينزميين)، لأن (ماو) أدرك، بمهارة، المهمات الوطنية في هذه المرحلة، ورفع لواء الثورة ضد المحتلين والرجعيين ضد الجناح اليميني في حزبه، بل وأكثر من ذلك، لم ينل منه التعب، ولم تنهك قواه أية تهمة، وبدأ بتنفيذ نهجه عمليا. جرى هذا في وقت كان لستالين رأي مختلف عن دور الحزب الشيوعي الصيني في تلك المرحلة، وكان يريد أن يبقى الحزب الشيوعي الصيني داخل حزب (الكومينتانك)، ويستمر معه في النضال المشترك وتحقيق التقدم الاجتماعي، الى أن تتحقق الثورة الاجتماعية.

فاذا كانت الحال على هذه الصورة، وإن أكثر من (٣٠٠) مليون نسمة من الشعب الصيني، في ذلك الوقت، كانوا يعيشون في شقاء وفقر وتعاسة، فمن الطبيعي أن يصبح نهج (ماو) نهجا لأكثرية الحركات الشعبية الثائرة. هذا النهج الذي لم ينشأ بدون تخطيط، ولم يطبق بشكل اعمى، كان في حينه، وفي الارضية الاجتماعية الصينية، نهجا متقدما الى اقصى الحدود: "عندما تكون لنا ثورة يجب أن يكون لنا حزب ثوري. فبدون مساعدة ثورية، وبدون حزب مؤسس وفق نظرية ثورية ماركسية لينينية، لا يمكن قيادة الطبقة العمالية وجماهير الشعب الواسعة، الى النصر على الإمبريالية وخدامها"^(١)

لقد مثل (ماو)، بهذا الشكل دور المرشد النظري للنضال التحرري، وربى الناس عليه، فكيف اذن، لا يكون الناس معه؟! لقد كان الناس معه حتى النصر، وكان الحزب ممسكا بقيادة النضال، بصدق، واستطاع ايضا أن يتحمل اصعب مراحل النضال، ويهزم العدو، وينتزع السلطة من أيديهم.

منذ أن بدأ الجناح اليساري في الحزب الشيوعي الصيني، بالنضال المسلح، استطاع، في مرحلة المعارضة، وفي مسيرة النضال الثوري، والى يوم النصر - أن يكون قوة ثورية جماهيرية، لكنه عندما حقق النصر، وخلا الميدان له لتحقيق البرامج الاجتماعية والسياسية عمليا، نعم، في ذلك

١٩٧٢
جهيكي له قسه كاني سهروك ماوتسي تونك - كتيبخانه ييري نوي - بهغدا

الوقت، ظهرت شيئا فشيئا تلك المشاكل التي لا تعرف، ولا تظهر بوضوح، في مرحلة معارضة السلطة القائمة والنضال من اجل اسقاطها، بسبب سيطرة العدو، واشتياق الناس للحرية، وبدأت تلك المشاكل والمشاكل الجديدة التي ظهرت بعد الانتصار، تضغط، لتكشف الجوهر الايدولوجي الحقيقي للثورة. إن الضغط واطهار هذا الجوهر، لم يتم بهذه السهولة والسرعة، بل تم اخفاؤه عن الناس. كان أحد أسباب عدم ظهور الحقائق النظرية والعالمية للحزب الشيوعي الصيني، هو (ريفيثيزمية) ستالين وخروشوف، إذ كانت الصين تعتبر ستالين، ولسنوات طويلة، زعيما عظيما، وكانت (ريفيثيزمية) خروشوف خطيرا الى الحد الذي لو عارضتها الصين، كانت ستترك اثرا كبيرا عليها. وبمعنى آخر كان الحزب الشيوعي الصيني، ولفترة طويلة اسير التفاخر الثوري الستاليني، ولكنهم في نفس الوقت كانوا في نظر خروشوف الأداة المعرقله لنجاح ال(ريفيثيزمية)، وقد رفع هذا من المنزلة السياسية والاجتماعية والنظرية لفكر ماوتسي تونك، ولكن، في الحياة الاجتماعية وداخل الحركة الثورية، كثيرا ما يلحق خطأ سياسي وعسكري، سوقي ومالي، نفسي وثقافي، حسب حجمه وقيمته- يلحق ضررا كبيرا او صغيرا، بالحركة، ويمكن استدراكه بسرعة، وتعويضه، لكن الخطأ النظري والأيدولوجي ليس بهذا الشلل، فأخطأهما وحقاقتهما لا تظهر بسرعة، بل تصبح ولمدة طويلة مصدرا لأخطاء اخرى.

فأي حزب، ودولة، وجماعة، وشخص، إن كان مرنا قليلا، وتمكن من اثبات اخطاء المقابل بالأدلة والبراهين، يجوز له أن يصحح الاخطاء غير المباشرة وغير المقصودة بكل سهولة، لكن هذا لا يصح بالنسبة الى المسألة النظرية والأيدولوجية، فحتى لو كان مرنا كثيرا، فانه لا يستطيع أن يصحح الاخطاء النظرية والأيدولوجية إلا بصعوبة أكبر، لأن الأيدولوجية ايمان، والايمان لا ينشأ بسرعة، ولا يتخلى عنه بسرعة ايضا.

بعد انفجار القضايا الأيدولوجية بين الاتحاد السوفيتي والصين، اصيب ثوار العالم بمشكلة عدم تقييم القضية الأيدولوجية موضوعيا. كان هناك القليل من الاطراف والاشخاص ممن يستطيعون بشكل مستقل، وبعيد عن الجانب النظري للقضية صياغة افكارهم، لكن ومع هذا- وبأسف شديد- لم

تقيم المشاكل موضوعيا، الى الآن، فعلى الرغم من وضوح اكثرية الحقائق أمام انظار المناضلين هناك الألو ف منهم، حتى الآن، اصيبوا بالدوار داخل دوامة القضايا القديمة، ولا يستطيعون التفكير بوعي من جديد، بسبب ضوء الحقائق.

تحدثنا فيما مضى عن تبادل الاماكن بين طبقات المجتمع وفق الظواهر الاقتصادية الجديدة، ولا سيما ظاهرة (الإمبريالية الاعلى - Higher Imperialism) التي تتجسد في (الشركات المتعددة الجنسية). قلنا إن هذه الظواهر أخرجت الفلاحين من مضمون الثورة التحررية، وأن الثورة التحررية لا تتمكن، بعد الآن، أن تجعل الفلاحين اكثرية جيش الثورة الطويلة الأمد كالسابق، كما أن البرجوازية الوطنية فقدت فرصة التصدي لرأسمال الإمبرياليين، ولا تستطيع عن طريق عرض البضائع البسيطة منع بيع البضائع الحديثة الأكثر جودة من الشركات الاحتكارية، علما أنهم قد جعلوا، منذ فترة طويلة تابعا ضعيفا للرأسمالية الاحتكارية العالمية. لو أردنا تقييم اساس فكر ماوتسي تونك على ضوء تلك الحقائق الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، فسيكون التقييم هكذا:

(* نظرية في الإمبريالية، قال بها كاوتسكي انطلاقا من اخذ بحرفية المفهوم الجدلي الحتمي عند (ماركس) ومن تصوره المنطقي الشكلي لظاهرة تطور الرأسمالية الاحتكارية التي تؤدي حتما-حسب تصوره هو-في النهاية الى اقامة احتكار عالمي واحد. وقد تعرضت هذه النظرية الى الهجوم الشديد من قبل لينين، لأنها تدعو الى التوفيق بين الإمبريالية والاشتراكية، والى تجميد الصراع ونضال الجماهير بانتظار توحيد العالم تحت الرأسمالية -المتجم-).

٤/٥ - الجبهة الصينية المتحدة

في ثنايا بحثنا هذا تحدثنا كثيرا عن الحرب الطويلة الأمد، وكيف وصلت الى طريق مسدود، وانها لا يمكن اتخاذها بعد الآن كنهج رئيسي للنضال مقابل التكنولوجيا المعاصرة، ولا يمكن في هذه الظروف العالمية، أن يحقق النجاح والانتصار، إلا في حالة خاصة، وأمام نظام ضعيف، ذي اقتصاد متدهور، مجرد من كل سند وظهير، او يكون هذا النهج في خدمة نهج ثوري آخر، ويطبق في ظروف خاصة، لذلك لا ندخل من جديد في هذا البحث الذي عرف بالنهج الماوي على الأكثر.

كانت الجبهة المتحدة في البلدان الاقطاعية وشبه الاقطاعية والمحتلة سلاحا فعالا، لنجاح الثورة الطويلة الأمد وانتصارها وهي ثمرة من ثمار فكر زعيم الثورة الصينية وانتصار الثورة ايضا، لكن الحديث عن الجبهة المتحدة قد ورد قبل ذلك في الادبيات الماركسية، وفي نضال الشعوب وقد بذلت جهود كبيرة من اجل ولادتها، ويجد الباحث في البيان الشيوعي بذور هذه الافكار بصورة أولية وبهذا الشكل: "يناضل الشيوعيون من اجل تحقيق المصالح والاهداف المباشرة للطبقة العاملة... كذلك يؤيدون في كل قطر من الاقطار أية حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي والسياسي القائم... ويعملون من اجل الاتحاد والتفاهم بين الاحزاب الديمقراطية في جميع الاقطار".^(١)

في الفترة التي كتب فيها البيان الشيوعي، كان الحديث يجري عن (الاتحاد والوفاق) بين الشيوعيين وباقي الاحزاب الديمقراطية، وكان هذا مستهل بدايات النضال المشترك والاتحاد بين نضال العمال والطبقات المعارضة الاخرى. وقد أكد لينين، في المؤتمر الثاني والثالث للحزب حينما كانت ثورة اكتوبر تتعرض الى هجوم امپيريالى ورجعي، بعد نجاحها-أكد على اهمية التعاون التام بين الاطراف الثورية. فمع أن لينين عرض افكار

- (كارل ماركس وفردريك انجلس، البيان الشيوعي، دار دمشق للطباعة والنشر- ص ٩٩).

مجالس الفلاحين والشغيلة، في المؤتمر الثاني للاممية الثالثة (الكومنترن) الذي انعقد في (١٩١/ تموز/ ١٩٢٠م)، بعد ثورة أكتوبر، وكان يصر على نجاحها رغم معرفته بعدم امكانية جعل هذه المجالس عمالية، أي: في تلك الفترة، كانت مسألة تعاون وتعايش مجالس الفلاحين والشغيلة الأخرى، عند لينين، هي افضل الاشكال النضالية الطبقية والسياسية للعمال، لا الجبهة الوطنية. إلا أن افكارا، كهذه، لم تصمد في ذاك الزمان على الرغم من اندلاع ثورة أكتوبر ونشر الوعي السياسي لشعوب الشرق الداعي الى الحرية والاستقلال. ففي تلك الفترة، انفجر النضال التحرري ضد الاستعمار في: الصين، الهند، ايران، تركيا، العراق، مصر، كوردستان... الخ، وكان لينين والكومنترن فرحين اشد الفرح بتلك الحركات (ماعداء كوردستان) وكانوا يأملون أن تتمكن تلك الحركات من اضعاف مقومات ودعائم الإمبرياليه عن طريق قطع ثروات تلك البلدان عن الشركات الاحتكارية. وبذلك تحتق الإمبرياليه في خضم مشاكلها الداخلية، لكن فشل النضال الثوري في تلك الدول، ماعدا الصين، وظهور ماهية الثورة في تركيا بسرعة، وكيف أنها كانت ثورة برجوازية ناقصة. أي أنها لم تكن تلك الثورة الديمقراطية الثورية التي جعل منها لينين والكومنترن شرطا لمساندتها ودعمها لكن وبالرغم من ذلك ساندوها وقدموا لها مساعدات قل نظيرها، في ذلك الوقت، علما انها استعملت ضد العمال وضد الشعب الكوردي والشعوب الأخرى) الا ان الفشل في هذه الثورات معناه فشل المجالس الفلاحية والشغيلة، بلاشك.

نحن نعتقد انه لو نجحت الثورات البرجوازية في البلدان الأخرى كما نجحت في تركيا، فان احوالها لم تكن افضل من حال الثورة في تركيا، واحسن مثال على ذلك هو نجاح ثورتي مصر والعراق بعد ما يقارب (٤٠) سنة على قيامهما واللتين تشكلان افضل دليل على تلك الحقيقة، وحصل هذا في وقت، كان للعمال في العراق ومصر، بعد مرور تلك الفترة الطويلة من الزمن-طبقتهم وحركتهم الطبقية وحزبهم الذي كان باسم الحزب (الشيوعي)، فكيف كان الحال فيهما لو انتصرت الثورة البرجوازية قبل (٤٠) سنة! فمن الممكن القول انه في بلد كالعراق، حينما قامت الثورة

البرجوازية فيه كانت حركة العمال والكادحين قوية وملتفة حول الحزب الشيوعي العراقي، الى درجة، كانوا يستطيعون تأسيس المجالس بشكل يلائم الوضع الاجتماعي في العراق، وأي حزب لو كان ملك تلك الجماهير التي كان يملكها الحزب الشيوعي العراقي، بعد ثورة تموز (١٩٥٨) البرجوازية لكان يستطيع أن يمنع البرجوازية من التراجع عن الديمقراطية بكل سهولة. وأن يؤمن اكثرية مهمات المرحلة، بما فيها حل القضية القومية الكوردية.

فالبلاشفة لم يتمكنوا، في اول انتخابات للمجالس، من الحصول على اكثرية الاصوات، وكان لهم معارضون واعداء كثيرون، لكنهم في النهاية تمكنوا من كسب اكثرية العمال والكادحين والمجالس ذاتها، وانتصروا، لأنهم كانوا يملكون قيادة مقتدرة، وبرنامجا ديمقراطيا دقيقا. (١) عندما كان لينين يتحدث عن تشكيل المجالس في البلدان الخاضعة المضطهدة المتخلفة، كانت له ثلاثة اهداف:

- جعل نظام المجالس سلاحا بيد الثوريين، لمنع برجوازية الشعوب المضطهدة، والشرائح الرجعية، من خداع العمال والكادحين بشعاراتهم القومية والوطنية والتحريرية.
 - جعل تلك المجالس ادوات لتطوير النضال الثوري شيئا فشيئا لكي يستطيع العمال السائرون نحو النمو، أن يصبحوا اصحاب سلطة سياسية بدرجة يتمكنون عن طريقها تحقيق النصر التام في المستقبل.
 - كان لينين يتصور أن ثورة اكتوبر تقود الاشتراكية الى النجاح والانتصار مئة بالمئة، وان الثورة الاشتراكية ستندلع في كل انحاء العالم، لا محالة، وبمساندة هذه الثورات تستطيع مجالس الشعوب المضطهدة من تحقيق الاهداف الثورية لمجالسهم.
- لكنه مع الاسف، لم يتحقق أي هدف من تلك الاهداف! بل انتصرت الطبقة البرجوازية في الشرق، وجعلت العمال خلف الاحداث. فالاحزاب

(بكل أسف، بعد انتصار لينين والبلاشفة، طورا صفحات برنامجهم الديمقراطي بسرعة، وبهذا وضعوا الحجر الاساس لفشلهم بأيديهم. - المؤلف -).

العمالية اسما، والتي كانت في الساحة، تتمتع بالقوة والنفوذ، لم تتمكن، وفي احسن الفرص الجماهيرية التي اتاحت لها، انشاء مجالس العمال حتى لشعوبهم فحسب، بل لم تتمكن حتى من انشاء مجالس منظمة لاجزابهم. فبدلا من تلك المجالس، اتبعوا طريق الاصلاح، ثم الجبهة الوطنية. إن الجبهة الوطنية مع مفهوماها العلمي، ظهرت الى الوجود، من قبل الكومنترن، في ظروف مخاطر قيام الحرب العالمية، لجمع الطبقات المناوئة لخطر النازية في البلدان الخاضعة والمحتلة، ومع ان الاحزاب العمالية الاخرى كانت تتحدث عنها قبل هذا، إلا أنها كنظرية، فان (الكومنترن) هي التي صاغتها^٥ ففي بلدان كالعراق ومثيلاته التي كان فيها حزب شيوعي، رفع فيها شعار الجبهة الوطنية- كما قلنا-لاستقطاب الطبقات التي كانت ضد النازية، لاسيما بعد الهجوم على الاتحاد السوفيتي.

وهكذا أصبحت الجبهة الوطنية، بعد الحرب، بديلا عن الاحزاب المعارضة، بما فيها الاحزاب الشيوعية ايضا، ولم يذكر اسم المجالس و... الديمقراطية الثورية قطعا فيها.

حقا لقد كانت المجالس، والديمقراطية الثورية أدوات سياسية ثورية بيد البروليتاريا ضد الأدوات البرجوازية، في مرحلة النضال الوطني- الديمقراطي. لقد شعر البرجوازيون بخاطر اكبر لاسيما بعد انتصار ثورة اكتوبر ورفع شعار الديمقراطية الثورية والمجالس للشعوب المستغلة المضطهدة وبدأوا بمناوأة العمال والشيوعية والوقوف ضدهما بشكل اشد واعنف.^(١) أي: كانت لبرجوازية الشعوب المضطهدة والمحتلة، قبل وبعد ثورة اكتوبر، وجهتا نظر مختلفتان حول العمال. فحينما توسع نضال العمال، وانتشرت الماركسية في عموم الشرق، اصبح هذا الخطر اكبر وأشد. ولم تؤخذ، من اجل البرجوازية، هذه الحقيقة بنظر الاعتبار قطعا لا كقاعدة اقتصادية، ولا كحقيقة سياسية، لذلك، لا يوجد حتى حزب طبقي واحد في الشرق، عرف كيف يقيّم البرجوازية الوطنية من الرؤية الطبقيّة الثورية، وكان ينظر اليها دائما على أنها طبقة ضد الإمبرياليه، ووفقا لهذه الحقيقة، كان

(١) لم يبق مبرر-الآن-لتوأم الديمقراطية الثورية-المؤلف-).

يطلب منها التعاون، وتشكيل الجبهة الوطنية معها، وعندما كانوا يطلبون تشكيل الجبهة معها، كانوا لا يهتمون بمسألة: ممثل أي من الاحزاب السياسية يجب أن يقود (الجبهة)، لأن الاحزاب الشيوعية لم يكن لديها هدف اسقاط الانظمة الرجعية، ولا شعار تسلم السلطة، ولا البرامج الديمقراطية الثورية، في الأقل، وعندما لم يجعلوا تسلم السلطة هدفا لهم، فمن الطبيعي ألا يجعلوا قيادة الجبهة أساس سياستهم، لأنهم لم يتبنوا الجبهة من اجل الحكم.

في الصين، ومنذ بداية الثورة، بذلت جهود لانشاء المجالس وفق ارشادات الكومنترن (الاممية الثالثة) وعقيدة ذلك العصر، وجندت لذلك طاقات كبيرة، وتم التخطيط لكيفية العمل بها، لكن، عندما قامت ثورة البرجوازية الرجعية ضدها، وحافظ على استمرارية الثورة بالثورة الطويلة الأمد، لم تستطع المجالس النجاح في عملها، كما نجحت في الاتحاد السوفيتي، وكان السبب هو الاختلاف على كيفية انجاز مهمات الثورة الديمقراطية في تلك الدولتين: الاتحاد السوفيتي في المدينة، والصين في الجبل. فعندما نقلت الثورة متاريسها من المدينة الى الجبل، بذلت جهود من اجل انشاء نوع من هذه المجالس بين الفلاحين والابقاء عليها، لكن ذاك الاتحاد بين المنظمات الاجتماعية لم ينجح مثلما نجح في الاتحاد السوفيتي، بل حتى بقدر ربع ما نجح، على الرغم من مساندة قيادة الحزب الشيوعي الصيني له، هذه القيادة التي كانت مخلصه للينينية ومنفذة لقرارات الكومنترن ايضا.

إن الظروف الموضوعية للصين، والتكوين الطبقي لها، وتلك الثورة الطويلة الأمد، جميعها استوجبت جبهة وطنية متحدة، سواء أكانت للنضال ضد اليابان، أم لابعاد القوى ضد الثورة، لأن: الصين كانت بلدا محتلا وشبه اقطاعي، لذلك كانت الطبقات الاربع للمجتمع الصيني (العمال والفلاحون، والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة) من الناحية الموضوعية، هي في جبهة الشعب وضد جبهة الاعداء الرجعيين. لقد حصلت الجبهة الوطنية على نجاحات جيدة، في تلك الارضية الاجتماعية والظروف السياسية السائدة آنذاك، كذلك، كانت لنفس النهج السياسي، في بلد كالصين، فائدة

كبيرة، للنضال التحرري والشكل النضالي الثوري. ففي فترة الحرب العالمية الثانية ايضا، كانت هذه الاداة السياسية نفسها تتلاءم مع تيار النضال الوطني في العالم، بصورة جيدة، لاسيما في اوربا الشرقية، وبعض من الشعوب المضطهدة كالعراق، ومصر، والجزائر، واليمن، ويران، وسوريا... الخ، والتي لم تكن تسير على نهج الحرب الطويلة الأمد.

هل مازالت الجبهة الوطنية المتحدة حتى الآن، ومثلما كانت سابقا السلاح الاساسي بيد الطبقات التقدمية للشعوب، او الاداة الرئيسة لانجاز مهمات الثورة الديمقراطية رغم التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والتبادلات الاساسية في المكان الطبقي للفلاحين، وخيانة البرجوازية الوطنية رغم تحقيق مجموعة من الاهداف السياسية والطبقية التي كانت تنجز مهماتها الطبقة الجوهريّة عن طريق الجبهة..؟

الجواب يكون بـ(لا) قطعاً.

فأي اداة من الادوات السياسية للعمال والشعوب، لو زالت اسسها الاقتصادية السابقة، فان مبرراتها النظرية تزول ايضا، كذلك فإن الشروحات السياسية للظواهر السياسية، إن لم تربط بالأسس الاقتصادية، تكون شبيهة بسحابة الصيف التي إن نزلت منها قطرات من المطر، فهي لا تروي ارض النضال الى الحد الذي تنبت زرعاً وشجراً وثماراً، وبناءً على هذه الحقائق، فان اصرار (الماويين) على الوقوف على شرفة قصر سياسة الجبهة الوطنية باسم الشعوب المحتلة التي اصبحت العلاقات الرأسمالية مسيطرة الآن فيها (ليست العلاقات القطاعية او شبه القطاعية) - ماهي الانوع من (الدوگماتيزميه-Dogmatisme) ^(١) السياسية الضارة التي يجب التصدي لها بالتوعية النظرية، وتقييمها من منظور تطور الأحداث.

(الدوگماتيزميه-Dogmatisme) تعني الجمود والتنجس وعدم التغيير، أي الايمان بعدم تغيير الواقع الذي اكتسب صفة الخلود والأبدية، كما هو في القوانين والداستير الجامدة والاديان، بدون اخذ الظروف والزمان والمكان بنظر الاعتبار، وهي على طرفي نقيض مع (الديالكتيكية-الجدلية) التي تؤمن بأن التناقض هو نسيج الاشياء فكل شيء يحتوي في داخله على جانب إيجابي وآخر سلبي وفي كل شيء جانب إيجابي وآخر سلبي وفي كل شيء جانب ينمو، وآخر يموت، وهناك الموضوع، وهناك نقيضه او نفيه، ثم هناك نقيض النقيض، أي نفي النفي-المترجم-

ربما أصيبت المنظمات الماركسية العاملة في صفوف حركات الشعوب المضطهدة المليئة بالمشاكل السياسية- العسكرية، مثل: الكورد، والبلوج، والاذريين، والأرمن، بالأزمات السياسية الصعبة، ووقفت البرجوازية الصغيرة وممثلو الشرائح الأخرى، الى جانبها ضد العدو المشترك مدفوعة ببعض الاهداف السياسية المشتركة، فيجب أن يكون الماركسيون الآن هكذا ايضا، وكما كانوا دائما في السابق، متعاونين معهم في ساحات النضال وبشكل جديد، ويشكلوا معهم جبهة الشعب ضد جبهة العدو الأضعف، شريطة أن يجودوا لكل حالة نوعا ملائما من النضال الثوري.

٥/٥ - دكتاتورية الطبقات الاربع... الصينية

دكتاتورية طبقات المجتمع الاربع، هي جوهر الديمقراطية الجديدة للثورة الصينية، وكان هذا النهج، في الحقيقة، جديدا في الادبيات السياسية، بل كان نهجا سياسيا غريبا في ادبيات الحركة الماركسية-اللينينية. فماوتسي تونك منظر هذا النهج، صاغ هذا النهج من منطلق الوضع الاجتماعي الصيني، كبلد خاضع وشبه محتل، والفكر الديمقراطي لكل حركات تلك الشعوب التي تشبه الصين من حيث اوضاعها الاجتماعية وأحوالها السياسية وظروفها التاريخية، وصيغت الفكرة أساسا كنهج ديمقراطي ثالث مقابل النهجين الديمقراطيين السابقين:

- ديكتاتورية الجمهورية الديمقراطية البرجوازية.

- ديكتاتورية الجمهورية البروليتارية.

إن النوع الاول، هو- بلا شك- النوع القديم للديمقراطية، والنوع الثاني هو ما كان سائدا في الاتحاد السوفيتي، والثالث يقول عنه ماو: "أما النوع الثالث فهو شكل انتقالي للدولة ينبغي أن تتبناه الثورات في البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة ستتميز ببعض الخصائص، ولكن هذه الخصائص لن تكون سوى اختلافات بسيطة في محيط من التماثل. فما دامت الثورات هي ثورات البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة. فمن المحتم أن كلا من تركيب الدولة و تركيب السلطة السياسية في هذه البلدان سيكون متماثلا

بصورة أساسية، أي دولة للديمقراطية الجديدة خاضعة للدكتاتورية المشتركة لعدة طبقات مناهضة للإمبريالية" ^(١)

اذن: الديمقراطية الجديدة لم تحصر بالصين فقط، بل أصبحت هدفا مشتركا للشعوب المشابهة للصين أيضا، وإذا تم اثبات هذا علميا من الناحية النظرية، واثبات حقيقته عمليا في بودقة العمل داخل العديد من الشعوب، مثلما حصل في الصين، فإنه يصبح أساسا لانجازات ثورية، لكن: الحقيقة هي هكذا، أم لا؟ إن هذا الأمر يحتاج الى دراسة طويلة معمقة، لكننا نتحدث هنا بصورة مختصرة عن نقيضه.

فالصين كالبلدان الأخرى الخاضعة للإمبريالية، توسعت دائرة نشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية، عن طريق الإمبريالية وعلاقتها الرأسمالية بها بصورة مباشرة، وكانت الحركة الرجعية فيها مهيمنة منذ زمن بعيد، بحكم كونها مركزا (جيوبولكتيكيا) ^(٢) مهما جدا من الناحية (الطوبوغرافية والديموغرافية) ^(٣)

إن الصين لها حدود بحرية وبرية ذات قيمة عالية، لذلك كانت مركزا تجاريا مهما، ومنذ ذلك الوقت ربط الصينيون الاغنياء مصالحهم المباشرة بالربح والثراء، من أي طرف يأتي ذلك الربح والثراء، فهم كانوا يميلون، وينحازون الى ذلك الطرف، وعندما تدخلت الإمبريالية في شؤون البلد، نشأت فورا طبقة التجار والرأسماليين الصينيين، والطبقة الرأسمالية التابعة والتجار الوسطاء بين الرأسمال الاجنبي والسوق المحلية، وبهذا تم وضع البرجوازية الاقتصادية في اطارها المحدود، وكما كان الحال في معظم الدول

- ماوتسي تونك، المؤلفات المختارة، المجلد الثاني، دار النشر باللغات الاجنبية بكين-١٩٦٩-ص ٤٨٩.

[جيوبولكتيك-Geopolitics) لفظة متكونة من مقطعين: (جيو-geo) وتعني (الأرض) و(بولكتيك-politics) وتعني (السياسة). فهي علم (السياسة الطبيعية) بمعنى آخر علم دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية استغلته الدول الاستعمارية والقومية العنصرية من اجل احتلال اراضي الشعوب الأخرى واستعباد سكانها واضطهادهم-الترجم-].

(طوبوغرافي: طبيعة سطح الأرض لبلد أو اقليم أو منطقة من حيث (الجبال والسهول والوديان) وأما الآن فهي مصطلح سياسي، تعني علم الاجتماع. ديموغرافي: الدراسة الاحصائية للسكان وكل ما يتعلق بهم، كانت ضمن الدراسات الاجتماعية. - المترجم).

الخاضعة، كانت البرجوازية الوطنية مع الإمبريالية ضد النضال الوطني-الديمقراطي الى درجة، لم تكن يوما ما ضد الإمبريالية، ومع انتصار النضال الوطني بتلك الدرجة.

في بداية كتابة مؤلفه (الديمقراطية الجديدة) تحدث (ماو) نفسه عن الطبقات الثلاث، لا الطبقات الاربع التي تحدث ستالين عنها اكثر عند حديثه عن الشعوب المستعمرة، لكن بعد طبع مختارات (ماو) عام (١٩٥١م)، ورد الحديث عن اربع طبقات بدلا من ثلاث، وعندما يتحدث عن هذه الطبقات، يدعوها الى المشاركة في الجبهة الوطنية، وبدون تأشير الحدود الطبقيّة الطبيعية يذكر اسم البرجوازية، لا البرجوازية الوطنية، وكان في تلك الفترة، يدور جدال حول دور البرجوازية الوطنية داخل الحركة التحررية-الديمقراطية ضد الإمبريالية والاقطاع، حيث كان ممثلو الهند واندونيسيا وجنوب افريقيا بالاخص ضد اعطاء أية أهمية للطبقة المذكورة في النضال الوطني، لأن هذه الطبقة مرتبطة بالإمبريالية وضد الثورة، حسب اعتقادهم.

إن أهم مسألة في الثورة هي مسألة السلطة، والسلطة الطبقيّة يعبر عنها حسب الرؤية الطبقيّة المختلفة فسلطة العمال، والبرجوازية الصغيرة، والبرجوازية الوطنية هي مختلفة. فمن الصعب جدا الجمع بين دكتاتورية اربع طبقات متصارعة في المجتمع داخل سلطة سياسية واحدة، وإيجاد التوافق والتلائم بينها، وتكون السلطة سلطة للجمهورية الديمقراطية الجديدة، وشيوعية، في نفس الوقت.

في دنيا السياسة يجوز ايجاد نوع من التكتيك السياسي وانتهاجه، لكن خلط البرامج الديمقراطية المختلفة للطبقات وصبها في قالب سياسي واحد، حيث للديمقراطية سماتها الطبقيّة الخاصة بها مثل بقية الاهداف لهو انحراف عن النهج الديمقراطي الثوري للعمال * فحتى في البلدان المتخلفة الخاضعة وشبه المحتلة، كذلك في الثورة الصينية وشبهاتها، حتى اذا لم يطبق عمليا في مرحلة النضال المسلح، واحتفظ به عن طريق الدعاية والاعلام، فسيظهر بعد انتصار الثورة، وبسرعة، ان برنامجا أعوج كهذا ليس له مكان لتنفيذه * فكما تعاني الصين الان من المشاكل النظرية القديمة تعاني أوروبا

الشرقية أيضا التي حاولت تطبيق نوع مغاير للديموقراطية الصينية الجديدة، والتي عرفت بأنها خاصة ببلدان الشرق الشعبية، وباسم (الديموقراطية الشعبية) بعد الحرب العالمية الثانية، فإن هذه البلدان تعاني من مثل هذه المشاكل أيضا، لأنها في هذه التجربة مثل الصين، مسحت ديموقراطيتها التي كان لها طابع بولييسي حقيقي حدود الطبقات بتبرير نظري وأخفت صراعها الطبقي... ففي هذه البلدان التي هي في الظاهر أكثر تقدما من البلدان الشرقية نجد أن البرنامج الديموقراطي فيها لم ينفذ، وأنه بعد أن غيرت الحياة أدوارها، وحصلت تغييرات عميقة في العالم، ظهر أنه: في حالة عدم تأمين الحاجات المادية الضرورية والمستلزمات التاريخية للمراحل الاجتماعية، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والثقافية، والتاريخية والحضارية، أكثر من المطلوب، فلا يمكن أبدا أن ينقل بلد الى مرحلة الاشتراكية، من غير تجاوزه لمرحلة الرأسمالية، لا بمساعدة البلدان الاشتراكية، ولا بنظرية خلط الطبقات ومزج مصالحها في قالب الديمقراطية الشعبية، نعم يمكن اختصار مرحلة الديمقراطية، وتحقيق الاشتراكية بشكل اسرع، لكن لا يمكن حرق مرحلة او حذفها او تجاوزها.

إن تلك المشاريع، كانت ضريبتها تاريخيا الجهد النضالي للعمال والكادحين والشعوب، لأكثر من اربعين عاما، وكما يقول الناس البسطاء: (أكل ربحهم رأسمالهم ايضا) ^(١) من الواضح أن القصد هو الرأسمال النظري الذي خلقت هذه التجارب من اجل تطويره، على ما يظهر، لكنها فشلت في تحقيق ذلك.

ان تلك الاخطاء النظرية، او لنقل لتكملة هذه الاخطاء النظرية التي كان ينظر اليها، وكأنها ايدولوجية ثابتة، لا تتغير، قد وضعت في بودقة العمل والفعل بصورة (دوغماتيزميه). بعد انتصار الثورة الصينية، اصيبت هذه الثورة بعراقيل وصعوبات جمّة حتى في زمن ماوتسي تونغ نفسه.

(من الامثال الكردية " قازا لجهكه يان سهري مايه شياني خوارد " أي : " ربحهم أكل رأس مالهم أيضا". يقال، عندما يخسر المرء ما عنده في سبيل شيء مستحيل التحقيق- المترجم-).

٦/٥ - الثورة الثقافية !!

هناك القليل من الاحداث، بعد الظاهرة الستالينية، نال اهتماما، وجرى الحديث حوله، وكتب عنه، بقدر هذه (الثورة الثقافية)! عند صدور قرار قيام هذه الثورة عام (1٩٦٦)، كانت هناك مشاكل قائمة بين الصين والاتحاد السوفيتي، انعكست تأثيراتها على العمال والشعوب وعلى تلك الاحزاب التي كانتا تمثلانها حينذاك. فمن جهة كانت دولة الصين تساندها، ومن الجهة الاخرى كان الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه يعادونها بشدة، وفي مقابل هذا وذاك وجد المعسكر الرأسمالي فيها فرصة سانحة، فبذل جهودا كبيرة للاستفادة من هذه الثورة الثقافية، كما استفاد من التجربة الدكتاتورية الستالينية لمعاداة الشيوعية، ومن اجل ترسيخ آرائه في ذهن الرأي العام العالمي وتثبيت مفاهيم إستحالة ولادة الاشتراكية. إن هذه الثورة وكما قيل: ابتكار جديد لعصر الاشتراكية، في زمن تفشي (الريفيژنيزمية) وانحراف السوفيت عن الاشتراكية العلمية الى الاشتراكية الإمبريالية، وبعد نضوج هذا الرأي الطبقي، وصل (ماو) فورا الى تلك القناعة التي دفعته الى اعلان الثورة الثقافية، قبل اصابة الصين ايضا بداء الارتداد والانحراف والتراجع، ومن اجل ألا تحول البرجوازية أمل العودة الى الحكم الى سعي جدي و حقيقي للوصول الى الحكم، كذلك من اجل قلع جذور (البيروقراطية) التي بدأت تنمو في النظام الاشتراكي. من اجل كل ذلك قامت الثورة الثقافية في الصين.

في هذه الثورة، ناضل القائمون بها من اجل قلع جذور التقاليد والعادات البرجوازية: تراثها وإرثها، آدابها وفنونها، معارفها ومدنيتها، بشكل تام، وابعاد مخاطرها ومخاوفها الى الأبد. فاذا نظرنا الى تلك الآراء والأفكار بصورة منفصلة عن الاحداث السياسية والتاريخية، فسوف تظهر لنا، وكأنها نابعة عن فكر ثوري، لكن اذا تعمقنا في فحصها، ودرسناها من كل جوانبها، سيظهر لنا ان نتائجها التاريخية كانت غير مرغوب فيها، وانه لا يرى في الادبيات الماركسية الكلاسيكية هكذا آراء وافكار.

اتخذت دكتاتورية البروليتاريا اداة لمنع ارتداد الطبقات الأخرى من الاشتراكية، وأداة لتحقيق الاهداف الطبقيه والثقافية للعمال^(١) لنقل: إن الماركسية-اللينينية ليست فلسفة (دوگماتيزميه)، فيقال: اذا كان لا يوجد في الادبيات الكلاسيكية لهذه الفلسفة أي ذكر لمثل هذه الثورة، اذن، فليس من المجاز القيام بمثل هذه الثورة. ان تطوير الفلسفة على ارضية اقتصادية واجتماعية صائب وصحيح، من الناحية النظرية، لكن، تقدمت هذه الفلسفة أم تأخرت في ظل الثورة الصينية تلك؟

من الناحية النظرية، وحتى الآن، يساوي المفهوم الثوري العلمي للثورة التغيير الجذري للمجتمع، والمجتمع لا يتغير الى أن تقضي الطبقة الجديدة على الطبقة الرجعية القديمة، وهذا يحصل عندما تصبح الطبقة الرجعية عن طريق العلاقات الانتاجية القديمة عقبة أمام قوى الانتاج، مما يؤدي الى انفجار التناقضات، وعندها تصبح الثورة غاية لا مفر منها.

لم يحصل مثل هذا في صين الثورة الثقافية... بل بالعكس قامت الطبقة الحاكمة، من الذين كانوا يملكون زمام الامور في المؤسسات الحكومية المهمة بالثورة، ولم يكونوا عقبة في طريقهما هذه المرة، بمعنى: هذه المرة قلب الوضع رأسا على عقب، ففي الماضي كان من في اسفل السلم يقوم بالثورة ضد من في الاعلى، لكن هذه المرة قام من في الاسفل ومن في الاعلى بالثورة ضد اقلية ذات اهمية قليلة.

كان لـ(ماو) نفوذا قويا في مؤسسات الدولة والحزب الى درجة كان يستطيع، وبكل سهولة وبشكل اعتيادي، ابعاد أي شخص او مجموعة كما يشاء، ويشتهي، وكانوا يستطيعون ايضا رسم خارطة الثورة الثقافية وتنفيذها كما يرغبون، إلا أن شيئا من ذلك لم يحصل.

لقد عم فوضى لا مثيل له: أبعد عشرات الآلاف من الكوادر والاعضاء مع افراد اسرهم الى الجزر النائية، والقي القبض على عشرات الالوف من الاشخاص، وجعل المئات من القادة والمسؤولين الحزبيين والرسامين كالدمى المصنوعة من الخشب والحرق البالية التي تطوف بها الصبية والاطفال في الشوارع والازقة في سنوات الجفاف لتبلل بالماء طلبا للاستسقاء^٥ فهؤلاء

^١ مجريات الحياة والظواهر الجديدة بعد الحرب الباردة ترفض القبول بصحة ديكتاتورية البروليتاريا - المؤلف.

ايضا جعلوا سخرية وأضحوكة لمئات الالوف من الناس تحت ستار الثورة الثقافية. لقد جرى هذا لاولئك، في وقت كان بينهم اشخاص، مروا بأحلك ايام الثورة، وقطعوا اقسى مراحل النضال، وكانوا دائما مبعث فخر واعتزاز الثورة والحزب والدولة. في تلك الثورة! اريد فرض الاشتراكية وترسيخها على ارضية اجتماعية متخلفة، وفي بلد زراعي لم يقطع مرحلة الديمقراطية، ولم يتعرف مواطنوه على فكرة الاشتراكية بعد، كما لم تعالج فيه المشكلة القومية، والصناعية، والمرأة، والامية، والتمييز بين المدينة والقرية، الى تلك الفترة، ومع ذلك أريد تحقيق الاشتراكية بسلطة الثورة الثقافية وقسوتها.

كان الجناح المتطرف داخل الحزب، كما في الامور الاخرى، يعتقد انه يمكن عن طريق القرار (مادامت السلطة بيديه) ومثلما نجح في الامور العسكرية، أن ينجح هكذا في تثبيت شروط تسريع الوصول الى الاشتراكية بالآمال والتمني. صحيح كانت السلطة بايديهم، كذلك صحيح انهم توسعوا باستمرار، وقاموا بتأمين احتياجاتهم، لكن أي شيء من تلك الامور لم يتحقق بصورة صحيحة، والاكثر من ذلك، انهم لم يكونوا بالمستوى الذي يؤهلهم لتثبيت نظام اجتماعي جديد حسب المراد، وكما يتمنى، او كما اقترح (ماو) عام (١٩٥٨م) تسميته بـ(القفزة الكبرى)، إذ لم تهيأ المقومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لذلك النظام الاشتراكي الى الآن، ولم يصل العمال والكادحون، من الناحية الطبقية والسياسية والاستعداد السايكولوجي الى مستوى يؤهلهم لتحقيقه.

لربما كان في تلك الدولة الكبيرة المهمة، من يعمل بصدق ضد الاشتراكية، ولربما كان بينهم يمينيون كثيرون ايضا، وبلا شك كان بينهم اناس بيروقراطيون ومحافظون كثيرون، لكن هؤلاء جميعا، إن كانوا يستحقون العقاب، فهذا لا يعني بعد، أن كل اولئك الذين كان لهم موقف مختلف من القيادة المتشددة، او اعتبروا فرض الاشتراكية عن طريق (القفزة الكبرى) غير صحيح، او تحدثوا ضد الثورة الثقافية-انهم خونة وعملاء، او انهم كانوا ضد الاشتراكية.

ان الثورة على ما يبدو قامت من اجل قمع المحاولات المتجددة للبرجوازية، لكنها طالت جميع عناصر الحزب إلا القليل من الذين عرفوا بالثوريين والمخلصين. أما الباقيون فقد عرفوا بالمرتدين عن الاشتراكية،

وبالعداء للشيوعية وثورة كهذه داخل دولة فيها مئات القادة والالوف من الكوادر واصحاب النفوذ والسلطة، كيف لا يقف هؤلاء ضد هذه الثورة التي دفعت الالوف من الناس الى الوقوف ضدها، وجعلتهم كـ(فزاعة) الزمن لاحول لهم ولا قوة. لنقرأ حديثا لوزير خارجية الصين، آنذاك (شان أي)، لنعرف أي معاناة كانت في اعماقهم، وكيف عبروا عن مواقفهم بدون تردد: " الايمان يجب ان يكون فقط بالرئيس ماو ونائبه لين بياو ورئيس وزرائه وشين بو وتا وكانك وشيانك شينك، أي ستة أشخاص، ولنضيف اليهم خمسة نواب لرئيس الوزراء اذن كلهم احد عشر رجلا، فهل هذا هو الحزب العظيم! أليس هناك سوى أحد عشر رجلا ناضجا عاقلا في هذا الحزب؟! انني لا أريد أن أسير في هذا الطريق خذوني واعروضوني امام الجماهير".^١ يبدو أن مشعلي الثورة الثقافية الذين سموا غيرهم بمثقفي الاقطاع والرأسماليين والرأسمالية، أرادوا، على الفور، وفي غفلة تاريخية، أن يبتنوا ثقافة وتراثا بروليتاريا، من غير مقدمة تاريخية، ولا تراث وإراث انساني، ولا منجزات كلاسيكية: ادبية وفنية وتراثية وفلكلورية وروائية قديمة متقدمة، كذلك من غير الاستفادة من تلك الحضارات والثقافات القديمة كافة. انه من الصعب عليهم أن يبنوا ثقافة بروليتارية واشتراكية رصينة وصافية بهذه الطريقة.

٧/٥- طروحات العوالم الثلاثة

لقد خطط لهذه الاطروحة في المراحل الاخيرة من حياة (ماوتسي تونك) ولم يكن التخطيط لها كالتخطيط للديمقراطية الجديدة، او الجبهة الوطنية وافكار (ماو) الاخرى التي كتبت عنها المقالات النظرية والاقتصادية والايولوجية. إذ لم يكتب عن هذه الاطروحة أي مقال مثل هذا حتى الآن. في تلك الفترة، كانت الصين تنشر افكارا نظرية خاصة على المستوى العالمي، من الناحية السياسية عن الثورة الطويلة الأمد، وجيش الشعب، والديمقراطية الجديدة، والجبهة الوطنية، وبعد انفجار عداء صيني عنيف ضد السوفيت، اعتبرت الصين نفسها مركز الحركة الشيوعية الثورية في العالم، ولكي يتم الاعتراف بهذه المركزية لها، احتاجت، الى جانب مفاهيمها

(جان اسمين-الثورة الثقافية الصينية-ترجمة ذوقان قرقوط ص ١٢١ و ١٢٢).

ومبادئها السياسية والعسكرية-الى منظور عالمي اوسع، حتى تجمع، من جديد، كما يبدو (الاممية الجديدة) حولها وتجعلها ضد السوفيت، والريفيزنيزمية) العالمية (كما كانوا يقولون)، وهذا يحتاج الى دراسة الوضع الاقتصادي العالمي آنذاك، لكي يكون في مقدورهم اعادة تنظيم تلك الجوانب وفق نهجهم، وقد صاغوا تلك التناقضات بهذه الصور الاربعة الاتية:

- ١- التناقض بين الامم المضطهدة من جهة، وبين الامبريالية، والاشتراكية-الامبريالية، من جهة اخرى.
- ٢- التناقض بين البروليتاريا، والبرجوازية في البلدان الرأسمالية والتابعة للريفيزنيزمية.
- ٣- التناقض بين البلدان الاشتراكية من جهة، وبين الامبريالية، والاشتراكية-الامبريالية من جهة اخرى.
- ٤- التناقض بين البلدان الاشتراكية من جهة، وبين الامبريالية-الاشتراكية، من جهة اخرى.

ووفق هذه الصياغة الجديدة لقانون التناقض، اصبح الاتحاد السوفيتي والبلدان السائرة في ركابه اكثر خطرا من امريكا والدول الإمبريالية والرأسمالية العالمية، على العمال والشعوب المضطهدة حسب المنظور الصيني.

نحن لا نضع بحثنا هذا في خانة الدفاع عن السوفيت او أي بلد حليف آخر لهم... بل ما نقصده هو: ان المصدر النظري والاقتصادي والفلسفي لأية جهة، دولة كانت أم حزبا، مجتمعها صغيرا أم فردا- هذا المصدر، إن لم يكن له اساس علمي، ولم يبن بشكل موضوعي، فان افكاره وتحليلاته ستولد كسيحة وغير صحيحة. كما ان موقف أي طرف، اذا اتخذ بشكل انتهازي او براغماتيكي، وتم تبريره لفترة بالسلح والمال... فان ضغط الزمن، سيثبت خطأه، وعدم صحته، عاجلا او آجلا، وسيصبح سببا لضرر كبير ومؤثر، يصيب الجهة التي اتخذت هذا الموقف. وبهذا يتعرض الطرف الاكبر لضرر اكبر، والاصغر لضرر اصغر.

إن تحديد التناقضات على اساس علمي، وتصنيفها بشكل موضوعي، وكيفية اتخاذ الموقف امام الاطراف المتناقضة والمتوافقة، لهو واجب سياسي ومنطقي مهم جدا. فالتناقض البسيط لا يصنع حسب الرغبة، ولا يجعل

سببا لاتخاذ قرار قطعي، واذا حصل هكذا، واتخذ قرار قطعي بصدده، فلا تجنى من ورائه أية فائدة سوى الضرر، ناهيك عن التناقضات الاساسية لمجموعة بشرية، ولها علاقة بمصير الانسانية وتقوم الدول العظمى بتحديدتها! فهذه هي الصين، اعتبرت نفسها، ولسنوات، مركز النضال الثوري، والقوة العظمى الثانية في العالم... فآلاف المقالات ومئات الكتب والدراسات، كتب عن الحزب من قبل مئات الكتاب والاقتصاديين، وساندها عشرات المنظمات وعشرات الجماعات ومئات الالوف من المناضلين في العالم، لكن ماذا ظهر بعد كل هذا؟ ظهر أن الامور ليست كما أريد لها أن تكون، بل هي هكذا:

- مرحلة الديمقراطية لم تنته، والاشراكية ليست في طريقها الى الانتصار.
- التناقض بين العمل ورأس المال لم ينته، والعمال لم يصبحوا اصحاب سلطتهم تماما.
- الطبقات الاخرى مازالت قائمة وقوية.
- لم يتم تأمين الديمقراطية والحرية.
- المشكلة القومية مازالت باقية.
- الفرق بين المدينة والقريه كبيرة.
- الأمية لم تقلع من الجذور.

هذه التجربة الكبيرة والمؤثرة، كافية لكي يتعلم كل الاطراف السياسية، وخاصة الطبقيه، ان الاستقلال التنظيمي والايولوجي في عالم السياسة، كم هو مصري ومهم. فبدون المحافظة على استقلال: اتخاذ القرار، والتقييم، ورسم الاستراتيج والتكتيك، والبرامج القريبه المدى والبعيدة المدى، لا يستطيع أي طرف داخل أي شعب وطبقة، حتى تحت تأثير اكبر الدول، او بتقليد افضل الاحزاب- صياغة برنامج صائب وصحيح... لا يستطيع اعداد قضاياه وقضايا العالم بصورة علمية. فضياع الاستقلالية والتقليد النظري وجهان لمضمون واحد مضر، وكلما ابتعد عنه الثوريون، فانهم سيصادفون اقل العقبات.

أما مسألة عبادة شخص (ماوتسي تونك) وانفجار المشاكل الداخلية في الصين، ونتائجها السلبية على الاشتراكية، فلتقف في الجانب الآخر، رغم انها ايضا هي مسائل ضد اصول الماركسية والاشتراكية. لقد نتج عن كل هذه الامور ظهور (الريفيثينيزمية) اليسارية للبرجوازية الصغيرة التي اخفيت، لسنوات طويلة، تحت ظلال (العلم الاحمر) و(النجمة الحمراء) و(البندقية)، ولم تستطع الصين في الـ(٣٠) سنة الماضية، ومن المنظور اليساري لـ(الماوية) أن توصل عمال أي بلد رأسمالي واحد في ارجاء العالم كافة، وأي شعب محتل في اسيا وافريقيا-الى النجاح والنصر، وان المساعدات التي كانت تقدمها الى بعض الشعوب الساعية الى الحرية، مثل: فيتنام، لاوس، كمبوديا... الخ، لم تدم طويلا، بل سرعان ما غيرت موقفها منها، حيث دخلت حربا شرسة مع فيتنام. وهناك العديد من الشعوب الاخرى ايضا، حررت انفسها بالنضال المسلح الذي كانت الصين تعتبر نفسها حامل لوائه. الشعوب هذه ليست لها علاقات وطيدة مع الصين، كما ان نهجها الايدولوجي ايضا مخالف للنهج الماوي كشعب (نيكاراغوا، وسلفادور، وأنغولا).

فاذا كانت الامور تستقيم بالدعاية والمباهاة والشعارات، فيجب أن تكون تلك الحركات المسلحة خير عون للصينيين ومخلصة لنهجهم.

الفصل (الساوس)

٦- مقدمة الاصلاح

كان خروشوف خليفة لستالين، وإن ابتعد عن الدكتاتورية الستالينية، إلا أن ابتعاده لم يكن من اجل العودة الى المسيرة الديمقراطية، واعادتها الى مسارها الصحيح، وادامتها، والسير على هداها، او تطوير الماركسية لكي تنسجم مع التطورات الحاصلة في ذلك العصر، بشكل مبتكر، أي لم يكن خروشوف ستالينيا، ولا لينينيا، وإنما اختلق نهجا سياسيا-ايدولوجيا جديدا، سمي بنهج خروشوف- سوسولوف^(١) لكن هذا النهج فشل في نهاية الأمر، بالرغم من سعيه الحثيث ومحاولاته المستمرة وبشتى الطرق من اجل ترسيخه وترويجه، تحت ستار انقاذ الاشتراكية من الستالينية، وفي كل ارجاء العالم، واصلاح النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي، حيث تعهد في الخطة العشرية التي قدمها في الاعوام (١٩٥٦-١٩٥٩)، بتصنيع الاتحاد السوفيتي، وتحقيق (الشيوعية الكاملة)، وبدفع الشعب الى الامام، من الناحية الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، بحيث يتقدم على الغرب في السباق القائم في هذه المجالات، لكنه لم ينجح في تحقيق أي من تلك التعهدات، بل وصل الأمر الى سحب كرسي الزعامة من تحته كأى قائد خاسر ومنهزم.

جاء بريجنيف بعده، وألصق هذا مجموعة من التهم بـ (ستالين وخروشوف) وحملهما مسؤولية الاخفاقات التي تعرضت لها البلاد، وحسب قناعته، تعهد بانقاذ الاتحاد السوفيتي من كل الضوائق والأزمات، لاسيما من الناحية الاقتصادية والسياسية، لكن السوفيت يعلنون الآن رسميا بأن

سوسولوف هو منظر النهج اللارأسمالي. (المؤلف)

الوضع الاقتصادي للبلاد كان يسير نحو الاسوأ في زمنه أيضا. يقول كورباتشوف: "توقفت ميكانيكية الاقتصاد، وشملت هذه الحالة كل انحاء البلاد"، والاغرب من ذلك أن ما كتبه المستشار الروسي الرفيع المستوى (ثابل اقانيغيان) في كتابه الذي سماه (اقتصاد بروسرويكا) حول هذا الموضوع نقتبس منه ما يلي: (في السنوات ما بين (١٩٦٦) و(١٩٧٠) كانت نسبة زيادة الناتج القومي لـ(٥) سنوات هي ٤١٪، بينما انخفضت هذه النسبة في اوج قوة سلطة بريجنيف (١٩٨١-١٩٨٥) الى ١٦,٥٪، والاغرب من هذا وذاك هو أن (ثابل اقانيغيان) نفسه شكك في صحة هذه النسبة حيث يقول "الصحيح هو أن نسبة الزيادة في الناتج القومي انخفضت الى الصفر" وقد أوضح ذلك بالارقام، بهذه الصورة: كانت نسبة الناتج القومي تميل الى الانخفاض منذ بداية السبعينات، حيث وصلت الى أوطأ نسبة في أواسط الثمانينات. ففي اربع دورات للخطة الخمسية للناتج القومي وفق احصاء دقيق كانت النتيجة كالاتي: ١٩٦٦-١٩٧٠ ما يقارب ٣٢٪، و١٩٧٠-١٩٧٥ ما يقارب ٢٣٪، و١٩٧٦-١٩٨٠ ما يقارب ١٢٪، و١٩٨١-١٩٨٥ وصلت النسبة الى ١٪.^(١)

أي: ان بريجنيف، بعد أن أزاح خروشوف، والى يوم مماته، كان يدعي تقويم الانحرافات واصلاح أوضاع البلاد، الا انه في الحقيقة تسبب في القضاء على الناتج القومي قضاء تاما، وبالرغم من الوضع الاقتصادي السيئ هذا، كان يعمل باستمرار سرا وعلائية من أجل صنع الأسلحة النووية المختلفة المكلفة اقتصاديا، على حساب الحالة المعيشية للناس، وتكديسها في مخازن سرية.

في المؤتمر السابع والعشرين، تحدث كورباتشوف بصراحة ووضوح عن (السياسة غير الصحيحة) و(الاطاء المختلفة) لبريجنيف، قائلا: "لقد اوقع اقتصاد روسيا في ورطة كبيرة" كما نعت بريجنيف، في المؤتمر، بالبيروقراطية، من الناحية السياسية. اذن، زعيم أفضل اقتصاد اكبر دولة، وتصرف هو

نفسه تصرفا بيروقراطيا، فمن المحال أن يستطيع، بعد خروشوف، اقامة الاصلاحات في بلاده، وتأمين الحرية، و دفع الاشتراكية الى أمام.

ان الحقيقة هي كما يعترف به السوفيت أنفسهم، بينما نجد بريجنيف، في مؤتمر الحزب السابع والعشرين، يحرف الحقيقة، ويخفيها عن مواطني بلده، وعن شعوب العالم، بهذا الشكل: (بصورة عامة نستطيع أن نقيم مرحلة السبعينات بأنها كانت خطوة كبرى نحو تقدم البلاد).^(١)

فكما اوقع بريجنيف الاتحاد السوفيتي في هذه الضائقة، اوقع اصداق الاتحاد السوفيتي ايضا في اكبر نكسة سياسية- ايدولوجية. في بلد كالاتحاد السوفيتي، لا يمكن اخفاء المشاكل والأزمات المتراكمة لعشرات السنين، بضغط السلطة والدعاية الاعلامية، الى مالا نهاية، فحتى ان اخفيت من الناحية الدبلوماسية او الاعلامية، فليس بالامكان اخفاؤها من الناحية الاجتماعية، لأن تراكم المشاكل والأزمات في نفوس الجماهير وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية سيصل الى درجة الغليان، ثم الانتفاضة، لذلك اصبحت اعادة تنظيم القضايا الاقتصادية والاجتماعية للاتحاد السوفيتي، من اجل اعادة روح النشاط الى نفوس الناس - هدفا مركزيا لسياسة اندروبوف (١٩٨٢-١٩٨٤).

لقد حاول اندروبوف، وبهدوء، ادخال الاصلاحات الى الدولة والحزب والمجتمع في غضون السنتين اللتين بقي فيهما على سدة الحكم، وبدون أن يسمي هذه الاصلاحات (ثورة) او (بروستوريكا) و(كلاسنوست) بدأ بتطهير ظاهرة البيروقراطية، وبمنع شرب الخمر والادمان الذي كان يضعف قوة العمل والعمال، وسعى الى الاكثار من وسائل العمل وتشجيع الانتاج، وباختصار أزيح عدد كبير من اصحاب السلطة الكبار من مناصبهم، ولو حظ نوع من الاصلاح والتغيير في غضون السنتين التي حكم فيهما (اندروبوف)، حيث وصلت نسبة الزيادة في الناتج القومي الى اكثر من ٣,٥%، لكن المرض قضى على (اندروبوف)، ولم يمهله الموت لينجز

براجه، وجاء بعده (چبرنينكو) الذي تولى زعامة البلاد، وهو على فراش المرض، لعدة اشهر (١٩٨٤-١٩٨٥)، وفي الاشهر القليلة هذه، لم يواصل سياسة (اندروبوف)، في الاصلاحات وتطوير البلاد، ليس هذا فقط، بل سعى الى تخريب تلك الاصلاحات، واعادة الاوضاع في الاتحاد السوفيتي الى زمن بيروقراطية بريجنيف، لكنه مات قبل اتمام ما نوى عليه.

وتولى ميخائيل غورباتشوف الذي يبلغ من العمر (٥٩) سنة مقاليد الحكم في الدولة والحزب، بعد مداوات قصيرة، وكان قد انضم الى صفوف الحزب الشيوعي السوفيتي عام (١٩٥٢م)، أي في اواخر ايام حياة ستالين والستالينية، وكان ناجحا في كل الاعمال التي اوكلت اليه، واصبح عام (١٩٧٠م) الذي بلغ عمره فيه (٣٩) عاما، واحدا من قادة الاتحاد السوفيتي، حيث اختير عضوا في المجلس الاعلى للدولة، وعضوا في قيادة الحزب. أي: انضم الى صفوف الحزب في زمن ستالين، وانتخب للقيادة في أوج فترة حكم بريجنيف، ومن الطبيعي انه قضى حياته السياسية، في زمن خروتشوف، بأعلى درجات النشاط والحركة. لقد عين وزيرا للزراعة عام (١٩٧٨)، وبعد عام من هذا (١٩٧٩-١٩٨٠) رفعت درجته الحزبية الى عضو في المكتب السياسي (بوليت بورو).

باختصار، لم يكن غورباتشوف مسؤولا، بأي شكل، عن الجرائم التي ارتكبتها ستالين، كما انه لم يكن، في زمن خروشوف اليميني، كادرا فعالا الى درجة يتمكن فيها من تغيير التيار. فهو على الاكثر نتاج لزمن بريجنيف، وفي ظل سياساته ايضا كون صلات باصحاب المسؤوليات الكبرى في روسيا، لذلك فهو على دراية تامة بتلك السياسات التي كان بريجنيف يتبعها، وكان يعرف ايضا، كيف هي أوضاع وأحوال بلاده، وتحتاج الى تغيير وتحولات جذرية.

قبل أن ندخل في صلب موضوع (البروسترويكا والثورة) وتوضيح الجوانب الايجابية والسلبية بين هذين المنهجين الايدولوجيين، من الأفضل أن نذكر مختصرا عن الـ(بروسترويكا) كتعريف ومقدمة، من اجل توضيح

قصدنا، وبعد ذلك نأتي الى الاجابة عن هذا السؤال: ترى، هل البروسترويكا مفيدة للثورة والديمقراطية أم مضرّة؟ ولكي نستطيع التحدث عن هذا بكل موضوعية، فان حديثا مختصرا عن الاقتصاد والاجتماع والسياسة السوفيتية، في بداية الفترة التي تولى فيها غورباتشوف الحكم- ضروري جدا، لرسم الصورة التي نراها داخل اطار تلك المواضيع.

فالنظام السياسي في دول العالم، يؤسس حسب القاعدة الاقتصادية لكل بلد، ويرتكز الاقتصاد على دعامتين مهمتين هما: الزراعة والصناعة، وكلتا الدعامتين، لها علاقة بالارض والموارد والمناخ والمياه والمساحة وعدد السكان، ومن الواضح ان الاتحاد السوفيتي، سواء من حيث الارض والمياه والمناخ، أم من حيث عدد السكان، هو احدى القوى العظمى في العالم، ولا يعاني من المشاكل من هذه الناحية.

عندما تولى غورباتشوف زعامة الاتحاد السوفيتي ورث الوضع الاقتصادي والاجتماعي السيئين اللذين تركتهما الزعامة السابقة له، فهو، وإن كان واحدا من العديد من اعضاء اللجنة المركزية، ثم المكتب السياسي للحزب، فبلا شك، لم يكن باستطاعته ابداء التعبير عن موقفه، داخل بحيرة من البيروقراطية التي كان يغرق فيه حزبه، كما هي حاله الآن، وكان هذا الأمر، داخل نظام، كالاتحاد السوفيتي، كذلك داخل الأنظمة المتحالفة معه في أوروبا الشرقية، حقيقة مرة صارخة، لم يستطع احد تجاوزها، بل عندما أرادت جيكوسلوفاكيا اجراء بعض التغييرات والتطويرات في نظامها السياسي والاقتصادي عام (١٩٦٧م)، كما يحصل الآن في الاتحاد السوفيتي، تدخل الاتحاد السوفيتي عسكريا فيها، وقمع تلك المحاولات التحررية. من الواضح ان شخصا مثل غورباتشوف (وقبله اندرييوف) كان يعرف حقيقة سياسة الاتحاد السوفيتي جيدا، لاسيما اندرييوف الذي كان سفيرا للاتحاد السوفيتي في جيكوسلوفاكيا اثناء انفجار ازمة (براغ). فالهدف الذي أريد تحقيقه في جيكوسلوفاكيا كان هو نفس الهدف الذي يريد السوفيت تحقيقه الآن، وهو العودة الى الديمقراطية، وتوكيل الاشتراكية

الى المستقبل البعيد، لكي تتحقق حسب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة حينذاك.

حينما وصل غورباتشوف الى الحكم، وأمسك زمام الأمور بيديه كزعيم الاتحاد السوفيتي الاول، بدأ بتنفيذ خطته التي من الممكن انه فكر فيها منذ أمد طويل، لكنه لم يكن يستطيع التعبير عنها قبل الآن داخل البحيرة البيروقراطية السالفة الذكر، وعندما وصل الى الحكم، كان الوضع الاقتصادي للاتحاد السوفيتي كما يلي:

نسبة زيادة النمو الاقتصادي السنوي للاتحاد السوفيتي في الاعوام ١٩٦٦-١٩٨٥.

١٩٦٦-١٩٧٠	١٩٧٠-١٩٧٥	١٩٧٥-١٩٨٠	١٩٨٠-١٩٨٥	
٧,١%	٥,١%	٣,٨%	٣,١%	الناتج القومي
٨,٥%	٧,٤%	٤,٥%	٣,٧%	الانتاج الصناعي
٣,٩%	٢,٤%	١,٧%	١,١%	الانتاج الزراعي

كان الاتحاد السوفيتي لايحتاج الى شراء الحبوب بدرجة كبيرة فيما مضى، بينما في عام (١٩٨٥م) الذي كان غورباتشوف فيه على سدة الحكم، استورد (٥٥) مليون طن من الحبوب، وقد أثر هذا في الوضع المعاشي للناس، وفي الدخل السنوي، وثوراتهم المادية، ومستويات الحياة الاجتماعية، والمنافسة الحرة لتطوير البلاد، لاسيما أن الاتحاد السوفيتي، بحكم منزلته الاقتصادية ومنزلته السياسية السابقة، كانت ميزانيته العسكرية عالية جدا، بالرغم من وضعه الاقتصادي ذلك، وأضاف هذا عبئا آخر فوق العبء الثقيل الملقى على كاهل الناس، وعندما وصل غورباتشوف الى الحكم، كان على علم تام بهذه الحقيقة الاقتصادية... كما كان يعلم ايضا، بمصدر تدفق المشاكل والمصائب.

يان دربيشاير- تحولات سياسي در اتحاد شوروى (از برژنيف تا گورباچف) ترجمه: هرمز همايون پور، چاپ اول ١٣٦٧، تهران، ص ١٣٦.

كانت محصلة هذه المشاكل والأزمات: البروقراطية، والبطالة، والخمول والكسل، وقلة الانتاج، والبضائع غير المفيدة، وشرب الخمر والادمان عليها، بالإضافة الى استياء الناس من عدم توفر الديمقراطية والحرية - وصلت حدا لا يطاق، بل الى حد الانفجار، وقد اثر كل هذا في: الطبقات، والشعوب، والزراعة والصناعة، والحضارة والثقافة، وكان كورباتشوف على يقين من انه لا يمكن منع انفجار هذه المشاكل الى الأبد، بل توقع انفجارا لا نظير له، مازال في طور الغليان، وقد اعترف هو نفسه بهذه الحقيقة، كما يأتي: "ان تأخير البروسترويكا يؤدي، في المستقبل القريب، الى اصابة الوضع الداخلي بمشاكل وأزمات غير متوقعة، ولكي لا أقع في حشو الكلام والاطناب في الحديث، فان تأخيره يتسبب في أزمة حقيقية، من الناحية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية".^١

ومن أجل كل هذه الحقائق، بل وأكثر، اتخذ كورباتشوف، وباقصى درجات الوضوح، وبشكل لا نظير له في التاريخ - مبدأين أساسيين سبيلا لتحقيق اهدافه:

- ال(بروسترويكا) (٢)
- ال(كلاسنوست) (٢)

المبدأ الأول هو اعادة بناء الاتحاد السوفيتي من جديد، والثاني للكشف عن كل مستور والانفتاح داخليا وخارجيا.

لا مجال هنا لتقييم مشروع هذين المبدأين، فمهمة كهذه تحتاج الى وقت كاف، لكي يكون باستطاعتنا تقديم دراسة عميقة متزامنة مع ارتفاع الامواج العاتية للحقائق التي كانت مخفية حتى الآن، وتفسير ظاهرة عالمية كبيرة كهذه من كل جوانبها.

ان المعيار الصحيح لقياس الظواهر والأزمات، لا يكمن في رغبة هذا، ولا ذكاء ذلك، او شهرة أي شخص او طرف، بل يكمن في مدى الخدمات والمكتسبات المقدمة للعمال، ومدى انتصار الاشتراكية على الرأسماليين

ميخائيل كورباچف، پروسترويكا دومين انقلاب روسيه، ترجمه: عبدالرحمن صدریه، چاپ سوم، ۱۳۶۶.

بروسترويكا، تعني: اعاده البناء - المترجم - .
كلاسنوست، تعني: العلنية او الأفتتاح في التعبير - المترجم - .

المستغلين. فكل ظاهرة، أو حدث او مشروع، لا يكون سببا في تقدم ثورة العمال وتهيئة ظروف نجاح الاشتراكية في العالم، حتى، وإن كانت له - بصورة مؤقتة - فائدة سياسية، ومغانم اجتماعية، وسعادة انسانية، يجب ألا يعطى قيمة اكثر مما يستحق، فاذا لم يعامل هكذا، فان هذا يعني وضع الاسرائيل في خدمة التكتيك، في الوقت الذي ينبغي أن يكون العكس. كما يجب ايضا بحث الـ(بروسترويكا) داخل دائرة هذه الحقيقة، مع انه، بعد ثورة أكتوبر، لم تهب العالم أية ظاهرة سياسية أخرى بقدر ما هزته (البروسترويكا)، ويمكن أن يرجع سبب ذلك الى ان مشاكل التجربة الاشتراكية لم تجر حولها المناقشات، في السابق، بحجم ما يجري حولها الآن، ولم تخلق المخاطر بقدر ما تخلقها الآن على مصير تجارب الشعوب، واذا كان المشروع مشروعاً يبدد الخطر، فبلا شك، سيعطى اهمية اكثر. ترى، أيبدو هذا المشروع الخطر أم لا؟

الاجابة عن هذا السؤال مرتبطة بمصير الاشتراكية، والاشتراكية لها علاقة بالنضال المتواصل للعمال والكادحين وبالتطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الحاصلة في المستقبل. وكل ظاهرة، لا تنبع من الحاجات الطبقيّة للعمال والضرورات الاجتماعية الموضوعية، ولا تصيح اداة حقيقية في أيديهم، من اجل الاشتراكية، فمن الممكن أن تنجح في المجالات الأخرى، لكنها حتما لا تكون ضمن مكاسب الاشتراكية العلمية، والاشتراكية العلمية يجب ان يكون احد مرتكزاتها الاجتماعية، هو تطوير مستوى العمل والعمال علميا، والى درجة علمية واعية عالية. ويمكن القول: ان أهم مكسب للبروسترويكا، قبل أن يحكم عليه حكما نهائيا، هو فتح الباب أمام الديمقراطية، والديمقراطية، بصورة عامة، افضل بكثير من الحياة البيروقراطية والرقابة السياسية وخرق الحرية، وسبق أن جرى الحديث بإيجاز عن البيروقراطية في زمن بريجنيف، وعن أضرارها المختلفة^(١)

الى ما قبل كتابة الجزء الاوّل من الكتاب كنت أوّمن بالديمقراطية الشورية لا الديمقراطية للتطور اللارأسمالي، أما الآن فاعتقد ان الديمقراطية هي ديمقراطية واحدة، ويجب على العمال والكادحين ان يناضلوا من اجل تحقيق جميع مهمات الديمقراطية، لأن برجوازية البلدان المضطهدة، لا تستطيع تحقيق تلك المهمات لوحدها. فتحقيق مهام الديمقراطية بات من مهام الشعوب الشرقية، كما هو الحال عند الشعوب الغربية - المؤلف -

احدى المشاكل الكبيرة التي اعترضت مسيرة الثورة في الاتحاد السوفيتي والصين والدول الخليفة لهما، ترجع الى عدم تطبيق السياسة الديمقراطية، وعدم تحقيق جميع مهمات مرحلة الديمقراطية، واعتمد في هذا على فرضية: ما دامت السلطة السياسية بأيدينا، اذن، فمن الممكن تحقيق الاشتراكية أيضا، الا ان هذه الفرضية لوحدها اغراف خطير عن النهج الديمقراطي، وغض النظر عن حاجات الناس الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية والديمقراطية الضرورية، وقد اتضحت نتائجها فيما بعد، حيث أصبح معروفا الى أي مدى نجح فرض هذا النهج الاشتراكي الخطير! فلو نظر كل واحد منا الى (البروسترويكا) ضمن اطار الديمقراطية العامة، ووضع نفسه مكان شعوب الاتحاد السوفيتي، ليرى حياته في ظل نظام بيروقراطي مصادر للحريات في مرحلة حكم بريجنيف، والزعماء الذين سبقوه، ودخل الى اعماق شعور اولئك الناس، ووضع أمام عينيه الفقير والعوز الذي كانوا يعيشون فيه، في احدى اغنى الدول الغنية على وجه المعمورة، عندها يستطيع أن يعرف إن ظاهرة كـ(البروسترويكا) لها فائدة لمئات الملايين من الناس، حيث غيرت الوضع المعيشي والحالة السياسية لهم، في أقل تقدير.

لقد أيد ماركس وانجلس ولينين سياسة العلاقات الرأسمالية الديمقراطية وانتقال الحضارة الرأسمالية الى البلدان المتخلفة حتى يتحرر الناس من حياة القرون الوسطى، وكانوا يعتبرون العلاقات الرأسمالية، من أجل القضاء على الاقطاع، مشروعا ثوريا. فلنفرض ان (البروسترويكا)، وفي زمن مغاير حيث الصناعة سائدة، ولكن البيروقراطية ونوعية النظام الشمولي هما عائقان امام التطور، أنجزت البروسترويكا نفس التغيير السياسي المضاد للبيروقراطية والاستبداد، لصالح عمال وشعوب الاتحاد السوفيتي، كذلك البلدان الشبيهة بالاتحاد السوفيتي، اذن من الضروري أن تكون (البروسترويكا) و(الغلاسنوست) لديهم افضل من البيروقراطية والاستبداد.

لقد اصبحت (البروسترويكا) سببا في كشف انواع مختلفة من الحقائق الكبرى حول:

- عدم حل مشكلة (١٢٦) شعبا واقليبة قومية حلا ديمقراطيا.
- الاعلان عن عدم توفر الديمقراطية والحرية.

- انخفاض مستوى التكنولوجيا.
 - هبوط مستوى المستلزمات الصحية الضرورية.
 - الأزمات الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي وفي الدول السائرة في ركابه،
 - فرض المركزية الاقتصادية ومحاربة حرية العمل والسوق.
 - عدم الاهتمام اللازم بالادب والفن والابداعات المتنوعة.
 - السعي من اجل حل مشكلة الصين والاتحاد السوفيتي، و الانسحاب من أفغانستان، والاعتراف بخطأ محاولة انهاء الحرب، وانهاء الثورة الكومبودية والفيتنامية و... الخ.
- ان مجرد ظهور هذه الحقائق التي اصبحت الآن مبعثا للافكار والآراء المتعمقة والمختلفة، لهو خدمة قل نظيرها، وان ظهور أية محصلة نهائية لهذه الحقائق، واجراء أية مناقشات ومجادلات حولها، في المستقبل، سيؤدي حتما الى بلورة الحقائق مجتمعة، ووضعها امام انظار الناس في العالم، وسوف يستفيد اولئك الناس حتما، كل حسب منظوره الاجتماعي المختلف، من تلك الحقائق المتبلورة، وستستعملها كل طبقة، من اجل الاهداف التطبيقية الخاصة بها، كذلك هي خدمة لنضال الشعوب المضطهدة، لنيل الحرية السياسية والاقتصادية الكاملة، عن طريق النهج الديمقراطي الذي هو اداة لانجاز مهمات المرحلة الديمقراطية التي تنقلها الى الاشتراكية أيضا في المستقبل.

١/٦ - البروستويكا والثورية

البروستويكا التي غدت ظاهرة عالمية، تشمل حتما الثورة فيما تشمله من الظواهر والاحداث، وبحكم كون الاتحاد السوفيتي إحدى القوتين العظميين في العالم، في هذا الوقت، ولكون البروستويكا أهم إستراتيجية له في هذا الفترة، لذلك يجب على احرار العالم التمسك بالحلقة التي تربط ما بين النضال التحرري والديمقراطي، وسياسة الإتحاد السوفيتي، وقيموا الأحداث على ضوء البروستويكا، والتغيرات الحاصلة في اوروبا الشرقية، وتأثيراتها على الابعاد السياسية في العالم، وخاصة في الشرق الاوسط، لا اللجوء الى التخمين.

لاشك، ان هناك في عالم اليوم، اضافة الى عمال الدول الرأسمالية الذين تغير نضالهم الطبقي، وظل مستقبل حياتهم مرتبطا بالاشتراكية- عمال وكادحون في الشعوب المستقلة، والشعوب الخاضعة للإمبريالية، من الذين مازالت نضالاتهم الاجتماعية والديمقراطية ساخنة داخل دائرة السياسة الأيمية. بل وصل نضالهم اليوم من الناحية السياسية، إلى حد الاشتعال الفعلي، لذلك إن كانت (البروسترويكا) بالنسبة للعمال والجماهير المناضلة من اجل العدالة الاجتماعية داخل البلدان الرأسمالية الذين سينتعث نضالهم في المستقبل حتما وفق التطورات الحاصلة، هي حديث الحاضر أو المستقبل. أي من الناحية النظرية تكون اساساً لحديث الحاضر. ومن الناحية العملية ستكون في مواجهة عملهم الثوري، وهكذا فان الامم المستقلة والمخضوعة، ايضا، كل واحدة منها ستواجه مباشرة، في هذه الظروف، وبشكل مختلف، التطبيق النظري والعملي لـ(البروسترويكا). لا ريب ان الظروف السياسية للشعوب المخضوعة اكثر سوءا من الظروف السياسية للشعوب المستقلة، لأنها تواجه خطر الفناء، لاسيما الشعوب التي تشبه ظروفها السياسية ظروف شعب كوردستان والشعوب الاخرى في الشرق الاوسط.

لقد اوضحنا فيما مضى، انه بعد الحرب العالمية الثانية، حيث حقق ستالين، كما يظهر، اهدافه في اوربا الشرقية، ورفع شعار الصداقة الدائمة مع الرأسماليين العالميين، وبعده خروشوف الذي استمر بشكل مكثف في السير على نهج التعايش السلمي الدائم، والتطور اللا رأسمالي، ومجموعة من الآراء العقيمة، ولم تتغير هذه الحالة في زمن بريجنيف ورفاقه ومن جاء بعدهم، وقد استفادت الامبريالية استفادة كبيرة من هذه التوجهات، كما انتعشت وتقوت بها الانظمة البرجوازية والرجعية، أما العمال والشعوب، لاسيما شعوب الدول المستعمرة الخاضعة التي أريد الأخذ بيدها الى الاشتراكية عن طريق (الديمقراطية الثورية)، فقد لحقت بها خسارة تاريخية: ترى، هل تمت معالجة تلك الخسائر، او لنقل: تلك الاخطاء النظرية ذات الأضرار الجسيمة، في زمن (البروسترويكا)؟ وهل تعالج هذه الاخطاء، بروح

عصرية، وضمن تطوير وتوسيع دائرة الأهمية ومساندة النضال الديمقراطي للشعوب المضطهدة؟ ووفق النهج (البروسترويكي)، أم لا؟ لنجب على هذا:

فكما لا يوجد في الفلسفة المادية الديالكتيكية أي نوع من الوفاق الفلسفي بين الميتافيزيقية والديالكتيكية، كذلك بين المثالية والمادية، ولن يكون أبدا، هكذا أيضا لا يمكن إيجاد أي نوع من الوفاق الدائم بين العمال والرأسماليين، وبين الإمبرياليين والشعوب المضطهدة، لأنه إذا خلق وفاق دائم كهذا، الآن أو في المستقبل، واثبت علميا، عندها، وبدون ادنى شك، يجب على كل واع ومؤمن بالفلسفة العلمية إعادة النظر في هذه الفلسفة، والبحث عن نظام فلسفي علمي جديد للحياة، لأن قاعدة الفلسفة العلمية بنيت على أساس العداء الثوري لمثل هذا النوع من الوفاق الدائم، وأن الأقطاب المتناقضة لا تتحمل الجمع الأزلي من حيث المبدأ. أن المقصود هنا هو علاقة الاشتراكية بالرأسمالية من جانب، وعلاقتها بالثورة التحريرية للشعوب، من جاب آخر.

هذه الآراء لم تنشأ وتتبلور استنادا إلى حادثة حصلت بالصدفة أو ظاهرة وقتية، لكي يقال أن انقضاء الحدث وزوال الظاهرة يبطلان الرأي. إن رأيا كهذا حول التناقض الأساسي بين العمل ورأس المال، وبين العامل والرأسمالي، أصبح قاعدة للنضال الاجتماعي والعدالة الاجتماعية ضد الرأسمالية، وحيثما توجد هذه التناقضات، فإن هذه الآراء ستبقى أيضا، وإذا تم تطويرها وفق الظروف المتغيرة، فلا يجوز أن يخرج التطوير عن حدود منطق الآراء، أو تبدل مضامين الآراء الثورية بمظهر اصلاحي هامشي.

من الواضح، أن النظام الرأسمالي الآن أكثر تسلطا من الماضي، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تقود الدول الرأسمالية في العالم، أي: كلما كان التناقض الأساسي موجودا بين العمل ورأس المال، فإن الأعداء الرئيسيين للعمال والشعوب المضطهدة هم الرأسماليون بقيادة أمريكا، وهم يجنّدون كل طاقاتهم وامكاناتهم العسكرية، الاقتصادية، السياسية، الاعلامية والدعائية، ضد الاشتراكية والانتصار الدائم للفلسفة التطبيقية

الراسمالية، وهم مستمرون على نهجهم هذا، ووفق هذا المعيار، ان كان الهدف من (البروسترويكا) هو المحافظة على الاشتراكية، وانتصارها في كل ارجاء العالم، فيجب عليها أن تفكر في تطوير النضال الديمقراطي والعدالة الاجتماعية للشعوب والمجتمعات، ضد امريكا والدول الشبيهة بالنظام الرأسمالي في امريكا، ولكي نبين هذا بشكل واضح، فمن الضروري أن ننظر الى موقف (البروسترويكا) من نضال العمال والشعوب، من وجهة نظر الاستراتيجية الـ(بروسترويكية).

كل ما ورد في كتاب (البروسترويكا) يدور حول هذه الحقيقة التي تقول: ان القضية المركزية للعالم، بعد الان، ليست هي النضال الطبقي للعمال والنضال التحرري للشعوب، بل ان (القضية المركزية لهذا العصر في العالم) هي نزع الاسلحة، وتدمير المخزونات النووية، ووضع كل القضايا الاخرى في خدمة هذه القضية، بما فيها الاشتراكية، والثورات التحررية للشعوب! ولهذا جرت مباحثات حول مصالح امريكا والاتحاد السوفيتي واوروبا الغربية ومناطق أخرى ك: امريكا اللاتينية، وامريكا الوسطى، والشرق الاوسط، بكل تفصيل، وقد طمأن كورباتشوف الدول الرأسمالية الكبرى، حتى اسرائيل بكل وضوح، على مصالحهم في هذه المناطق، واكد لهم ان الاتحاد السوفيتي لا يشكل ادنى خطر عليهم، وعليهم ألا يشككوا في هذا ابدأ، وبهذا تم خرق الواجبات الاممية كنضال ثوري مشترك للعمال، ولأن هذه الحقيقة مرتبطة بـ(البروسترويكا والثورة)، في زمن كورباتشوف نفسه، لذلك نشير الى ما قاله بهذا الصدد. ففي كتابه (البروسترويكا) يتحدث عن مصالح امريكا واوروبا، في الشرق الادنى، وآسيا، وامريكا اللاتينية، وكل مناطق العالم الثالث، من ضمنها افريقيا الجنوبية. بهذا الشكل: "لقد أوضحنا، في تلك الفرص الكثيرة التي سنحت لنا، اننا لا نسير وراء أي هدف على اساس قاعدة الحاق الضرر بالدول الغربية. فنحن نعرف مدى اهمية الشرق الادنى: آسيا، وامريكا اللاتينية، ومناطق العالم الثالث كافة، ومن ضمنها افريقيا الجنوبية- لاقتصاد امريكا واوروبا، ولاسيما تلك المناطق التي لها علاقة بالمواد الاولية، لذلك فان خلق المشاكل لعرقلة هذه العلاقة،

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

هو آخر شيء يخطر في أذهاننا، اذ ليس لدينا مثل هذه النظرة التي تؤزم العلاقات الاقتصادية التي تم اتخاذ موقف تاريخي تجاه مسارها^(١) ينبغي أن نقول: لقد أرادت امريكا واوربا، طيلة عهود التاريخ، هذه الضمانة الاقتصادية الشيء فقط، لا غيره، وعلى الدوام، وأنهم تمكنوا من فرض هذه السياسة، سواء بالحرب أم بالسياسة.

نفس المصدر السابق ص ١٣٤٥.

٦ / ٢ - الشكل والمضمون

في (الظاهر)... يتبع سياسة التعايش السلمي في العالم، وفي (الباطن)ء يطبق خططا لتسليح الدول القوية المدمرة للعالم. ان سياسة متناقضة كهذه خطيرة جدا، لأن هذا الشكل والمضمون المضاد احدهما للآخر في السياسة السوفيتية السابقة، أثر في القضايا الداخلية والخارجية للاتحاد السوفيتي، كما كانت لها صلة وثيقة بالكفاح المسلح وحالة التكنولوجيا الحربية، لذا نرى من المفيد التحدث عن بعض الحقائق حول القدرة النووية، والأسلحة المتنوعة الأخرى، ومستوى بيع السلاح، وتجارة السلاح، لكي تقترب اكثر فاكثر من هذه السياسة العسكرية الكارثية، اثناء الحرب الباردة، ونقول ابتداء:

ان تكنولوجيا الحرب ودرجة الاستعداد للاستمرار في الحرب، ليست مرتبطة فقط بامكانيات الصناعة الحربية، ورفع الديناميكية السوقية الحربية للدول، لاسيما بالنسبة الى الدول العظمى، بل ترتبط هذه أيضا بالأوضاع الاجتماعية والسياسية الدولية، ومنها نوعية النضال التحرري الديمقراطي في العالم. إن استراتيجية الحرب لم تكن دائما مرتبطة تاريخيا فقط بالحرب، وإنما، بشكل او بآخر، تؤثر في نفسية الشعوب أيضا، فمثلا: نشر الصواريخ ذات الرؤوس النووية حول اوربا كلها،^(١) ليس الهدف منه فقط الحرب ودفع مخاطر الحرب، وإنما تريد امريكا والاتحاد السوفيتي، عن طريق نشر صواريخهما ذات الرؤوس النووية، في خضم اشتداد الحرب الباردة والحرب النفسية، خلق ظروف نفسية-اجتماعية، بشكل تستطيعان به احراز النصر في الحرب الاعلامية والسياسية القائمة بينهما.

بينما كان يجري الحديث، في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي المنعقد عام (١٩٥٦)، عن التعايش السلمي والقضاء على

كانت هذه الصواريخ من نوع SS20 التي تحمل رأسا نوويا بقدرة تدميرية تقدر بـ(١٥٠) كيلو طن نووي وتصل الى بعد (٢٧٠٠) ميل، يمتلك السوفيت (٣٠٠) صاروخ منها، وحسب رأي المختصين، تستطيع (١٥٠) صاروخا منها تدمير النظام الدفاعي خلف شمال الاطلسي - المؤلف -.

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

سباق التسليح، وازالة السلاح النووي... نرى، حتى عام (١٩٨٢)، وتيرة صنع الاسلحة النووية تزداد باستمرار، الى ان وصلت الى ما هو عليه الان، كما هو مبين في الجدول المعلن من قبل معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن، حيث يظهر بجلاء مجموع الاسلحة النووية ونوعيتها لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وحلف الأطلسي وحلف وارشو:

الصواريخ	الولايات المتحدة الامريكية	الاتحاد السوفيتي
الصواريخ العابرة للقارات	١٠٥٢	١٣٩٨
الصواريخ العابرة للقارات ذات الرؤوس النووية	٢١٥٢	٥٢٢
الصواريخ الاستراتيجية الباليستية	٥٢	٩٦٩
الصواريخ التي تطلق من البحر الى البر	من (٢٦) غواصة نووية ٤٧٦٨	من (٨٠) غواصة نووية ١٧٥٢
الصواريخ الاستراتيجية المتوسطة المدى	×	٧٤
صواريخ ارض ارض	٨٠% من هذه الصواريخ موجودة في غرب الاورال	
الطائرات الاستراتيجية القاذفة للقنابل	٢٧٦، منها (٢١٦) طائرة ذات المدى البعيد	١٥٠، منها (١٠٥) ذات المدى البعيد

من المقرر أن تتسلح كل من المانيا الغربية، وإنجلترا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا بصواريخ (برشينج ٢) وصواريخ ارض ارض (G.L.C.M) وتزامنا مع هذا، حملت هذه السفن الحربية التي تجوب البحار بالاسلحة النووية:

السفن	الحلف الاطلسي	حلف وارشو
الغواصات النووية	٩٠	٩٩
السفن الحربية بالاطنان	* ٢٠٨٥	* ٢٠٦٨٥
السفن الحاملة للطائرات	١٨	٤
السفن ذات حمولة (٢٠٠٠) طن	٢٤٨	١٣٩
سفن انزال الجنود	* ٧٥٩	* ١٤١
القوة الجوية-البحرية	٢٦٠٠	٧٥٠

بالاضافة الى كل ذلك، فان القوة العسكرية للمعسكر الشرقي والغربي المتمركزة في اوربا عام (١٩٨٢) هي بهذا الشكل:

الحلف الاطلسي، قوات امريكا المتمركزة في اوربا:

- افراد: ٢٢% (مليون)، منهم (٧٠%) منهم متمركزون في المانيا.
- دبابات: ما يقارب (١٠٠٠) دبابة.
- طائرات حربية: اكثر من (٨٠٠) طائرة.
- الاسطول السادس (البحر الابيض المتوسط)
- قوات دول اوربا:
- افراد: (٢, ٢) مليون شخص.
- دبابات: (١٦٠٠٠) دبابة.
- طائرات حربية: ما يقارب (٣٧٠٠) طائرة.
- سفن حربية كبيرة: (٢٦٠) سفينة.
- غواصات: (١٤٣) غواصة.

* بملايين الاطنان.

* بملايين الاطنان.

* بملايين الاطنان.

* بملايين الاطنان.

١

حلف وارشو، وقوات روسيا السوفيتية المتمركزة في اوربا.^(١)

- افراد: ٥١% مليون، منهم (٣٨%) متمركزون في المانيا الشرقية.
- دبابات: (١٠٠٠٠) دبابة، منها (٧٠٠٠) دبابة متمركزة في جيكوسلوفاكيا و المانيا الشرقية.
- الطائرات الحربية: ما يقارب (٢٠٠٠) طائرة، منها (٩٠٠) طائرة في المانيا الشرقية.
- اسطول البحر الاسود والبحر الابيض
- اسطول بحر البلطيق
- دول اوربا الشرقية:
- افراد: ٨٥% مليون.
- دبابات: ما يقارب (١٤٥٠٠) دبابة
- طائرات حربية: ما يقارب (٢٢٥٠) طائرة
- السفن: ما يقارب (١٠) سفن حربية كبيرة
- غواصات: (٦) غواصات.^(٢)

هذه الاحصاءات هي ادلة صارخة على عدم تحقيق شعار التعايش السلمي الدائم وزوال خطر الاسلحة النووية والحرب، ويرجع السبب الرئيسي لعدم تحقيق هذا الشعار الى الطبيعة الجديدة للاحتلال الإمبريالي التي لا يمكن أن يتحمل الاحتكاريون في ظلها، بدون تجارة السلاح واسواق بيع السلاح، ومن ثم الى سياسة الاتحاد السوفيتي في كيفية التعامل مع هذه الطبيعة الإمبريالية التي هي السبب في بقاء الإمبريالية قوية، وفي عدم انفجار الازمات والمشاكل المختلفة التي تعاني منها.

گورباتشوف... كان يعرف جميع هذه الحقائق، كما كان يدرك مدى ضررها في (الظاهر) وخطرها على السلام في (الباطن)، وكان يدرك ايضا

القوات المتمركزة قرب اوربا: بدون قوات روسيا السوفيتية المتمركزة في القسم الاوربي منها، هي: ٦٩ فرقة ٣٦ فرقة منها مدرعة- المؤلف.
ژار شاليان و ژان پيرراژو، اطلس استراتيژيك جهان، ترجمة: د. ابراهيم جعفرى، انتشارات اطلاعات، تهران ١٣٦٦ ص ٢٠٤-٢١٢.

مغزى الاضرار لسعي الاتحاد السوفيتي لتسليح نفسه ولحفائه حتى النخاع ، لذلك قرر، وبصورة قاطعة رفع الستار عن الحقائق عن طريق (البروسترويكا) و(الكلاسنوست) والكشف عن الازمات والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية المخفية.

ان المفكرين والمثقفين الواعين في العالم، هم الآن أمام فرصة تاريخية كهذه، ليس فقط لكشف الحقائق، بل للحصول على أجوبة للأسئلة التي أطلقتها المسيرة الحضارية المشوهة للانسانية، في القرن العشرين، والتي مازالت بلا جواب. تلك الاسئلة التي اجيب عنها بمختلف انواع الكذب والدجل، وحرفت الحقائق او اخفيت عن الناس. ان القرن العشرين، ومنذ عشرات السنين الماضية، مصاب بمخاض كذبتين: كذبة ادعاء الديمقراطية الرأسمالية، و كذبة الاشتراكية السوفيتية خاصة في البلدان الشرقية والدول النامية، وكلتا الكذبتين ثرثرة واستهزاء بالانسانية والانسان الذي: اضطهده، واكلوه، واخذوه، وعذبوه، وسرقوه، وقتلوه، وعرضوه للقتل، كل ذلك تحت ستار الحرية الكاذبة، والاشتراكية الزائفة، ولقد انكشفت كل هذه الجرائم في غضون السنوات القليلة هذه، بفضل (البروسترويكا) و(الكلاسنوست)، وكان في كشف هذه الجرائم خدمة كبيرة للانسانية والانسان.

لو دقق النظر في هذه الأرقام، لعرف كيف أصبح العالم رهينة لهاتين الكذبتين اللتين اخفيتا تحت ستار (الحرية والاشتراكية) حتى الآن: ففي عام (١٩٨٦م)، صرف اكثر من (١٠٠٠) مليار دولار على الميزانية العسكرية، وهذه، بلا شك، ميزانية خيالية، وعندما تحلل هذه الميزانية، يظهر ان في كل دقيقة واحدة صرف ما يقارب (٢) مليوني دولار على مدى أيام السنة، على الشؤون العسكرية. هذا في الوقت الذي كان يموت، في نفس السنة، وفي كل دقيقة (٣٠) طفلا، بسبب الجوع، وعدم وجود الماء الصالح للشرب، وعدم الاهتمام بالصحة العامة، حيث كانوا يسلمون ارواحهم الى كلتا كذبتى عصر الحرب الباردة. لقد وصل مجموع من مات من الاطفال في سنة واحدة الى (١٥) مليون طفل، وفي اليوم الواحد الى (٤١٠٠٠) طفل، وفي الدقيقة الواحدة الى (٢٨) طفلا.^(١)

ويلى برانت، جهان مسلح، جهان كرسنه - ص ١١١.

جدير بالذكر، انه لو استطاع كورباتشوف، الى جانب القضاء على البيروقراطية، عن طريق (البروستويكا)، تخفيف ثقل هذا الجوع ايضا عن طريق (الكلانوسمت)، لكان يسجل مكسبا آخر لظرحه المبتكر قياسا الى الاشتراكية البالية في اوربا الشرقية. كما ان النظر الى حياة الجياع في العالم، من الناحية الانسانية، ضروري لكل الثوريين، فلا يجوز وضع مبدأ جامد ومتحجر فوق ارادة الجائعين الفقراء، وبمعزل عن ظروفهم. ان التوفيق بين اصلاح وضع اولئك الناس وبين النهج الثوري مهمة انسانية كبيرة، لذا من صلب المهام السياسية الانسانية هو مساندة الاصلاح، لهذا الهدف النبيل، واجب انساني كبير. ولهذا، فان دعم الاصلاح هو عمل انساني ضروري، وهو يخدم الجانب الاستراتيجي الديمقراطي والعدالة الاجتماعية في نهاية الأمر أيضا.

من المؤكد ان نجاح كورباتشوف، في هذه الناحية، مرتبط بمدى نزع الاسلحة الثقيلة، وتدمير مخزونات الاسلحة النووية. ان انشغال امريكا واصرارها على صنع واستخدام الليزر في حرب النجوم، في هذا الوقت الذي جند كورباتشوف كل ثقله وثقل الاتحاد السوفيتي من اجل القضاء على سباق التسليح، حتى ان تنازله عن الكثير من المبادئ- دليل على عدم نجاح سياسة خلق عالم خال من السلاح، وعدم نزع السلاح، وازالة خطر الحرب النووية، لذلك، فان هذا الاصلاح ضروري، في الاقل، من اجل تحسين معيشة الفقراء الجائعين. اما اذا بقي الاصلاح في الدائرة الضيقة للاصلاحيين، فانه لا يقلل شيئا من آلام مئات الملايين من الجائعين في العالم، لأن الامبريالية هي هي، وان الحل الجذري للمشاكل والمعضلات، والاداة الوحيدة لهذا الحل هي التغيرات الجذرية لتوزيع الثروات وتحقيق الديمقراطية والاصلاحات في هذه المرحلة، ولا بد أن يكون الاصلاح في خدمة الثورة ايضا، ويكون نهرا، يصب في بحر الثورة، لا عقبة في طريق اندلاع الثورة الاجتماعية المعاصرة.

واليوم، عندما تستجيب الإمبريالية لنداءات كورباتشوف نتيجة لضغط الأحداث الجديدة، من الواضح انها لا تقصد حل ازمات التجربة الاشتراكية، بل لتعميق ازمة النهج الاشتراكي ايضا، وجعل النضال الطبقي للعمال والكادحين بلا اهمية. فكلما ترسخ افلاس الاشتراكية، وتهميش النضال الطبقي، في ذاكرة الناس، كلما طال أمد الاستغلال الطبقي، ونهب الفقراء وسلبهم، وبالعكس، فكلما انتشرت افكار العدالة الاجتماعية

والنضال من اجل تحقيقها، وفق منطق العصر، وعلى ضوء المستجدات الاقتصادية والسياسية والثقافية، بالمقابل، سارع البرجوازيون الى زيادة الاصلاحات، والى رفع المستوى المعيشي للناس خوفا من الثورة. فاذا مزجت الآراء الثورية بالتكتيكات الاصلاحية شيئا فشيئا، وترسخت هذه الآراء، فان النصر سيقرب حتما، وبالعكس، اذا نسي النهج الثوري، وجعل الاصلاح بديلا حقيقيا للناس، عندها سيقبل مدى الاخطار التي تهدد البرجوازية، كما تقل المكاسب الاجتماعية ايضا. لربما استفاد كلا الطرفين، وحتى الآن، من الناحية الاقتصادية، من هذه الظروف السياسية- الاقتصادية التي وفرها التعايش السلمي الدائم بينهما، بشكل متساو او بصورة غير متجانسة، لكن الفلسفة الرأسمالية تستفيد منها من الناحية الايدولوجية، بلا شك، ولذلك تعتمد الى عقد العلاقات من الناحية الاقتصادية. ان عقد العلاقات الاقتصادية القوية بين الاتحاد السوفيتي وحلفائه من جهة و بين الغرب من جهة أخرى، تطفئ جذوة نضال العمال، وتخدم انتفاضات الشعوب، وان فشل او تأخير انتصار العمال والشعوب، في بلد او بلدين او عدة بلدان، مهم جدا للامبريالية، من الناحية الاستراتيجية.

ان المحافظة على المصالح الاقتصادية لهاتين الدولتين العظميين، تتم فقط بالمحافظة على سياساتهما على المستوى العالمي، وان عالم اليوم ليس، كما كان، عالم انتصار الاشتراكية وهزيمة الامبريالية. وليس عالم السباق بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي. فالاشتراكية في تقهقر والمعسكر الذي اريد تشييته، في غضون اكثر من (٥٠) سنة، باسم الاشتراكية: لم يبق له وجود! كما ان عالم النضال الطبقي للعمال اصبح ضعيفا وواهنا، ووصلت نهاية الثورة الطويلة الأمد الى الركون في زوايا واطراف العالم ضعيفة ومشخنة بالجروح، واصبحت الامبريالية والمصالح الرأسمالية مسيطرة، ويتم دعم الانظمة البرجوازية الخاضعة، وكلما قاربت أزمتها على الانفجار، تسارعت الامبريالية الى مساعدتها وانقاذها بسرعة. ان ضرر هذه السياسات: علاوة على انها جعلت الانظمة الدكتاتورية قوية ومسيطرة، فهي ارغمت ايضا قيادات تلك الشعوب التي انتفضت، وشارت نتيجة لهجوم الفاشية الشرس عليها، ولعدم توفر الحرية والديمقراطية- أرغمت هذه القيادات على اللجوء الى الأنظمة البرجوازية،

كلما صعبت وثقلت مهمات الثورة المسلحة الطويلة الأمد، وتضع متطلبات ادارة الثورات قياداتها أمام خيار البقاء او الفناء، لغياب الاصدقاء الاستراتيجيين والظهير والسند الأمي، ليس هذا فقط، بل وحتى اللجوء الى الرجعيين أيضا. والمبرر هو فقط (عدو عدوك صديقك)، الا أن مثل هؤلاء الاصدقاء غير دائمين، بلا أدنى شك، وليسوا على استعداد لتقديم المساعدة للشعوب باستمرار، لأن العداء بين الانظمة البرجوازية و بين الأنظمة الرجعية اللتين لهما مصالح مشتركة، من الناحية الموضوعية، وتتحركان داخل دائرة النظام الرأسمالي العالمي، هو عداء وقتي، لذلك صداقتهما وقتية ايضا، وتساعد كل منهما ثورات الشعوب بقدر ذلك العداء الموقت بينهما، ولا عتب عليهما في ذلك، لأنه، اذا كانت بلدان، كالاتحاد السوفيتي والصين والبلدان الشبيهة لهما، تهتم بمصالحها الخاصة، وتحسب لها ألف حساب، وتدير ظهرها للعمال والشعوب، اذن كيف لا تهتم الانظمة البرجوازية الخاضعة للامبريالية، بمصالحها الخاصة اكثر فأكثر؟!

أي: اطالة فترة الصداقة الوقتية السابقة لمثل هذه الانظمة قد قصر، بحكم الاوضاع العالمية الجديدة. فعندما تشكل أية حركة خطرا على مصالح القوى العظمى، فان القوى العظمى بدورها تشدد ضغطها على هذه الصداقة الوقتية، فلا يمر وقت طويل إلا وتدير هذه الأنظمة ظهرها لهذه الشعوب بدلا من مساندتها، وفي نفس الوقت اذا شكلت اية انظمة رجعية ومتخلفة خطرا على الامبريالية ايضا، فان الصداقة الموضوعية بينهما تتغير، لذلك تغيير مثل هذه الانظمة تفرض نفسها على النظام الراسمالي الجديد، بعد الحرب الباردة، وهناك امثلة كثيرة على ذلك:

الكورد طوال تاريخهم كانوا فريسة لمثل هذه الصداقة الوقتية. وافضل مثال قريب على هذا، هو ثورة ايلول التي فعلوا بها ما فعلوا! ومثال آخر لحالة معاصرة اخرى هو ما فعلت الانظمة العربية الرجعية بالثورة الفلسطينية التي لم تستطع عدوتها اسرائيل أن تفعل بها ما فعلته هي: معارك ايلول (١٩٧٠) في الاردن، التي راح ضحيتها (٢١) الف اردني وفلسطيني، وقصف مجيمات (صبرا وشاتيلا) المستمر من قبل الانظمة ومرترقتها، وخلق الفوضى والمشاكل داخل المنظمات السياسية، ثم القاء القبض على اعضائها قبل سنوات، كذلك حينما بدأ نضال (التاميل) في

سريلانكا من اجل التحرر وتوسعه توسعا ثوريا مسلحا، سارعت الهند الى مساعدتهم، وأنزلت من الجو، عن طريق الطائرات المواد الغذائية على جزيرتهم المحاصرة، وبعد شهر من ذلك، وعندما لم تحل القضية التاميلية بأكملها عن طريق النظام البرجوازي الهندي، تراجع هذا النظام عن مساعدة التاميل، وارسل جيشا لمطاردهم طيلة سنة كاملة. فالمسألة كما هي: عندما علمت الهند أن ثورة التاميل ستوسع وتتطور، أرادوا حل المشكلة فورا، لأنهم كانوا يعرفون أن التاميل في سريلانكا الذين يبلغ عددهم (٣,٥) مليون نسمة، إن انتصروا، ونجحوا في تحقيق اهدافهم، سيؤثرون في الاجزاء الاخرى من شعب التاميل الذي يبلغ تعدادده (٥٠) مليون نسمة، موزعين على مناطق متعددة، في ولاية (تاميل نادو) جنوب الهند. تلك هي الصداقة الوقتية، ففي شهر واحد تتغير طائرات المواد الغذائية الى طائرات قاصفة للقنابل!

الجزائر بلد المليون شهيد، اعطت الأمان والملجأ الآمن لاجرار (كاتالان)، لكن، عندما تعقدت قضيتهم، وضعت لاجئي (كاتالان) في سفينة، وسلمتهم عن طريق البحر الى النظام الاسباني.

ليس هناك طرف او حزب في العالم، ليس بين الاطراف اليمينية فقط، بل واليسارية ايضا، لم يرغم، اذا وصل الى درجة اليأس من المساندة الاستراتيجية- على اللجوء الى الانظمة البرجوازية الرجعية، جريا وراء المثل القائل (عدو عدوي صديقي) حتى ولو كان (صديقا وقتيا). إن هذه الحقيقة، في هذه الاوضاع العالمية، شملت اليسار واليمين على حد سواء، واذا ظل الوضع هكذا، فان أي طرف يعتمد الى حمل السلاح، والقيام بالثورة الطويلة الأمد، من غير اخذ المتغيرات الحالية للعالم بنظر الاعتبار، سوف يضطر الى اجراء مساومة كبيرة مع عدو اعدائه.

لربما يستطيع المؤيدون للييسار القيام بثورة طويلة الأمد من العواصم الخارجية الجميلة نظريا، بدون مساندة اية دولة، لكن، عندما يحمل السلاح من داخل ارض الوطن، بلا ظهير وبلا مال، فان الثورة لا تستطيع في هذه الحالة اشباع بطن نصير واحد، ولا ملء مخزن بندقية واحدة، لذلك فان القيام بالثورة ضد الانظمة المدججة بالسلاح، في حالة عدم توفر السند والظهير تكون عواقبه وخيمة، لأن نجاح الثورات لا يتحقق بالكلام والجمل الثورية والخطب الرنانة.

٦/٣- هل تنتصر الثورة بلا ظهير؟

تري، هل تنتصر الثورة الطويلة الأمد، من غير مساندة خارجية، ومن غير سلاح ومال وبنديقية ودواء واتصالات مع الخارج، أم لا؟ هذه هي احدى القضايا التي حصلت بسببها المجادلات والمناقشات منذ ظهور الامبريالية وقيام الحرب الامبريالية الأولى.

- صحيح، ان المطالبة بحقوق الشعوب المشروعة لها دائما صدى ونجاح معنوي كبير، من الناحية السياسية، وأنها تحفز القوى الخفية للشعوب، وتفجر الطاقات الجماهيرية بوجه المحتلين.

- صحيح، ان الشرط الموضوعي، والشرط الذاتي، يلعبان الدور المصيري، وان مجرد التفكير في الثورة بدونهما، هو هدر لدماء الناس الأبرياء. كل هذه، وحقائق كثيرة أخرى، هي من الحقائق البيديهية التي لا تحتاج الى برهان، لكن المساندة الخارجية المستمرة، لاسيما مساندة الأصدقاء الاستراتيجيين الحقيقيين، من اجل تنظيم افضل وإدارة المهام الداخلية بصورة احسن، أمام قوات الأعداء الأكثر قوة- لها أهمية كبرى ايضاً. فبمرور الوقت، وشيئا فشيئا، تقدمت تكنولوجيا الحرب، وقويت الانظمة البرجوازية، سواء عن طريق الغرب، أم عن طريق الشرق، من اجل تأمين النفط والمواد الأولية من البلدان المتخلفة، وازدادت أهمية مساندة ودعم الثورات أكثر مما مضى، لذلك يمكن القول أكثر مما كان يقال سابقاً:

إن المساندة الخارجية عامل من عوامل النجاح!! والمسائل الداخلية هي العوامل الاساسية! والسبب يعود الى أن نجاح المهام الداخلية، او نضج الشروط الداخلية، للثورة الطويلة الأمد، ونتائج التطورات الاقتصادية والاجتماعية، السياسية والعسكرية، اصبحت صعبة ومعقدة للغاية، وأن الوضع السياسي الدولي سيطرت عليه المصالح الاقتصادية الى درجة، لا يمكن، بعد الآن، ألا تكون للعوامل الخارجية تأثيراً مصيرياً اكثر، أو اعتبارها والنظر اليها على انها سبب ثانوي، أو عامل مساعد اعتيادي لنجاح الثورات المسلحة في القرى والانتفاضات داخل المدن. فكما تغيرت

المهمات الداخلية، وكما لا يمكن تأمين الاحتياجات الضرورية الداخلية للشعوب، وللدول، وللانظمة، ومستلزمات بقائها وعدم بقائها، بدون المساعدات الخارجية، ولا يمكن أن يعيشوا، من غير العلم والمعرفة، ومن غير المساعدات المتنوعة، هكذا ايضا، لم تبق المساعدات الخارجية للثورات ايضا عاملا، ثانوياً في اطاره السابق، بل ازداد تأثيره اضعافا مضاعفة.

في الماضي، عندما كانت التكنولوجيا غير متطورة كما هي عليه الآن، والانظمة لم تكن قوية كما هي في الوقت الحاضر، والسياسة الدولية لم تسيطر عليها المصالح الاقتصادية والدبلوماسية في المعمورة، كما هي عليه الآن، فان القيام بالثورة كان يرتبط بالمسائل الداخلية. فعلاوة الى كل تلك العوامل الداخلية والخارجية الملائمة التي توفرت لأول ثورة مسلحة طويلة الأمد، فان قيادتها، وبعد أن يحمل الأنصار السلاح، ويتوجهون الى الجبال، وتتعدد مهماتهم وتزداد واجباتهم - تصل الى قناعة تعتبر المساعدة الخارجية، لا عاملا من عوامل الانتصار والنجاح، فحسب، بل تعتبرها كما قال ماوتسي تونك: (يقولون لنا: ان الانتصار سيتحقق حتى بدون المساعدات الدولية. هذا رأي غير صحيح. إن الثورة الشعبية الحقيقية، في وجود الامبريالية، لا تحقق الانتصار، في أية دولة، بدون مساعدات ودعم القوى الثورية العالمية المتنوعة التي تقدم لها، بصور مختلفة، واذا تحقق الانتصار، فان الثورة لا تصمد بدون هذه المساعدة).^(١) هذا هو رأي مهندس الثورة الطويلة الأمد. مهندس الثورة التي قامت في اكبر دولة، ووصل أحيانا عدد الأنصار فيها الى اكثر من (مليون) نصير، وقد اعترف، بوضوح في هذه المقولة، بالمقاومة الشعبية، بشكل اكثر، حيث الفرق بين الثورة الطويلة الأمد والتطبيق العملي الميداني لها، كالفرق بين السماء والأرض، لذلك، اضافة الى تلقيها المساعدة والدعم من الاتحاد السوفيتي والحركة العمالية العالمية، فقد تلقت، في خضم اشتداد الحرب العالمية الثانية مساعدات، من أمريكا وبريطانيا ضد اليابان حليف النازية (يظهر انها كانت بدون شروط).

ماوتسي تونغ - نقد المفاهيم النظرية - دار التقدم - موسكو - ص ١١.

بعد الحرب العالمية الاولى، وأثناء اشتداد الحرب العالمية الثانية، صارت الدول الرأسمالية، اضافة الى اكتسابها خبرة كبيرة في الحرب والمعارك- صاحبة معرفة بعلم فنون الحرب الذي غير مسار الحرب تغييرا اساسيا، حيث نقل الحرب العالمية الثانية من حرب تقليدية الى حرب حديثة: فقد كانت الحرب الى تلك الفترة حربا تقليدية، وحربا جبهوية واسعة، وحرب استعدادات عسكرية كبيرة، وحرب هجمات بشرية متتالية، لكن هذه العلوم الحربية وتكتيكاتها واستراتيجيتها، خططها وبرامجها، أدواتها، أشكالها، هجماتها، تقدمها وتراجعها... الخ، كل هذه الأمور المتعلقة بالحرب التقليدية تغيرت أثناء اشتداد الحرب العالمية الثانية، لاسيما بعد توسع الصناعة التكنولوجية الحربية.

بعد هذه الحرب والظواهر الجديدة التي طفت على السطح، هاجمت الامبريالية ثورات الشعوب المضطهدة، بشكل اكثر شراسة وعنفا، وقوة وبلا اهتمام وبصيرة، وأصبحت مطمئنة من انتصارها، خاصة، بعد تطبيق ستالين لسياسة توفيقية، في ذلك الوقت، تجاه حركات الشعوب والثورات، لذلك ترى في البداية، عندما هاجمت امريكا الشعب الكوري، ظنت انها تهزمه بسهولة مثل البقايا الباقية من الجيوش المهزومة، لكنه، عندما انتفض الشعب الكوري البطل بوجهها ولم ينل من عزيمتهم لا انتصار امريكا في الحرب، ولا استعمال السلاح النووي في اليابان، عندها استعملت امريكا جميع امكانياتها بما فيها السلاح الجرثومي وامكانيات حلفائها، وعندما أصبحت الحرب حامية، عرفوا بسرعة ان النصر لا يمكن أن يتحقق ابدا بدون المساعدات الخارجية، رغم ان الشعب الكوري سجل ملحمة بطولية قل نظيرها، وتحولت الحرب الى رهان بين الإمبريالية والمناضلين الثوريين.

اراد الامبرياليون، بعد الحرب العالمية الثانية، أن يفعلوا ما فعلوه في الحرب العالمية الاولى وكما يشاءون، ويحتلوا اراضي الشعوب متى ما أرادوا، لكن ثوار العالم لبوا نداء ثوار كوريا بعناد ثوري، وقد أوقع هذا حتى ستالين في موقف حرج، فرغم انه أخطأ، من الناحية السياسية ووافق على تقسيم كوريا الى كوريتين:شمالية وجنوبية، لكنه كان لا بد أن يسارع الى تلبية استغاثة الشعب الكوري ومساعدته باستمرار.

باختصار لقد تم تقديم هذه المساعدات لهم:

(٥٠٠٠٠٠٠) ألف جندي، أي نصف مليون (نعم!) هذا العدد من الجنود الصينيين بسلاحهم وعتادهم لبوا نداء الثورة الكورية. لقد أمن الاتحاد السوفيتي كل المستلزمات العسكرية والعتاد الحربي لهؤلاء الجنود، من دبابات ومدركات وطائرات، ولو لم تجر الأمور هكذا، كان من المستحيل أن تلحق بأمريكا هذه الخسائر: ففي السنة الأولى من الحرب أنفقت (٥٠) مليون دولار، وخسرت مع حلفائها (٥٩٨) ألف قتيل، و(١٤٦٠٠٠) قطعة سلاح ناري، ودمرت لها (٨٦٠٣٨) مدفعا، و(٩١٤٥) سيارة ودبابة ومدركة، وأسقطت (١١٣٠) طائرة من طائراتها، وأغرقت (١٢٢) سفينة من سفنها.

ان النصر امام استعمال قوة كهذه، في حرب الانصار.. لهو جنون حقيقي لمخرجه، حتى في الفلبين.

فيتنام:

كانت فيتنام تتمتع، اضافة الى ملاءمة الوضع السياسي والاجتماعي والعسكري، بدعم ومساعدة، ليس فقط من الناحية المادية والعسكرية واللوجستية، بل بكل أنواع الدعم والمساعدة والمساندة الدولية. فقد كان هناك (٢٢٠) ألف متطوع صيني غير نظامي يقاتلون الى جانب الفيتناميين، قتل منهم (٤) آلاف متطوع، وأنفقت الصين لوحدها (٣٠) مليون دولار على الثورة الفيتنامية، إضافة الى ما أنفقه الاتحاد السوفيتي وبقيّة العالم. فاذا لم تكن الأمور تجري هكذا، فانه كان من الصعب التصدي للقدرة الهائلة التي تمتلكها الامبريالية العالمية، رغم ملاءمة كل الظروف للكفاح المسلح في فيتنام، وللتوضيح نذكر ادنايه وبالارقام قدرة الامبرياليين وقوتهم، ضد فرنسا:

كانت فرنسا تملك (٢٥٠) ألف مسلح، و(٥٢٨) وحدة جوية، و(٤٩٠) قطعة بحرية، و(٢٦) رتل مدفعي، و(٢٣٠) ألف مرتزق، تحملت أمريكا ٨٠% من نفقات الجيش الفرنسي، والتي وصلت الى (٥٠٠) مليون دولار إضافة إلى ما أعطته أمريكا لفرنسا من أنواع المدافع، ففي سنة (١٩٥١) أعطتها (٦) آلاف مدفع، وفي سنة (١٩٥٣) أعطتها

(٢٥) ألف مدفع، وبعدها (٨٨) ألف مدفع، وكان هناك جسر جوي لا يصل المساعدات باستمرار، وشاركت (٢٥٠) طائرة في العمليات الحربية. ضد أمريكا والرجعيين السايكونيين:

كان الرجعيون فقط يمتلكون (٧١٠) آلاف مرتزق، وأوصلت أمريكا عدد قواتها الى اكثر من (نصف مليون) جندي، وبلغت نفقات سايكون الحربية عدا امريكا (مليار وستمائة واربعة عشر مليون دولار). المئات من الطائرات، والملايين من المدافع الثقيلة والمتوسطة والصغيرة كانت تمطر الموت على الفيتناميين، علاوة على الغاز السام وزرع الالغام. أما فيتنام فقد كانت تملك:

- (١٠) آلاف مدفع ضد الجو.
- (٣٢٠) صاروخ سام ذات مدى (٢٠) كم موزعة على (٢٠٠) قاعدة.
- تسلمت ما مجموعه (٤٩٠) طائرة و(٥٠) هليكوبترا، الى يوم تحقيق النصر.

كان لدى (الفيتكونك) من (١٩١٥-١٩٦٨) ما يقارب (٣) ملايين بندقية ورشاشة، والآلاف من الهاونات، والقاذفات، والصواريخ، والمدافع المضادة للدبابات، و(٨) آلاف مدفع ميدان، و(١٠) آلاف مدفع ضد الجو مع راداراتها، و(٥٠) طاقما لصواريخ سام ارض جو، وألفي رادار، و(١٢) ألف سيارة نقل، و(٣٠) ألف سيارة صغيرة، و(٢٠٠) مدرعة، و(٥٠) هليكوبترا، و(٦٠٠) طائرة، و(٥٠) زورقا حربيًا. اذن كيف لا ينتصرون؟!)

فمن غير المساندة والدعم الخارجيين لم تكن هذه الثورات لتنتصر قط. لكنها كانت بإمكانها أن تسجل اكبر البطولات، ليس إلا.

جميع ثورات كردستان، قبل الحرب العالمية الاولى، والى الآن، لم تتلق واحدا من الف هذه المساعدات، مع أن اعداءها كانوا اقوياء، ويتلقون الدعم باستمرار. - المؤلف -

إن الثورة الطويلة الأمد، في هذا العصر، لا يمكن أن تتاح لها نفس الظروف السياسية الملائمة التي أتاحت لكوريا وفيتنام، كما أن الظروف الدولية القائمة الآن هي ضد تيار الكفاح المسلح، لذلك فإن انتصار الثورة، من غير المساعدات الخارجية، والدعم الأكبر، لاسيما ضد نظام مقتدر ماديا ومتسلط، كالبعث في العراق- محال حتما، في مثل هذه الحالة.

ليس المقصود هو أن المساعدة الخارجية أهم من نضال الشعوب انفسها، لا ليس هذا. فنضال الشعوب هو الأساس، لكن المساعدة الخارجية، مثلما كان يقال سابقا، ليست عاملا خارجيا فقط، وانما هي، الى جانب نضال الشعوب، ضرورة كبيرة ومصيرية، للنضال الطويل الأمد. فهي مهمة الى حد، لو كانت جميع المستلزمات الضرورية الداخلية للثورة الطويلة الأمد ضد الانظمة المقتدرة ملاءمة، ولم تضمن المساعدة الخارجية، فان القيام بالثورة في هذه الحالة مغامرة وتهور.

٤/٦ - الثورة المضادة

الثورة المضادة هي احدى الوسائل الخطرة المستعملة لالحاق الهزيمة بحرب الانصار. فامريكا والدول الإمبريالية قامت بدراسة عميقة، بعد الحرب العالمية الثانية مستفيدة من تجارب حرب الانصار التي قامت في: الصين، قيتنام، ماليزيا، لاوس، كومبوديا، وافريقيا... الخ-للاسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لاندلاع الحرب الطويلة الأمد، والوسائل العسكرية المستخدمة لانتصارها، من: حرب الانصار الى الحرب الاستراتيجية المتكافئة، وأخيرا الى الحرب الهجومية الاستراتيجية، وقاموا بتقييم كل ذلك، ثم وضعوا خطة مضادة محكمة، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والعسكرية، ووفروا لها الأموال، وهبأوا لها السلاح، وقاموا بحملة دعائية واعلامية كبيرة من أجل نجاحها، وأعدوا كل طاقاتهم، وهبأوا جميع امكانياتهم بشكل منظم، واستثمروها من اجل الحاق الهزيمة بحرب الانصار، سواء منذ البداية أم في النهاية.

في هذا المجال ايضا، تمكنوا وببراعة عن طريق: خطط جديدة، وسياسة جديدة، وحرب جديدة، وسلاح جديد، من المحافظة على مصالحهم، على مستوى العالم، والدول الخاضعة لهم.

فمن الاسلحة الجديدة والمخطط الجديدة التي احقت اضرارا بالغة بحرب الانصار: تهجير القرى، وانشاء القرى القسرية المحاطة بالاسلاك الشائكة للفلاحين، وتشكيل مفارز مزيفة باسم الانصار، ومفارز للمرتزقة، وخلق البلبلة والمشاكل بين العشائر، وكذلك ظهور الهليكوبتر كسلاح عسكري فعال، ضد حرب الانصار، والحروب الداخلية ايضا. إن طائرات الهليكوبتر كظاهرة عسكرية فعالة ومؤثرة في تاريخ حرب الانصار- تستطيع: حمل صواريخ كثيرة، واستعمال رشاشات متنوعة، وقذف انواع مختلفة من القنابل على ارتفاع منخفض، والوصول الى اعلى القمم والوديان الضيقة، وبأسرع وقت، وانزال (٣٠-٤٠) فردا من افراد القوات الخاصة في اعلى نقطة من قمم الجبال، وبأقصر الاوقات، وايصال مدافع الهاون (١٢٠ ملم) والمواد التمييزية والذخائر الكبيرة الى المعسكرات البعيدة والربايا المرتفعة اضافة الى كل هذا، فان طائرات الهليكوبتر لها دور مؤثر في تحديد مواقع مفارز الانصار، وانزال القوات لمحاصرتها والقضاء على هذه المفارز، هذا عدا استعمال المدافع الرشاشة للطائرات المروحية لاصطياد الشوار من السماء ومن دون خوف يذكر.

ان الثورة المضادة الان ليست كالسابق، ففي هذه الحرب يعطى للربايا الموجودة على قمم الجبال، والقواعد الموجودة في السهول والبراري والقرى - دورا ديناميكية. فبدلا من تواجد (١٥-٢٠) جنديا، على أكثر تقدير، في الربيثة الواحدة، حيث لم يكن مسموحا لهم الحركة من مكانهم ليلا ونهارا، ومهما كانت الظروف والاحوال، وصل عددهم الآن الى (٥٠-١٠٠) جندي ومرتزق، وعليهم أن يفتشوا، في كل وقت، عن الانصار ويقاتلوهم، ويحاصروهم، الى أن تأتي الهليكوبترات العسكرية الكبيرة لنجدتهم، ويتم تضييق حلقة الحصار، وابادة مفارز الانصار.

ونادرا ما تمكنت مفرزة من الانصار متكونة من (١٠) أفراد أو اكثر، حوصرت على الارض، وهوجمت من قبل الهليكوبترات من الجو في هذه الحالة. من الافلات.

باختصار... الثورة المضادة هي اخطر انواع اسلحة التصدي لحرب الانصار، ولقمع محاربي الثورة الطويلة الأمد، ومن الصعب جدا، وفي ظروف دولية كهذه التي يتمتع الاعداء فيها بالقوة والمساندة الدولية القوية، من قبل الإمبريالية والغرب والاتحاد السوفيتي-من الصعب أن يستطيع الانصار، بالاسلح الخفيف وعن طريق تجريد العدو من سلاحه بـ: الكلاشينكوف والبرنو، وفي أقصى حد، بالآر بي جي، والبيكسي، أو لنقل اكثر، بالدوشكا والمدفع من عيار (١٢٠) ملم، والهاونات من التصدي للجيش المدربة والمسلحة تسليحا قويا، لحوض حرب الثورة المضادة، علما أن الحصول على مثل (هذه الاسلحة) صعب للغاية.

إن تجربة اندلاع ثورة كوردستان العراق، هذه المرة، ومن جديد دليل صارخ على هذه الحقيقة، وقبلها ايضا، لعبت الهليوكوبتر، في ثورات: اليونان، واسبانيا، وماليزيا، وبوليفيا، والارجنتين، دورا اندحاريا كبيرا. ففي الوقت الحاضر، اضافة الى كوردستان، صارت طائرات الهليوكوبتر السلاح الاخطر بيد الانظمة القمعية في: الفلبين، وبيرو، والسلفادور، واريتريا، وفلسطين، ولبنان.

الثورة المضادة... بامكانيات اكبر، بأموال وأسلحة اكثر، بخطط ادق وتدريب اكثر كثافة، وبجيش ومرترقة اكثر، تستطيع أن تجعل الارض والسماء والبحر ميدانا للحرب والمعارك ضد الانصار، دون الاهتمام بالחסائر البشرية والمالية، وتبذل قصارى جهدها لقمع الثورة الطويلة الأمد، ومن اجل هذا الهدف لا ترتدع من ارتكاب أية جريمة، او انزال أي عقاب، او اتخاذ أي قرار، وان قتل الالوف من المسلحين وغير المسلحين جماعيا عملية سهلة واعتيادية لديهم.

وعدا كل هذه الامور، تهتم خطط الثورة المضادة بالحرب النفسية وزرع الاحباط واليأس في قلوب الجماهير والمقاتلين، وحبك مختلف الانواع من: الكذب، والاتهام، والمزاعم الباطلة، والبهتان والزور والتهم المباشرة وغير المباشرة، وإذاعتها من مختلف وسائل الاعلام، وبهذه الطريقة يشوهون سمعة قادة حرب الانصار وكوادرها، واعضاء منظماتها وانصارها، ويلقون القبض

على ذويهم، او يبعدونهم، او يقدرونهم، ويعطون لبعض من الكوادر السياسية والعسكرية راتبا، لكي يشوهوا صورته أمام الجماهير، كواحد من ابناء هذا الشعب.

عند مهاجمة القرى، يحدث احيانا، انهم يوزعون المواد الغذائية على القرى البعيدة عن متناول اليد، ويساعدونها، ويعينون العاطلين عن العمل من سكانها، فان كانوا لا يعينون في السابق خادما لجامع إلا بألف رجاء وطلب، فانهم الآن يعينون لجامع صغير عددا من الفراشين والخدام، ويعطونهم راتبا جيدا، هكذا ايضا بالنسبة للمدارس والغابات.

لو سلم صاحب اكبر مسؤولية من الانصار نفسه الى العدو، فانه لا يحاكم، ليس هذا فقط، بل يحترمونه ويقدرونه، ويحاولون تشكيل مفرزة ثورية مضادة له، لأنه اكتسب خبرة جيدة في حرب الانصار، ويطلقونه للهجوم على رفاقه السابقين، وبهذا العمل، اضافة الى الفوائد العسكرية، فانهم يحققون بهذا العمل خلق الاحباط واليأس في نفوس الناس ايضا، بينما في السابق، لو سلم النصير نفسه لكان يقتل، لا محالة.

ان الثورة المضادة في هذا العصر، والى اليوم الذي تظل فيه الشعوب المضطهدة بانتظار حرب الانصار والثورة الطويلة الأمد، تشكل خطرا كبيرا على انتصار هذه الشعوب. فإلى جانب الأسباب والعوامل العالمية الاخرى تشكل الثورة المضادة عاملا خطيرا من عوامل اجهاض الثورات. فان حازت الثورة المضادة النصر العسكري على الحركات المسلحة الضعيفة، الى نهاية الستينات، فانها، بعد هذه الفترة، وبهذا الشكل، تنفذ خططها بسهولة اكثر، سواء من الناحية العسكرية، أم من الناحية السياسية، وتحقق اهداف الانظمة التي تقف وراءها، فلولا وجود رجعيي حركة (كونترا) المضادة الآن في السلفادور، لم يكن من المستبعد أن تنجح ثورة السلفادور قبل سنة او سنتين، لذلك، فأخذ الحيطرة والحذر من الثورة المضادة، في هذه المرحلة، اهم بكثير، من المراحل السابقة.

يحتمل أن يصعد الاستغلال اللامحدود للشعوب المضطهدة غضب التحرير المقدس لابنائها، حتى يصل هذا الغضب المقدس وحب الحرية الى درجة،

يتمكنون فيها من التصدي للثورة المضادة، بالسلح الخفيف وتضحيات المئات والالوف من الشهداء، لسنوات وسنوات، واحراز النصر في المئات من المعارك والمواجهات، والحصول على غنائم ومكاسب كبيرة، وتحرير المناطق والجبال والقرى والقصبات الصغيرة، بصورة مؤقتة، كذلك يستطيعون جذب مشاعر الآلاف من الناس الى جانبهم، ويكون لهم صيت ووزن كبير على المستوى العالمي، لكن كل هذه الامور الايجابية السابقة، بل واكثر منها، لا تستطيع، مقابل الوضع السياسي، وفي ظل الميزان العسكري السائد في هذا العصر، أن تحقق النصر، إن لم يستطع الانصار تأمين المساندة الاستراتيجية العالمية واستغلال الظرف الموضوعي المنهار للعدو، من كل النواحي، وليس اللجوء الى لعبة (عدو عدوي صديقي) و(الصديق الوقتي).

حاليا وفي هذا العصر، لا تستطيع القوى المقاتلة، ولا القتال الملحمي، ولا المشاعر الاستشهادية المحركة للناس، ولا التخطيط، ولا خفة الحركة ونشاط الانصار، ولا شهرة ومدح القادة العسكريين والسياسيين ولا المواقع الحصينة والجبال الوعرة- هذه جميعها لا تستطيع حاليا أن تكون عوامل حاسمة لانتصار حرب الأنصار، والثورة الطويلة الأمد.

ومن جانب آخر، لنفرض أن الوضع الاقتصادي، قد حصل فيه تغيير، وجرت تطورات في الوضع الطبقي، واجرى الفلاحون مراجعة في مواقفهم السابقة، وانقلبت مواقف البرجوازية الصناعية رأسا على عقب... وتحقق التعايش السلمي، والتعاون الدولي، بعد انطفاء نار مواقع الحرب الباردة وحرب الانصار، وفي المقابل أصبح الأعداء أقوىاء ووصلت خطط ثورتهم المضادة الى القمة، وليس هناك أعمال ذات رؤى بعيدة، وذكية، وثورية، تفكر بنفس المفاهيم القديمة، وبالتكتيك والاستراتيج السابقين، في اشعال حرب الانصار من جديد بناء على مجموعة كبيرة من التناقضات الجيدة، او بسبب الشعور القومي المسيطر المستند على العداة الوقتي للدول البرجوازية، واخذ مسألة انتصارها بنظر الاعتبار، بعد سنوات طويلة.

ومن اجل توضيح اكثر لهذه الحقيقة، فمن الافضل تخصيص موضوع آخر لتكملة اسباب وصول حرب الانصار، بأسسها وقواعدها السابقة، الى طريق مسدود.

الفصل السابع

٧- الثورة بين نهجين

المقصود بـ(نهجين) هنا الطرائق والسبل الرئيسية لانتصار الشعوب، والتركيز عليها، لا الأشكال والصور الأخرى التي يجب أن تكون في خدمة الثورة، ولا يمكن أبدا أن تتحرر الشعوب عن طريقها، ك: النهج الاصلاحى، والبرلماني، والتعاون والصدقة الوقتية... الخ، خاصة، اذا اصبحت هذه السبل الثانوية بديلا عن الثورة.

وهذان النهجان هما: نهج الثورة الطويلة الأمد، ونهج انتفاضة جماهير الشعب، وقبل أن نتحدث عن: أي النهجين هو النهج الرئيسي في هذا الوقت؟ من الأفضل أن نمحص رأيا آخر، ونغربله، لكي نعرف، كيف جعل منه وسيلة ناجحة، لتحريف العمال، وطعما لبقاء الانظمة البرجوازية، في البلدان الخاضعة. إنه من الواضح، اننا لا نريد الدخول في التفاصيل الدقيقة لهذا الموضوع. لكن القصد هو التمهيد فقط، لاختيار النهج الثوري الملائم لهذا العصر، بصورة افضل.

تحدثنا سابقا عن التطور اللا رأسمالي، باتجاه الاشتراكية، والذي بذلت جهود حقيقية، منذ الستينات من القرن العشرين من اجل جعله المقياس الحقيقي للنضال الطبقي للعمال والكادحين المتصاعد حديثا، في البلدان الساعية للحرية والاستقلال، ولهذا بدأ مئات من الباحثين والكتاب السوفيت المشهورين، بعد موت ستالين ومجيء خروشوف، بالبحث والكتابة عنه، لكنه، بالإضافة الى عدم نجاح نظرية عقيمة كهذه، فان مساعيهم في هذا المجال أدت الى قيام الثورة الاشتراكية المضادة.

استقبلت هذه النظرية من قبل الاحزاب "الشيوعية" بترحاب، وطبقتها باخلاص، لأن هذه الاحزاب، بالرغم من أنها كانت اقدم الاحزاب التي ظهرت في البلدان الخاضعة، الا أنها نسيت أهم واجب للشيوعيين

طوال (٣٠-٤٠) عاما، بل الى الستينات من القرن العشرين، والذي تم اقراره بوضوح في البيان الشيوعي العالمي، وهو: القضاء على البرجوازيين من قبل تلك الاحزاب الشيوعية القديمة، لكنهم لم يشيروا اليه في برامجهم، لا من قريب، ولا من بعيد. لقد أرادوا أن تقوم الانظمة الملكية الرجعية بتغيير المأجورين والعملاء وتحقيق الديمقراطية البرجوازية، وان تحدث اي شخص، عن اسقاط تلك الانظمة، كانت هذه (الاحزاب الشيوعية) تعتبره منحرفا ومتطرفا، كما كانت تعتبر مواقفها هي المتوازنة والمعقولة، لذلك، حينما وصلت برجوازية البلدان التابعة الى السلطة، سواء بالانقلاب أم باستغلال انتفاضة الشعب، وضيعت تلك الاحزاب عشرات الفرص الساعية، حينها فقط ادركت (الاحزاب الشيوعية) جيدا حقيقة انفسها، وبانها ليست احزابا للبروليتاريا والثورة الاشتراكية، ولذلك أيضا عندما بادر السوفيت إلى تقديم مبدأ التطور اللا رأسمالي، سارعت هذه الأحزاب، وبلا تردد، إلى تطبيق التطور اللا رأسمالي، وكان مثلهم في هذا الأمر كمثل الذي وجد غسل النحل لأول مرة. ولم يكتفوا بهذا، بل سعوا إلى إيجاد المبررات لهذا المبدأ المحير، والدفاع عن الانظمة القومية البرجوازية الرجعية، وجرها الى الاشتراكية.. بشكل، يمكن أن يقال فيه: إن هذه الانظمة عمياء، لا تبصر حقا، وهؤلاء يقودونها الى طريق الاشتراكية. لقد أرادوا اعادة التاريخ عشرات المرات، ونحت العشرات من أمثال كاسترو، لكنهم لم يعلموا ان التاريخ لا يتكرر، وان كاسترو، لا يخلق مرة اخرى!

نعم، على هذا الاساس، لا تزال اليمن الجنوبية بأيديهم، لكنهم، بالاضافة الى كل المشاكل التي تعاني منها والاقتتال الداخلي غير المبرر، وانخفاض المستوى المعيشي لمواطنيها، فانهم لا يعملون من اجل سلامة مستقبلها ومستقبل أجيالها، وان ما تعرضت، وتعرض له، جعلها مثلا لا يُعتد به ولا يحتذى.

لقد ظهر، في كل ارجاء العالم، لاسيما في تلك الدول الخاضعة التي لم تتطور تطورا لا رأسماليا، ولم تصل الى مرحلة الاشتراكية، كذلك داخل

بعد صدور الطبعة الاولى من الكتاب، سقطت اليمن الجنوبية، والحقت باليمن الشمالية، لتكونا دولة واحدة باسم (اليمن) - المؤلف -.

الشعوب المحتلة المجزأت، ان الاطراف الثورية فيها تواجه برامج ثورية واسعة وبعيدة المدى. فهذه الاطراف الثورية أمامهم طريقان: إما أن يكونوا ثوريين، من المنظور الطبقي، وإلا فليزولوا وينتهوا. فمن غير المقبول من الآن فصاعدا، من أي طرف من الاطراف، يمارس سياسة (توفيقية)، أن يعتبر نفسه ثوريا.

لابد أن تكون الاستراتيجية الطبقية واضحة، وتنبع التكتيكات ايضا من هذه الاستراتيجية. فالاطراف اليسارية لا تحتاج الى تقديم الشعارات البرجوازية المستهلكة، على انها تسعى - حسب الظاهر- الى تنفيذها بصورة افضل. إن مثل هذه الافكار والآراء تشوه البرامج السياسية الثورية، لهذه المرحلة، واذا لم تقلع هذه الافكار والآراء من الجذور، فان البرامج الايدلوجية ستصاب ايضا، وبلا شك، بازمة خطيرة في المستقبل. اذن، بعد كل هذه الكوارث، وبعد كل هذه الهزائم، والدفاع عن الآراء غير الصحيحة ومساندتها، حان الوقت، لكي تفكر، الجماعات الماركسية واليسارية، والجماهير الثورية بهدوء في المستقبل، ويدخلوا في (مناظرة) رفاقية، من اجل برنامج تنظيمي، وايدولوجي، وسياسي، ومهني ثوري، ويعملوا من اجل ايجاد النهج الثوري الرئيسي للنصر، وايجاد البديل الحقيقي.

٧ / ١ - ثورة الجبال (النهج الاول)

لقد قيل الكثير، عن هذا الموضوع، قبل هذا، والمقصود هنا، هو أن الثورة الطويلة الأمد (التي هي أحد هذين النهجين اللذين نتحدث عنهما) لها رواج أكثر-الآن- داخل الحركة اليسارية، ويتحدث عنها أكثر من بقية النهج الأخرى، بل وهناك من يعمل من أجلها، كما تطبق في العديد من البلدان، والعديد من الشعوب. ففي هذه الفترة فقط هناك ثورة طويلة الأمد في: كوردستان، وفلسطين، وكمبوديا، والتاميل (سريلانكا)، والبيرو، والصحراء الغربية (بوليسارو)، وأريتريا، والفلبين والسلفادور... بقيادات مختلفة: وطنية، طبقية، مذهبية، وتسمع في كل هذه البلدان، أصوات طلقات بنادق الأنصار، كذلك يوجد في البلدان المختلفة-الآن- في الاقل، طرف سياسي، يحمل الراية الحمراء، وشعار الثورة الطويلة الأمد، وهناك

جماعات، ترفع صور(ماركس، انجلس، لينين، ستالين، ماو) كشعار ودليل على اخلاصهم للنضال المسلح الطويل الأمد، وهم ليسوا على استعداد للاعتراف حتى بأقل ما يمكن من تلك الجرائم التي أثبتت على ستالين، وليسوا مستعدين أيضا لسماع أي حديث عن الاخطاء التي ارتكبت في الصين، او الاعتراف بأن هناك اخطاء ترتكب حاليا، وبمعنى آخر: اخلاص بعض الجماعات للثورة المسلحة الطويلة الأمد نابع من فكر متحجر، يمنعهم، بأي شكل من الاشكال، من اعادة النظر مطلقا، فيما جرى، على ضوء ما يجري من تغييرات وتبدلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، من زاوية اعادة النظر في الماضي، وكأنهم لا يرون تلك التأثيرات القوية التي حصلت بفعل التطورات الحاصلة على الثورة الطويلة الأمد. ومع هذا، فان فكر هذه الجماعات، بشكله الصيني القديم، والجيفاري، تحسب الأنظمة لها، سواء اردنا أم لم نرد، حسابا اكثر من اليمينيين. والغريب في هذا الأمر هو ان الاحزاب اليمينية، عندما تنضم الى الكفاح المسلح اضطرارا، فان الانظمة الدكتاتورية تحسب لها حسابا اقل من الجماعات اليسارية، اذ يعتبرونها ملكا لهم في نهاية المطاف، من الناحية العسكرية، ويظهر أن هذه الانظمة تعرف جيدا هؤلاء اليمينيين نتيجة لسنوات طويلة من التحالف معهم، لذلك لا تهتم هذه الانظمة، عندما يلتحق مثل هؤلاء بالثورة المسلحة، ولذلك يغضون النظر عنهم، وعن أعمالهم، حتى في أوج اشتداد الثورة المسلحة. إن اهتمام النظام باليمينيين ومراعاتهم له اسباب تاريخية ونفسية، وفي المقابل يجعل اليساريين بين الناس، وخاصة بين الشباب، اكثر حبا وقبولا، لأن الطرف الذي يقف العدو ضده بقوة، هو اكثر تقديرا واحتراما، هذا عدا أن نهج الثورة الطويلة الأمد، يتماشى مع الوضع النفسي للشباب، بصورة اكثر، وهذا يطيل من عمر الثورة المسلحة سنوات وسنوات اذن، اذا كانت حقيقة بقاء الثورة الطويلة الأمد هكذا، والاحداث العالمية تغيرت بهذا الشكل، فكيف يجب أن يكون الحكم الأخير الصحيح على الثورة المسلحة؟

يجب ان نعرف بدءا، أن النضال الشوري، أي الثورة بمفهومها الطبقي والوطني، ضد السلطة الرجعية للرأسماليين والمحتلين، هو السبيل القاطع الوحيد لانتصار العمال وتحرير الشعوب، الى اليوم الذي يظل التناقض بين

العمل ورأس المال قائماً، والشعوب المحتلة والمحتلين باقيا، وتظل الإمبريالية جائئة على صدور الشعوب المضطهدة، ويستمر الانسان في امتصاص دماء أخيه الانسان، وتبقى الثورة والثورية اداة حقيقية لانتصار المضطهدين والمسحوقين، على الظالمين والمستغلين، لاسيما العمال ورافعي رايات الثورة والثورية.

ان الثورة، والثورة المسلحة الطويلة الأمد، ليستا مشدودتين ومربوطتين معا، الى الابد، وليس شرطا أن تكونا متممتين لبعضهما. فالثورة لها مفهوم سياسي كبير وواسع، وان كانت تدور، بصورة عامة، داخل دائرة من العنف، عكس الاصلاح والليبرالية.

ان عبر التاريخ ودروسها سجلت، بشكل، يظهر دوما أن المضطهدين حاولوا دائما أن يسلكوا، في مقابل أصحاب السلطة المستغلين، أنجع طرق المعارضة والخلاص، ليجبروهم على الاستسلام، بأقل الخسائر، وبأسرع الاوقات.

باختصار، الثورة: ليست هي المناطقة بين الرأس الثوري المكشوف ورأس العدو الحديدي، بل هي تأجيج لنيران الغضب المقدس للجماهير المضطهدة، من اجل صهر الرأس الحديدي لسلطة العدو، سواء العدو الطبقي أم القومي. قديما كان الفلاحون هم محركو الثورات المسلحة، لكنهم ليسوا هكذا الآن. وكان قسم من البرجوازيين في صفوف النضال الوطني، لكنهم الآن عكس ذلك، كما حصل تغييرات مدهشة في الوضع التكنولوجي والسياسي الدولي، بسبب التقنيات العالية، أي لم يتغير المجتمع فقط، بل تغيرت حتى الطبيعة. وإن تغيرات الطبيعة هي، على الاكثر، في صالح الانظمة والثورة المضادة.

قديما، كان شق طريق بطول الف كيلومتر وتسويته يحتاج الى آلاف العمال الاقوياء والمهرة، والى (١٠) سنوات في اقل تقدير، لكي يكون جاهزا لمرور الشاحنات والقوافل العسكرية الكبيرة، لكن هذه العملية لا تحتاج الآن إلا لوقت قصير وعمال قليلين بسبب استعمال البلدوزرات، والديناميت، والآلات والأدوات الحديثة الاخرى، حتى انه بالامكان ايصال

الطرق الى اصعب المناطق، وأعلى الجبال بوقت قصير، لتمر القوافل العسكرية الكبيرة عليها.

إن ايصال الطرق الى قمة جبل (كورك) وجبل (سرتيز) و(مضيق علي بك)، وما حولها من المناطق الصعبة، غير ميزان القوة العسكرية بين النظام العراقي، وثورة ايلول، لصالح الخطط الحربية للنظام، لأن الدبابات والمدرمات والمئات من المدافع الثقيلة والالوف من الجنود والمستلزمات الحربية واللوجستية كانت تصل الى ساحات المعارك بكل سهولة، بينما الثورة لم تكن لتستطيع أن تجمع نصف تلك القوة، ولفترة طويلة، لمواجهة قوات العدو المحتل، كما يجب. فبالاضافة إلى عدم التكافؤ في الاسلحة الميدانية الثقيلة، فان النظام العراقي كان يمتلك الطائرات الحربية ايضا، والتي تعتبر اكثر اسلحة العصر فتكا وسرعة وحسما، في الحروب الجبهوية والاتساع الميداني، حيث بإمكانها زرع الموت في كل الظروف والاجواء، وفي الليل والنهار، وطيلة الفصول الأربعة.

إن التقدم الصناعي، غير الطبيعة الجغرافية الصعبة، مما أدى الى ازالة الكثير من العقبات والعراقيل أمام الخطط العسكرية، والاستعدادات العسكرية وجعلها اكثر سهولة، وسهل هذا بدوره احتلال الاماكن والجبال العصية التي كانت بيد الانصار وقوات المعارضة في بعض البلدان، كما قضى على وجود هكذا اماكن وجبال في بلدان اخرى نهائيا، مثل (فلسطين، وكوردستان/تركيا، وكوردستان/ايران) أي بفعل تغيير الطبيعة الجغرافية لم يبق للانصار شيء يسمى: العمق الاستراتيجي، والانسحاب، وعرض القوات، وفرص الاختباء، والمحافظة على المقرات، والاستراحة في اوقات الشدة، والاطمئنان على مقر القيادة، والاعلام، والمستشفى، ومخزن المواد الغذائية ومخزن العتاد...

فحتى لو بنى الانصار قواعدهم بصورة مؤقتة، فان خطر قصف المدافع الثقيلة البعيدة المدى، والطائرات السريعة تهددهم بصورة كبيرة..، اضافة الى الحاجة الى قوة كبيرة من الانصار لحراسة هذه القواعد والمقرات، لاسيما الرئيسية منها. ان جمع مثل هذا العدد من الانصار يكون على حساب مبادئ حرب الانصار، وهذا، بالذات، يجبر الانصار الى حرب جبهوية قبل

أوانها، وهي بعيدة عن خطة حرب الانصار، وموافقة مع خطة الثورة المضادة.

ففي حالة عدم وقوع قواعد ومناطق فعاليات الانصار بالقرب من حدود دولة صديقة، فمن الصعب عليهم الصمود في مقراتهم الدائمة لفترة طويلة، أمام العدو المتفوق عددا وعدة، حتى وان كانوا يملكون اسلحة وعتادا كافيين، وأنصارا مسلحين كثيرين مستعدين للتضحية والفداء، لأن العدو يشن عليهم هجمات متتالية ومستمرة، بالاسلحة الثقيلة، وبقوات المشاة الكثير العدد، وبقصف الطائرات المختلفة، والمدافع المتنوعة، خاصة ان العدو، اضافة الى عسكرته لمناطق الانصار، والحصار العسكري، فهو يعتمد الى محاصرة هذه المناطق اقتصاديا، وحرق بيادر الفلاحين ومحاصيلهم الزراعية، مما يؤدي الى اشاعة الفقر والجوع في هذه المناطق. ان الجوع بالنسبة (للبيشمركة - الفدائيين)، والمواطنين من سكان هذه المناطق (يقصم الظهر) في اوقات اشتداد القتال واطلاق النار. هذا صحيح بالنسبة لثورة، ضعيفة، بلا سند ولا ظهير، وبدون سلاح وقليلة القوات، ولا شك في ذلك، لكن في الدول القمعية التي تقدمت فيها تكنولوجيا الاسلحة بشكل كبير، لا تستطيع الصمود حتى الثورات القوية التي تتمتع بالتأييد والمساندة والدعم العالمي الكبير.

الثورة الفلسطينية:

فبالرغم من أنها لا تمتلك الطائرات، الا أنها تمتلك الالوف المؤلفة من الاسلحة الخفيفة، والمدافع الثقيلة والمدرعات، والدبابات، والمدافع البعيدة المدى، والراجمات، والكاتيوشا، والمدافع المضادة للجو، وعشرات الآلاف من المقاتلين، وتتلقى المساعدات بمئات الملايين من الدولارات... ومع كل هذا، لم تستطع تحرير شبر واحد من ارض فلسطين، ولم تتمكن من انشاء قاعدة واحدة داخلها^(١) بل لا تتمكن حتى مفرزة واحدة من البقاء ليلة واحدة داخل

كان هذا قبل توقيع الاتفاقيات بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل التي سمح بموجبها بعودة ياسر عرفات رئيس المنظمة ومؤيدي هذه الاتفاقيات من قادة وأنصار المنظمة الى بعض المناطق من فلسطين ذات الحكم الذاتي - المؤلف -.

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

فلسطين، لأنها تتعرض للفناء بعد أن تعلم اسرائيل بوجودها، لأن اسرائيل اقوى من هذه الثورة الى حد كبير جدا، ولم يبق مكان او جبل لم تسيطر عليه اسرائيل، وليس هناك جبل لم تصل اليه الطرق، اضافة الى أن جيشها تدرّب على أحدث وسائل الثورة المضادة.

ثورة كمبوديا:

المقاومة الكمبودية هي صاحبة تجربة غنية كبيرة في حرب الانصار، وتتسلم الدعم والتأييد من دول عظمى، ومع ذلك لا تستطيع البقاء داخل عمق أراضي بلادها، بل اضطرت الى الانتقال بقواها الرئيسية الثلاث (الپولپوتيين، والسونسونيين، والسيهانوكيين) الى حدود البلاد.

ثورة البوليساريو:

لم تستطع قوات البوليساريو من انشاء قواعد رئيسية لها داخل وطنها، رغم ضعف عدوها المتمثل في النظام المغربي، والمساندة والدعم الكبيرين اللذين تتلقاهما، وتشكيلها لحكومة مؤقتة، نعم رغم كل هذا فقواعدها الرئيسية موجودة على ارض دولة الجزائر المجاورة.

ثورة كوردستان:

ليست لديها، في جميع اجزاء كوردستان، قاعدة واحدة تستطيع المحافظة عليها، فكل جزء منها واقع داخل دولة. ^١ هناك، بلا شك، في بعض الارحاء من العالم، مقرات - قليلة أو كثيرة- للأنصار استطاعوا المحافظة عليها، وظلت بعيدة عن تناول يد العدو، مثل: اريتريا، والفلبين، والسلفادور، فعدا كون هذه الانظمة التي قامت الثورة ضدها، ضعيفة من الناحية الاقتصادية، قليلة القوة من الناحية العسكرية، وكثيرا ما كانت تساندها وتساعدتها القوى العظمى بسبب اهمية الجغرافيا السياسية (الجيوپولتيك) التي تتمتع بها مناطقها-

هذا الرأي تأكد بعد عمليات الانفال وقصف المناطق المحررة بالاسلحة الكيماوية مما ادى الى انسحاب الانصار من مقراتهم داخل كوردستان العراق -المؤلف -.

فبالرغم من الضعف الاقتصادي والعسكري لتلك الانظمة، لم يستطع الانصار نقل الثورة من حرب الانصار والحرب المتحركة الى بقية مراحل الثورة الطويلة الأمد. ففي الفلبين ظلت تراوح في مكانها بعد مرور (٣١) عاما على اندلاع ثورتها، كذلك في اريتريا ظلت هكذا بعد مرور (٢٩) عاما عليها^(١) أي انهما مازالتا في مرحلة الدفاع السلبي.

ان دفاعا كهذا سلبي وغير مجد للثورة الطويلة الأمد، لاسيما اذا امتدت لسنوات طويلة، فاذا لم تنقل الثورة من هذه المرحلة الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي، او الى خلق ارضية مناسبة للانتفاضة الجماهيرية في المدن، فان بقاء الثورة في حالة كحالة الفلبين واريتريا^(٢) يعني وصول الثورة الى طريق عسكري مسدود، ومن الواضح ان هذا عمل يؤثر من الناحية السياسية- النفسية، في نفوس ومواقف الجماهير، لأن الثورة الطويلة الأمد ترفع وتقوي معنويات الجماهير شيئا فشيئا، عن طريق اضعاف العدو، ومن ثم توصلهم الى قمة الانتصار. وكل ثورة طويلة الأمد لم تستطع عمل هذا، بعد مرور سنوات طويلة، ستصل الى مرحلة، تأكل نفسها بنفسها، ثم الى مرحلة التقهقر والتراجع، إلا اذا انقذتها تطورات كبيرة، وتغيرات غير متوقعة على الساحة، من التقهقر والطريق العسكري المسدود.

ظروف السلفادور الحالية اكثر ملاءمة، ويتوقع منها أن تضع انتفاضة المدن، مثلما حصل لنينغاراغوا، تاج الانتصار على رأس الثورة (إن انتصرت)، وإلا فان حرب الانصار فيها ينتظرها وضع صعب، حيث عليها ان تقضي على العدو مدينة بعد مدينة حتى تصل الى العاصمة وتحررها. ولكي نعرف، بصورة افضل، وضع الفلبين واريتريا^(٣) فمن الضروري أن نتحدث عن الاحداث السياسية في البلدين. ففي اثيوبيا التي تحتل اريتريا، جرى انقلاب كبير، وتغير نظام (هيلاسيلاسي) الرجعي، وحل محله نظام (منغيسسو ماريام)، وتبدل الوضع السياسي في كل ارجاء البلاد كلية،

انتصرت ثورة اريتريا عن طريق الانقلاب والانتفاضة التي حصلت في اثيوبيا، وهي

منشغلة الآن في تشييت اركان دولتها المستقلة - المؤلف .

كان هذا قبل نيل استقلالها - المترجم .

(قبل الاستقلال - المترجم .^٢

بينما ظلت الحركة التحررية الاريترية تدور داخل دائرة الدفاع والمقاومة، والهجوم واخطاء حرب الانصار، وبقدر ما كان نظام منغيستو يطبل للاشتراكية، كان السوفيت يساندونه، وتضيق فرصة انتصار الحركة التحررية الاريترية بصورة اكثر، وتلحقها خسائر فادحة ازاء الاسلحة الثقيلة للنظام، حتى انها اضطرت الى التنازل عن مجموعة من الاهداف السياسية السابقة. وفي الفلبين : نتيجة للضغط الجماهيري داخل المدن سقط نظام ماركوس الدكتاتوري الكبير في هذا العصر، وتم اخراج الدكتاتور من البلد ايضا، وانتخبت (اكينو) التي قتل زوجها على يد رجال (ماركوس) القتلة بسبب مناداته بالحرية، واصبحت رئيسة للجمهورية، وقد شهدت الفلبين أنواعا من الاضرابات، والمظاهرات، والانقلابات والازمات العميقة الاخرى، في ربع القرن الماضي، بينما لم تتحرك لا الثورة الطويلة الأمد للحزب الشيوعي، ولا للمسلمين، من معاقلهما في الجزر النائية والغابات والجبال والبراري المهجورة. فلو كان الحزب الشيوعي الفلبيني غير استراتيجيته هذه، بسياسة ثورية ملائمة مع الظروف المستجدة، واعطى اهمية لانتفاضة المدن، لحقق الآن تغييرا كبيرا، ولم يكن انتصارها مستبعدا.

في التاريخ... حصلت ولادة مصادفتين تاريخيتين متناقضتين، في بلد واحد. الاولى هي ولادة حرب الانصار، والثانية هي ضرورة التخلي عن نفس الحرب في ظروف مغايرة.

اسبانيا، كما قيل منذ البداية، هي اول بلد على الارض، لم يقاوم جيشه جيش نابليون المحتل، وبدلا من الحرب الجبهوية لجأ الى حرب الانصار، وبعد سنوات من هذه الحرب انتصر على المحتل، وبهذا اصبحت اسبانيا هي (المولدة) لحرب الانصار المنتصرة في التاريخ.. بينما تصبح نفس البلاد، بعد (١٣٠) عاما (١٨٠٩-١٩٣٩) مركزا لأكبر حرب داخلية في العالم، ويسرع الاحرار، من جميع انحاء العالم، لنجدة الجمهوريين ضد (الفالانج)*: يحملون السلاح من أجلهم، ويرسلون المساعدات لهم، وقد قدمت

* (الفالانج) أي: حزب الكتائب الاسباني الفاشستي الذي أيد الجنرال فرانكو دكتاتور اسبانيا ليحكمها بالحديد والنار ما بين الاعوام (١٩٤٧-١٩٧٥) - المترجم.

(الكومنتزن) وأحرار العالم لهم ما كان باستطاعتهم، ولم يقصروا في تقديم المساعدات لهم.. وبالرغم من اختلاف زمن وأرضية حرب الانصار التي انتصرت قبل (١٣٠) عاما بقيادة متخلفة، إلا أن هذه الحرب نفسها، بقيادة الحزب الشيوعي، وبمساندة ودعم اكثرية بلدان وشعوب العالم، وبعد (١٢) عاما من المعارك المستمرة انتهت الى الفشل.

(انريكو لستي) احد القادة الكبار المهزومين لحرب الانصار، يقول في هذا المجال: "لقد اظهرت تجربة اسبانيا أن البدء بالنضال المسلح، في القرى، والنضال المكثف في المدن، حيث يجمع الشكل الاعتيادي وغير الاعتيادي معا، صعب للغاية، اللهم إلا اذا كان هناك ازمة ثورية غير عميقة. ففي بلد، يمتلك نظامه قوة قمعية كبيرة، وشبكة مواصلات منظمة لتقل وتوزيع قواته بسهولة، ويكون الوضع الثوري العام ضعيفا او صفرا، من الصعب، في مثل هذه الحالة القيام بحرب الانصار الطويلة الأمد" (١)

ان القائد المذكور يوصل هذه الظاهرة العسكرية، والسياسية، والطوبوغرافية الى هذه النهاية: "الدرس الثاني الذي تعلمناه-اسبانيا ايضا ليست مختلفة عن البقية- هو انه، من الضروري أن يستطيع قادة حركة المقاومة ايقاف حرب الأنصار في اقرب وقت، ولف راياتهم، قبل فوات الأوان، اذا ظهر لهم أن هذا النهج ليس أفضل وسيلة، وأنه سيصبح سببا في ضياع الموقع الطبيعي وهزيمته". (٢)

هذا هو قانون الظواهر، واختفاء الشروط القديمة، وظهور الشروط الجديدة. ففي اسبانيا، مازالت القضية القومية (لباسك) بلا حل، حتى الآن، وبالرغم من ايمان الشعب الباسكي بالنضال المسلح، إلا أنه لم يختار طريق الثورة الطويلة الأمد، بل اختار طريق القيام بالنشاطات الثورية الاخرى والاعتيالات واستعمال العنف داخل المدن، كما هو الحال عند الشعب الايرلندي، لأن عدد نفوس الشعب الباسكي قياسا الى الشعب الاسباني الحاكم، قليل، ومساحة أرضه اقل، وعدوه اقوى واكثر اقتدارا، وتم اتصال طرق المواصلات والنقل الى ابعد واصعب مكان، ولأنه آمن بأن حرب

١-الماركسية وحرب الانصار، ترجمة ابراهيم العابد وماهر الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ١١١.
٢ - نفس المصدر السابق.

الانصار والثورة الطويلة الأمد ضد نظام رأسمالي، يملك صناعة متطورة كبيرة، لا يمكن أن تنجح وتنتصر.

إذا كانت الثورة الطويلة الأمد ضد الانظمة الضعيفة، وبمساندة الحركة الثورية الجماهيرية، اداة جيدة لتحرير الشعوب المضطهدة، فيما مضى، فإن التخلي عنها، في هذه المرحلة، لاسيما بعد هذا المستوى الاقتصادي المتقدم للانظمة القمعية الحاكمة، والقدرة والتكنولوجيا التي تمت صياغة أسسها في السبعينات، واكتملت في الثمانينات- فهو وسيلة لايجاد بديل جديد للتحرير والخلاص، كما أن أي اصرار على الثورة الطويلة الأمد، خاصة، كقانون جامد لتحرير الشعوب والعمال، هو اراقة لدماء ابناء الشعب سدى، ليس إلا.

إن حرب الانصار... انسحبت من الساحة نظريا وعمليا أمام نمو وانتعاش النضال الثوري الجديد، وحانت المرحلة التي يوضع فيها هذا الشكل من الكفاح المسلح في خدمة ثورة اخرى (إذا تطلبت الظروف ذلك)، يلجأ اليه كنهج وسيط، وعامل مساعد..

حرب الانصار... سجلت بفخر أمجادها وانتصاراتها على الظلم والقهر والاضطهاد، الى الوقت الذي كان فيه مجال للنجاح، وكانت اداة فعالة لاقلاق وارعاب المحتلين، ومن الضروري أن يكون منظورها محل تقدير واحترام الثوريين الحقيقيين، الى الحد الذي له علاقة بهذا النهج، وإلا فان نجمة حرب الانصار المتألثة، كقانون للتحرير، آيلة الى الأفول.

٢/٧- انتفاضة المدن (النهج الثاني)

منذ أن بدأ الانسان ببناء المدن، والسكن فيها بشكل جماعي، كانت هذه المدن، بحكم اختلاف الاوضاع الاجتماعية فيها: الغني والفقير، والقصور الكبيرة والبيوت الصغيرة غير المنتظمة، والغلاء والقحط، والظلم والجور، والسرققة والنهب... الخ - مكانا للتعبير عن عدم رضا سكانها، وكانت من مظاهرها الانتفاضات والمظاهرات والاضرابات.

في مرحلة العبودية حيث كان السلاح وأدوات الحرب فيها قليلة، بسبب انخفاض المستوى التقني لصناعة السلاح، وحتى ذلك القليل الموجود كان

بيد الحكومات ومالكي العبيد على الاكثر، لذلك ليس من المستبعد أن تكون الاحتجاجات الصغيرة للمظلومين، في المدن، قد وصلت الى درجة الانفجار، لاسيما في نهايات مرحلة العبودية، ولجأ سكان المدن والقصبات الى استعمال الحجارة والفؤوس والهراوات والعصي والمشاعل لحرق كل ما يملكه الاغنياء، والحاق الضرر والأذى بهم سرا، لأن الطبيعة البشرية مجبولة على استعمال أي شيء، يقع بين يديه وقت الضيق والاضطرار، للدفاع عن نفسه وحياة ذويه، ويجعل منه سلاحا للدفاع والهجوم ايضا، لذلك كانت الحجارة مدفعا بعيد المدى استعمله المظلومون ضد الظالمين، ومن الواضح أن حرب المواجهة ضد حاملي السيوف والدروع، كانت حربا خاسرة بالنسبة لهم، لذلك كانت الحجارة في المعارك، كسلاح مصنوع في معامل الطبيعة، شريكا وفيها للفقراء.

بعد أن توسعت المدن، وازداد سكانها، وكثرت المحلات والبيوت والطرق والشوارع فيها، لاسيما في زمن توسع التجارة وما بعده، بدأت احتجاجات ومظاهرات وغارات سكان المدن تزداد وتتوسع، واتخذ الناس من أسطح المنازل والبنائيات، ومن المحلات الضيقة ربابا ومنتاريس دفاعية، وقد حسنوا وسائل التصدي للعدو، حتى أوصلوها الى حد صب الماء الساخن وقذف النار، من على اسطح المنازل وخلال النوافذ، واختطاف وقتل الحراس في الطرقات الضيقة والذي مازال موجودا الى يومنا هذا. إن قمع الاحتجاجات السلمية الهادئة، وعدم تلبية المطالب المشروعة للناس، يتطور ويتسع الى نشاطات عنيفة، والى القتل والدمار.

بعدها ظهرت الرأسمالية، ومن ثم ترسخت اركانها، وأنشئت المعامل والمصانع في ظلها وربطت أحدث طبقة مضطهدة، بصورة جماعية، بمصدر وسائل المعيشة الحديثة-تمكن هذا النظام من تغيير مسار المجتمع والحياة الاجتماعية، وشكل المدينة والمدنية، وتفكير الناس والفكر النظري، والفلسفي والعلمي، والثقافي والتنويري جميعا، ونفث في نفوس الناس حب الحرية والاستقلال، والديمقراطية والسعادة، وانعكاس هذا أيضا في المفاهيم العسكرية، إضافة إلى مزجه بين النضال الطبقي والاجتماعي الواسع لجماهير الكادحين ووضع المظلوم والظالم في بوتقة النضال في جبهتين

متضادتين منقطعتين عن بعضهما، والى الأبد، كما جعلت المعامل أفرانا لتسخين وغليان كفاح العمال والجماهير المضطهدة.

فبعد أفول شمس الاقطاع مباشرة، ساءت العلاقات بين الرأسماليين والعمال، وتوترت، وتعمق شيئا فشيئا هذا التوتر والخلافات بينهما، ووصلت الى درجة الاحتجاجات والاضرابات عن العمل، ثم المظاهرات، واخيرا الانتفاضات.

هذا هو المسار الديالكتيكي للتطور الاجتماعي. فالاحتجاج الطبقي، حتى لو تجمع قطرة قطرة، فسيأتي يوم يتحول غضبه المقدس الى فيضان جارف من الحقد المقدس.

ان العمال، عندما تصل أيادهم المؤجرة الى وسائل الانتاج، يحولون هذه الوسائل إلى احسن الأدوات لتحقيق التحرير والخلاص من العبودية.

كانت المدن، في ذلك الوقت، شاهدة حقيقية على الانتفاضات الكبرى للجماهير لذلك وصفها ماركس بانتفاضة شاملة عامة، أي: كانت انتفاضات الجماهير عموما ضد المستغلين⁽¹⁾ فالكل تخندقوا ضدهم، ودخلوا في قتال مباشر معهم، وبلا شك، وقع السلاح أيضا، في أيدي الجماهير المناضلة، اضافة الى ما كانوا يملكونه من وسائل القتال الأخرى (العصي والحجارة، والنار والحديد)، وتم ايصال الانتفاضة الى درجة بناء المتاريس في المدن، والقتال من خندق الى خندق، وريثة الى ربيثة، ومتراس الى متراس، كما كان البرجوازيون يحاربون قديما ضد الأورستقراطيين، في الحروب الكبرى، لفرنسا وأوروبا وأمريكا، فانتقل هذا الارث الى العمال، حيث حاربوا ضد البرجوازيين بنفس الصورة.

بلا شك، عندما كان البرجوازيون يحاربون الأورستقراطيين في حينه، كانت جيوشهم مؤلفة فقط من الكادحين، وكان ذلك بمثابة تدريب عسكري جيد لابناء الكادحين. لكن، بعد أن انكشفت اكاذيب البرجوازيين بصورة صارخة، تخلى اولئك العمال الذين كانوا يجندون في صفوف جيوش البرجوازيين ضد الاقطاعيين، عن الانضمام الى تلك الجيوش، وبمرور الزمن كثر عددهم، وأصبحوا أصحاب قرارهم وأصحاب نضالهم الطبقي المستقل، وأدى هذا الى خلق تغيير جذري من كل النواحي، حتى من ناحية الحرب

والانتفاضة. ففي ذلك الوقت بالضبط الذي قدم فيه المضطهدون رسالة التحرر الثوري الى الانسانية، بعد انكشاف زيف وكذب (المساواة والاخاء والحرية) التي كان ينادي بها البرجوازيون، تبين ايضا بسرعة انها النهج الثوري الصحيح للعمال والكادحين في سبيل الخلاص والحرية. ففي عشرات من البلدان، هزت الانتفاضة اركان الرأسماليين، وعرضت مصيرهم الى الخطر، وأجبرتهم على تغيير العشرات من القوانين، وسلوك المئات من الاشكال السياسية، وأنتزعت منهم العشرات من المكاسب الطبقيّة والمهنية، وحققت في بعض الاحيان بعض النجاحات الكبيرة للشعوب، إن سلطة كومونة باريس، وحكومة باقاريا في المانيا، وثورة اكتوبر في روسيا كانت ثمرات ونتائج كبيرة لهذا النضال.

في ما مضى، كان هناك خلط بين مفهوم الانتفاضة، وزرع المتاريس داخل المدن بصورة عامة. ففي كل مرة، تم فيها تنظيم الانتفاضة بشكل جيد، وشملت شرائح المجتمع كافة، واندلعت في وقتها المناسب، وقصمت ظهر اقتصاد الانظمة الحاكمة، فان الانتفاضة في مثل هذه الحالة تمكنت من اجبار الانظمة الحاكمة على التراجع، وزرع الشلل في مؤسساتها الاقتصادية والقمعية، حتى في حالة عدم وجود قيادة متمرسة محنكة ضرورية لانتصارها ونجاحها، بل ودفعت الكثير من المسلحين التابعين للسلطات القمعية من الجيش والشرطة والحرس، الى ترك صفوف العدو والانضمام الى الجماهير المنتفضة. إن عدم انتصار انتفاضات كهذه يعود الى قياداتها، وليس الى الانتفاضات انفسها، وعلى النقيض من ذلك، عندما لم تكن هناك خطة مدروسة للانتفاضة، وكان التسرع في اتخاذ القرارات هو الطابع المسيطر على الانتفاضة، ولم تقم في وقتها المناسب، ولم تتمكن من جذب اكثرية الجماهير اليها، وتم التخلي عنها اضطرارا، وحولت الى حرب المتاريس وحرب الشوارع، وحلت حرب البنادق محل ضغط الانتفاضة الجماهيرية، كان الاعداء ينتصرون على الانتفاضة، في مثل هذه الحالات، بكل سهولة، لأنهم، في حرب البنادق، يملكون سلاحا أكثر، وجيشا مدربا، وسلاحا ثقيلًا وعتادا كثيرا، ولديهم المدافع والهاونات والصواريخ والقنابل، ويملكون قدرة سوقية واستعدادا عسكريا عاليا، لذلك تنتصر الانظمة في حرب البنادق، ويخسر الثوريون فيها.

في حرب البنادق الدفاعية يستطيع العدو من الصاق أنواع التهم بالشوريين ك: التمرد، وتحريض الاجنبي، والخروج على القانون، وانواع اخرى من التهم، ونشرها بين الجماهير، وكان مثل هذه الحرب النفسية، الى حد ما، في صالح الرأسماليين، لاسيما، اذا استبدل المسار الرئيسي للنضال بمسار ثانوي. هذا، اضافة الى أن حرب البنادق: اصوات طلقاتها وضجيجها، موتها ودمارها، تجبر اكثرية الجماهير على البقاء في منازلهم وعدم تركها، وبذلك تقع مسؤولية الدفاع على عاتق حاملي البنادق، وهم، بسبب قلة البنادق والعتاد، تقل قوة المقاومة داخل المدن لديهم، وبهذا يحصل نوع من القطيعة العسكرية بين الشوريين المسلحين والجماهير. نعم هذا هو فح هو وقع فيه الشوريون المغامرون.

في كومونة باريس التي اختلطت فيها الانتفاضة بالهجمات المسلحة، وبدأت مرحلتها الاولى بالهجمات الكبيرة، واندفع الشوريون، من كل الجهات لمهاجمة مؤسسات النظام-انتصرت الانتفاضة، وتشكلت الحكومة العمالية في باريس، لكنه، بعد الانتصار، اضافة الى أخطاء الثورة السياسية التي تمثلت في عدم التفريق بين مهمات الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية، والتي ارتكبها (البلانكيون*)، فان الثورة، من الناحية العسكرية، اوقفت هجماتها، ولم تهاجم قصر (فرساي) الذي جعله العدو مقرا للاعداد والاستعداد من جديد، ولم تسيطر ايضا على البنوك، واعتمدت على استراتيجية الدفاع بدلا من الاستمرار في الهجوم.

إن خطأ هذه الاستراتيجية العسكرية، أي خطأ الدفاع عن النفس (بدل الهجوم المستمر) اغرق الكومونه، من الناحية العسكرية، بالدماء، وقد ظهر أن وقف الهجمات، والاعداد لدفاع قوي، حتى في اوقات دحر وهزيمة الانظمة، هو خطأ قاتل^(١) وهكذا هزمت الكومونة في الهجوم المضاد للثورة

* اوغست بلانكي (١٨٠٥-١٨٨١) اشتراكي طوباوي فرنسي، قضى معظم حياته في السجن او وراء المتاريس او في المنفى. لم يشارك في كومونة باريس بسبب اعتقاله قبيل اندلاعها، وكان لانصاره دور بارز فيها- المترجم.

- نفس اخطاء الكومونه، تكررت في كوردستان، في زمان آخر وأرضية مختلفة وبقيادة اخرى، وتمكن الفاشيون العراقيون مثل البرجوازيين الفرنسيين من اىصال الثورة المضادة الى النجاح والنصر- المؤلف -.

المضادة، وعندما هزموها، تبين من أعمالهم اللاحقة انهم كانوا لا يريدون تكرار حصول كومونة ككومونة باريس مرة اخرى، في وقت قريب او بعيد، ولم يخطأوا في تقديرهم هذا. صحيح انهم لم يتمكنوا من اقتلاع نضال العمال والانتفاضة من الجذور، لكنهم استطاعوا، والى اليوم، عرقلة انتصار الاشتراكية. فهل يستطيع أحدنا التنبؤ بزمن قيام انتفاضة أخرى في فرنسا والذي يرتبط بمجموعة من التغيرات العالمية المزلزلة؟! فتحديد زمن قيامها بعيد عن براعتنا وقدراتنا، لكن اخذ العبر من تلك الاخطاء التاريخية التي اصبحت سببا لبقاء الرأسمالية والامبريالية، هو واجب ثوري، واذا لم يبادر الى العمل بهذا المبدأ، في هذه الظروف التاريخية التي تهيأت في البلدان المختلفة، ولم تستغل هذه الظروف على احسن وجه، فان انظمتها الخاضعة للإمبريالية، بفعل وتأثير الرأسمالية المنتشرة في هذه البلدان، لاسيما الغنية منها، صاحبة النفط والمواد الاولية الكثيرة، وبمساعدة الإمبريالية، تستطيع أن تصمد وتبقى، وتبعد في نفس الوقت، عن نفسها، خطر انتفاضة الجماهير، كما حصل في الدول الرأسمالية الكبرى حيث تمكنت، بعد زيادة ثرواتها وغناها، واخذ العبر من التجارب، من الصمود والبقاء الى يومنا هذا.

ان احداث التاريخ ليست افلاما سينمائية، حتى يستطيع أي حزب عرضها على شاشة موقف الجماهير، في أي وقت يراد، والايما برأي المخطئ هو خطأ قاتل. فما فقد في الماضي، لا يمكن تعويضه الآن، وما يضيع الآن لا يمكن تعويضه، في أي وقت يُشاء.

هكذا، وفي ظروف تاريخية متغيرة، وفي ظل العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية الجديدة، وبعد قطع العديد من المراحل، ونجاح انواع من التجارب الكبيرة والصغيرة، كذلك بعد اختبار نجاح الانتفاضة في بعض المناطق، والثورة الطويلة الأمد في مناطق اخرى، وفشل كلتا التجريبتين احيانا، في الكثير من مناطق العالم، فمن المنتظر أن يصبح نهج الانتفاضة المستمرة الهدف البعيد للعمال والشعوب، بعد أن فقدت الثورة المسلحة الطويلة الأمد أهميتها، كاستراتيجية وحيدة للتحرر، وكقانون ثابت غير قابل للتغيير، وهذا مبعث انتعاش لروح النضال القديم للمدن بفعل نسمات ثورة العصر الجديد، ونشاط الجيل الجديد.

٣/٧ - مضمون الانتفاضة

كان للانتفاضة ونهوض جماهير المدن ماض مجيد، وسجل تاريخي عظيم حافل بالفخر والاعتزاز، كما ان اخذ الدروس والعبر من التجارب القديمة والجديدة للانتفاضة في هذا الوقت أحيا الوجه والجوهر العصريين لها. لكنه لم يتم، الى حد الآن، تنظير الانتفاضة الحديثة وتطبيق آلياتها بشكل جيد، لذلك من الصعب تحديد اسسها واطارها، وكيفية العمل بها، لكننا نستطيع التحدث عن ظواهرها، لا التنبؤ بمجرياتها وتحليلها في هذا الاطار:-

انتفاضة المدن، بمفهومها الخاص والعام نابغة من العلاقات الرأسمالية والثورات الرأسمالية ضد النظام الاقطاعي. فمنذ أن قطعت قدرات وعلاقات الرأسمالية حدود العوامل المتعددة، وصاغت اسس الرأسمالية، اصبحت المدينة منذ، ذلك الوقت، سواء من حيث الانتاج، أم كمركز للتحكم السياسي في الدول الرأسمالية، أم من حيث سيطرة سكان المدينة على سكان القرى- طليعة لكل الاحداث، ومركزا لانفجار الاحداث المصيرية.

ان تجمع الناس في المدن وعملية التعارف بينهم، وصدقاتهم واختلاطهم، وتبادل الزيارات والثقة المتبادلة بينهم، وتواصل حياتهم ومعيشتهم المشتركة، وسهولة انتشار اخبارهم - أدى الى سيطرة المدينة على الحياة، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، على عكس ما كان سائدا في السابق.

فالانتفاضة ايضا... كأعلى مرتبة من مراتب نهج النضال، هي مكسب كبير لهذا العصر، وقد أنعشت الاسس والأطر التطبيقية والسياسية، اثناء مسيرة تطور العصر الرأسمالي.

حينما بنيت المدن، وأصبحت نموذجا للاستيطان وتطور المجتمع، لم يبق للتمرد المتفرق والضعيف الذي كان يقوم به الفلاحون وسكان القرى، أي دور فعال مقارنة بما كان له من اثر في السابق. لقد فقد كل عمل في القرية أهميته، بدون المدينة، سواء الاعمال الاقتصادية أم الاجتماعية أم

السياسية، ولم يبق لأي منها أي تأثير حاسم ومصيري، وليس باستطاعة القرية والقرويين امسك زمام الامور بأيديهم بمعزل عن المدينة بعد الان، لذلك، فمنذ قيام الثورات البرجوازية الكبيرة، في اوربا وأمريكا التي وقعت فيها المدن بأيدي الطبقة البرجوازية الثورية حينذاك، حيث جعلوا منها خندقا للمعارضة والقضاء على النظام الاقطاعي-لم يتمكن الاقطاعيون مع كل ما كانوا يمتلكون من تجارب قديمة، ومن حقد وسخط، من الوقوف بوجه تيار الاحداث، وايقاف عجلة التاريخ.

ثورة هولندا، في القرن السادس عشر، وثورتا إنكلترا في القرن السابع عشر، وثورة امريكا في القرن الثامن عشر، هي خير شاهد على اهمية المدن وانتفاضة سكان المدن ضد الاقطاع، وقد غيرت انتصاراتهم التي قل نظيرها العالم قاطبة.

ثورة فرنسا الكبرى التي قامت بعد تلك الثورات، وفشلت، الا أنها هزت العالم اكثر من تلك الثورات، وأثرت اكثر منها في الاحداث السياسية والاجتماعية في قارة اسيا، ومن الممكن ارجاع سبب بروز تلك الحقائق الى ثلاثة اسباب تاريخية:

- ١- حينما انتعشت هولندا وبريطانيا، بعد الاكتشافات الجغرافية الجديدة، وأصبح اقتصادهما وتجارتهما اكثر قوة ونشاطا، كانت اسيا في ذلك الوقت، غارقة في سبات القرون الوسطى، ولم تحدث فيها حادثة اجتماعية جديدة بالبحث، او مؤدية الى التغيير.
- ٢- تزامن انفجار الثورة الفرنسية مع بداية ولادة الرأسمال والرأسمالية، والتقدم التجاري، والاحداث الاجتماعية والسياسية في اسيا.
- ٣- انجزت ثورة فرنسا، بعكس الثورات البرجوازية الاخرى، وبشكل قاطع، المهمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولم تدخل في مساومات مع الاقطاعيين والاورستقراطيين الرجعيين.

وهناك سببان تاريخيان مهمان آخران، يرجعان الى الثورة نفسها، جعلها أهم ثورة برجوازية في العالم:

- ١- عناد النبلاء واصرارهم على المحافظة على مكانة الاقطاع في المجتمع، ووقوفهم ضد اعطاء أي مكسب لغيرهم .
- ٢- سخط الناس الشديد، ووقوفهم ضد اعطاء الأهمية لطبقة معينة والتمييز الطبقي بصورة عامة . (١)

إن نشوء الرأسمالية، وتوسع المدن، وانتصار ثورة برجوازية المدن، دفعت الانتفاضات الى التعاون فيما بينها، وقد انعكس هذا، وأحدث صدى في كل ارجاء العالم. فحتى في البلدان المتخلفة ايضا كان النضال من اجل الاستقلال السياسي في البلدان الشرقية، هو افضل دليل على صدق تلك الحقيقة الصارخة، بالرغم من أن ظهور التقدم الاقتصادي والاجتماعي، في الشرق، قد تأخر، بحكم تقدم الرأسمالية في الغرب وتأخر ارسال الرأسمال والرأسمالية الى الشرق.

لقد حصل - بلا شك - تغيير على ذلك التيار، ولا سيما في الدول المتخلفة. فالثورة الطويلة الأمد، ضمن ظروفها الخاصة بها، كانت اهم تيار مغير للنضال، من المدن الى الجبال، ومع هذا، فان الثورة الطويلة الأمد، من غير مشاركة المدينة، وفي كل الأحوال لم تستطع عمل أي شيء..

فاذا كانت الانتفاضة والثورة، في بداية ولادة الرأسمالية وظهور اهمية المدن هي من الاحداث السياسية الحاسمة والمصيرية، في المدن... ومن ثم مثلت الانتفاضة والثورة الطويلة الأمد، في مرحلة النمو الاجتماعي في بلدان اسيا، دورا مهما في العديد من البلدان المحتلة، فان تغييرات جذرية، تجري الآن بنفس الوتيرة على جميع الاحداث: الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والعسكرية، كما أن تعداد نفوس سكان العالم في تزايد مستمر ايضا.

ان الهجرة من الريف الى المدينة هي احدي سمات نهاية هذا القرن (المقصود هو القرن العشرون)، وان سكان المدن، في اغلبية الدول المتقدمة وشبه المتقدمة، هم اكثر من سكان القرى، حتى في دول كالعراق، حيث من المنتظر بلوغ عدد سكان بغداد (١١) مليون نسمة في سنة (٢٠٠٠م).

البرسبول، انقلاب فرانس، ترجمه: عبدالرحمن صدرية، چاپ سوم تاریخ نشر ١٣٦٦، ص ١٦.

فحصول المدينة على هذه الاهمية، في مرحلة النمو الاجتماعي، وفي ظروف العالم المتغيرة، سيجعل المدينة مرة اخرى، وفضل من السابق، مركزا سياسيا مصيريا وحاسما، مع أن هذه الظاهرة قد تم تغييرها، لفترة ما، في بعض الدول الآسيوية. فالمدن الآن: مزدحمة ومليئة، وكبيرة ومؤثرة، ومعاملها وعمالها في تكاثر مستمر، وغدت مراكز للثقافة والاخبار، وعلاقتها مستمرة مع العالم، وتمثل العمود الفقري للدول، وتصل اخبارها بسرعة الى بقية الدول، كما أن للعواصم والمدن الصناعية الكبرى اهمية اكثر، وقد بني عليها النظام السياسي للدول، ولأصغر الاحداث فيها تأثيره الخاص به. هذه هي الجوانب المشرقة للمدن، حيث يستطيع المناضلون الثوريون الاستفادة من: العمل التنظيمي، والدعاية، والنشاط الثوري، ونشر البيانات والادبيات، والكتابة على الجدران وتعليق ولصق الپوسترات، والاختفاء واخفاء المطابع، والاستفادة القصوى منها لتطوير النهج الثوري، وفسح المجال أمام الثوريين، لتصل ايديهم الى قلب المصانع والمعامل، والأماكن التي يسكنها الكادحون، وليجتمعوا حول طليعتهم الطبقية. فعدا ما ذكر، فللمدن في هذه الظروف جوانب سلبية ايضا، ينبغي اخذها بنظر الاعتبار، مثل: انتشار أماكن شرب الخمر واللهو، والسيارات والتنزه والسينما والفيديو والنوادي الرياضية المختلفة والالعاب الاخرى. فهذه الظواهر، عدا جوانبها الايجابية، فهي تستعمل لاغراض سيئة ايضا. إن الحصول على كل الحاجات الضرورية للناس، وزيادة اجور العمال والكادحين، وكل الاشياء التي اصبحت جزءا من حياة الناس، الى درجة يستطيع فيها حتى الناس غير المتمكنين اقتصاديا، من تأمين بعض رغباتهم واحتياجاتهم، ولاسيما في الدول الغنية، وقد اثر كل هذا، قليلا او كثيرا، على شعور الناس والتخفيف من مواقفهم الثورية، وعلاوة على ذلك: تحاول الانظمة، كل من منظورها الخاص للعالم، وحسب القوة والسلطة والمكانة التي تحتلها، تحاول بأحدث الخطط، وبأحدث المؤسسات وشبكات التجسس والتلفزيون واللاسلكي، والامن، والاستخبارات، والمخابرات، والجيش والشرطة والمرتبقة- تحاول السيطرة على العاصمة والمدن الصناعية المهمة، والمدن الاخرى، ومن اجل هذا، تلجأ، بالاضافة الى استعمال القوة والعنف،

الى الدعاية النفسية الهدامة، وتهدة الغضب الجماهيري اللتين تتمان خطة النظام، وكل هذه الوسائل معا تؤثر كالكابوس في معنويات الناس، لكن، وبالرغم من كل ذلك، لا تستطيع الانظمة الفاشية والدكتاتورية، حتى لو كانت في ايديها اكثر من تلك القوة، أن تظمن على مستقبلها، ولن يتخلى الناس لاسباب نفسها عن الديمقراطية والحرية، والخلص، والاستقلال الحقيقي، ابدا.

عندما يتعدى الخوف والتخويف حدودهما، فانهما يزولان لا محالة. كما أن اللذة والمتعة عندما تكونان على حساب كرامة الناس ستوضعان تحت الاقدام، كذلك الحال بالنسبة الى المؤسسات القمعية ايضا، فهي تستطيع، والى فترة محدودة، السيطرة على غضب الناس واهماد النار المتأججة في أعماق النفوس، وعندما تفلت الامور من زمام السيطرة، لا تستطيع اية قوة الوقوف امام الغضب الجماهيري المقدس. ليست هناك أية ظواهر او مشاهد حياتية، سواء كانت جيدة أم سيئة، ثابتة لا تتغير الى الأبد. فالناس حتى وان كانوا يعيشون في أقصى درجات السعادة الشخصية، فسيأتي يوم تشبع فيه رغباتهم من السعادة التي تحققت لهم، وتتغير هذه الرغبات ذاتها الى رغبات ومتطلبات اخرى.

ان متطلبات التطور والتغيير في المجتمع الطبقي، حتى ان تلقت اجوبة وافية، في حق الزمن، فان هذه الأجوبة نفسها تصبح أسئلة أخرى، تبحث عن أجوبة جديدة الى اليوم الذي يستمر فيه استغلال الانسان لأخيه الانسان، وحتى في حالة زوال استغلال الانسان ايضا، فان نفس المشروع سيستمر، لتطوير الطبيعة وحياة ارقى، وهذا هو القانون الموضوعي، وقانون منطق التاريخ، ولا يمكن تخريبه أو تغييره أبدا بالملذات والمسرات، واللهو والتسلية، وبالخوف والارهاب، والقمع والكبت، والقتل والذبح التي تقوم بها الثورة المضادة. نعم لا يمكن أبدا تخريب هذا القانون الموضوعي والمنطقي أو احلال قانون معوج ومنطق ضعيف محله.

ان مراكز النضال والثورة تعود، بلا جدال، الى المدن من الان فصاعدا، وبما أن المدن كانت دائما مهمة للانتفاضة، الا أنها أصبحت الآن اكثر اهمية للانتفاضة من الماضي، لكن الانتفاضة، بضمونها القديم وشكلها

السابق، لا تستطيع، داخل مدن اليوم، تحقيق أهداف العمال والكادحين والحق الهزيمة بخطط الأنظمة الحديثة، وبنفس الطرق والوسائل القديمة والبالية. إن الانتفاضات السابقة كان لديها مشروع، يتلاءم مع ظروف المدن القديمة. لذلك فمن الضروري تطوير المضمون القديم للانتفاضة بمنطق هذا العصر، ليتلاءم مع الوضع المتطور الجديد للمدن الحديثة، والتصدي الفاعل للأنظمة المتقدمة الحالية، بل يجب تحويلها الى انتفاضة الحجارة.

٤/٧ - الانتفاضة الإيرانية المستمرة

الانتفاضة المستمرة (وهي ثورة ايضا)، يمكن أن نقول إنها ولدت في نهاية السبعينات من هذا القرن (أي القرن العشرين)، ولكون إيران موطناً لولادة الانتفاضة المستمرة، فمن الممكن استخراج هذه الحقائق منها:

١- صحيح أن انتفاضات أوروبا، لاسيما الثورة الفرنسية الكبرى، وثورة أكتوبر، اندلعت في المدن، وانتصرت ايضاً في المدن، لاسيما في العاصمة، الا أنها انتصرت في وقت قصير، وبتضحيات قليلة، لكن الانتفاضة الإيرانية المستمرة لم تكن بهذا الشكل، بل كانت صاحبة خصوصيتها الجديدة ونضال شعوبها التي يمكن تلخيصها في هذه النقاط:-

أ- استمرت اكثر من ستة أشهر.

ب- لم يستعمل فيها المنتفضون اسلحة.

ج- قدم أثناءها اكثر من ستة آلاف شهيد.

د- ساهمت فيها الاغلبية العظمى من الجماهير.

٢- الانتفاضة التي عبرت عن ولادة الشعوب الإيرانية، كانت، لحسن الحظ، ضد نظام عميل للأجنبي، ومن اقوى الانظمة في الشرق، وقامت في وطن متعدد القوميات، يبلغ عدد سكانه (٤٠) مليون نسمة. لقد تمكنت هذه الانتفاضة المستمرة، لأول مرة، من اسقاط قلعة حصينة للرجعية، في الجولة الاولى وقضت على تلك المخاريف التي كانت تزعم أن الانظمة القوية لا يمكن اسقاطها بالانتفاضة.

٣- هذه الانتفاضة لم تهيأ ارضية نجاحها مسبقاً، بالثورة المسلحة الطويلة الأمد، كما حصل في (كوبا ونيكارغوا)، مع حصول النشاطات الثورية من قبل الجماعات اليسارية طيلة السنوات التي سبقت الانتفاضة، لكنه لا يمكن تسمية تلك النشاطات بالثورة، ولم تنفجر الانتفاضة تحت ضغط تلك النشاطات.

٤- مثل المذهب الديني الذي يؤمن به غالبية الشعب الإيراني، دوراً كبيراً في استمرار الانتفاضة، وفي اصابة روحية المؤسسات القمعية للنظام الشاهنشاهي بالشلل، الا أن الدور الوطني والطبقي والسياسي والمدني والنفسي كان لا يقل تأثيره وأهميته، في ذلك

الوقت، عن تأثير وأهمية المذهب الديني، لاسيما اضراب عمال النفط والمصانع الاخرى الذي اسقط اعمدة اقتصاد النظام، ومن الواضح أن أكثرية العمال ايضا كانوا يتحركون تحت تأثير المذهب الديني، وهذه حقيقة لا تتحمل الانكار.

٥- لم تكن بمقدور الإمبريالية أن تتدخل عسكريا، في شؤون الانتفاضة، او في شؤون ايران، بأي شكل من الاشكال، حيث لم يكن باستطاعة أية مناورة سياسية او انقلاب عسكري، انقاذ النظام الشاهنشاهي او مساعدته للخروج من هذا المأزق، كما حصل في عصر (مصدق).

٦- الاصرار والصمود القاطع لقيادة الانتفاضة، وبدون حصول أية مساومات، الى يوم اسقاط نظام الشاه، كذلك براعة قيادة الانتفاضة في ادارة المنتفضين، وتشجيعهم على استمرار الانتفاضة، بدون أي توقف او استراحة، او اعطاء فرصة للعدو للقيام بمناورات سياسية، وعدم خلط الانتفاضة بالنضال المسلح.

هذه النقاط هي أهم اسباب نجاح انتفاضة شعوب ايران، الى حد ما، وقد ألحقت الانتفاضة بالإمبريالية اكبر الخسائر الاقتصادية والسياسية، وعرضتها للوحشة والقلق وأدخلتها في مأزق كبير، في تلك الفترة. وكانت الانتفاضة قاصمة للظهور، ومفاجئة بالنسبة الى امريكا، الى الحد الذي لم تستطع فيه ابدا التفكير في خطة مناسبة، تحافظ على هيبتها وماء وجهها، لأنها لم تتوقع مسبقا حصول مثل هذه الواقعة المزلزلة، لذلك، وبالرغم من المحاولات المستمرة لنظام الشاه العميل، الا أنهم وقعوا في كمين الانتفاضة المستمرة المحكم.

بعد انتصار الانتفاضة المستمرة لشعوب ايران، بدأت الدول الإمبريالية، كما كانت حالها في جميع ثورات عمال العالم السابقة الاخرى-تبحث عن المصادر الاجتماعية للانتفاضة والاسباب السياسية التي ادت الى نجاحها، حيث كتبت عنها المئات من التقارير والدراسات، والآلاف من المقالات والبحوث، كما تم اصدار القرارات المناسبة حولها، ورسمت خطط مضادة للقضاء عليها، الا أن هذه المرحلة كمراحل الثورات السابقة، كان من الصعب على الإمبريالية، أن تنفذ ضدها مؤامرة أو خطة لتفريغ الانتفاضة

المستمرة من محتواها بهذه السرعة، مع ان الإمبريالية تستطيع تحقيق بعض النجاحات في خضم اشتداد الثورة المستمرة، كما حصل في الثورات السابقة، وعن طريق مساومة القادة اليمينيين، او استعجال القادة اليساريين، خاصة عن طريق اختيار نظام افضل، او اكثر تقدما من الانظمة الرجعية التي انتفض الناس ضدها، كذلك بالدعاية للديمقراطية والحرية والضغط على الانظمة الدكتاتورية وتقديم المساعدة لهم، لكي يقللوا هم الضغط على الناس بدورهم.

فالإمبريالية تقوم بكل هذا، وتعمل جاهدة من اجل تطوير سبل نجاحها ويتم كل هذا من اجل وضع العراقيل امام انفجار الانتفاضة المستمرة التي من الممكن أن تصبح ظاهرة عالمية، في هذا الوقت الذي لم يبق فيه مجال للثورة الطويلة الأمد، كما اصبح النهج الجيقارى والارهابي بلا أهمية.

ان الإمبريالية منهمكة، بحماس أكثر، في خطط مضادة، وهي مستعدة، في سبيل ذلك، لمراجعة سياساتها السابقة، والتخلي عن عملاتها، وتحقيق مكاسب اجتماعية وسياسية أكثر للشعوب المختلفة، وكمثال على ذلك: حدثت انتفاضات عديدة اخرى في العالم، بعد الانتفاضة الايرانية المستمرة الناجحة، وحدثت جميعها في الدول الخاضعة لامريكا.

ففي شهر شباط (١٩٨٦م)، وفي دولتين من الدول الخاضعة للإمبريالية وهما (هايتي والفلسين) ثار غضب الجماهير، ووصل الى حد الانفجار، وقد حكم في هاتين الدولتين الشعب، بالحديد والنار، دكتاتوران قاتلان معروفان أكثر من (٢٠) عاما، ولم يبق أمام الإمبريالية حل سوى الضغط على هذين الدكتاتورين، من أجل تأمين نوع من الديمقراطية البرجوازية، لامتصاص غليان غضب الجماهير قبل انفجار الانتفاضة، وقد حدث ذلك فعلا، وعندما جرت الانتخابات فيهما، وفشل كلا الدكتاتورين في تلك الانتخابات، وأرادا عدم الاذعان لنتائج الانتخابات، بادرت أمريكا الى سحب البساط من تحت أرجلهما فازداد، بذلك، أعداد الحكام المستبدين المهزومين، في التاريخ.

ربما لو كان هناك طليعة مجرية في هاتين الدولتين، وبادرت الى استغلال تلك الفرصة الملائمة استغلالا حسنا، لتمكنت من تحقيق نصر تاريخي، لكن

الخطة الديمقراطية البرجوازية المضادة، وعدم وجود تلك الطليعة ضيقت تلك الفرص التاريخية.

قبل سنتين، وقعت نفس الحادثة في باكستان، وتم امتصاص نقمة الجماهير، بتسلم (بي نظير بوتو) الحكم، ونفذ بذلك سيناريو الخطة المضادة للانتفاضة المستمرة.

في بورما، وضعت الانتفاضة النظام بين فكي كماشة الموت، لكن عدم وجود برنامج معد مسبقاً، وعدم انفجارها في الوقت المناسب، ادخل اليأس والقنوط في قلوب الناس، اضافة الى سرعة لجوء اليساريين الى الهرب والاحتماء بالجبال والغابات والشروع في حرب الأنصار.^(١) وهذا لوحده مرض خطير، يهدد محتوى الانتفاضة المستمرة.

قد تستطيع حرب الأنصار، في بلدان كد(السلفادور)، وفي الوضع الخاص لأمريكا الوسطى - الضغط على تناقضات النظام، وتفجير الانتفاضة في المدن، في النهاية، كما حصل في نيكاراغوا، لكن حينما تندلع الانتفاضة، أو بعد أن تفشل، لا تكون حرب الأنصار حينئذ بديلاً لها ولا سبباً لنجاحها، أو الاحتفاظ بروحية استمرارها.

في (بنما) أيضاً، نجحت عملية افراغ غضب الجماهير ومنع أو ابعاد الانتفاضة بخطط مختلفة. فقد لجأت أمريكا، الى جانب الدعاية والتطويل للديمقراطية والانتخابات، وعقد اتفاقيات ومعاهدات عدة مع الاتحاد السوفيتي في تلك الظروف، تحت مظلة التعايش السلمي - الى التدخل العسكري في بنما، ونفذت خططها عن طريق حروب دموية.

يجب ألا يخامرنا أدنى شك بأن الإمبريالية لديها خطط جديدة اخرى، لم تنفذها بعد، تدخرها للانتفاضة مستمرة اخرى، تعرض مصير نظام عميل آخر للخطر، وليس من المستبعد أنه تم انشاء مؤسسات خاصة في الدول الرأسمالية، بعد انتصار انتفاضة شعوب ايران، زودت بأسلحة ومهمات جديدة متطورة، وهي منشغلة الآن بتدريب تلك القوات الخاصة التابعة لتلك الدول التي يتوقع أن تندلع فيها الانتفاضة المستمرة.

هذا دليل على أنهم يعتبرون النضال المسلح فقط قانوناً ثابتاً للتحرر، غير قابل للتغيير، وهذا هو حجر الثورة المسلحة - المؤلف -.

ان نهج الانتفاضة المستمرة، هو الظاهرة الثورية الجديدة للعصر، وان ظاهرة ثورية كهذه الظاهرة التي بنيت على الارضية الاجتماعية وزمن التناقضات الجديدة للعصر، والتي أصبحت أمل العمال والشعوب، لا يمكن، بهذه السرعة، القضاء عليها، وستستمر الى حين انتهاء كل أسباب قيامها. فهذا شعب فلسطين البطل الذي انتفض منذ أكثر من سنتين، والذي يقل عدد نفوسه عن الشعوب الايرانية، وعلى مساحة ضيقة من الأرض، ضد نظام قوي مدعوم دعما بلا حدود، مستمر في انتفاضته التي دامت أكثر من الانتفاضة الايرانية.

٥/٧- الانتفاضة الفلسطينية المستمرة

بعد احتلال فلسطين، وطرد الفلسطينيين من أرض آبائهم وأجدادهم، لجأ الفلسطينيون الى السلاح مرات عديدة، وفجروا حركات مسلحة، ومع أنهم هزموا، في الماضي، وشردوا، إلا أنهم تمكنوا، بعد عام (١٩٦٥م)، وبمساعدة الدول العربية، من السير بالثورة الفلسطينية على نهج جديد، وادامة ثورتهم المسلحة الى ما قبل سنتين، اضافة الى سعيهم المستمر من أجل تنمية الروح التحررية داخل الأمة العربية. ففي سنوات اشتداد الثورة، اندلعت حربان كبيرتان ما بين (١٩١٧) الى (١٩٧٢) بين الدول العربية واسرائيل، وقدمت فيها تضحيات، قل نظيرها، ومع ذلك لم تستطع الثورة الفلسطينية الطويلة الأمد، الى الآن، وبعد (٢٥) عاما من النضال المسلح تحرير، لا كل الأرض الفلسطينية المحتلة، بل حتى شبر واحد منها، والأكثر من ذلك، هو أنهم كدسوا في محمين داخل الأراضي اللبنانية، ولا يستطيعون القيام بالنشاطات الفدائية في أي منهما، وما ينجز من عمل في هذا المجال يدخل في خانة الاعمال الانتحارية!

لقد وصلت حرب الأنصار والثورة الفلسطينية الطويلة الأمد الى طريق مسدود، من الناحية العسكرية، ولا تستطيع هذه الثورة بقدراتها الذاتية، وبتخطيط قيادتها تحقيق استراتيجية الثورة، عن طريق النشاطات العسكرية. فالثورة مرتبطة، بشكل أكثر بتناقضات المنطقة، وتعتمد على الامكانيات الدبلوماسية والسياسية والمالية للدول العربية، كما فقدت استقلاليتها العسكرية، وأصبحت تابعة للأحداث، من الناحية العسكرية، ولا تستطيع الصمود والبقاء داخل الأرض الفلسطينية، وتعرض، في لبنان،

لضغط أشرس ثورة مضادة، ويضيق عليها الخناق يوماً بعد يوم، ولا يسمح لها القيام بالعمليات العسكرية من داخل أراضي الدول العربية المجاورة لفلسطين. ان أية ثورة تصل الى هكذا طريق مسدود، وتصبح تابعا للأحداث، من الصعب عليها أن تتمكن من تحقيق أهداف شعبها. فوصول الثورة الفلسطينية الطويلة الأمد الى هذا الطريق المسدود لم يكن خافيا عن القيادة الفلسطينية، لأنهم كانوا يعرفون أكثر من غيرهم، قوتهم ومقدرتهم وإمكانياتهم وحدود نشاطاتهم، وتأثيرهم مقابل إسرائيل، لذلك، فهم، منذ فترة طويلة، منشغلون بكل إمكانياتهم بحث الجماهير الفلسطينية، الى جانب وجود الثورة، على: الاضراب والتظاهر، والتعبير عن مختلف أنواع السخط وعدم الرضا والاحتجاج، وقد مورست مثل هذه الفعاليات النضالية، منذ زمن بعيد، في الأراضي الفلسطينية المختلفة، في: القدس، نابلس، غزة، الخليل، حيفا، يافا، وفي المخيمات المسيجة بالأسلاك الشائكة، وقد ألحقت هذه الفعاليات النضالية خسائر مؤثرة بإسرائيل، وكانوا هم ايضا يقدمون الشهداء والجرحى من جراء تلك الأعمال، ويلقى القبض على المئات منهم، ويعرضون الى التعذيب، لكنهم كانوا يصونون الأسرار، ويحافظون على المبادئ الوطنية والروح الثورية العالية الصامدة أمام وحشية العنصرية الاسرائيلية، الى درجة أدت الى رفع مستوى معنويات الناس. بمرور الوقت، كما حافظ صمود الثورة الفلسطينية أمام كل خطط الثورة المضادة المتنوعة للدول العربية والأطراف الرجعية الأخرى، على معنويات الشعب الفلسطيني، وجعل حقدهم وسخطهم على إسرائيل أكثر شدة وعمقا. إن كل هذه الأمور جعلت مسألة الانتفاضة المستمرة في نظر الناس وقيادة الثورة أكثر قبولا، وظهر لهم أنه من المحال أن تنجح الثورة الفلسطينية، ويتحرر الشعب بدون الانتفاضة المستمرة. فها هم منتفضون منذ سنتين داخل الأرض الفلسطينية، فيما تبذل إسرائيل ما باستطاعتها من أجل اخماد انتفاضتهم، دون جدوى، حتى أوصلت الانتفاضة المستمرة الحركة التحريرية الفلسطينية الى مستوى عالمي وسياسي وعسكري عال، وصل الى حد تشكيل حكومة مؤقتة، اعترفت بها الأمم المتحدة، والى فتح سفارات في معظم الدول المهمة في العالم، حيث يعامل زعيم الثورة الفلسطينية كرئيس دولة. لقد أعادت الانتفاضة الهيبة والاحترام الى الثورة والشعب والأرض والأمة العربية، وأحييت معنويات الثوريين، وفضحت سياسة المساومات والتنازلات، لأنها اندلعت ضد المحتل، ومن أجل تحرير شعب ووطن محتل،

لذلك علينا أن نعرف أسسها وقواعدها ومبادئها، ويجب أن نتخذها قدوة لنا، وندرب أنفسنا وشعبنا عليها.

لقد اندلعت الانتفاضة الإيرانية والفلسطينية، بشكل عام، على أسس الانتفاضة المستمرة، وصاغتا، في هذه الظروف التي وصلت فيها الثورة الطويلة الأمد إلى طريق مسود- النهج الجديد للتحرر ودحر الأنظمة الدكتاتورية، وأصبحتا من الآن فصاعدا البديل الثوري، للعمال والشعوب المضطهدة، وفي مقدمتها الشعوب المغلوبة على أمرها.

يتوقع أن يصل هذا النوع من الانتفاضة إلى الدول الرأسمالية الكبيرة أيضا، وهذا مرتبط بمدى قدرة الشعوب الخاضعة على تحرير اقتصادهم من السيطرة الإمبريالية، عن طريق الانتفاضة المستمرة، وهذا- بلا شك- له علاقة بالنوعية الطبقية لقيادة الانتفاضة، لكن الثورة الفلسطينية، بالرغم من القانون العام للانتفاضة المستمرة، لها خصائص ذاتية نابعة من أعماق الشعب والأرض الفلسطينية، ومن الجائز أن تستوعب هذه الخصائص والمميزات الآتية معظم جوانب الانتفاضة الفلسطينية المستمرة:-

- ١- اندلعت الانتفاضة الفلسطينية بعد (٢٣) عاما من قيام الثورة المسلحة، أي بعد وصول الثورة إلى طريق مسدود.
- ٢- الانتفاضة الفلسطينية هي من صنع شعب صغير، وداخل مساحة صغيرة من الأرض (عكس إيران)، فجرها الشعب الفلسطيني ضد نظام مسنود من شعب أكبر عددا وأكثر قوة وبطشا، ولم يستطع، إلى الآن، أي نوع من أنواع الرد العسكري والاقتصادي والسياسي المدعوم من أمريكا- القضاء عليها.
- ٣- بالرغم من استمرار الثورة الفلسطينية المسلحة، إلا أن الانتفاضة داخل الأرض الفلسطينية لم تخلط، بالنضال المسلح.
- ٤- استمرار التعاون بين قيادتي الداخل والخارج للشعب الفلسطيني، يتم على أفضل وجه، حتى أن قيادة الداخل تنفذ ما تقرره قيادة الخارج.
- ٥- تتلقى الانتفاضة مساندة واسعة، حتى من الدول الرأسمالية، ولم يكن هذا موجودا في الانتفاضة الإيرانية.
- ٦- لا تعاني الانتفاضة والمنتفضون من أية مشاكل مالية.
- ٧- القيادة العليا للانتفاضة ليست تحت سيطرة العدو، وهي حرة في اصدار القرارات والتحركات، ولم تكن كذلك في إيران.

- ٨- النضال الوطني والشعور القومي، هما اللذان يشجعان معظم جماهير الانتفاضة.
- ٩- لم يلجأ المنتفضون الى استعمال الاسلحة وبناء المتاريس وحرب الشوارع الى الآن،^(١) لكن رمي الحجارة وحرق السيارات والمخازن والغابات والمزارع العائدة للعدو، وحتى استعمال السكاكين وقتل الجنود والشخصيات الصهيونية والعملاء المأجورين تمارس أثناء الانتفاضة.

ومن هذه الحقائق، نستطيع استنتاج ما يلي:

- أ- لا يجوز، سواء بوجود أم من غير وجود الثورة المسلحة، خلط الانتفاضة المستمرة بالنضال المسلح، ودفعها الى اقامة المتاريس والربايا، في الشوارع والمحلات والبيوت، والدخول في حرب شوارع مع العدو حتى وان كان السلاح ضروريا ايضا، للمحافظة على احد الاركان الضرورية للانتفاضة او لقتل عميل، او لانجاز مهمة ثورية اخرى، وبهذا الشكل لا يجوز أن يسيطر استعمال البندقية على جوهر الانتفاضة.^(٢)
- ب- احتباس الغضب والحقد الجماهيري المقدس يصل احيانا الى درجة، تدفع الجماهير الى الاصرار على ادامة الانتفاضة المستمرة حتى النصر.
- ج- وجوب بقاء قيادة الانتفاضة المجربة المقتدرة المعروفة في مكان بعيد عن متناول يد العدو.
- د- وجود اساس ايدولوجي راسخ وقوي، وغير قابل للفشل، يكون حافزا مستمرا للانتفاضة، ودافعا آمينا للمنتفضين.
- هـ- ايصال القرارات السياسية وبيانات قيادة انتفاضة الحجارة الى آخر شخص في الانتفاضة، عن طريق الاذاعة او اللاسلكي او المنشورات.
- و- تأمين المساندة الاعلامية الفعالة للانتفاضة، من قبل وكالات الانباء والرأي العام العالمي.
- ز- عدم فسح المجال للمتطرف بكلا جناحيه اليميني واليساري، لأن الجناح اليميني المتطرف يخلق التردد واليأس في النفوس، واليساري المتطرف ينشر روح الفوضى بين صفوف الجماهير.

أي : اليحين صدور الطبعة الكردية من الكتاب - المترجم - .
مع الاسف، سيطر السلاح على الانتفاضة التي اندلعت في العراق وكوردستان عام ١٩٩١ - المؤلف - .

ح- جمع كل اطراف المعارضة : الاحزاب، المنظمات المهنية، الجماعات الثقافية، الصحف والمجلات، المذاهب والطرائق والشخصيات المعروفة-حول الانتفاضة المستمرة وفق برنامج سياسي ثوري وقيادتهم نحو تحقيق الهدف المنشود.

إن للانتفاضة وضعا نفسيا خاصا، لذلك ينبغي المحافظة على هذا الوضع النفسي للجماهير المنتفضة والسائرة، بصورة مستمرة على طريق الانتفاضة، وتطوير هذه العملية وتوسيعها، فعندما تتحول الانتفاضة الى التقاتل بالبنديقية، فبدون شك، يتغير الوضع النفسي للجماهير ايضا، ويتطبع بطابع نفسي مغاير.

ان الحكام الدكتاتوريين ينوون، بكل ما أوتوا من امكانية، جر الانتفاضة والمنتفضين الى ميدان حرب البنادق، لأنه في هكذا حرب، مهما يكن لدى المنتفضين من سلاح وعتاد ومقاتلين، وربايا ومتاريس محصنة ومحكمة ومخربين، وحتى لو كانوا داخل مدن كبيرة وفي طرقات ضيقة، وعلى أسطح المنازل والبنائيات المرتفعة، فان الطائرات والدبابات والمدرعات والمدافع والغازات السامة... الخ، والتي يمتلكها العدو، هي اقوى مما لدى الجماهير المنتفضة من امكانيات وسلاح، وفي النهاية، تكون الغلبة للعدو، ومن المحتمل ان لا يكون أي تأثير لمواصلة الثوريين السير في طريق حرب البنادق على معنويات المؤسسات القمعية، لأن جيوش الدكتاتوريين والفاشيين لديها وحدات خاصة مدربة ضد الاضراب والتظاهر والانتفاضة^(١) وقد ربوهم تربية ايدولوجية، وزرعوا في داخلهم عقدا نفسية، وشراسة سلوكية، وغسلوا ادمغتهم وعقولهم، لذلك أصبح قتل الناس، عند الفاشيين العنصريين كسرب الخمرة وتناول المسكرات.

ان تجربة ايران و فلسطين، وتلك الدول التي هي تحت ضغط الجماهير، والتي هرب حكامها الدكتاتوريون في غضون السنوات الاخيرة، تبين أن المؤسسات الفاشية القمعية، ليس بمقدورها استعمال كل الامكانيات المتاحة لها، لأن جيش الشاه تمكن طيلة (٤٠) عاما، من قمع العديد من الحركات المسلحة في ايران واذربايجان وكوردستان، وحتى في ظفار وبلوجستان وباكستان ايضا، لكنه لم يستطع احماد انتفاضة شعوب ايران المستمرة. هذه الحقيقة نفسها تكررت داخل الثورة الفلسطينية، بشكل اوضح، اثناء اشتداد غليان الانتفاضة. فالفلسطينيون تمكنوا، في هذه الثورة التي سبقتها ثورات

حرب المتاريس داخل مدينة (سنه)، والتي قام بها منظمة (كومله) في كوردستان ايران، هي خير دليل على ذلك - المؤلف - .

اخرى، من تشغيل كل طاقات شعبهم، وطاقات الوطنيين العرب، في ساحات النضال، ولهم تجربة عسكرية عميقة وامكانية عسكرية كبيرة، إلا انهم لم ينجحوا مقابل اسرائيل، وأفضل دليل على ذلك هو هذه المعركة الكبيرة التي تظهر الامكانية العسكرية للفلسطينيين، وتشهد على عدم فائدة وجدوى نضالهم العسكري.

في بداية شهر تموز من عام (١٩٨١م)، اندلع القتال بشدة بين الفلسطينيين بمساندة سوريا و... الاسرائيليين، وبعد قصف متبادل بين الطرفين، دام لأيام، وفي (٢٠) من الشهر نفسه قام الفلسطينيون انتقاما، لقصف الطائرات الاسرائيلية المستمر، بقصف (٣٣) مستوطنة قسرية داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة، حيث تم قصفها بالمدافع والكاتوشا (٨٨) مرة، بصورة متلاحقة، ووصل عدد الصواريخ والقنابل التي اسقطت عليها (١٣٣٠) صاروخا وقنبلة، إلا أن النتيجة كانت قتل شخصين اثنين وجرح (٥٩) شخصا، بينما تمكنت اسرائيل، عن طريق الطائرات الحربية فقط، من قصف قواعد ومراكز ومقرات الثورة الفلسطينية المهمة، في العاصمة اللبنانية (بيروت) والجسر القائم على نهر الليطاني، ومناطق الزهراني والقاسمية، وكانت نتيجة الهجمات: استشهاد (١٠٠) فدائي، وجرح (١٢٠) فدائيا واستشهاد (٢٠٠) مواطن، واصابة (٨٠٠) مواطن آخر. حقا انه لفرق كبير! والجدير ذكره هنا أن الثورة الفلسطينية كانت تملك، في ذلك الوقت (٣٠٠) مدفع كبير، و(٢٠٠) راجمة صواريخ بعيدة المدى، ومع هذا، فعلت اسرائيل ما فعلت بها، لأن الأنظمة القوية تكون هي الغالبة والمنتصرة في ساحات المعارك التي تستعمل فيها الاسلحة الثقيلة والاسلحة المضادة، لكن في معارك الشعوب ضد الانظمة... تكون الشعوب هي المنتصرة.

نفس الدولة صاحبة الآلاف من الطائرات، والدبابات والمدافع والاسلحة الفتاكة المختلفة، وصاحبة جيش الثورة المضادة الاكثر تدريبا، وصاحبة أمجاد الانتصارات العسكرية الكبيرة، في الحروب الكبيرة ضد الفدائيين الفلسطينيين، هذه الدولة وبهذه الامكانيات والقدرات، وقف جيشها حائرا مذهولا أمام الكف الناعم والنفس النقية والقلب الرقيق، لكن المليء بالغضب المقدس، لاطفال فلسطين والحجارة المتواضعة، وانحنت قامتها وشلت سواعد جنودها التي طالما سحقت الفلسطينيين بلا رحمة وشفقة. فالجيش هونفس المنتصر، وهو صاحب السلاح والمدافع والدبابات المتطورة نفسها ايضا، الا أن ظروف الانتفاضة، والعوامل الوطنية والسياسية والنفسية والاجتماعية، تختلف بشكل كبير في الوقت الحالي عما سبقه من

عصور، حيث تسود الافكار الانسانية والديمقراطية والحرية، فحتى لو كانت المناداة بهذه الافكار ادعاء فقط، وليست حقيقية، فلا تستطيع حتى الانظمة الدكتاتورية معاداتها مباشرة، لذلك أي خرق لهذه الاكاذيب! التي اصبحت واقعا في نظر الآخرين، يكلفهم غالبا.

٧ / ٦ / استمرارية الانتفاضة المستمرة

ان الانتفاضات السابقة ضد الأنظمة الرأسمالية القليلة التجربة تمكنت من هز هذه الأنظمة من الأساس، رغم افتقاد العمال والكادحين الى قيادة طليعية، وأوصلت هذه الأنظمة الى حافة الهاوية والسقوط، لكن هذه الانتفاضات، باستثناء ثورة اكتوبر، قمعت، وفشلت، بالرغم من التجربة القليلة للرأسمالية وضعف قوتها.

ففي هذه الظروف ايضا، حيث انتشر الرأسماليون انتشارا واسعا، وعملوا على تقوية الدول الخاضعة لهم، واخترعوا أحدث الأدوات والآلات وأشكال احماد الاضراب والانتفاضة، من الناحية السياسية والعملية... فاذا كانت الانتفاضة بمضمونها القديم السابق، قد فشلت، وقمعت بالقوة، فبلا شك، لو أعيد تكرارها بالروحية السابقة ذاتها، فانها ستخمد حتما، حتى لو كانت أقوى من السابق، خاصة بعد زوال المعسكر الاشتراكي البرجوازي، الذي أتاح فرصة جديدة للامبريالية والأنظمة العميلة في الدول الخاضعة لها، حيث لا تدع، هكذا، وبكل سهولة، مجالاً لنهج جديد مغير لمسار التاريخ، لكي يصيح، بهذه السرعة، نهجا بديلا للكادحين، ووسيلة للقضاء على الاستغلال والمستغلين، لذلك، عندما يصل ضغط نضال الجماهير الى حد اسقاط الأنظمة الظالمة، فانها لا تتوانى عن ارتكاب أية جريمة لقمع الجماهير المنتفضة، ومن أجل هذا، يجب أن تكون خطة الانتفاضة، ومن كل النواحي، على مستوى مستلزمات النجاح.

هذا الرأي ليس كلاما عن حدث لم يقع بعد، بل هو تعمق، بشكل أفضل، في حدث جديد، وهو الانتفاضة المستمرة الى يوم النصر، التي عندما نقول عنها: الانتفاضة المستمرة، نقصد تهيئة كل المستلزمات الاجتماعية والسياسية والنفسية الضرورية للانتفاضة، في الفرصة الثورية المتاحة، ثم البدء بها، واذا لم يتم اعداد وتحضير هذه المستلزمات الضرورية

من كل النواحي، والتأكد من ضمان نجاحها الى حد ما، فان نهوض وانتفاضة الشعب ضد الأنظمة الشرسة، كالعراق، هي مغامرة ومجازفة خطيرة.

ففي هذا العالم المتبدل، لا يجوز بقاء الثورة كما هي، ومن غير تغيير، فعدم الاقرار بالتغيير، والتأكيد على مفهوم الثورة غير القابلة للتغيير، هو تحجر وجمود، ولنسمه جموداً طويلاً الأمد. ان هذا الجمود الطويل الأمد له أضرار خطيرة خاصة داخل الحركة التحريرية للشعوب، في هذا العصر، لان هذا الجمود يمتزج بفكر و رأي اليسار، وبتشجيع المواقف التحريرية القومية والطبقية للشعب.

هذا الجمود الطويل الأمد، لم يحصل على أي نجاح، في ميدان العمل، بعد مرور سنوات عديدة، ولم يحقق أي تطور كبير أو يسمح بالتفكير في بديل ثوري، وبهذا انزع هذا الجمود الطويل الأمد عن وجهه قناع اليسار واليسارية شيئاً فشيئاً، ووجد نفسه في قالب الشراسة والوحشية، والظلم والاستكبار، والسرقه والكذب، والتخطيط والتآمر، وفقدان الرأفة، وقتل الأسرى وتعذيب الناس، ويرجع سبب ذلك الى أنه، عندما تشعر البرجوازية الصغيرة التي تقود الهجمة الأخيرة للثورة المسلحة، في هذه الظروف، أنها ستخسر، عندها تلجأ الى ارتكاب نوع من الأعمال الوحشية، يمكن وضعها في خانة الأعمال الفاشية، وكلما تقدم الزمن، يبتعد حاملو لواء نهج الجمود الطويل الأمد من الجماهير الكادحة أكثر فأكثر، وهذا الابتعاد الناتج عن الأعمال والتصرفات السيئة، بالنسبة لأية جهة طبقية أو وطنية، يجبر الحركة المسلحة على سلوك الاتجاه المعاكس لطريق النجاح والانتصار، ولن تستطيع تغيير نفسها، وانتهاج الاستراتيجية الثورية الجديدة (الانتفاضة المستمرة). فلا يستطيع كل ثوري مسلح دفع شعبه الى الانتفاضة، كما فعلت الثورة الفلسطينية المسلحة التي دفعت بشعب فلسطين الى القيام بالانتفاضة بعد (٣٣) عاماً من اندلاع الثورة المسلحة.

قد يكون لما حصل لشعب فلسطين نتيجة لفشل الثورة الطويلة الأمد والحروب الكبيرة بين الدول العربية واسرائيل، ولما تعرضوا له من ظلم، كذلك للجرائم التي ارتكبت بحقهم في الاردن ولبنان، وفي المجتمعات والبلدان العربية الاخرى، حيث أذاقوهم طعم مرارة العروبة! اضافة الى الاضطهاد الذي يمارس بحقهم داخل فلسطين نفسها- أن يكون لكل ذلك أثر

فعال وحاسم في تحويل الغضب الوطني والشعبي والسياسي والنفسي الكبير لشعب صغير الى ارادة قوية صلبة راسخة كبيرة، تقف أمام عدو قوي ومقتدر.

لقد أظهرت الانتفاضة المستمرة، بوضوح، وبمنتهى الشفافية، أن السلاح الثقيل والقوة الكبيرة لا تحرر الشعوب ولا توصل إلى الهدف المنشود إن اتبع في استعماله نهجا خاطئا لكن اذا أتبع نهجا صحيحا، فان الشعب يستطيع دحر العدو المقتدر عن طريق الهجوم عليه بالحجارة.

الانتفاضة المستمرة، في العالم، ستظل مستمرة ضد الأنظمة التي تضطهد الشعوب، وليس باستطاعة الإمبرياليه وعملائها قلع هذه الظاهرة من الجذور، بكل سهولة، والخطر الوحيد على هذه الظاهرة الجديدة هو خيانة البرجوازية. فهؤلاء في التاريخ، مثلما عملوا على ضياع العديد من الفرص التي كانت لصالح العمال والشعوب، سيستطيعون هكذا ايضا اجهاض ظاهرة الانتفاضة المستمرة، ومن أجل هذه الحقيقة، فان النضال لتهيئة ظروف مناسبة لتطبيق استراتيجيات الانتفاضة المستمرة داخل الشعوب ذات الميول القومية واليمينية، له تاريخ طويل وتأثير كبير.

الانتفاضة المستمرة...

هي النهج الوحيد لتحرير الشعوب المضطهدة في عصر الإمبريالية، وعصر اندحار تجارب الاشتراكية، وسيطرة الرجعية والدكتاتورية البرجوازية. ففي مرحلة وصول الثورة الطويلة الأمد الى طريق مسدود، وعدم جدوى حرب الأنصار، ان تم تطوير هذا النهج الجديد، واتخذ نهجا لحركة العمال والشعوب - فبلا شك - سيتغير مسار الحياة، ويتغير المجتمع وترتقي التطورات الاجتماعية الى المستوى المدني والانساني الحقيقي العالي، مدنية التحرر والحرية والديمقراطية والاشتراكية.

فبدون الانتفاضة المستمرة تستطيع الإمبريالية عن طريق عملائها قمع الاشكال النضالية الاخرى، اذا اتخذ أي منها نهجا نضاليا رئيسيا. فالي اليوم الذي تظل فيه الشعوب المضطهدة الخاضعة راضية بوضعها الذي هي فيه، ولا تعمل على تحرير نفسها، من الناحية الاقتصادية والسياسية، فلا ينتظر حتى في المستقبل البعيد، تعميق وانفجار أزمات الإمبريالية، والى أن يمين وقت انفجار أزماتها، لا يمكن أن نتوقع احياء نضال العمال وطلوع شمس الثورة الاشتراكية.

الفصل الثامن

٨- الإعداد لثورة كوردستان

طوال التاريخ القديم والحديث لشعبنا كانت الثورة المسلحة المندلعة من الجبال هي سمة النهج المتبع لتحرير الكورد وكوردستان منذ احتلال الأنظمة العثمانية، والصفوية، والملكية، والجمهورية - لكوردستان. ففي كل مراحل النضال التحرري القومي الكوردي: قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها الى الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب العالمية الثانية الى ثورة أيلول (١٩٦١)، ومن ثورة أيلول الى ما بعد الانهيار (١٩٧٥ م) والقيام من جديد بالثورة الطويلة الأمد (١٩٧٦ م)، اندلعت الثورة المسلحة لمرات عديدة، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها في كل مرة، ثم اندلعت واندحرت، وهكذا، بدون اخذ الدروس والعبر الضرورية منها، أو بدون التفكير في تغيير النهج النضالي المسلح. لقد جرى هذا في وقت، كانت نتيجة كل نضال مسلح هي الحاق المزيد من الأضرار البشرية والمالية والسياسية والعسكرية الكبيرة والجسيمة بالشعب الكوردي، ومع كل هذا، لو حصل بين حين وآخر، وتحدث المتنورون الكورد وسياسيو كوردستان عن شكل آخر من النضال، فان حديثهم ذاك لم يكن يلق اذانا صاغية، ليس هذا فقط بل كان أي نوع من الخلاف السياسي والأيدلوجي بين المثقفين والمتنورين الكورد، وبين العقلية العشائرية، السائدة آنذاك كان يجابه برد عنيف، وكان لهذا، بلا شك، أسباب تاريخية واقتصادية واجتماعية، مهدت لسيطرة تلك العقلية العشائرية، وهي ليست مسألة مرتبطة بالعقلية الكوردية، كشعب له خصال عشائرية متأصلة.

لقد اتخذ النضال التحرري الكوردي سمة المقاومة المسلحة وطابعها، بعد الحرب العالمية الأولى، بشكل رئيسي، لان العلاقات الرأسالية التي نتجت

عن الثورة البرجوازية، او النمو الاجتماعي الطبيعي في كوردستان، لم تكن مسيطرة، بل كانت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية (الاقتصادية-التجارية) داخل اطار العقلية السياسية (العشائرية-الدينية) هي التي سادت كل نواحي الحياة في المجتمع الكوردي. فهذه العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والعقلية السياسية ايضا، وبحكم حصولها على سلطات مستقلة، داخل امارات كوردستان، تحت ظل حكم وقانون السلاطين - دفعت أصحاب النفوذ والسلطة في كوردستان الى أن يحكموا، ويتصرفوا دائما بنفس العقلية والسلوك العشائري، كما كانت المقاومة المسلحة هي السبيل الوحيد للتصدي ودحر هجمات الأعداء على الامارات الكوردية، وهي السلاح الوحيد في الأوقات العصيبة، لأن شكلا آخر من النضال كان لا يمكن ظهوره داخل تلك العلاقات والعقلية، وحتى لو ظهر، فانه لم يكن يؤثر في اسطنبول وطهران، وكانت المقاومة المسلحة حربا جهوية واسعة ضد السلاطين الصفويين والعثمانيين، وقليل ما، بل وبدون قصد، كان القادة العسكريون المشهورون يلجأون الى حرب الأنصار (هجوم وفرار-كر وفر) في ذلك الوقت بالذات، حيث لم تكن أية معلومات عن حرب الأنصار معروفة بعد، وكانت النتائج العسكرية لحرب الأنصار أكبر وأجدي من الحرب الجبهوية، وبخسائر أقل أيضا، وأحسن تجربة ناجحة جمعت بين نهجي (الحرب الجبهوية، وحرب الأنصار)، هي التصدي المسلح الذي قام به عبد الرحمن باشا ابن محمود باشا بابان التي استمرت من سنة (١٧٨٩م) الى (١٨١٣م). فعلى الرغم من المؤامرات المختلفة التي حاكها والي بغداد ضده، وارتداد اخوته وأقربائه ووقوفهم ضده، وعداء العثمانيين والصفويين له، الا انه لم يخسر المجابهة، طوال تلك الفترة.

بعد هذه المجابهة، اتخذ بعض من أغوات وزعماء مناطق موكري، ودرسيم، وهكاري، نفس نهج مزج حرب الأنصار بالحرب الجبهوية. وكانوا اكثر نجاحا من معاركهم الجبهوية الصرفة. وكان الأمر بالنسبة للشيخ محمود هكذا ايضا، فهو كان افضل حالا واقل خسارة واكثر صمودا، عندما كان يلجأ الى الجبال، ويبعد قواته عن المواجهة الجبهوية كالتي حصلت في دربندبازيان، لكن اية تجربة من تلك التجارب لم تغير النهج المسلح المسيطر،

ولم تدخل ايضا براعة تكتيك الكفاح المسلح ضمن استراتيجية النضال المسلح الى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية.

بعد فشل الانتفاضة المسلحة التي اندلعت بعد الحرب العالمية الاولى، في جميع أجزاء كوردستان، وفرض ونشر الرأسمالية والعلاقات الرأسمالية في كوردستان وربط أسواق كوردستان عنوة، بأسواق الدول المحتلة لها، لاسيما في الثلاثينات من هذا القرن، أي (القرن العشرين) نالت المدن والأسواق التجارية فيها أهمية اكثر، ووجدت الحركة السياسية والثقافية والتنويرية طريقها الى صفوف الناس، لكن النمو الاجتماعي والسياسي والثقافي قد شوه وحرّف عن مساره، لان العلاقات الرأسمالية لم تنشأ بصورة طبيعية، وانما نقلت عن طريق الأجنبي، وفق مصالح الأجنبي المحتل، الى كوردستان، وقد اثر كل ذلك تأثيرا فعالا في تيار التطورات ومسار الأحداث، وقبل كل شيء منع حدوث الثورة البرجوازية في كوردستان ضد الاقطاع، وبهذا، اضافة الى عدم تكوين البرجوازية الوطنية الصناعية، التي تكونت في البلدان المتقدمة أو شبه المتقدمة بقي الاقطاع ايضا، وبقائه، وبحكم مكانته الاقتصادية وسيطرته الاجتماعية ونفوذه الديني دخل، بشكل مباشر، الى أسواق المدن، بل ان الذي تهيأ لاقطاعيين كوردستان، كان هو الذي يريده الاقطاع في البلدان الأخرى. فمن جانب ساندتهم الإمبرياليه بخطتها القديمة، ومن جانب آخر لم تكن البرجوازية الصناعية قد اكتملت بعد، لكي تقوم بالثورة ضدها، بمعنى آخر: ان المساندة الإمبرياليه، وعدم ولادة البرجوازية والحركة الثورية البرجوازية عرقلتا فلاحين كوردستان من القيام بالانتفاضة الطبقيّة، وقيادتها الى النجاح والانتصار، فان حدث، وانتفض الفلاحون، بشكل متفرق، في هورين وشيخان ومناطق دزبي وموكرين... الخ، في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن (القرن العشرين)، نتيجة للظلم والجور الذي تعرضوا له، فانهم اغرقوا في دمائهم، بكل سهولة، لأنهم كانوا يفتقدون أرضية صالحة للنجاح، اضافة الى كثرة اعدائهم.

على هذه الأرضية الاقتصادية والاجتماعية، تم نقل العقلية العشائرية الى المدن، وتم خلطها بالفكر السياسي والتنويري والثقافي للقوى السياسية ايضا، بل كانت هي المسيطرة ضمن النضال التحرري، بشكل واضح. هذا في

الوقت الذي لم تتشابه الحالة في أوروبا، حيث انتصرت الثورة البرجوازية، وتمكنت من قلع جذور الاقطاع، من الناحية الاقتصادية والسياسية، وبعد سقوط الاقطاع والاقطاعية، لم يبق سبيل أمام الأرسقراطيين البريطانيين والسويديين والهولنديين، وكل الدول التي بقيت فيها على شكل رموز، إلا الاستسلام للثورة البرجوازية، وباستسلام الأرسقراطيين هذا بقي لهم قسم من أملاكهم، ولهذا، كانت الثورة البرجوازية مسيطرة في أوروبا، بالرغم من بقاء الشريحة الأرسقراطية. فهذه الشريحة عزلت وأبعدت تماما، بعد محاولات المضادة، في بداية انتصار الثورة البرجوازية، وأصبحت منذ أمد بعيد، جزءا من التراث القديم.

إن المثال الوحيد الذي يدل على بداية نقل مركز النضال الى المدينة، في كوردستان العراق، هو انتفاضة (اليوم الأسود) في اليوم السادس من شهر أيلول عام (١٩٣٠م). ويبدو ان هذا كان بداية طبيعية ضمن اطار العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي سيطرت عليها العقلية العشائرية ولم تتمكن فيها ترسيخ المكانة السياسية الجديدة للحركة التحررية لشعبنا، ومع أهميتها إلا أن هذه الأهمية لم تكن الى درجة تستطيع اخراج حركة شعبنا من تحت سيطرة السياسة العشائرية بشكل تام، او في الاقل، تمنع اللجوء بعدها الى النضال المسلح تحت قيادة العقلية العشائرية.

ان الآلام الكبيرة لبقاء الاقطاعية وعدم قيام الثورة البرجوازية ليست في عدم القضاء على هذه الطبقة، بل هي في التشويه الاجتماعي وتشويه الأسس الاقتصادية، وفي وضع كوردستان في اطار ربطها بفلك الدولة المحتلة قسرا، وفي ارتباط العقلية العشائرية التي تم خلطها بالسوق والتجارة داخل المجتمع الكوردي، وعن طريق هذا حافظت على مكانتها القيادية داخل الحركة السياسية التحررية للشعب الكوردي، حين اندمجت بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بشكل اتخذت قاعدة الثورة البرجوازية ضد الاقطاع، في المجتمع الكوردي مجالا آخر، وهو مجال النضال التحرري ضد الأجنبي، وكان الظلم والجور الأجنبي قاسيا وشديدا الى الحد الذي جعل التناقضات في المجتمع الكوردي فاترا، لكن العداء للأجنبي ساخنا.

١/٨ - جمهورية مهاباد، والرجوع الى المدن

كانت جمهورية مهاباد (١٩٤٥ - ١٩٤٦ م) هي التجربة السياسية الجماهيرية الواسعة الوحيدة التي حصلت داخل مدن كوردستان، ووضعت في خدمتها النضال المسلح في الجبال. إن الجمهورية... بالرغم من أنها شكلت جيشاً من (البيشمركه)، أي من (الفدائيين) إلا أن نضاله الفدائي لم يتخذ كاستراتيجية ثابتة، كما حصل في النضال التحرري السابق لكوردستان. فالبيشمركه في الجمهورية كانت مهمتهم هي المحافظة على الجمهورية وعلى أمن كوردستان فقط، لأن الجمهورية لم تتأسس نتيجة للكفاح المسلح، وعندما تعرضت الجمهورية الى الهجوم لم يلجأ زعيمها الى الجبال لقيادة المقاومة المسلحة من هناك، رغم امتلاكه لجيش تميز بالمساندة والقوة، تفوق عشرات المرات قوة زعماء القبائل الذين انتفضوا قبل قيام الجمهورية.

أسباب انهيار جمهورية مهاباد:

هناك آراء مختلفة حول الأسباب الاقتصادية والسياسية، والأسباب العسكرية والاجتماعية، كذلك الأسباب الإيرانية والعالمية والدبلوماسية لسقوط جمهورية مهاباد، بل هناك انتقادات ومآخذ شديدة موجهة الى القاضي محمد، بسبب استسلامه للنظام الشاهنشاهي بعد ان اتفق الاتحاد السوفيتي، مع الدول الخليفة في مؤتمر (طهران) و(يالطا) على الانسحاب من ايران، و قلب ظهر المجن لجمهورية مهاباد، وتركها لوحدها في الميدان. إن هذه الانتقادات الموجهة الى الزعيم القاضي محمد ورفاقه، بسبب استسلامهم للمحتلين، كقادة للجمهورية، صحيحة، لكن هذا لا يعني أن مقاومته المسلحة بالجيش الذي كان لديه، أو تبديل الاستراتيجية العسكرية بحرب الانصار، كان سيضمن النصر للجمهورية في المستقبل. إن رأياً كهذا ناتج عن تأثير النضال المسلح السابق للكورد.

إن ثورة أيلول، في كوردستان العراق، وبعد (١٣) عاماً من الأحداث السياسية والعسكرية والعالمية والاقليمية المختلفة، وفي أرضية متغيرة متقدمة، وبقيادة البرزاني الذي كان مؤيداً للمقاومة المسلحة والدفاع المسلح

عن جمهورية مهاباد، هي افضل دليل على انه كان من الصعب ان تنتصر جمهورية مهاباد بالمقاومة المسلحة. فعندما تم تأسيس جمهورية مهاباد، كانت الحرب العالمية الثانية في أيامها الأخيرة، وقد وقعت اتفاقيات دولية حول الشرق الاوسط، وخاصة حول (ايران)، بين القوى العظمى، وكان من المقرر الانسحاب من المناطق الايرانية كافة.

وقع الاتحاد السوفيتي الذي كان مساندا للجمهورية، بل الذي تأسست الجمهورية، الى جانب جمهورية أذربايجان، بتشجيعه ودعمه، بسبب اصطدام مصالح القوى في المنطقة - وقع جملة من الاتفاقيات مع الدول الكبرى بعد الحرب، وأمن بذلك مصالحه، في أوروبا الشرقية، لذلك عندما جاء موعد تنفيذ اتفاقية الانسحاب من ايران ايضا، بقيت فقط مسألة اطمئنان الاتحاد السوفيتي على حدوده الجنوبية مع ايران، والحصول على مكسب هناك ايضا. فباستثناء هذه الحقيقة، لم يكن للقضية الكوردية قضية شعب محتل ومجزأ، أي ملف سياسي لدى الاتحاد السوفيتي.

اذا كانت هذه الجمهورية، قد تأسست بدون الثورة البرجوازية، وفي ظل صراعات الحرب العالمية الثانية، ونتيجة لزوال سيطرة النظام الشاهنشاهي، فهذا يظهر بجلاء ان تحولا سياسيا - اجتماعيا كبيرا قد حصل على العلاقات الاقطاعية التي كانت مهيمنة في كوردستان، لكن هذا التحول لم ينشأ داخليا، وفي اطار ثوري، بل نشأ ضد عدو أجنبي هو (نظام ايران) ومساندة صديق أجنبي هو (الاتحاد السوفيتي) الذي كان في الحقيقة (عدو العدو). وفي حاله كهذه، تختلط العلاقات العشائرية مع الجمهورية مرة اخرى، وتصبح قسما مهما من تكوين الجيش، ومن مركز القرار السياسي للجمهورية، وعندما تأسست الجمهورية لم تصدر أي قرار حاسم ضد العشائرية، بل أصدرت قرارات بتعيين عدد من الزعماء والاقطاعيين في أعلى مراتب الجمهورية، وحينما توقفت الحرب العالمية الثانية، وانسحب الاتحاد السوفيتي من الأراضي الايرانية، فمن الطبيعي ان يكون من نتائجه تعرض الجمهورية للهجوم مرة اخرى. ان ترك جمهورية مهاباد وحيدة في الساحة من جانب، وسقوط جمهورية اذربايجان من جانب آخر، أبقته بلا سند وبلا دعم الا من ذلك الجيش المؤلف من زعماء العشائر والاقطاعيين، من ذوي النفوذ والسطوة في المجتمع الكوردي، لذلك فبدون حصول أي

تغيير جذري في ايران، لا تستطيع ابداء قيادة الجمهورية، وهي على هذه الحالة، ان تصدر قرار المقاومة المسلحة، وحتى لو أصدرت هذا القرار، فانها حتما ستفشل وتندحر، لان القاضي محمد تأكد، بعد زيارته الى الاتحاد السوفيتي، من ان السياسة الدولية هي ضد بقاء الجمهورية داخل ايران، كما كان يعرف جيدا زعماء واقطاعيين المجتمع الكوردي، لذلك كان من الصعب الاعتماد عليهم، في مسألة مهمة وخطيرة، كالمقاومة المسلحة، وسرعان ما انكشف تردددهم وخيانتهم، لذلك كان عمر جمهورية مهباد، كتحول اجتماعي وسياسي من الجبل الى المدينة، قصيرا، ولم يستمر الى حين اكمال المشروع المطلوب والمستلزمات الضرورية لتلك التحولات، لكن، كمكسب كبير، فمكانها، بين الأحداث، مشرق وزاهر، رغم اسكات صوتها بسرعة.

٢/٨ - ثورة أيلول، والعودة الى الجبال

بعد قمع انتفاضة بارزان المسلحة، وسقوط جمهورية مهباد، شهدت جميع أجزاء كوردستان تراجعاً في النضال المسلح، ولم تندلع، بعد ذلك، انتفاضة مسلحة - سياسية تحريرية ديمقراطية خاصة بكوردستان، لكن النضال السياسي كان موجوداً على الدوام، ومزج هذا النضال السياسي بالحركة العامة للنضال في الدول المحتلة لكوردستان بحكم الأحداث، وتحت تأثير سياسة اليمينيين، بشكل أكثر من اللازم.

بعد ثورة تموز عام (١٩٥٨م)، تغير النظام في العراق من الملكية الى الجمهورية، وقد تم الحصول على مجموعة من المكاسب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية البرجوازية، لكن الثورة البرجوازية سرعان ما تراجعت عن مهماتها الديمقراطية، وبدأت تمارس، الى جانب عدائها للحرية في كل أنحاء العراق - أعمالاً عدائية ضد الحقوق القومية للشعب الكوردي ايضا، حتى أنها لم تعترف بالحكم الذاتي للشعب الكوردي، والذي يأتي في سلم الحقوق المشروعة للشعوب في المرتبة الرابعة، حيث: الاستقلال أولاً، فالكونفدرالية، والفيدرالية، ثم الحكم الذاتي، فهي ترى حتى هذا حقاً غير مشروع للشعب الكوردي.

لقد اشتد العداء للديمقراطية وحقوق الشعب الكوردي شيئاً فشيئاً، لكن، قبل وصول الامور، في جميع أنحاء العراق، الى طريق مسدود وانتعاش الوضع الثوري فيها، تم دفع الشعور القومي، ووجود مقدمات لروح المقاومة، وملاءمة الطبيعة الجغرافية في كوردستان - الى الكفاح المسلح دفعا، قبل حلول أوانه.

في تلك الفترة التي قربت فيها التناقضات من النضال المسلح في كوردستان، قبل نضجها بصورة طبيعية، كانت التناقضات السياسية على مستوى العراق تسير نحو الاصطدام سواء بين مسؤولي النظام انفسهم، ام بين القوى السياسية والنظام العراقي، ففي ظروف كهذه، حيث تتراجع الثورة البرجوازية عن واجباتها الديمقراطية، وتتوقف المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية، ويمارس العداء ضد الحقوق القومية لثاني شعب في العراق، من حيث العدد والأهمية، وهو الشعب الكوردي، فمن السهل، اذن، ان تعود بقايا الاقطاع من الذين أخفوا أنفسهم تحت ظل قانون الاصلاح الزراعي الناقص، والذين لم تقلع جذورهم التاريخية داخل المجتمع الكوردي، بل مزجت هذه الجذور بالنضال السياسي ايضا. فليس غريباً، في مثل هذه الحالة ان ترجع بقايا العشائرية الى داخل الحركة المسلحة الكوردية، وقد أثبتت الأحداث انه، لا الصاق تهمة الحركة الاقطاعية بثورة أيلول من قبل النظام العراقي، تمكنت من القضاء على مسيرة نضال كوردستان المسلح، ولا كل الصراعات الثانوية التي تفجرت في غير أوانها داخل الحركة، والى حد ما المصادمات المسلحة والانشقاق العسكري، تمكنت من تغيير جوهر الحركة.

فكلما اشتد عداء النظام للحركة الكوردية، زاد حب الحركة في نفوس الكورد، ولم تتمخض كل تلك الصراعات الطبقيّة اسماً، داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني وخارجه، ضد قيادة الحزب والبرزاني ايضا- عن أية مكاسب اقتصادية واجتماعية وسياسية، للعمال والكادحين، بل ألحقت بهم أضراراً بليغة، فعدا أضرارها البشرية والمالية، كانت لها أضرار سياسية، تمثلت في تضليل الكادحين.

كانت ثورة أيلول المسلحة عموماً عودة الى النهج المسلح نفسه الذي كان سائداً في تاريخ الشعب الكوردي القديم، لكن في زمن وأرضية اجتماعية

وسياسية عالمية جديدة، لاسيما بعد أن وجدت انتصار ثورة: فيتنام والصين وكوريا وكوبا.. صدى وانعكاسا شديدا داخل نضال الشعوب المضطهدة قاطبة، لذلك فان اختلاف العودة الى النضال المسلح القديم لكوردستان المتبع في ثورة أيلول، يظهر بجلاء في تطبيق حرب الأنصار والبرنامج السياسي للكفاح المسلح، ودبلوماسية الثورة، والمؤسسات السياسية ذات الصلة، وفي طريقة اجراء مفاوضاتها مع الطرف المقابل.

مما يلفت النظر، في هذه الثورة، هو انه رغم اختلاف تكتيك وشعارات ثورة أيلول التي تمكنت من الاستمرار (١٤) عاما في النضال المسلح، نجد الحزب الديمقراطي الكوردستاني ايضا يجعل النضال المسلح استراتيجيته الثانية، ويربط مصير سياسته ايضا بنتيجة هذا النضال المسلح. جرى هذا في الوقت الذي كان للحزب الديمقراطي الكوردستاني اتصال مستمر بالمدن الكوردستانية، وأجرى بين حين واخر، مفاوضات ومحادثات مع الأنظمة الحاكمة، وقد تغير العديد من الأنظمة الحاكمة، ووقع العديد من الأحداث الكبيرة والصغيرة في المنطقة، وفي العراق، وفي كوردستان. فاذا كان هناك تبرير سياسي وعسكري لاستمرار الثورة المسلحة، من بداية الثورة الى بيان (١١) آذار، فإن هذا التبرير غير منطقي بعد بيان آذار، لان استراتيجية سياسة الپارتى المتمثلة في (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان) لم تتغير، ولان الظروف السياسية العالمية والمنطقة كانت تميل لصالح القوى العظمى والأنظمة البرجوازية- الدكتاتورية الشرقية بدرجة اكثر، لاسيما بعد ارتفاع أسعار النفط، في بداية السبعينات من القرن العشرين، والذي رفع اليرادات المالية للنظام العراقي الى درجة تبين أن هذا النظام سيطول عمره السياسي، عن طريق شريانه الاقتصادي، لذلك، كان يجب على قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بعد توقيع اتفاقية آذار أن تحاول، ومجدية، تبديل استراتيجية النضال المسلح من الجبال، باستراتيجية انتفاضة المدن، في ظل النضال المسلح. أي: وضع النضال المسلح ووجود قوات الأنصار في خدمة الفعاليات النضالية داخل المدن، وخاصة الانتفاضة التي هي النهج النضالي الرئيسي العام داخل المدن، لاسيما أنها جربت مرات عديدة، ولسنوات طويلة، في العراق، وكانت لها نتائج معروفة ومفيدة، إن عبر ودروس تاريخ النضال المسلح في كوردستان، ودروس جمهورية مهاباد في النضال السياسي والجماهيري داخل المدن، وتجارب الانتفاضات في العراق

والمنطقة لم تتمكن جميعها من تغيير عقلية مواصلة النضال المسلح داخل الحركة الكوردية كاستراتيجية ثابتة غير قابلة للتغيير. ومع أن شكل النضال السياسي والدبلوماسي واضراب المدن لم يجر نسيانها، الى حد ما الا أن الاستراتيجية المسلحة بقيت كما كانت، وأصبحت تلك الأشكال النضالية الأخرى فروعاً وروافد لها. ففي الوقت الذي أصبح الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بعد بيان آذار، في طليعة الشعب الكوردي، بعد دحره لمعارضيه، وكان صاحب قوة وامكانية اعلامية كبيرة، وصاحب عشرات الألوف من الكوادر، ومئات المنظمات السياسية والاجتماعية والمهنية، والمؤسسات الادارية المختلفة، وكان معظم مناطق كوردستان تحت سيطرته السياسية والادارية، وبقية المناطق الكوردية التي كانت تحت سيطرة النظام، كانت تدار بصورة غير مباشرة من قبل البارتي والبرزاني. هذه الامكانيات التي أتاحت، في تلك الفترة، للحزب الديمقراطي الكوردستاني، كانت كلها مواد أولية مهمة لبناء استراتيجية جماهيرية داخل المدن.

كان باستطاعة الحزب الديمقراطي، وفي أي وقت يشاء، انزال مليون شخص الى الشوارع، ليقفوا، ويهتفوا ضد شوفينية النظام، ويؤثر حتى في بقية المناطق في العراق، ويحرك، بهذه الطريقة، الرأي العام في المنطقة، وفي العالم ايضا، إلا أنه لم يحصل أي شيء من كل هذا، وبعد اليأس من تنفيذ الاتفاقية السياسية التي وقعت في آذار عام (١٩٧٠ م)، بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والنظام العراقي التجأت الحركة الكوردية الى النضال المسلح مرة اخرى، وكانت العقابية هي الانهيار الملميء بالآلام والعذاب الذي حصل في آذار عام (١٩٧٥ م).

بهذه الصورة، ضاعت فرصة اختيار نهج جماهيري اخر، في ظل النضال المسلح، بامكانية مالية وادارية وحزبية و اعلامية ودبلوماسية كبيرة داخل المدن والقرى الكوردستانية، في حين استغلّت قيادة الثورة الفلسطينية البعيدة عن شعبها في الداخل ووطنها، نفس التجربة، وأشعلت الانتفاضة المستمرة، في ظل النضال المسلح. لكنهم إن لم يصلوا الى هدفهم المنشود، وهو استقلال فلسطين، فانهم، في الاقل، حققوا نوعاً من الاتفاق السياسي الذي يبعدهم عن الانهيار، كالذي حصل من تكرار التجربة الكوردية المأساوية، ومن الواضح أن الثورة الفلسطينية تعرضت ايضا الى الكثير من المؤامرات، ومازالت تتعرض الى المؤامرات الدولية.

٣/٨- مقارنة عسكرية بين الثورة الكوردية والنظام العراقي

اندلعت ثورة أيلول في العراق ضد نظام جمهوري قومي عربي، على عكس الانتفاضات المسلحة التي قامت، بعد تأسيس الدولة العراقية، ضد النظام الملكي، وان هذا النظام الجمهوري القومي، اضافة الى الاحترام والتقدير الذي كان يجده في الاوساط العربية العراقية، الى حد ما، كان محل اسناد، في مجال العلاقات العربية، من معظم الدول العربية، بالرغم من تناقضاتها المختلفة، هذا علاوة على المحاولات المستمرة التي جرت لتوحيد الشعوب والدول العربية، بعد تأسيس الجمهورية العراقية، لاسيما لتوحيد العراق والجمهوريات العربية المتفقة في الاهداف، وكان لمسألة العداء لاسرائيل وتحرير فلسطين دور كبير في تحريك مشاعر العرب والقومية العربية والتفافهم حول هذا النظام الجمهوري القومي في العراق، وكان كل هذا يطبق بروح بعيدة عن الديمقراطية، وبنهج قومي عربي.^(١)

هذا النظام الجمهوري العراقي، وضمن اطار الصراع السياسي-العسكري العربي الاسرائيلي، استفاد كثيرا من قضية الصراع العربي الاسرائيلي بشكل ديمغوجي مضلل، في الساحة العربية، وفي ظل الحرب الباردة ايضا. فبلا شك، كانوا الى ما بعد حرب اكتوبر عام (١٩٧٣ م) من مؤيدي الدول العربية القومية التي كانت تدعي، وتتفاخر بتحرير فلسطين، ومن مؤيدي الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية. فبالاضافة الى ان هذا المعسكر، بكل ما اوتي من امكانيات سياسية، اصبح مظلة للمحافظة على سياسة الدول الدكتاتورية، كالعراق، وكان تبريرها، علاوة على العداء لاسرائيل، هو مذهب التطور اللاراسمالي السائر نحو الاشتراكية الديمقراطية الثورية للبرجوازية الصغيرة، وتحت هذه المظلة قام الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية من اجل الفوز بـ(مصيدة!) الحرب الباردة، بتزويد هذه الانظمة كالعراق، وبلا اعتراض، بالاسلحة المدمرة الكافية، كما ان الغرب، ومن اجل عدم التخلي عن هذه الانظمة تماما، ووفق حساباتهم السياسية البعيدة

باستثناء مصر، في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، حيث كان له مواقف ودية تجاه القضية الكردية. المؤلف

المدى، في كيفية التعامل مع تناقضات الحرب الباردة، ونتائج هذه الحرب-لم يغلق هؤلاء ايضا اسواق السلاح بوجه هذه الانظمة، وبهذه السياسة المتناقضة، بين القوى العظمى، في طرفي الحرب الباردة، تهيأت الفرص المناسبة لانظمة مثل العراق ان تستفيد من الطرفين، فكانت تشتري السلاح الاكثر قتلا، والاكثر فتكا، والاكثر هدمًا وتخريبًا، سواء من غرب العالم ام من شرقه، بل وحتى من شماله ام من جنوبه، تشتريها من الاموال التي تحصل عليها جراء تصدير نفطها، وتحصن بها نفسها، وتبيد معارضيتها عن طريقها امام انظار الرأي العام العالمي. ففي السبعينات من القرن العشرين، كانت سوق بيع وشراء الاسلحة من اكثر الاسواق العالمية رواجًا، وكانت البلدان الشرقية افضل الاسواق لبيع السلاح، وكان النظام العراقي في مقدمة مشتري الأسلحة، حيث وضع بنوكه تحت تصرف هذه العملية، وكان الصرف في هذا المجال، وبلا حدود.

استعمل البعثيون هذه الطريقة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، بعد انقلاب عام (١٩٦٨م) في العراق، وبصورة مباشرة، ضد الكورد وحركته التحررية، لان بقية اطراف المعارضة العراقية، باستثناء الحركة الكوردية، كانت ضعيفة الى حد، لم يتطلب استعمال أي نوع من السلاح الفتاك ضدها، واما الحركة التحررية الكوردية، فمنذ بداية نهوضها في كوردستان/العراق كانت دائما تعاني من حاجتها الى السلاح، والى المساندة والتأييد، لذلك لم يكن بمقدورها الدخول في معارك جبهوية واسعة ضد نظام مثل النظام العراقي. فاشاء انتفاضات الشيخ محمود والبارزانيين كانت قلة السلاح والافتقار الى الظهير والمساند، حالت دون تمكنها من الصمود امام النظام الملكي، لان النظام لم يكن عاجزا على تجييش الجيوش، وكلما احتاج الى مساندة، كانت بريطانيا تسرع الى نجده ومساعدته، كما كان من السهل عليه تأمين العتاد والمستلزمات الحربية الاخرى، لكن الانتفاضات الكوردية كانت تعتمد فقط على السلاح المهرب، والمستولى عليه. فطيلة انتفاضات كوردستان/العراق بل كل انحاء كوردستان (ما عدا جمهورية مهاباد)- لم يتسلم الكورد اية مساعدات عسكرية، من اية دولة.

هذه المعضلة العسكرية القاتلة، بالنسبة للنضال المسلح للشعوب لم تحل في ثورة ايلول ايضا، في الوقت الذي تمكن النظام الجمهوري العراقي، بعد عام (١٩٥٨م)، من بناء جيشه بصورة عصرية، وغدا شيئا فشيئا جيشا قويا وصاحب تكتيك وتقنية عسكرية متقدمة مقارنة بما كان عليه في العهد الملكي، حيث كان يأتي بعد جيش مصر من حيث الهمية والقوة، حتى ان نظام قاسم كان يرى انه بمقدوره التصدي لبريطانيا وايران، كما كان مندفعاً لاحتلال الكويت التي اعتبرها جزءاً من العراق، انطلاقاً من النزعة الشوفينية للنظام الجمهوري العراقي، ومع هذا، وبفعل عنصرية النظام، وتراكم الازمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، استطاع الحزب الديمقراطي الكوردستاني ادامة نهج حرب الانصار ضد الامكانيات العسكرية الكبيرة للنظام، في المناطق الوعرة في كوردستان، والمحافظة على استمرار الثورة، الى بيان اذار، بالرغم من الانشقاق الذي وقع في صفوفه، والحرب الداخلية، والسياسة الشرسة لمحتلي كوردستان.

لم يتغير الجوهر الشوفيني للنظام بصدور بيان اذار، بل أعد نفسه وهياً كل امكاناته لتحقيق اهدافه القومية البعثية، بشكل افضل، لذلك كان الهدف الرئيسي لاتفاقية اذار، في نظر النظام، هو القضاء على الحركة المسلحة في كوردستان، وبأي ثمن، لكي يتفرغ البعث لتعبئة العراق والعراقيين (مع كوردستان) من اجل الاهداف الاستراتيجية العربية البعثية. ففي تلك الفترة، اضافة الى اسرائيل، كان للبعث الحاكم في العراق مشاكل عميقة مع ايران، كما تآزمت علاقاتهم مع سورية، وكانوا يخافون من تركيا ايضا، ومن اجل الاطمئنان على الامن الاستراتيجي العربي والعراقي والبعثي، حاول النظام العراقي جاهدا انهاء النضال الكوردي المسلح، وطمس قضية شعبنا، بشكل حاسم، ولتحقيق هذا الهدف، كان منشغلاً باعداد اخطر خطط الثورة المضادة، في ظل بيان اذار، والتي تمثلت فيما يلي:

- بناء الجيش العراقي وتطهيره وتسليحه لتقوية حكم البعث.
- القضاء على كل انواع الاخطار المسلحة في كوردستان والقضاء على حركتها التحررية.

- تقوية الاقتصاد العراقي وترضية جماهير البعث، وهم من صغار البرجوازيين على الاغلب.
- تقوية المؤسسات القمعية وتطويرها.
- فرض التعريب والتهجير والتبعيث.
- التقليل من شان المعارضة العراقية.
- توسيع العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية للنظام مع دول الجوار ودول العالم.

هذه هي الاسس المهمة لسياسة البعث، ويتعلق قسم منها بالبرنامج البعيد المدى لاهداف البعث، والقسم الاخر منها، وهو الاكثر، يتعلق بالكورد وكوردستان، ومن اجل هذا، بدأ حزب البعث، بعد صدور بيان اذار مباشرة، بممارسة الضغط، وتنفيذ خطط التعريب والتبعيث والتهجير والعنف، بلا تحفظ، وتوسيع خطته العسكرية ضد الكورد وكوردستان. ان هذه الحقائق جميعها تؤكد شوفينية النظام وعنصريته، ومراوغته وخداعه في اصدار بيان اذار.

هناك ظاهرتان بارزتان في الساحة العراقية كانتا ضد الكورد وثورته مباشرة، وخلقتا خطرا محيفا، بعد بيان اذار، على وجود الكورد وقضيته وثورته، وهما:

- ١- التعريب والتهجير والتبعيث.
- ٢- تسليح الجيش والتوسع في مدّ الطرق في كوردستان.

بالنسبة الى الظاهرة الاولى (التعريب والتهجير والتبعيث)، كانت تعرض اضافة الى مصير الثورة، الوجود القومي للخطر ايضا. ان سياسة تعريض وجود شعب للخطر، سيكون لها حتما ضرر مباشر على نضاله المسلح ايضا، فمثلا: المناطق التي اعترف بها النظام على انها مناطق لها الحق في التمتع بالحكم الذاتي، والتي سميت في عام (١٩٧٤م) بمنطقة الحكم الذاتي، هي محافظات: السليمانية، واربيل، ودهوك، وتبلغ مساحتها مجتمعة (٢٦٣٤٧) كيلومترا مربعا، في الوقت الذي تبلغ مساحة كوردستان/العراق (٨٦٠٠٠) كيلومتر مربع، وقد تم تعريب ٤٩,٤١ %

من ارض كوردستان/العراق، بالقوة، فيما مضى من عمر البعث في حكم العراق.

ان هذه السياسة المخيفة، اضافة الى تضيق مساحة ارض كوردستان، وابعاد مئات الالاف من الكورد الى جنوب العراق، مما يؤثر مباشرة تأثيرا سلبيًا ديمغرافيا وجغرافيا واجتماعيا وسياسيا، وحتى نفسيا في الثورة الكوردية المسلحة، كان لها ايضا تأثير فعال من الناحية العسكرية. فمن جانب تقلل من امكانية حشد وتسليح (البيشمركة)، وتضيق مجال دعم الحركة بالقوات بصورة مستمرة، ومن جانب اخر كانت لها فائدة مؤثرة للنظام في نشر وتحصين القوات وتحشيدها، والمحافظة على القواعد والمعسكرات الكبيرة والمتوسطة ومخازن اسلحة النظام، وما حولها ايضا، لأنه كلما تمت السيطرة على مناطق أكثر، اقتربت المعسكرات ومخازن الاسلحة من مناطق قتال وأماكن (البيشمركة) أكثر فأكثر. ان تقريب وتحشيد قوات عسكرية كبيرة، ومخازن الاسلحة من اماكن تواجد قوات (البيشمركة)، له اهمية قصوى للثورة المضادة من الناحية السوقية الحربية، في بلد جبلي ككوردستان مليء بالوديان والمضائق والمناطق الوعرة، التي تصلح ان تكون ساحات لنزال وحرب الانصار، كما يقلل هذا الامر من نفقات الحرب ايضا، خاصة، في حالة ثورة كوردستان التي تفتقد الى الظهير الاستراتيجي حيث السلاح الثقيل البعيد المدى يخلق خطرا على معسكرات العدو ومخازن اسلحته.

أما بالنسبة الى الظاهرة الثانية (تسليح الجيش والاكثار من الطرق في كوردستان)، فان النظام بدأ بتنفيذ خطة واضحة المعالم، في الاعوام (١٩٧٠-١٩٧٤م) ضد ثورة كوردستان، بتخصيص اموال وامكانيات كبيرة، لشق ومد الطرق الى كل مكان في كوردستان. فبالاضافة إلى مخاوف النظام من كوردستان، فان اكثرية مخاوفه من ايران وتركيا وسوريا، كانت

چيا، نه منى ستراتيچى اعيراق و سئ كوچكهى به عسييان: ته رحيل، ته عريب، ته يعيس - كومهلهى ره نجه رانى كوردستان - زنجيرهى ليكولينه وهى (٢) ل ٢٨٤.

تنعكس على ارض كوردستان، لذلك، فان معظم الطرق الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية للنظام العراقي مقابل سوريا وتركيا، تقع في حدود محافظتيّ (الموصل واربيل)، كما تتسم محافظة السليمانية باهمية كبيرة من هذه الناحية، حيث شقت طرق عسكرية مقابل مدن: كرمناشاه، سنه، سقز، بانه، سردشت الواقعة في كوردستان/ايران. هذا عدا الطرق التي شقت في مناطق خانقين ومندلي وبدرة، والمناطق الجنوبية الاخرى التي هي طرق استراتيجية للمحافظة على بغداد. فما عدا هذه الطرق، هناك طرق اخرى تم انشاؤها في كل ارجاء كوردستان، لاستخدامها ضد الحركة الكوردية إذ تتمكن القوافل العسكرية من التحرك والانتقال بوساطتها وفي كل فصول السنة، والوصول الى المناطق الجبلية والسهلية في كوردستان، في الوقت الذي لم يكن الوضع هكذا في ثورة ايلول، اذ كانت الطرق قليلة في كوردستان، وما كان موجودا منها لم يكن اكثرها مبلطاً، ولم يكن بالامكان التنقل عليها بسهولة الا في فصل الصيف وبداية الخريف.

باختصار، تبلغ مساحة الاراضي العراقية (٣٤٨٤٤٦) كيلومترا مربعا بينما تبلغ مساحة الطرق المبلطة بين عامي (١٩٧٤-١٩٧٥م) ما يقارب (٩٢٤٠) كيلومترا مربعا، وغير المبلطة (٢١٧٧) كيلومترا مربعا. فاذا قارنا هذا بدولة كالسعودية التي تبلغ مساحتها (١٧٦٠٠٠٠) كيلومتر مربع، أي خمسة اضعاف مساحة العراق، نجد:

ان مساحة كل الطرق التي تم انشاؤها فيها، اثناء نفس الفترة (١٩٧٤-١٩٧٥م) لا تتجاوز (٨٧٥٩) كيلومترا مربعا. أي ما يقارب ثلث ما أنشأه العراق في نفس الفترة، علما أن السعودية هي اغنى من العراق، وفيما يتعلق بتسليح الجيش، فان هذا الجدول ادناه، مع بعض الاحصائيات التي تتناول الاسلحة الخطيرة المختلفة التي تظهر تفوق النظام العراقي على امكانيات المقاومة المسلحة لشعبنا، والذي كان يحتم على الثورة، و جهاز (الپاراستن) ^(١) والحزب الديمقراطي الكوردستاني، والمكتب العسكري-يحتم عليهم جميعا أن يحسبوا له حسابا عسكريا - سوقيا كبيرا، لكنه، وبكل أسف، لم يحصل شيء من هذا.

الجهاز المكلف بحماية الحزب الديمقراطي وثورة ايلول وقيادتها - المترجم -.

الجدول رقم (٧)
النفقات العسكرية

* تقرير جمعية الدراسات الاستراتيجية- لعام ١٩٨٠- لندن- العدد ٨- ص ٥٦.
* المؤسسة المركزية للإحصاء (الحسابات القومية)- كتاب الجيب الإحصائي- عام ١٩٨٢- ص ٤٥.

النسبة المؤوية سنوياً ٨٠-٧٥	١٩٨٠	١٩٧٩	١٩٧٥	١٩٧٤	١٩٧٣	النسق	
٨٥,٩%	٢٠٠٠	٢٧٧٥	١٦١٤	١٥٦٦	١٢١٢	مليون دولار	المصروفات العسكرية السنوية
٢٣٦,٣%	٢٢٧٠	٢١٠٠	٦٧٥	٦٢٥	٦٢٥	مليون دولار	الواردات العسكرية السنوية
٢٤٩,١%	٣٨٤	١٥٥	١١٠	١٠٥	١٠٥	ألف فرد	عدد القوات المسلحة
	٢٦٠٠	٦٠٠٠	٤٩٠٠	٥٠٠٠	٣٨٠٠	دينار واحد	معدل حصة الفرد من الدخل القومي
	١١٦٠	٨٣٠	٣٢٠	٢٧٠	١٣٠	دينار واحد	معدل حصة المواطن من الدخل القومي

حسب هذا الجدول اعلاه يتبين أن النفقات العسكرية قد بلغت في عام (١٩٧٣م)، وهو العام الذي تعقدت فيه الاوضاع بين النظام والثورة، وتبيت فيه مظاهر استئفاف القتال- ما يقارب مليارين وسبعمائة وثمانية آلاف دولار، والواردات العسكرية مليارا وثلاثمئة وخمسين ألف دولار. ففي السنين هاتين، كان معدل دخل الفرد العسكري عام (١٩٧٣م)، يزيد بثلاثة الاف وستمائة وسبعين دينارا على معدل دخل المواطن المدني، وفي عام (١٩٧٤م)، كان اكثر منه باربعة الاف وسبعمائة وثلاثين دينارا.

لو اضعنا هذه الميزانية العسكرية الى حسابات المبالغ المرصودة لشراء السلاح للجيش العراقي، فان قوة السلاح العراقي تصبح في وضع يميل فيه ميزان القوة العسكرية بين الثورة والنظام لصالح النظام العراقي بصورة كبيرة جدا، فمثلا: كان العراق يملك بين عامين (١٩٧٤-١٩٧٥ م)، (٥٤٦) طائرة حربية، و(١١١) طائرة هيليكوبتر، و(١٦٠٠) دبابة، و(٩٠٠) مدفع ثقيل، و(١٥٠٠) ناقلة جنود،

ان هذا الاختلال في التوازن، بين ثورة ايلول والنظام العراقي من الناحية العسكرية، والبشرية، والعلاقات الدولية والدبلوماسية والامكانية الاقتصادية والمالية- كان خطيراً جدا، وكان على قيادة الثورة ان تحسب حسابا دقيقا شاملا في الاعوام (١٩٧٠-١٩٧٤ م) لكل هذه الفروق والاختلالات، وتحللها وتدرسها بعناية، وتقارنها مع امكانيات الثورة والپارتي، وامكانيات شعبنا، في كل النواحي، بصورة موضوعية، ومن ثم يصدرن- بعد ذلك- قرار المقاومة المسلحة، ان كان في ذلك ضرورة لا بد منها.

في سنوات استئناف القتال، كان المساند والظهير الوحيد للثورة هو ايران، وعن طريق ايران دخلت امريكا على الخط، وكانت امريكا وايران ايضا تتحركان داخل اطار كيفية تأمين مصالحيهما في الشرق والخليج، في خضم الأمواج العاتية للحرب الباردة، اضافة الى أن النظام الايراني كان نظاما مؤيدا للتوجهات العنصرية الفارسية ضد الكورد، ولم يكن ابدا مؤيدا للحقوق السياسية للشعب الكوردي، لانه كان يخشى من انعكاس ذلك على كوردستان/ايران.

في غضون سنة كاملة من القتال الشديد الصعب، وان قدمت ايران وامريكا فيها مساعدات سخية للثورة، شملت الناحية الادارية في مخيمات اللاجئين داخل ايران، وفي المناطق الحدودية، الا أنهما قضتا-هكذا- على شعبنا، من الناحية السياسية والعسكرية. ففي مقابل كل هذه الامكانيات العسكرية والهجمات الاستراتيجية التي كان يشنها النظام العراقي على المناطق المحررة، ادخلت ايران وامريكا اسلحة عسكرية تكتيكية فقط الى الميدان، ولم تعط للثورة قط اسلحة تستطيع بها قصف الركائز الاقتصادية

ومعسكرات الجيش الكبيرة والمهمة، وبهذا العمل وضعوا الثورة، من الناحية العسكرية، في خندق الدفاع السليبي، والقتال الجبهوي الواسع، وهذا النوع من القتال الجبهوي الواسع فيه خطر استراتيجي قاتل، بالنسبة لحركة مسلحة، تعمل ضمن حدود جغرافية ضيقة، وبين شعب مضطهد، اقل عددا من الشعب الحاكم، وبمساندة ضعيفة، وبتدريب واعداد عسكري متخلف، ومن الناحية السياسية، لم يجر بحث القضية الكوردية، بصورة رسمية، في المؤسسات الدولية، ولم يجر فضح جرائم النظام ايضا، ووضع النظام كل امكانياته العسكرية والسياسية والنفسية في ميدان المعركة، والتي شملت احدث انواع الاسلحة الشرقية والغربية، وذلك بفضل سياسة الحرب الباردة، حيث:

- الطائرات الحربية الفتاكة، مقابل المضادات الجوية الضعيفة القليلة.
- الدبابات الفعالة الحديثة، مقابل الاسلحة القليلة المضادة لها وبشرط استعمالها في مناطق محدودة.
- المدافع الحديثة والمواقع المدفعية الحصينة، مقابل رد فعل قليل محدود، وما كان موجودا منه، كان على الأغلب في منطقة القيادة وعمق منطقة راوندوز.

ان هذا التوازن العسكري المختل، تسبب في نجاح النظام العراقي، في معظم جبهات القتال، بفعل هذه الاسلحة الثقيلة، حتى ان قمم الجبال العالية الصعبة (كلى على بگ، سرتيز، حسن بگ، كورك، هندرين...) وقعت بايدي النظام، بينما لم تستطع الانظمة، فيما مضى وطيلة الانتفاضات الكردستانية المسلحة - احتلال تلك الجبال.

احتلال هذه الجبال شكل خطرا مباشرا على قيادة الثورة ومؤسساتها الكبيرة والمؤثرة الفعالة، كذلك اثرت على معنويات الپيشمرگه وفعاليتهم السياسية والعسكرية.

٤/٨ - علاقات البارتي*، والانهبيار

بالرغم من ذلك الفارق العسكري والاسلحة الفتاكة للنظام، وبالرغم من وجود مئات النواقص الكبيرة والصغيرة، التطبيقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، والتقصير بحق الكادحين، وعدم وجود تكتيك مناسب وملائم للثورة، في مجال الحرب وساحات المعارك، وفي حرب الانصار، والحرب المتحركة، والحرب الجبهوية، والحرب الدفاعية الاستراتيجية، وعلى مستوى ثقل هذه الحرب والامكانيات العسكرية والتدريب العسكري، والتقنية العسكرية الحربية للنظام العراقي. بالرغم من كل ذلك، صمدت قيادة البارتي، بفضل بطولة الجماهير والبيشمركة وتضحياتهم - داخل كوردستان، واستمرت في المقاومة، ونعتقد ان ذلك الصمود، وتلك المقاومة، لوجرت، بشكل مبدع، ووفق الاسس والقواعد العلمية لحرب الانصار، في كوردستان، لتمخضت في غضون تلك السنة، عن نهاية عسكرية وسياسية جيدة، لكنه لم يحصل هذا، ومع ذلك لم يستطع النظام تحقيق خططه الاستراتيجية في دحر وهزيمة البيشمركة، رغم تفوقه على الثورة في كل الميادين والمجالات، بل توصل هو بنفسه الى نتيجة: انه لا يستطيع عن طريق القوة العسكرية من وضع نهاية لهذه الحرب التي تدور في حلقة مفرغة، إذ تتوقف الحرب ثم تستأنف من دون انتصار أي طرف فيها انتصارا استراتيجيا، وليس بإمكانه القضاء على الثورة بالقوة واستعمال العنف، لكنه لم يفتح باب المفاوضات هذه المرة، بل قرر، وعلى اساس القضاء على الثورة باي ثمن - الدخول في اكبر مساومة مع النظام الشاهنشاهي الايراني، وذلك فقط من اجل فرض اهدافه العنصرية، وبهذا تنازلوا عن كل إدعائاتهم، في الخليج وشط العرب لصالح النظام الشاهنشاهي، ووقعوا اتفاقية الجزائر المشؤومة في (٦/٦ اذار/٩٧٥ م).

ان تلك الاتفاقية التي وقعها صدام مع شاه ايران، لم يقدم على ابرامها حتى الانظمة التي كانت خاضعة للاستعمار البريطاني في حينه، وهذا افضل دليل على عنصرية النظام وشوفينيته، حتى النخاع، تجاه الكرد. فهو اختار

* البارتي هو الاسم المتداول المعروف للحزب الديمقراطي الكردستاني في الأوساط السياسية والشعبية الكردستانية (المترجم)

الغزبي والعار والمهانة والركوع امام نظام الشاه مقابل القضاء على النضال المشروع للشعب الكوردي.

كان على ايران وامريكا التخلي عن مساندة الپارتى، وفق ماورد في اتفاقية الجزائر، وكان هذا التخلي، اضافة الى كونه يمثل اكبر نقض تاريخي للعهود، ارتكب بحق شعبنا، بشكل عام، وقيادة الپارتى والبارزاني بشكل خاص، فهو ايضا دليل صارخ على ان امريكا وحلفاءها كانوا متلهفين، بل لاهئين، لفرض مصالحهم وتأمينها باي ثمن عسكري وسياسي واقتصادي، حتى لو كان بارتكاب غدر تاريخي ضد شعب مضطهد ومظلوم.

في بداية الحرب الباردة، ضحى الاتحاد السوفيتي بجمهورية مهاباد من اجل فرض معسكره والمحافظة عليه، واثناء اشتداد الحرب الباردة سارعت امريكا لبيع ثورة ايلول، وفي نهاية الحرب الباردة ايضا يقصف شعبنا بالاسلحة الكيماوية الفتاكة للشرق (الاشتراكي) والغرب (الانساني).

ان هذا الغدر والظلم الذي تعرض له شعبنا، مع فشل ثورة ايلول تسببا في حصول كارثة عظيمة في تاريخ الكورد المعاصر. فلكي نتعامل مع التاريخ بامانة تاريخية، من الافضل أن نقوم بدراسة هذا الغدر التاريخي الكبير دراسة جديدة داخل كوردستان، على ضوء السياسة الحالية والعلاقة الحالية للحركة الكوردية، بالغرب، ووجود قوات الحلفاء بقيادة امريكا، على حدود كوردستان، بعد انقشاع غيوم الماضي وزوال الضباب من سمائها واجوائها.

في ظل الحرب الباردة، اصبح معسكر القوى العظمى كلاهما ميزانا لتوعين من العلاقات المتضادة، للحركات السياسية المسلحة، بل للدول ايضا. فكل نوع من بناء العلاقات والصداقة مع الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي كان يدخل في خانة التقدمية والديمقراطية، وعلى النقيض من ذلك، كان أي اتصال او علاقة بامريكا والغرب، يعتبر سلوكا رجعيًا وعلاقة مشبوهة، وكانت هذه المعايير تستعمل، على الاكثر، ضد الاحزاب السياسية والثورات المسلحة لا ضد الدول الرجعية والحكومات الدكتاتورية. ففي الوقت الذي كانت احزاب المعارضة والثورات المسلحة، بحاجة الى المساعدة أكثر من الدول والحكومات، او في الاقل، كانت تحتاج أكثر الى المساعدة، الا أن العلاقات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية للدول بالغرب، كانت مسألة اعتيادية في نظر الاتحاد السوفيتي والدول والقوى والأحزاب السائرة في ركابه،

وتزامنا مع العلاقات الوطيدة لتلك الدول مع الغرب، سعى الاتحاد السوفيتي والأحزاب المطبقة لنهجه الى ترسيخ علاقات متينة مع هذه الدول، وصلت الى حد اقامة (الجبهة الوطنية) معها، أما الحركات المسلحة التي كانت تتعرض للقصف يوميا، وتدمر مدنها وقراها، وتخرب اراضيها وممتلكاتها كان محرما عليها ان يكون لها أي اتصال او علاقة بتلك الدول، واذا حصل عكس ذلك، فهي جريمة لا تغتفر، واستنادا الى هذه المعايير المزدوجة اعتبرت علاقة الپارتى والبارزاني بايران وامريكا خيانة قومية ووطنية، الى الحد الذي وصل الامر ببعضهم الى رفع السلاح بوجههما.

والان، وبعد ان وضعت الحرب الباردة اوزارها، وانقضت ايامها واختفى شبها، وتغيرت العلاقات والترتيبات، فمن العدل والواجب ان تقيم الحقائق التاريخية، من رؤية ومنظور اخر، بعيدا عن الانعزالية النظرية، والمنافسة السياسية، لان الحقائق انكشفت من تلقاء نفسها، ولان الحركة الكوردية في كوردستان العراق لها علاقات اكثر دفنا مع الغرب في الوقت الحاضر، وليس هناك - الان - أي خلاف في وجهات النظر بين القوى الرئيسية والمعروفة، حول اسس وقواعد العلاقات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية والادارية ايضا، بالغرب وامريكا. علما ان هذه الخلافات كانت أكثر قوة وشدة.

المواقف السابقة والحالية متناقضة جدا، واضرار الخلافات الماضية داخل الحركة الكوردية لم تنته بعد، بل لا تزال مستمرة، الى الان. واثار تلك العدوات ونتائجها السياسية والعسكرية والايولوجية، تعيد يوميا الى الازهان، عن طريق (الFLASH باك) صور الصراعات الحزبية والسياسية والشخصية داخل الحركة الكوردية، وتنكس، جراح الماضي ببرودة اعصاب، وهذه الالام هي جزء من خميرة فعالة تضخم المواقف المتناقضة الحالية، لذلك ينبغي تقييم التاريخ السياسي لثورة ايلول، وانهارها وعلاقاتها، ونكبتها، من جديد، وبعيدا عن المنافسة الحزبية، وعلى ضوء الظواهر الحالية، كما يجب اعادة دراسة جميع الاحداث السابقة ومناقشتها، وبشكل علمي وموضوعي، ووضع الحقائق كما هي، في مراحلها التاريخية الخاصة بها.

ان القصد من البحث في هذا الفصل هو توضيح ما يلي: تطلبت الظروف السياسية والعسكرية في كوردستان والمنطقة بعد بيان (١١/١٠/٩٧٠ م)

التفكير العميق في مسألة عدم ابقاء النضال المسلح نهجا ثابتا لتحرير الكورد، وبذلت المساعي الجادة لتبديل ثقل هذا النضال من الجبل الى المدن، لانه بالاضافة الى التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فان النضال المسلح لم يكن باستطاعته تحقيق اكثر مما حققه بيان اذار، لاسيما اذا عرفنا ان استراتيجية الپارتى هي (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكوردستان)، ولم يكن الپارتى في وضع تسمح له الظروف الدولية والاقليمية والنضال القومي الكوردي ايضا في عموم كوردستان، بتغيير هذه الاستراتيجية، وكانت العلاقات السياسية والعسكرية التي ربطت ثورة ايلول بايران وامريكا والمساعدات التي قدمتها هاتان الدولتان لها، لم تتجاوز حدود منطق المساعدات الوقتية غير الكافية (عش ولا تمت) ولم تكن مساعدات استراتيجية.

ثورة ضعيفة، وكوردستان أضيق من السابق، وعدو أقوى، وذو واردات وامكانيات أعظم، ولم تبرم هذه الثورة أية اتفاقيات موثقة مع جهة أمينة ومساندة لها الى يوم النصر النهائي، علاوة الى عدم نضج شروط الظرف الشوري في العراق! ترى ماذا تعني إعادة القيام بالثورة المسلحة في هذه الحالة والظروف غير الملائمة!؟

لكي تكون هذه الحقائق المتعلقة ببحثنا مدعومة بالادلة والوثائق، فمن الافضل البدء بالوثائق الامريكية السرية، من اجل تحديد مصير تلك العلاقات والمساعدات التي قدمت بفضل تلك العلاقات، لان هناك الكثير من الاحاديث حولها، لكن الحقائق ليست واضحة مثل الوثائق، ولم يكتب حتى الان دراسة عميقة حول تلك العلاقة، بل بقي اكثر جوانب هذه العلاقة غير معلنة، وغير معروفة، وما نقصده، هنا، هو التقرير الذي نشرته لجنة (اوتيس بايك) التي تشكلت عام (١٩٧٦ م) لاجراء دراسة حول النشاطات السرية لمخازن المخابرات الامريكية، وكانت هذه اللجنة برئاسة (اوتيس بايك) الذي اشتهر التقرير باسمه، ولان امريكا غدرت بالحركة الكردية غدرا كبيرا حينذاك لذلك لم تكن واردا، باي شكل من الاشكال، نشر التقرير، ومع ذلك وجد طريقه الى النشر خلسة، ونشر في صحيفة فلاحية معارضة، تصدر في قرية (جرنيش) القريبة من نيويورك باسم (صوت الريف)، الا أن جهاز المخابرات الامريكية صادر هذا العدد فورا، وقدم الصحفي الى المحاكمة،

ونشر القسم الذي كان له علاقة بالكرد تحت اسم (الحالة رقم ٢-مساعدات السلاح).

لقد اثبت التقرير، انه في شهر اب / ١٩٧١ م، اتصل (ملا مصطفى بارزاني) بقيادة المخابرات المركزية الامريكية في طهران، طالباً منها مساعدته ضد العراق، لكن طلبه الذي جاء ضمن رسالة، لم يرد عليه، وفي اذار / ١٩٧٢ م كرر طلبه هذا ايضا، وهذه المرة أرسل كلا الطرفين الى (لجنة جلي) التي تشرف على جميع النشاطات السرية للمخابرات الامريكية، وكان كيسنجر يرأس هذه اللجنة حينذاك. لقد وردت المعلومة في تقرير (اوتيس بايك) بعد الدراسة هكذا: (ان الوثائق التي جمعتها اللجنة تثبت ان القرار اتخذ من قبل الجهات العليا، من اجل طمأنة ايران الحليفة التي تتعاون معنا باخلاص، وتعتقد ان هناك اخطاراً تهددها من العراق جارها، حيث العداء بينهما قديم، وليست خلافتهما-أساساً- ناتجة عن خلافات عقائدية، لكن في الوقت نفسه لها علاقة بالولايات المتحدة).^(١)

هذه الوثيقة التي نشرتها، بعد الدراسة، اللجنة الخاصة بدراسة النشاطات السرية للمخابرات المركزية الامريكية، تحتاج الى دراسة سياسية وافية، كي تستخرج منها نتائج مفيدة:

- ١- التقرير لم يشر، لا من قريب ولا من بعيد، بصورة جيدة او سيئة، بشكل مباشر او غير مباشر - الى الخيانة والعمالة او الدسياسة والتامر والاعمال التجسسية للپارتى والبارزاني، لصالح المخابرات الأمريكية.
- ٢- البارزاني هو الذي طلب المساعدة من أمريكا، ولم تخطط المخابرات الامريكية مسبقاً لجر الپارتى والبارزاني للوقوع في حبالها.
- ٣- حين طلب البارزاني بنفسه المساعدات من امريكا، لم يكن العراق قد أمم نفطه به^(٢) لكي يقال ان تلك العلاقة كانت من اجل الوقوف ضد التأميم، وبدسياسة اجنبية، كذلك لم يجر أي حديث عن حرب تشرين / ١٩٧٢ م بين العرب واسرائيل، في تلك الفترة، لكي تربط تلك العلاقة بمسألة الحرب.

انظر- هيكل، محمد حسنين- الحبل والحرب- شركة المطبوعات للنشر- الطبعة الاولى ١٩٩٧- بيروت ص ١٣٧-١٤١.
- تم تأميم النفط في ١٦ / تموز / ١٩٧٢ بطريقة بعشية - المؤلف.

هذا بالنسبة الى حقيقة وجوهر العلاقة بين الپارتى والبارزاني وبين امريكا. تبقى هناك اسئلة تحتاج الى اجوبة، وهي: بأي قصد، او من أجل ماذا قرروا مساعدة الكورد؟

ترى، أكان هذا من اجل الديمقراطية والقضاء على الظلم والجور، أم كان من أجل تأمين مصالحهم هم؟

ان السياسة التي اتبعتها امريكا ضد قيتنام ولاوس وكومبوديا في تلك الفترة التي قرروا فيها مساعدة الكورد، هي خير جواب لتلك الاسئلة التي تدور حول سبب دخول أمريكا الى هذا الميدان، فهم يقولون في التقرير:

((ان هدف الولايات المتحدة من مساعدة الاكراد لم يكن من أجل تمكينهم من احراز انتصار يساعدهم على الحصول، ولو على حق الاستقلال الذاتي. ان حصول الاكراد في العراق على هذا الحق يمكن أن يؤثر على أكراد ايران و هذا يسبب مشاكل للشاه. وبالتالي، فلقد كان المطلوب هو ضبط حدود المساعدة للملا مصطفى بحيث يظل دائما على مستوى معين! مستوى يستطيع عنده استنزاف قوة الجيش العراقي وانهاك اسلحته و قيادته و أفراده، و في نفس الوقت في مستوى لا يستطيع معه احراز انتصار مؤثر يحقق الاستقلال، و يؤثر على اكراد ايران)).

هذا النص يثبت سطرًا بعد سطر تلك الحقيقة التي تؤكد أن أمريكا وإيران نزلتا الى الميدان وفق خطة، بل مؤامرة، كان هدفها منها خدمة مصالحهما فقط، وليس غير ذلك، ولان قيادة الثورة الكوردية لم تكن عميلة لهما، لذلك ساعدتها بصورة لا تمكنها على تحقيق انتصارات كبيرة خوفا من تأثيرها في كرد ايران ايضا.

فلو لم يكن الامر هكذا، بمعنى اخر: لو باعت قيادة البارزاني نفسها لامريكا وإيران، فبلا شك، لم تكن امريكا وإيران لتدخر أي جهد، في هذه الحالة، لتقديم كل انواع المساعدات لها، كالحركات المأجورة السابقة، ولما خافتا من تحقيقها لنجاحات كبيرة، لأن الحركة والقيادة المأجورة لا تتحرك حسب ارادتها ورغبتها، واي نجاح تحققها لا تشكل خطرا على مالها.

- هيكلمحمد حسين، الحلب والحرب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان الطبعة الاولى / ١٩٩٧ - ص ١٣٩.

القسم الاخير من التقرير يؤكد حقيقة تاريخية، او لنقل فيه اعتراف واقرار بالغدر الكبير الذي ارتكبه امريكا بحق الكورد، حيث يقول بوضوح: (لقد كانت سياستنا غير اخلاقية إزاء الأكراد، فلا نحن ساعدناهم، ولا نحن تركناهم يحلون مشاكلهم بالمفاوضات مع الحكومة العراقية. لقد حرصناهم ثم تخلينا عنهم).

هذا القسم من التقرير الذي يكشف غدر امريكا للكورد، والذي تنعت فيه لجنة تحقيق عالية المستوى لقوة عالمية عظمى سياسة بلادها: بـ(اللا اخلاقية)، لم يبق شيئا للكرد على امريكا، لكي يقولوه لها؟! ()
أما ما بقي من هذا الامر، فله علاقة بالپارتى وقيادة الپارتى، في حدود صلته بمضمون حديثنا، وماذا يقولون عنه. فامريكا تقول: (كنا بلا اخلاق) ترى، ماذا يقول الكورد عن نفسه بخصوص هذه المسألة؟!

ان الاجابة عن هذا السؤال، لها فروع كثيرة، ولا بد من توضيح هذه الحقيقة من قبل المؤرخين مستقبلا، لكن من الجائز ان يقال هنا: كان من المفروض، في اقل تقدير، ان تكون قيادة الپارتى والبارزاني على دراية بنوايا امريكا وايران، عندما رضيتا بمساعدة الثورة، فان كانوا على علم بها، ومع ذلك قرروا عام (١٩٧٤م) استئناف القتال، بهدف افرغ الشروط البعثية العنصرية من محتواها، في الاقل، فانهم بهذا الشكل، مكنوا النظام، عن طريق، اتفاقية الجزائر المهينة من الفوز بالرهان، وهذا الفوز، وبهذه الطريقة، يثبت ان حسابات قيادة الثورة، للعداء الموجود بين العراق وايران، تجاوزت حدودها بشكل كبير، وان كانوا لا يعرفون، بصورة دقيقة، من اجل أي هدف كانت امريكا وايران تساعدان الثورة، فان قرار استئناف القتال، بهذا الشكل أيضا، وعلى أساس تأييدهم ومساعدتهم، بدون معرفة اهدافهم ومقاصدهم من هذه المساعدة، هي التي جعلت هاوية الانهيار والسقوط من نصيبها.

هيكل، محمد حسنين-الخل والحرب-شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت، لبنان - الطبعة الاولى/١٩٧٧- ص١٣٨، ١٣٩.
بعد زيارة وفد المعارضة العراقية الى امريكا في ٢٧/٧/١٩٩٢، قال مستشار الامن القومي لامريكا ردا على سؤال وجهه اليه السيد مسعود بارزاني حول كارثة ١٩٧٥: (هذا - العار- لن يتكرر ابدا)- المؤلف -

نحن نعتقد ان افضل مبادرة كان من الواجب القيام بها- سواء عرفوا أم لم يعرفوا الاهداف الحقيقية لامريكا وايران - هو ضرورة اعتماد الپارتى في أعماله ومخططاته في الاعوام (١٩٧٠-١٩٧٤ م) على جماهير شعبنا، بدرجة اكبر، ونقل مركز ثقل الثورة وروح المقاومة الى داخل المدن، وكان بالامكان عن طريق هذه السياسة فقط، انقاذ الثورة وشعبنا من هذا الغدر التاريخي، واجبار النظام على تراجع كبير، في نفس الوقت، لكن هذا لم يحصل، لان عقلية النضال المسلح وفق خصال المجتمع الكوردي، كانت مسيطرة داخل قيادة الپارتى.

مئات الالوف من جماهير شعبنا، كانوا مستعدين للانخراط في صفوف الپيشمرگه، أو الذهاب الى المخيمات التي اقيمت في الاراضي الايرانية، أو البقاء في المناطق المحررة. فهذه الجماهير، لو ظلت في مدنها وقراها، واثيرت مشاعرها بالتكتيك والشعارات الثورية للقيام بالتظاهر والاضراب والانتفاضة، لتغير، حينذاك، الوضع السياسي في كوردستان، ولتحدد مستقبل افضل لشعبنا، لكن- بكل اسف- لم يكن عدم تغيير استراتيجية النضال المسلح في الجبال، في مصلحة مستقبل شعبنا فقط، بل ألحق هذا ضررا بالغاه ايضا، اضافة الى ظهور ثلاث حقائک تاريخية امام حركة شعبنا المشروعة:

- ١- النظام العراقي لا يقر، ولا يعترف ابدا بحق الكورد في تقرير مصيرهم، وهو مستعد من اجل عدم الاعتراف بهذا الحق، للتنازل والخضوع، حتى لنظام رجعي، كنظام الشاه.
- ٢- كل نمط من انماط العلاقات الدبلوماسية والعسكرية والادارية والاستراتيجية، للحركة الكوردية مع الجهات الخارجية، ينبغي ان يكون موقعا، وواضحا، و موثقا، ومعتزا به، والا فان كل جهة او دولة، لها الحق ان تتلاعب بها على ضوء متطلبات مصالحها.
- ٣- النظام العراقي كان مستعدا، من اجل القضاء على الحركة الكوردية، للخضوع التام لنظام الشاه، الى درجة التنازل عن الحدود الدولية المرسومة للعراق، لكن قيادة الپارتى لم تكن مستعدة للتنازل عن كركوك وخانقين ومندلي وشيخان وسنجان، كذلك لم تكن مستعدة

ايضا، للانضمام الى (الجبهة الوطنية) السورية بقيادة حزب البعث
العنصري.

لو قيل: ان المرونة كانت ضرورية من الناحية السياسية التكتيكية، في
مثل هذه الامور، نقول ان تجربة (الحزب الشيوعي العراقي كحزب)، اثناء
انضمامه الى (الجبهة) مع حزب البعث، قد اثبتت عدم جدوى التكتيك المرن
مع نظام عنصري مستبد، فلا يستطيع أي حزب ان يكون مرنا اكثر من
المرونة التي ابداهها (الحزب الشيوعي العراقي) مع حزب البعث، ومع ذلك
طارده دون هوادة !

٥/٨ - الوضع بعد الانهيار

عندما انهارت ثورة ايلول، سنحت الفرصة أمام النظام، لكي يعمل،
اضافة الى انهيار الكورد العسكري، من اجل تحقيق انهياره السياسي
والنفسي، وحتى القومي أيضا.

فباختصار، لم تمر الامة الكوردية ابدا، منذ فشل انتفاضة (الكردي داغ) في
كوردستان / تركيا عام (١٩٢٥م) بظروف قاسية كالتالي أصيبت بها بعد
انهيار ثورة ايلول. فليس الشعب والوطن والاصل والتراث والتاريخ والاهل،
أصبحت في مهب الريح، بل لم يكن أي شخص مطمئنا حتى على شرفه
الشخصي ايضا. فمثلا يقع الغزال فريسة فمر جائع، وقع الكورد هكذا امام
هجوم نظام عنصري مستبد.

عندما اعلن الحزب الديمقراطي الكوردستاني انهياره العسكري، في
ظروف كهذه، لم يكن لديه بالمقابل اية خطة سياسية، لما بعد الانهيار
العسكري، حيث أعطي الخيار للبيشمركة والناس في اتخاذ قرارهم
السياسي، سواء البقاء في ايران ام العودة الى العراق، فبالاضافة الى
التنظيمات العلنية للحزب الشيوعي العراقي حينئذ كانت في الساحة هذه
المنظمات السرية أيضا:

- ١- (كارتيك) التي سميت بـ(باسوك) فيما بعد، تأسست عام ١٩٥٦م.
- ٢- العصبة الماركسية-اللينينية الكردستانية. تأسست في
١٠/٦/١٩٧٠م

٣- كما وضع الكوادر المعروفة في الثورة بقيادة الشهيد صالح اليوسفي اثناء انهيار الثورة، اللبنة الاولى لبناء (الحركة الاشتراكية الكوردستانية).

٤- بعض من بقايا القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، من الذين كانوا يقومون بنشاطات سياسية وعسكرية.

في خارج الوطن، وبعد مشاورات بين قيادة (عصبة الماركسية-اللينينية الكوردستانية) والسيد جلال الطالباني الشخصية السياسية المعروفة، جرت مناقشة اشكال مختلفة من الاحزاب والتنظيمات، انتهت بتأسيس (الاتحاد الوطني الكوردستاني) في ١/٦/١٩٧٥ م. وفي تلك الفترة نفسها أعلن عن تشكيل الحزب الديمقراطي الكوردستاني (القيادة المؤقتة).

ان الظروف التي خلقها انهيار الثورة داخل الوطن لم تسمح حتى باتاحة اقل الفرص لاجراء دراسة حرة للوضع في كوردستان، واعداد استراتيجية جديدة لما بعد الانهيار، لكن الفرص كانت متاحة في الخارج بشكل واسع وكبير، للكتابة عن هذا الوضع بلا رقيب، ولعقد الندوات والاجتماعات والمؤتمرات، ولنشر الكراسات والكتب، واصدار الصحف والمجلات، هذا عدا كسر الحصار الاعلامي المفروض على الانباء والاخبار المتعلقة بالعراق والقضية الكوردية، حيث كان بالامكان الاطلاع على وضع النظام العراقي والقضية الكوردية عن طريق الوسائل الخاصة والعامة، كما اصبحت المكانة السياسية والقانونية لقضية شعبنا، والى أي حد تلقى المساندة والدعم - مسألة معروفة للمتتبعين. في أيام كأيام الانهيار، حيث انقطعت كوردستان عن الخارج، ولم تكن هناك بينهما اتصالات يومية، بل حتى الشهرية ايضا- كان من الصعب التوصل، عن طريق حديث شامل، الى تفسير حالة الانهيار، وكيفية النضال في زمن ما بعد الانهيار، واستخلاص نتائج دقيقة عنه.

ان التفسير غير الدقيق للاحداث ألحق ضررا بالغا برسم الاستراتيجية الجديدة، بل تحكمت الحالة النفسية السلبية التي احدثها الانهيار، والسياسة

كان اسم منظمته في البداية (الحركة الاشتراكية الديمقراطية الكوردستانية)، لكنهم غيروه بناء على طلب مام جلال الى (الحركة الاشتراكية الكوردستانية) لأنه بين لهم ان (الاشتراكية-الديمقراطية) اسم اقل اسلاسه، وخان حاملوه الاشتراكية - المؤلف -.

العنصرية البعثية الخطيرة، في الاراء والقرارات المتخذة، لذلك كانت اكثرية الاراء والقرارات خارج وداخل كوردستان، في خدمة استئناف القيام بحركة مسلحة، وهذا لايعني-طبعاً- انه لم تكن هناك اراء وتوجهات مخالفة حول الكفاح المسلح، كذلك حول نوعية هذا الكفاح المسلح، والهدف من القيام بحركة مسلحة، بعد الانهيار، ضد حزب البعث، وفي ظل وجود اتفاقية الجزائر كانت هناك اراء مختلفة حول كل ذلك، بل كانت هناك اراء مضادة للكفاح المسلح ايضا، الا انه في نهاية المطاف اتفقت الاراء، بوجه عام، على الكفاح المسلح، وفق اساسين مختلفين:

الأساس الأول: البدء بالثورة المسلحة الطويلة الامد، عن طريق مفارز اللپيشمرگه، خاصة بحرب الانصار، تتحرك بعيدا عن انظار السلطة و عملائها، هدفها توعية الكادحين، باسم الثورة الجديدة، في القرى والجبال من اجل اسقاط النظام، وتغييره بنظام ديمقراطي ائتلافي، يحقق الحكم الذاتي الحقيقي لكوردستان، وتسمى الثورة بـ(الثورة العراقية المندلعة من جبال كوردستان).

الاساس الثاني: تكوين قوة مسلحة كبيرة، تضم كل الطبقات والشرائح الاجتماعية، كتظاهرة مسلحة، من اجل الضغط على النظام، لكي يقر بمبدأ المفاوضات بسرعة، وبذلك يتم انقاذ الشعب الكوردي من خطر العنصرية والاستبداد.

أول هذين الرأيين، كان للهيئة المؤسسة لـ(الاتحاد الوطني الكوردستاني) و(عصبة الماركسية-اللينينية الكوردستانية)، أما الثاني، فكان لـ(الحركة الاشتراكية الكوردستانية)، وكلاهما معا كانا يقومان بالعمليات العسكرية في اطار(الاتحاد الوطني الكوردستاني)، بشكل عام.

اما الحزب الديمقراطي الكوردستاني (القيادة المؤقتة) الذي كان يعمل تحت التأثير السياسي والعسكري والنفسي لانهايار ثورة ايلول أكثر من الاطراف الاخرى، بحكم كونه مسؤولاً عن قيادتها ونتائجها، بدأ عمله عن طريق المفارز الصغيرة المكونة من كوادره المثقفة والمخلصة، للقيام بحرب الانصار، لكنه لم يمض وقت طويل حتى بدأ يجمعون هم ايضا بين حرب الانصار والحرب المتحركة، كما حصل في ثورة ايلول.

لم تمر فترة طويلة من الزمن حتى احتضنت كوردستان مرة أخرى، وابتداء من شهر (حزيران/ ١٩٧٦ م) مفارز الانصار، وقوات عشائرية اكبر، في المناطق الجبلية التي تسكنها هذه العشائر، وقد اشترك في هذه المفارز وقوات البيشميركه مسلحو جميع الاطراف، واستؤنفت العمليات والنشاطات العسكرية من جديد، شيئا فشيئا، ووصلت اخبار استئناف الكفاح المسلح الى احاء العالم، عندها اقتنع النظام، بأنه لا بد من الاعتراف بالحقائق، والتخلي عن الكذبة التي كان يروج لها، وهي انهاء روح المقاومة والتصدي عند الشعب الكوردي، حيث بدأ بتنفيذ أوسع خطة للثورة المضادة في المنطقة التي أنشأها بنفسه، ومفادها القضاء نهائيا على روح المقاومة عند الشعب الكوردي، وهكذا بدأ بتنفيذ اوسع خطة للثورة المضادة، في المنطقة. ان عملية تقييم استراتيجية الكفاح المسلح، لهذه الحركة التي قامت من جديد، بعد الانهيار، وتقييم خطط الثورة المضادة الجديدة للنظام، لها علاقة عضوية بجوهر بحثنا، إما بالنسبة الى استراتيجية الكفاح المسلح، وضرورة استبدالها باستراتيجية الانتفاضة، والتي لم تستبدل حتى بعد تجربة الانهيار ايضا، فإن تأثير الاحداث، خلق بصورة موضوعية هذه الاستراتيجية من جديد وفرضتها على ساحة النضال في كوردستان.

٦/٨ - ارضية استئناف القيام بالكفاح المسلح

أ- الارضية السياسية:

مادام شعبنا، من الناحية السياسية، صاحب قضية ديمقراطية مشروعة، وهي حق تقرير مصيره بنفسه، فان هذه القضية المشروعة تعطي الحق له، من الناحية السياسية، ممارسة كل اشكال المقاومة، الى حين حصوله على حقوقه المشروعة، خاصة وعدو شعبنا معروف بعدائه وتجربته الطويلة في خرقه الدماغ للحقوق الديمقراطية والمدنية والانسانية. هذا بالنسبة للحقوق السياسية الاولية لهذا الشعب، لكن اذا اردنا اخراج هذ المبدأ العام من اطار الرؤية الشمولية العامة، وتحليله قسما قسما، فالى أية نتيجة ستقودنا هذه العملية، يا ترى!؟

ان الاجابة عن سؤال كهذا سياخذنا مرة اخرى الى حيث القوانين العامة والخاصة المتعلقة بتحرير الشعوب، داخل اطار الاستراتيجية المسلحة، وبعد

ذلك، يمكن اصدار حكم علمي على كيفية استئناف الكفاح المسلح بعد الانهيار، لاننا، اذا لم نضع هذه القوانين العامة امام نظارنا، فان القانون الخاص للكفاح المسلح لتحرير شعبنا سيستعقد فهمنا له، لاسيما في بداية استئناف حرب الانصار، وبعد الانهيار، حيث كان كل الاطراف تعتبر نفسها أقرب من القانون العام لتحرير الشعوب، ومن الفكر اليساري. ان المبادئ التي وضعت في اطار القانون العام، بعد الحرب العالمية الثانية، لاسيما بعد انتصار ثورة الصين الطويلة الامد، فيما يتعلق باستراتيجية الكفاح المسلح-التحرري، هي :

- ١- الشروط الموضوعية، وتحقق بفقدان ثقة الناس بالنظام، وعدم قدرة النظام على حل الازمات ومشاكل الناس، ويحدث هذا، عندما يقع صراع غير قابل للحل بين قوى الانتاج والعلاقات الانتاجية.
- ٢- الشروط الذاتية، وتتمثل هذه الشروط في الحزب الطليعي، وجبهة الشعب المتحدة، والثورة المسلحة.

اذا قسنا النقطة الاولى، وهي (الشروط الموضوعية) على حالة العراق وكوردستان، ورجعنا الى زمن وارضية ما بعد انهيار ثورة أيلول، لوجدنا الأمر هكذا: لتوفر مادة النفط والمواد الاولية المتنوعة الكثيرة، في العراق، فقد اعتمد النظام العراقي كلياً في تأمين وارداته على هذه المصادر الاقتصادية التي ساعدته، كنظام برجوازي متخلف، على السيطرة التامة على مقدرات الشعب العراقي، حيث جند هذا النظام كل امكانياته المالية الهائلة لحل كل المشاكل الاقتصادية للناس، بصورة عامة: تأمين فرص العمل، وتوزيع الرواتب، والسكن، والاحتياجات الضرورية الاخرى، وكان هذا سبباً في عدم تراكم الضوائق الاقتصادية العميقة. فما دام الامر هكذا، اذن، لم يكن بالامكان، تفجير القضايا السياسية والاجتماعية العميقة، عن طريق الاضرابات والتظاهرات الطبقيّة فقط.

وفي حالة كهذه، وعلى مستوى العراق كله، ان لم يكن الوضع الشوري مهياً، حتى الى حد القيام بانتفاضة جماهيرية، لأسقاط النظام، أو لأجباره على التراجع، فمعنى هذا انه: لم يكن الشرط الموضوعي، مع مفهومه العلمي، مناسباً للقيام بـ(الثورة العراقية المندلعة من جبال كوردستان).

ان السخط الموجود بين الناس، وبين السياسة العراقيين، ضد النظام، كان من غير الممكن جعله اساسا لخلق وضع ثوري، يؤدي الى اسقاط النظام، او بعبارة اخرى، لم يكن السخط الى درجة، بحيث يؤدي الى الاسراع في انتعاش مسألة القيام بالثورة العراقية، من جبال كوردستان. ان وجود سخط الناس والاحزاب السياسية العراقية المشردة، لم يتمكن طوال العديد من السنوات، مع وجود الكفاح المسلح في كوردستان، من دفع هذا السخط دفعا ملحوظا الى الامام، ليقترب من الوضع الثوري شيئا فشيئا. فالى ما قبل الانتفاضة الجماهيرية، في السنة الماضية، لم ير جماهير جنوب العراق نموذجا واحدا، للنضال الجماهيري المهم، كشاهد على عمل القوى السياسية العراقية المعارضة.

أما بالنسبة الى كوردستان، فمن الناحية القومية والوطنية والسياسية كان معظم جماهير كوردستان ضد عنصرية النظام، ويمكن اعتبار هذا الامر جزءاً من الخاصية المتاحة، للشروط الموضوعي في كوردستان وهذه الخاصية المتاحة للشروط الموضوعي في كوردستان، هي نفسها التي تفصل بين الوضع السياسي الخاص في كوردستان، والوضع السياسي العام في العراق، كما تجعل منها ارضية صلبة لروح المقاومة الكوردستانية. فاذا كان الامر كذلك، فاية علاقة بين دراسة وتحليل هذه الخاصية المتعلقة بالشروط الموضوعي في كوردستان الملائم لروح المقاومة والتحرر والديمقراطية الكوردستانية، وبين اسس الاقتصاد العراقي الذي تم تعويض ازماته بايرادات النفط، والذي لم يخلق فيه الوضع الثوري بعد.

اذا كان بالامكان ربط العلاقات السياسية والاجتماعية والقومية الموجودة داخل الدول، بصورة ميكانيكية، بالاسس الاقتصادية، فيجب، في هذه الحالة، الاتصل قضية الديمقراطية، لشعب، كالكورد الى حد نضج الشرط الموضوعي في كوردستان، وذلك حسب اسس الاقتصاد العراقي الذي لم تصل ازمته الى حد الانفجار، لكن، بفعل سببين: احدهما اقتصادي، والاخر سياسي، يظهر، ان العلاقات الاقتصادية ليست علاقات ميكانيكية. فحتى تلك المقاييس النظرية التي جعلوها كابوس الفكر العلمي المسيطر على تلك الاسس الاقتصادية، من اجل عدم الفصل بين نضال عمال البلدان المتعددة القوميات، كالعراق وتركيا ويران والاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، كذلك

من اجل ادامة نضالهم الديمقراطي المشترك- فحتى هذه المقاييس النظرية بدأت تتلاشى وتلغى، كما ان الظواهر والشواهد قد اكدت بمرور الزمن ان القوانين والقواعد الاقتصادية ليست ثابتة، لاسيما تلك القوانين والقواعد الاقتصادية التي تم بناؤها، عن طريق سياسة استعمارية، وفرض عن طريق جيوش المحتلين. واما هذان السببان فهما:

١- ليست الاسس الاقتصادية، والعلاقات والقوى الانتاجية الاقتصادية، هي التي تقرر فقط، بصورة حاسمة، مسار الظواهر السياسية والاجتماعية، وشكل الروابط الاجتماعية، في الحياة، بل، وفي احيان كثيرة، تصيح القضايا القومية والوطنية للشعوب، كذلك المطالب الديمقراطية أساساً للنضال الثوري. فالآلاف من الوقائع القومية والاجتماعية والسياسية العميقة المتنوعة، في العالم الرأسمالي المتقدم والمتخلف، حيث اصيبت اسس اقتصاده وعلاقاته الاقتصادية، بالركود الرأسمالي. وهذه الوقائع جميعها، ومنذ الثورة البرجوازية الاوربية، والى ايام النضال التحرري للشعوب المظتهدة، هي افضل ادلة على صحة هذه الحقيقة.

٢- للقضية الكوردية جذور اكثر عمقا من قضايا الشعوب المحرومة من الحقوق الديمقراطية، في الشرق، ولا يمكن ابداء وضع هذه القضية داخل قالب اقتصادي معد مسبقا، فهي تزداد اشتعالا ولهيبا باستمرار الى ان يحصل الشعب الكوردي على حق تقرير المصير، ويمارسه بكل حرية، ويقرر بنفسه مسألة استقلال امته ووطنه، على الرغم من انه يجري هنا او هناك، في هذا القسم او ذاك القسم من كوردستان، قمع انتفاضاته وافشال ثوراته. هذه الحقيقة القومية تحولت في الحس الشعبي، والموقف السياسي للشعب الكوردي، الى قوة مادية فعالة، تتميز بميزات خاصة بها بعيدة عن ظروف واطراف الدول المحتلة لكوردستان، وتنعكس ثوريا فيها كحركة ديمقراطية لشعب مضطهد.

فلو سلمنا ان الامور تسير بموجب هذه الحقائق، فان الشرط الموضوعي كان ملائما للمقاومة الثورية في كوردستان، بالرغم من كارثة الانهيار، ونتائجها وسيطرة النظام في الفترة التي تلت الانهيار على مقاليد الامور فيها، لكن يا ترى، هل استطاع النظام العراقي تأمين المطالب التي انعشها الشرط

الموضوعي في كوردستان، والتي تمثلت في مطلب تحقيق الديمقراطية والحريّة لشعب مضطهد، وبهذا كان سيلغي فعالية الشرط الموضوعي هذا، لاسيما كان يملك كل الامكانيات الضرورية لتحقيق ذلك؟!

اذا كانت المسألة هي الاحتياجات الاقتصادية المنفصلة عن بقية الاحتياجات السياسية والاجتماعية والديمقراطية، فان القدرة الاقتصادية للنظام، بعد انهيار ثورة ايلول، كانت اكثر بكثير من الفترة التي سبقت الانهيار، وذلك، بسبب الانهيار الذي وفر عليه الكثير من النفقات الحربية، وبسبب الإيرادات النفطية الهائلة التي تحققت نتيجة لارتفاع اسعار النفط في تلك الفترة. ففي عام (١٩٧٠م) كانت إيرادات النفط العراقي (بليوناً ومئتين وثلاثين مليون دولار)، وكانت هذه الإيرادات في ازدياد حتى وصلت عام (١٩٨٠م) الى (خمسة وعشرين بليون دولار). أي بزيادة عشرين ضعفاً^(١) لذلك كانت الامكانيات الاقتصادية للنظام في مستوى تأمين الاحتياجات الضرورية للناس. فعلى الرغم من التمييز العنصري الصارخ بين القوميات في العراق، الا ان الحياة المعيشية للناس، بصورة عامة، كانت افضل، لو قورنت بحياتهم المعيشية في السنوات التي سبقت الانهيار، بل زادت الامكانيات المالية للناس، كما زادت الاعمال الانشائية والمقاولات والاعمال التجارية والرواتب المغرية، والتعاملات المختلفة، ومع مرور الوقت، وحسب تخطيط النظام، من اجل خلق اوسع قاعدة جماهيرية للبرجوازية الصغيرة، كانت هذه القاعدة تتوسع، وتزداد باستمرار، وفي نفس الوقت تقلل احتياجات ومشاكل الماضي.

في عام (١٩٧٤م) زادت رواتب الموظفين وافراد القوات المسلحة والعمال ما بين (٩) الى (١٩) ديناراً، وفي عام (١٩٧٩م) ما بين (١٠) الى (١٧، ٥) ديناراً، وشملت الزيادة هذه المرة حتى المتقاعدين.

اصبح دخل المواطن العراقي، بفعل واردات النفط، والابتعاد عن الخطط الاقتصادية العلمية، وكيفية التوسع المتوازي للاحتياجات الاقتصادية مع امكانيات الناس المادية، بعد تسلم حزب البعث للسلطة في العراق، بقصد تنفيذ الخطط البعثية، كما يلي:

لمراجعة الارقام، انظر (حرب الخليج، اوهام القوة والنصر) محمد حسنين هيكل -ص ٩١.

في عام (١٩٦٨م) كان دخل المواطن العراقي (١،٩١) ديناراً، فاصبح (٤،٢٦٩) ديناراً في عام (١٩٧٤م)، ثم ارتفع الى (١،٦٦٦) ديناراً في عام (١٩٨٠م)، وبهذا زاد معدل دخل الفرد السنوي من (٤٩٢) ديناراً عام (١٩٦٨م) الى (١٥١٧) ديناراً عام (١٩٨١م).^(١)

هذه الخطة، اضافة الى تأثيرها في معيشة الناس، خدعت الناس ايضاً، كما خربت البنية الاقتصادية في العراق نتيجة للسياسة الاقتصادية المعتمدة على واردات النفط، واراد النظام، عن طريق تلك الحروب التي اشعلها ضد الكورد وايران والكويت، تعويض خسائر تلك السياسة. وبهذا يتأكد ان حركات الشعوب والقضايا الاجتماعية، لا تحركها الاسس الاقتصادية والمشاكل والازمات الاقتصادية فقط، بل هناك أسباب أخرى أيضاً: القومية والسياسية والنفسية التي تلعب دوراً مؤثراً، قد يصل الى حد تهيئة الظرف الموضوعي لنشوء روح المقاومة لدى الشعوب المضطهدة، لذلك، ورغم عدم استفحال الازمات الاقتصادية للنظام، ورغم تحسن الحياة المعيشية والمالية، وتأمين المستلزمات الضرورية للناس، في الفترة التي اعقبت كارثة الانهيار، نقول رغم كل ذلك، استرد شعب كوردستان عافيته، في خضم اشتداد آلام كارثة الانهيار، وانبعثت فيه روح المقاومة بالقدر الذي تتطلبه مرحلة التحرر والديمقراطية، وذلك بسبب عنصرية النظام، التي لم تكن لها حدود.

لم يكن الشرط الذاتي مهياً للكفاح المسلح في كوردستان، بعد الانهيار وبداية استئناف الكفاح المسلح، كما كان مهياً في البلدان التي اوصلت كفاحها الى النصر، كـ(الصين، وفيتنام، وكوريا، وكوبا، ولاوس)، كما لم تكن، الارضية الاجتماعية، ولا القوة الطبقية، ولا النضال السياسي ملائماً فيها لولادة الحزب الطليعي مع مفهومه الطبقي، كما كانت في تلك البلدان. اما تشكيل (الجبهة الوطنية الكوردستانية)، فلم تتحقق، بسبب تعقيد المشاكل القديمة بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني، بالاضافة الى النتائج التي تمخض عنها انهيار ثورة ايلول، وعدم التنام كل جراحات الماضي، كذلك لاختلاف الرؤية السياسية الجديدة الى الامور. ليس هذا فقط، بل عندما تأسس الاتحاد الوطني الكوردستاني، وانتعش الحزب

الديمقراطي من جديد، لم يوقعوا، في الاقل، اية اتفاقيات بينهما، لصالح كيفية القيام بالكفاح المسلح وتقويته^(١) وبدلاً من ذلك اشتدت روح العداة والحقد بين الطرفين بمرور الزمن. فهذا الوضع السياسي المتأزم العصيب، اضافة الى تأخيره لضرورات تشكيل (الجبهة الوطنية) بشكل مؤثر، فانه فجر ايضا التناقضات الثانوية، كما منح فرصة ملائمة لاعداء شعبنا لكي يعملوا من اجل تشجيع تفاقم المشاكل والتدخل من اجل اثارها بشكل اعمق، وهكذا وقعت كارثة الحرب الداخلية الملازمة لحركة حرب الانصار، واستمرت الى بدايات عمليات الانفال، بشكل مأساوي، ويمكن القول ان كل الاطراف، وبلا تمييز، مسؤولة عن الحرب الداخلية هذه، وان كل الذين اشتركوا في تلك الحرب، ووفق درجات مسؤولياتهم داخل الحركة، ابتداء من اصحاب المسؤوليات الكبيرة وانتهاء باصحاب المسؤوليات الصغيرة، كل حسب مسؤولياته، وقابلياته وامكانياته السياسية والعسكرية، يتحملون الخطايا السياسية والعسكرية لكوارج الحرب الداخلية، وكل تنصل او تهرب او تبرئة للنفس من هذه الخطايا، هو كذبة تاريخية، الهدف منها خداع الجماهير. ففي محكمة التاريخ يعلق -بلاشك- الكبير من رجله والصغير من رجله، او كل يعلق من عرقوبه، كما يقول المثل.

فبالاضافة الى خلو الساحة من وجود (الحزب الطليعي) و(الجبهة الوطنية)، كذلك الضعف وعدم وجود الظهير والسند الاستراتيجي، وكثرة المشاكل الداخلية المتفجرة، فان اخر شرط من الشروط الذاتية للقيام بالكفاح المسلح والتي تتمثل في تشكيل (جيش شعبي)، قد شوه، وولد مشلولاً، فبدلاً من تقريب وتوحيد قوات الپيشمرگه، بمرور الزمن، عملوا من اجل فصم علاقاتها النضالية، ودفعها للقتال فيما بينها، حيث استمرت هذه الحالة الى ما بعد الانتفاضة وانتخابات البرلمان ايضا. لذلك نجد ان اضرار وجود قوى واحزاب متعددة ايام الانتفاضة، بالرغم من عدم قيام حرب داخلية، وفي غضون سنة واحدة، من الفوضى وفقدان الضبط والنظام، وعمليات النهب والجرائم التي ارتكبت اثناءها، لم تكن بأقل مما حصل في سنوات الحرب الداخلية.

الاتفاقية الميدانية الوحيدة التي وقعتها (الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني) كانت عام (١٩٧٧) لكنها الغيت بعد شهرين من توقيعها - المؤلف -

وبناء على ما تقدم، نجد أن الشروط الموضوعية في كوردستان / العراق لم تكن مهينة رغم الوضع المأساوي الذي خلقته كارثة الانهيار في عام (١٩٧٥م) باستثناء (المسألة القومية والسياسية)، كذلك لم تكن الشروط الذاتية مواتية أيضا، فعلاوة على عدم وجود حزب طليعي (ليكن حتى غير طبقي) لم يكن هناك أيضا حزب ثوري ديمقراطي لوحده في الساحة، أو أقوى بكثير من الأطراف الأخرى لسد ثغرات الشروط الموضوعية والذاتية الضروريتين كثيرا جدا للثورة المسلحة. ان هذه المسألة لم تكن مطروحة للبحث بل الذي حصل هو نقيض هذا، لأن جميع القوى كانت ترى نفسها أولى بالقيادة والحكم . فاذا كانت الأمور تجري بهذا الشكل، فهويعني أن:

- الشرط الموضوعي لم يكن ملائما، كما يجب.
 - الشرط الذاتي ايضا لم يكن ملائما، بل كان معقدا.
 - المستلزمات الضرورية للكفاح المسلح، لم تؤمن بشكل مناسب.
 - النظام كان اكثر سيطرة وقوة من سنوات ما قبل الانهيار.
- وعلى الرغم من كل هذا، أشعل فتيل الثورة من جديد، وهذا يستوجب القاء نظرة على:

ب - الارضية العسكرية:

عندما يتهيا، الى درجه جيدة، الشرط الموضوعي والعوامل المساعدة على المقاومة لدى شعب مضطهد ومجزأ ومنهك ماديا ومعنويا، ويكون المحتل لأرضهم، بسبب عنصريته، ضد مطالب هذا الشعب، وتكون الظروف السياسية المختلفة داخل بلد واحد متعدد القوميات، في صالح القومية الحاكمة، وفي صالح وطن تلك القومية، فاذا كانت الظروف هكذا، فهل يمكن ربط الظروف الموضوعية بسهولة، وبصورة تلقائية، بالثورة المسلحة؟! أي بأحد الوسائل الذاتية للتحرير، أو حتى اذا ربطت هذه الظروف بالثورة المسلحة، فهل الذي احتله، ولا يستجيب لمطالبه السياسية، ضعيف الى الحد الذي لا يستطيع فيه افشال تلك الحركة المسلحة؟ أي: ما هو الفرق بين الظرف الموضوعي المطلوب لانعاش روح المقاومة لدى شعب، يتصدى للخطط العنصرية لمحتليه، وبين قوة وامكانية الكفاح المسلح لهذا الشعب ومحتله،

وكيف يكون؟ ولكي نوضح هذه الحقيقة ايضا، فمن الضروري ان نلقي نظرة على الامكانيات العسكرية لشعبنا، ونقارنها بالامكانيات والقوة العسكرية والتكنولوجية للنظام، ثم نحلل نتيجة القرار.

اصبح الشعب الكردي، بعد الانهيار، وحيدا يائسا يائسا على ارض وطنه، وبدأ البعث بمضايقته ومطاردته، وقام الغرب والشرق في هذا العالم المليء بالتباهي بالاشتراكية والديمقراطية، بتسليح النظام الشوفيني البعثي حتى النخاع، ونسوا الكورد، بسبب المصالح المشتركة والتواطىء بين معسكري الحرب الباردة. فما عدا سوريا التي ساندت القوى السياسية العراقية والكوردستانية، بموجب التناقضات السياسية في المنطقة وعداءهم مع البعث العراقي، لم تجرأ اية دولة او جهة على مساندة الكورد، إلا ليبيا التي ظلت صديقة له، لكن من بعيد، والبعد الجغرافي مشكلة كبيرة جدا للدول المساندة.

لم يكن هذا الشعب يملك سلاحا، ولا مالا، وكان عدوه قويا ومسيطران. ان كل ما كان يملكه، من الناحية العسكرية، بعد الانهيار، هو عشرات، او الى اقصى الحدود، مئات من قطع السلاح التي اخفيت اثناء الانهيار، من قبل الاحزاب، او المواطنين او المهريين، ولم تكن لديه اعتدة، ولا مخازن ضرورية، ولا مدافع ودوشكا او أي اسلحة متوسطة وثقيلة اخرى، وأما النظام العراقي، فقد احتل اخر قمة من قمم جبال كوردستان، وفتش كل المناطق الخاصة والسرية للمبيشمركه، وكان يعرف كل مسالكها وخباياها، صغيرها وكبيرها، كما هجر الاف الالوف من الكرد الى جنوب العراق، وبالرغم من خضوع النظام العراقي لنظام الشاه بعد إتفاقية الجزائر، الا ان واردات نفطه، بعد انهيار ثورة ايلول، تجاوزت (١٥) بليون دولار، بينما واردات نفطه في عام (١٩٧٠م) لم تتجاوز حدود بليون و(٢٣٠) مليون دولار كما ذكرنا سابقا، وبهذه الواردات تمكن من تخصيص بليون ونصف البليون من الدولارات سنويا كميزانية للجيش، وقد وصل عدد افراد قواته المسلحة الى (١٩٠) الف شخص، موزعين على (١٢) فرقة، بينما كان لديه (٦) او (٧) فرق عسكرية.

ابتداء من استئناف القتال عام (١٩٧٤م)، ثم انهيار الثورة عام (١٩٧٥م)، والى بداية حرب الانصار والمقاومة الباسلة لشعبنا منتصف عام (١٩٧٦م)، اصبحت قدرة النظام العسكرية التكنولوجية بهذه الصورة:

- من (٢٥٠) طائرة حربية، الى (٤٥٠) طائرة.
- من (٨٠) طائرة هليكوبتر، الى (٢٥٠) طائرة هليكوبتر.
- من (١٤٠٠) دبابة، الى ضعف هذا العدد.
- من (١٥٠٠) ناقلة جنود، الى ضعف هذا العدد
- من (٩٠٠) مدفع عيار (٢٢ ملم) وعيار (٨٠ و١٠٥ ملم)، الى اكثر من ضعف هذا العدد.

هذه هي الاسلحة التي تستعمل في كوردستان فقط، والا فهناك اسلحة خاصة بالقوات البحرية، واخرى لاطلاق صواريخ ارض-ارض لم تذكر ضمن هذه القائمة. ان الاسلحة التي استعملت بصورة مكثفة ضد اشكال مختلفة من الحرب التحريرية في كوردستان، ككل الحروب التحريرية الطويلة الامد: بدءا بحرب الانصار التي تهدف الى انهك قوى العدو، ومن ثم الانتقال الى الحرب المتحركة، لاضعاف قوات العدو ماديا ومعنويا، وبعدها تنتقل الثورة الى ممارسة اسلوب التوازن الاستراتيجي، وذلك بتحرير بعض المناطق المهمة الكبيرة، وادارتها من قبل الثوار، وتأتي، بعد هذه الخطوة، المرحلة الاخيرة، وهي الهجوم الاستراتيجي لتحرير المدن. ومقابل كل مراحل الحروب التحريرية هذه، قام النظام العراقي بتسليح جيشه، وفق نهج الثورة المضادة، بكل انواع الاسلحة الضرورية والوسائل اللوجستية، والامكانيات الاستخباراتية والاعلامية، من اسلحة حديثة، لاسيما طائرات الهليكوبتر، وناقلات الجنود، والمدافع، والدبابات، وهي اسلحة فتاكة، وتستخدم بصورة خاصة ومباشرة، في الحرب المضادة، وكان باستطاعة النظام العراقي استغلال هذه الامكانيات العسكرية والتقنية والواردات الضخمة للنفط التي كانت تحت تصرفه، كنظام قومي عنصري مؤمن بالتوجهات العروبية، يحكم باسم الأمة المسيطرة، وباسم المحافظة على الأمة العربية والعداء لاسرائيل، والذي يقصد من ورائه دغدغة المشاعر القومية والدينية للعرب والمسلمين - كان باستطاعته

استعمال كل هذه الامكانيات المادية الهائلة اضافة الى التأييد والمساندة العربية (عدا سوريا وليبيا) ضد الكورد وبشكل واسع* .
في مفترق الطريق التاريخي هذا، وفي ظل هذا التفوق العسكري الشاسع، وعدم وجود السند والظهير الاممي والدولي، تعرض الكورد مرة اخرى الى اختبار جديد، جديد في كل النواحي التي خلقتها ظروف ما بعد الانهيار. فقبل الانهيار كان لديه (١٣٠) الف پيشمرگه، وعشرات الالاف من قوات المقاومة الشعبية، والالاف من الكوادر العسكرية والسياسية والادارية والاعلامية المختصة، وعشرات من المضادات الجوية، والمئات من المدافع والهاونات و(الاربي جي)، مقابل نفس النظام، لكنه اضعف من ناحية السلاح والجيش والامكانيات المالية والادارية، ومع كل هذا تمكن هذا النظام الضعيف من هزيمة هذه الثورة بهذه الامكانيات عن طريق اتفاقية الجزائر بين النظام الايراني الشاهنشاهي والنظام العراقي البعثي عام (١٩٧٥ م).

نفس الشعب (لكن بدون امكانية، وفي حالة ضعف)، على ارض نفس الوطن (لكن بدون شبر من الارض المحررة)، وفي ظل نفس الانظمة المحتلة للاجزاء الاخرى من كوردستان (بدون تغيير أي منها)، وداخل دائرة نسق الحرب الباردة نفسها (بدون ظهور علامات تغيير). نعم نفس الشعب الذي هو الكورد، وضد نفس المحتل الذي هو البعث الفاشي، اجبر مرة اخرى، على الوقوف، في المفترق الصعب لاختيار طريق الحياة او الموت:

الحرب المسلحة ام استراتيجية جديدة؟

- بعد فشل انتفاضة (درسيم) عام (١٩٣٧ م)، والى عام (١٩٨٥ م)، حيث استأنف حزب العمال الكوردستاني (PKK) نضاله المسلح، في كوردستان/تركيا على شكل حرب الانصار، لم تندلع هذه الحرب طيلة (٤٨) عاما.

* اثناء قيام الثورة الجديدة لم تساندنا مصر والاردن، لكن لم يكن لهما موقف عدائي من قضية شعبنا ايضا، على الرغم من علاقاتهما المتميزة مع النظام البعثي العراقي، وهذا الموقف ينطبق على اكثرية الدول العربية- المؤلف- الطبعة الجديدة المنقحة.

- بعد اخماد انتفاضة البارزانيين عام (١٩٤٥م)، والى اندلاع ثورة ايلول عام (١٩٦١م)، في كوردستان/العراق، لم تقم اية انتفاضة تحررية طيلة (١٦) عاما.
- بعد سقوط جمهورية كوردستان عام (١٩٤٦م)، والى اندلاع حرب الانصار بقيادة (ملا اواره) و(سليمان معيني) عام (١٩٦٧م)، في كوردستان/ايران- لم يندلع النضال المسلح طيلة (١٩) عاما، وبعد فشل هذه الحركة المسلحة ايضا، تطلب قيام الثورة من جديد (١٣) عاما آخر.

اما بعد انهيار ثورة ايلول عام (١٩٧٥م)، فلم تتحمل القيادة الكوردستانية، والجماهير الملتفة حولها السياسة الشوفينية البعثية الا سنة وثلاثة اشهر، حتى وجدت اصوات طلقات الانصار وفعاليتهم الثورية صداها، في كل اوساط المجتمع الكوردي، لانه، اذا كانت اوار كل انتفاضة مسلحة، تم اخمادها في كوردستان، تحتاج الى (١٠-٢٠) سنة، لكي تتقد وتشتع من جديد، لان الخطر الذي كان يهدد وجود الكورد كقومية، لم يكن كبيرا الا في القسم التركي من كوردستان، بحكم تخلف الحكومات المحتلة لكوردستان، فان حزب البعث، ولا سيما بعد انهيار ثورة ايلول، كان قد خطط بشكل، بل كان قويا بشكل لا يحتاج الى (١٠-٢٠) سنة، كي يقضي على الشعب الكوردي قضاء مبرما، بحيث لا يستطيع ان يستيقظ قوميا بعد قرن من الزمن، لان البعث نظام صاحب ايدلوجية سياسية وقومية محددة، وله، وبصورة منظمة، في كل النواحي: العسكرية وحتى اصغر مسألة اجتماعية واقتصادية وسياسية وتاريخية - له خططه المضادة. فكان النظام، وخططه الدقيقة، وبامكانياته الهائلة، يعادي شعبنا. فنظام كهذا، لا يعطي شعبا، انهارت ثورته، مهلة (١٠) أعوام لكي ينتفض من جديد، لذلك، كان التصدي لخططه الشوفينية فورا، من المهمات السياسية والقومية المصرية، والا فان حزب البعث كان سينهي مهمته. ان خطأ سياسيا كبيرا يرتكبه من يعتقد أن البعث لم يقم بعمليات (التعريب والتتهجير والتبعيث) أو بهدم القرى، الا كرد فعل للكفاح المسلح. ان رأيا كهذا ليس له اساس علمي، بل هو بعيد عن معرفة جوهر الشوفينية وفاشية البعث، ان لم يكن تبريرا لهما!

ان القيام بحرب الانصار، من اجل احياء روح المقاومة، كان سياسة صائبة وصحيحة، لكن من الضروري التحدث عن الهدف الاستراتيجي الذي قامت حرب الانصار هذه من اجله، ثم، ما هي اخطاء القيام بحرب الانصار هذه؟ ان تحليل هذه الاسئلة والاجابة عليها، الان، وبعد وضوح الأحداث وانكشاف كوامنها، لأسهل بكثير من السنوات الماضية المليئة بالتعقيدات والعنف حيث كان السلاح هو الفيصل في تقرير مصير الأشياء.

٧/٨- الفرق بين الحركات الكوردية

كان باستطاعة اية قوة سياسية تشكيل مفارز مسلحة، في بداية استئناف الكفاح المسلح، وارسالها الى ساحة النضال، أي: لا تعود ظاهرة تعدد القوى، وتعدد القوات، الى انتهاج سياسة ديمقراطية، بل يعود الى عدم وجود قوة رئيسية مسيطرة على الساحة وعلى السلطة في كوردستان، ولها القدرة على منع نشاطات وفعاليات الاطراف الاخرى. ان عدم وجود طرف يملك السلطة المطلقة، في كوردستان، هو الذي هيا الظروف لظهور حرية عمل العديد من القوى، بشكل غير مقرر مسبقاً:-

- عصبة الماركسية- اللينينية الكوردستانية^(١)
 - الاتحاد الوطني الكورستاني (الهيئة المؤسسة- الخط العام)
 - الحزب الديمقراطي الكوردستاني (القيادة المؤقتة)
- هذه القوى كانت من القوى الرئيسية المعروفة التي بدأت نشاطاتها بعد الانهيار مباشرة، كما تحرك (الباسوك)^(٢) من الناحية السياسية بحسب طاقاته وامكانياته، ثم اعلن عن تشكيل الحركة الاشتراكية الكوردستانية أيضاً. فما عدا (الباسوك) الذي أرسل مفرزة من البييثمرگه الى الجبال، بعد الهجوم على منظماتهم، فان الأحزاب والمنظمات الأخرى، قامت بالاعلان عن كفاحها المسلح، الواحدة بعد الاخرى، وفق قرارات وسياسات معلنة مسبقاً.

^١ غير اسمها الى (عصبة كادحي كردستان) بعد سقوط نظام الشاه و توسع الكفاح المسلح، وثقل المسؤولية الشعبية الملقاة على عاتقها- المؤلف.
^٢الباسوك، من الاحزاب الكوردستانية ذات التوجهات القومية المتطرفة وهو امتداد لحزب (كاژيك) القومي الذي تأسس عام ١٩٥٩م- المترجم.

لا ريب أنه كان لكل طرف سياسي من تلك الاطراف برنامج، للحركة الكوردية، يختلف عما لدى الاطراف الاخرى.

- الاتحاد الوطني الكوردستاني كان يعمل داخل اطار شبيهه بالجبهة التقدمية.
- الحزب الديمقراطي الكوردستاني اعلن عن مشروع جديد متشعب باليسارية لتوسيع الحركة الكردية بعد ممارسة عملية النقد الذاتي.
- (الكوملة - العصبة) وكانت ماركسية لينينية على نهج مارتسي تونك.
- (باسوك) جدد نفسه، بعد أن مارس عملية النقد لقيادة (كاژيك).
- الحركة الاشتراكية الكوردستانية، كانت تؤمن في برنامجها بالاشتراكية والسياسة الاصلاحية...الخ.

استطاع الاتحاد الوطني الكوردستاني، اضافة الى الخط العام، من ضم العصبة والحركة الاشتراكية الكوردستانية الى صفوفه، وبدأ الحزب الديمقراطي الكوردستاني نشاطه بصورة مستقلة، وعندما دخل (الباسوك) الى الميدان، تحرك، في البداية بلا اغيماز، بين الاتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني. لقد اجتمعت كل القوى السياسية، على الرغم من اختلاف برامجها ومناهجها وقياداتها وماضيها، حول مبدئين اثنين:-

- ١- الديمقراطية للعراق، والحكم الذاتي الحقيقي لكوردستان العراق.
- ٢- انتهاء منهج حرب الأنصار، والاستراتيجية المسلحة.

ينبغي هنا أن نقوم بتقييم استراتيجية جميع الاطراف، وتحليلها على ضوء الحقائق التي ظهرت الآن. فبالنسبة لشعار (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكوردستان) هو نفس الشعار السياسي السابق للحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي رفعه هذا الحزب منذ تأسيسه عام (١٩٤٦م)، والى يوم انهيار ثورة ايلول عام (١٩٧٥م)، ما عدا كلمة (الحقيقي) التي الصقت به،

عندما بدأ الكفاح المسلح تم التخلص من الماوية والعداء للاتحاد السوفيتي في صفوف العصبة تحت تأثير فكر الشهيد (آرام) - المؤلف.

وهي لاتغير المضمون الاجتماعي والجوهر السياسي للحكم الذاتي , لان الحكم الذاتي , لو طبق حتى مع (الحقيقي)ايضا , في كوردستان , فانه يأتي في المرتبة الرابعة من بين حقوق الشعوب التي هي على التوالي (الاستقلال , الكونفدرالية , الفدرالية)ثم (الحكم الذاتي)الذي فرض على الشعوب المحتلة بالقوة , طول التأخير ()^١ واذا كان الامر كذلك , فانه يعني : بعد الانهيار , وبعد تجربة مختلف أنظمة الحكم في العراق , وبعد تجربة بيان آذار , نعم بعد كل هذه التجارب المرة القاسية , لم يحصل أي تغيير سياسي جذري , الى الآن , على العقلية البرجوازية الكوردية , الا في الشكل وفي الظاهر , وليس في المضمون .

كان الكورد ينتظرون دائما من كل انتفاضة مسلحة , طبقا لشعورهم الطبيعي واخلاصهم الذاتي , تحقيق هدفهم الاسمي في استقلال شعبهم ووطنهم . لكن انتظارهم هذا لم يتحقق , بل تعرض للذبح أو الوأد في كل مرة . ففي هذه المرة ايضا , وبعد الانهيار , تم تحريك عملية القيام بالكفاح المسلح من جديد , بنفس الاستراتيجية القديمة , في الوقت الذي كان يجب أن ينظر الى تلك الشعارات بعين ناقدة فاحصة , والعمل مجددا , لاعداد استراتيجية جديدة للحركة التحررية الكوردية , حتى بالنسبة الى استراتيجية الكفاح المسلح ايضا ... اذا كانت شوفينية النظام والخوف من صهر الكورد , الى جانب الطريقة القديمة المتبعة في الكفاح المسلح , بعد الانهيار , تبرر المقاومة المسلحة في حدود محددة , فان عدم تغيير هذه الاستراتيجية المسلحة قد ولد كارثة عسكرية من ناحيتين :

- ١- عدم تحديد أهداف حرب الأنصار , كشكل من أشكال النضال المفروض , من أجل تهيئة الأرضية الملائمة لانتفاضة المدن , بل تم جعل الكفاح المسلح مرة أخرى , النهج الرئيسي للنجاح والانتصار .
- ٢- عدم وجود مخطط علمي ومدروس وبرنامج دقيق لكيفية استئناف حرب الأنصار .

الحكم الذاتي يأتي في المرتبة الرابعة , من بين حقوق الشعوب السياسية , فرض دائما بالقوة من قبل محتلي أوطان الشعوب , على الشعوب , طوال التأريخ وعندما أراد الكورد الحصول عليه عن طريق الثورة , وقفوا ضده , وسلبوا منه حتى هذا الحق ! -المؤلف - .

لقد جعل كل طرف من الأطراف أهمية نهج حرب الأنصار مرشدا ودليلا عسكريا له، سواء عن طريق الكتابة أو الكلام، لكنهم في الشهور الأولى من بدء حرب الأنصار، بدأوا عمليا بفرض المسلح العشائري، والعشيرة المسلحة، والفكر العشائري على نهج حرب الأنصار، وكان جميع الأطراف، وبدون تمييز، مشتركين في تطبيق هذه السياسة العسكرية المضرة، قليلا أو كثيرا.

ان حركة تكونت بعد الانهيار، وبدأت عملها حديثا، وهي ما زالت ضعيفة بلا سند وظهير، وبلا سلاح وعتاد، وبلا مورد مالي واقتصادي، تدخل الى الساحة هكذا، من غير برنامج علمي، ماذا يتوقع منها؟! في حالة كهذه، تتداخل المشاكل القديمة التي كانت موجودة في صفوف الشعب، بالآزمات الجديدة، وستجد الفتن القديمة طريقها الى الانتشار والتوسع.

ذاك ما كان... فماعدنا هدم ركائز حرب الأنصار، أدى وجود القوى المسلحة الكثيرة المتنوعة، داخل الحركة، الى ظهور روح التسلط والتحكم في الأوضاع، وانتهاج كل السبل من أجل تحقيق ذلك، حتى لو كان عن طريق الحرب الداخلية، اضافة الى السرقة والظلم والتصرفات المتخلفة. اما خارج الحركة، فان ازدياد قوة حركة، تعتمد على نهج حرب الأنصار، بشكل غير طبيعي، أمام دولة قوية مقتدرة، وصاحبة قوات كثيرة ومتنوعة، جعل النظام يلجأ الى اعداد الجيش لحرب جبهوية، ثم اجبار قوات الپيشمرگه على التراجع، والحاق اضرار بالغة بمعنويات الجماهير المنتعشة حديثا، من الناحية العسكرية والنفسية. ففي صيف عام (١٩٧٧ م)، حيث لم يمض عام كامل على الثورة الطويلة الامد، سلم الآلاف من المسلحين العشائريين انفسهم الى قوات النظام، وانهارت عزيمه المئات من الكوادر والپيشمرگه الواعيين، وبهذا انتشر، الى حدما، عدم الثقة بانتصار الثورة بين الجماهير.

إن الافتقار الى مخطط يبين كيفية القيام بحرب الانصار، ادى الى اعتبار النهج المسلح استراتيجيه صالحة لتحرير شعبنا، طوال بدء الكفاح المسلح بعد الانهيار، والى انتهاء عمليات الانفال. فبالرغم من تطور الاحداث، باشكال مختلفة:

١- سقوط نظام الشاه، وانتفاضة شعوب ايران.

٢- الحرب العراقية- الايرانية.

- ٣- مظاهرات المدن، بين حين وآخر.
 - ٤- قيام (البيروسترويكا) وانتهاء الحرب الباردة.
 - ٥- ظهور السلاح الكيميائي واستعماله.
 - ٦- بقاء الحركة المسلحة داخل دائرة حرب الانصار، والحرب المتحركة.
 - ٧- عدم القدرة على تحرير ناحية صغيرة في كوردستان، والمحافظة عليها.
 - ٨- عدم وجود الظهير الاستراتيجي.
 - ٩- عدم حدوث تغيير ثوري في العراق... الخ.
- ان كل هذه الظواهر والأحداث العالمية والاقليمية والعراقية والكوردستانية لم تؤد الى مراجعة جادة، لما هو موجود، والتفكير في تغيير استراتيجية الكفاح المسلح واتخاذ القرار الحاسم بذلك، وكبح جماح الرغبة الشديدة في السيطرة والنزوع الى التسلط لفرض سلطة القوى الرئيسية على الآخرين في الساحة، والتي أتبعته طيلة (١٣) عاما كاملا. فما لا شك فيه انه حصلت معارك بطولية، في تلك الفترة، تلقى المحتلون أثناءها ضربات موجعة ومؤثرة، وتكبد النظام من جرائها خسائر جسيمة، وقدمت تضحيات بلا حدود في سبيلها، ولم يبخل الآلاف من المناضلين بأرواحهم وأموالهم، في المدن والجبال، من أجل تحقيق النصر، وتم اعداد الآلاف من الكوادر المناضلة الواعية^(١)، ولكن كل هذا، يجب الا يؤدي الى نسيان الحقائق التي تؤكد ان الكفاح المسلح رغم كل تلك الحقائق لم يتمكن من تحقيق الهدف المركزي له وهو تحرير كوردستان، وليس فقط لم يتمكن من اسقاط النظام، ولم يتمكن من جعل الثورة عراقية أيضا، بل مني بهزيمة منكرة وخيفة أثناء عمليات الأنفال، وهذه الهزيمة، في الحقيقة، وقعت متأخرة، لأنه: عندما اندلع الكفاح المسلح، من غير برنامج معد مسبقا، وبدون دراسة سياسية وعسكرية دقيقة، وبدون مقارنة ماضي ثورة أيلول وقدرات النظام آنذاك، مع قدرات النظام وقدرات شعبنا بعد انهيار ثورة أيلول، ولأن الكفاح اندلع بدون ارضية مادية

ان عدم التطرق الى الظواهر التي كانت متفشية داخل الحركة والتي تتقزز النفس من ذكر أكثرها، ليس من أجل اخفائها، بل لان البحث يتصل بتقييم الاستراتيجية، لذلك لا ندخل في التفاصيل التي تبعدنا عن الهدف الرئيس - المؤلف -.

لدراسة مستقبل الاحداث لصالح نجاح الاستراتيجية المسلحة، فكان من المتوقع أن يفشل، وينهزم قبل ذلك بكثير، لكن حدثين غير منتظرين، أصبحا سببا لبقاء وإطالة عمر الكفاح المسلح الصعب هذا، وهما: سقوط نظام الشاه، واندلاع الحرب العراقية-الايرائية. إن هذين الحدثين، ومن كل النواحي السياسية والعسكرية والادارية، قد سنحنا فرصة مناسبة لامكانية استمرار الحركة، وإلا لم يكن بالامكان اطالة عمرها الى زمن الانفالات.

بعد سقوط الشاه واندلاع الحرب العراقية-الايرائية، ساد جو من التفاؤل الشامل بين كل القوى بتوقع سقوط النظام العراقي ايضا، لأن الحرب كانت تشتد، وتصبح اكثر سخونة، بمرور الزمن، لكن النظام لم يسقط، في هذه الحرب التي ليس لها نظير، من بعد الحرب العالمية الثانية، ليس هذا فقط، بل اصبح اكثر متانة وقوة، من الناحية العسكرية، والتسليحية والقدرة الحربية.

في خضم اشتداد الحرب لم يسقط النظام العراقي، لا بالثورة المسلحة العراقية الطويلة الأمد المندلعة من جبال كوردستان، ولا بالحرب العراقية -الايرائية التي دامت أكثر من ثماني سنوات، والتي شهدت آلاف المعارك الكبيرة والصغيرة والهجمات الايرائية التي شاركت فيها جميع القوى الكوردستانية العراقية والهجمات المضادة العراقية التي كانت كوردستان ساحات لمعاركها الدموية - لم يسقط النظام العراقي بكل هذا، لأنه استطاع في ظل سياسة لعبة المصالح التي مارستها الدول العظمى في الحرب الباردة-تأمين احتياجاته، من الشرق ومن الغرب، واستغلال اموال وامكانيات الدول الخليجية لصالحه، وخداع الناس بحجة الدفاع والمحافظة على البوابة الشرقية للعرب والعراق، وبهذا لم يبق أمام القوى المسلحة الكوردستانية الرئيسية (الاتحاد الوطني الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني والحزب الاشتراكي الكوردستاني والحزب الشيوعي العراقي) أي حل سوى وضع حد لصراعاتهم الدموية. وهكذا، تأسست (الجبهة الكوردستانية) في الايام الاخيرة من هذه الحرب، وبدء عمليات الانفال، على ارضية هشة، وبمواد بناء مستهلكة متكونة من بقايا الحركة المسلحة هذه.

الفصل التاسع

٩ - الانفالات والأحداث

عمليات الانفالات، هي أسوأ وأشنع عار تاريخي وصم جبين النظام العراقي، وقيادة حزب البعث في العراق وشخص صدام حسين، كذلك هي خطيئة سياسية وانسانية كبيرة تقع مسؤوليتها السياسية والأنسانية الكبيرة على عاتق تلك الدول الشرقية والغربية التي سلحت العراق بالاسلحة الكيماوية الفتاكة ذات الدمار الشامل سعيا منها لكسب الرهان في لعبة المصالح الدولية، في ظل الحرب الباردة، والاحتفاظ بمصالحها الاقتصادية والسياسية في المنطقة على حساب آلام الشعوب المضطهدة فيها، والتي اختارت السكوت أثناء، جريمة استعمال هذه الاسلحة المحظورة دوليا ضد الكورد وبذلك ارتكبت جريمتين، بل واكثر من ذلك بالنسبة الى الدول العربية (باستثناء ليبيا وسوريا)، والتي ساعدت، بصورة مباشرة او غير مباشرة، النظام العراقي.

عندما اوقفت ايران الحرب، كان النظام العراقي يملك قوة عسكرية كبيرة، لا يستهان بها، إذ كان لديه:

- (٩٠٠) الف جندي موزعين على (٦٣) فرقة عسكرية.
- (٥٧٤٧) دبابة، منها (١٠٧٢) دبابة من نوع (t72) السوفيتي الصنع.

- (٣٥٠٠) مدفع، من بينها (٣٣٠) مدفعا ذاتي الحركة.
(٣٠٠٠) ناقلة عسكرية ثقيلة.^(١)

ان القدرة العسكرية العراقية هذه، ومن كل النواحي، تصل الى عشرة أضعاف قدرتها في بداية قيام ثورة ايلول عام (١٩٦١م) وثمانية اضعاف قدرتها في بداية انطلاق الثورة الجديدة عام (١٩٧٦م). فمع اندلاع الكفاح المسلح من جديد، بعد انهيار ثورة ايلول، دخل حزب البعث الى الميدان بتجربة اعمق ومساندة اكثر، وحماسة عسكرية اشرس، ودخلت الثورة الكوردية الى الميدان، وهي لا تملك (١%) ما كانت تملكه ثورة ايلول في عام (١٩٧٤م) من قوة وامكانية.

فبسبب استعمال الاسلحة الكيماوية المحرمة دوليا، وعمليات الانفال الاجرامية، وسياسة الأرض المحروقة التي اتبعها النظام العراقي الفاشي قتل اكثر من (٢٨٣) الف انسان كوردي، وسويت بالارض آلاف القرى في كوردستان، اضافة الى فشل الحركة الدفاعية لشعبنا وهزيمتها والتي دامت، بعد الانهيار، اربعة عشر عاما كاملا.

عندما لم يهزم النظام العراقي في الحرب، واضطرت ايران الى ايقاف الحرب في (٨ / آب / ١٩٨٨م)، تفرغ الجيش العراقي بكامل اسلحته الفتاكة للهجوم على قوات پيشمرگه كوردستان، والمناطق المحررة فيها، وتمكن في غضون شهر واحد من دفع كل القوى السياسية وجميع المسلحين وسكان هذه المناطق الى خارج الحدود العراقية، اما الى داخل الحدود الايرانية، او الحدود التركية، وعن طريق هذه السياسة، تعرضت قوات پيشمرگه كوردستان، الى هزيمة كارثية كبيرة، وخسرت كل المكاسب التي حصلت عليها في غضون الاربعة عشر عاما الماضية.

وكانت لهذه الهزيمة، علاوة على اضرارها العسكرية، اضرار مادية وسياسية ونفسية غير محدودة، للپيشمرگه ولشعبنا على حد سواء. ان خيبة الامل العسكرية والسياسية شملت، لا الجماهير فقط، بل قوات

الجيش الامريكي بكل صنوفه كان لديه (٥٠٠) ناقلة ثقيلة، وهذا يعني ان النظام العراقي كان لديه ما يعادل ستة اضعاف ما يملكه الجيش الامريكي منها، في نفس الفترة -المؤلف-.

البيشمركة وآلاف الكوادر والقيادات السياسية للقوى العاملة على الساحة ايضا، وضيق القلق والارتباك الخناق على الجميع. في تلك الايام السود، لم تكن اية دولة من دول هذا العالم المليء بدعوات حب الانسان والانسانية، مستعدة حتى لمجرد التسبب في ازعاج النظام العراقي، واظهار التعاطف مع الشعب الكردي ولو بالكلام فقط. فبينما في الغرب ارتفعت أصوات غير رسمية تستنكر هذه الجرائم، وكانت هذه الأصوات على شكل همسات خجولة في الشرق الاشرقي، الا أننا نجد الموقف في (صين ماوتسي تونك) ويوغسلافيا (تيتو) وكوبا (كاسترو) مختلفا وغريبا، فهم لم يكتفوا بعدم وقوفهم الى جانب الشعب الكوردي المكافح، وعدم استنكار هذه الجرائم فحسب، بل وقفوا مع الجاني وضد من استنكر هذه الجرائم أيضا، وتصرفت الدول العربية (باستثناء سوريا) نفس التصرف والسلوك. أما تركيا، فقد وصل تعاونها وتأبيدها للنظام العراقي الى حد تكذيب ما أورده الاطباء العالميون حول تسبب المواد الكيميائية في إحداث الجروح التي كان اللاجئون الكورد في تركيا يعانون منها. لقد جثم، على صدور الكورد المنكوبين على مر التاريخ، كابوس جديد مرعب آخر، انه كارثة اخطر من الكوارث الماضية!

وبهذه الصورة، اثبتت النهاية العسكرية والسياسية والنفسية لنكبة الانفالات: أن حرب الانصار واستراتيجية الكفاح المسلح داخل الحركة التحررية لشعبنا، هي استراتيجية منفصلة عن بقية ضرورات النضال داخل المدن، لاسيما كانت المظاهرات والانتفاضات في تلك الفترة، من الاخطاء الاستراتيجية القاتلة. فمع أن نتائج المظاهرات والانتفاضات في هذه المدينة الكوردستانية أو تلك، كانت محاولة لتشجيع جماهير هذه المدن لممارسة الاشكال النضالية الاخرى، لكنه، بسبب اتخاذ الكفاح المسلح استراتيجية ثابتة، وتربية الجماهير على روحية الاعتماد على هذه الاستراتيجية، واعتبارها الوسيلة الوحيدة، والسبيل الوحيد الى تحرر الكورد والجماهير، وأصبحت الامل الاكبر في انتصار كفاحهم المسلح، اضافة الى افرزات استمرار الحرب الداخلية اثناء مظاهرات وانتفاضات اعوام (١٩٨٢-١٩٨٦م). فبسبب كل ذلك لم يتمكن من توسيع وتفعيل وتطوير غليان جماهير المدن، واعداد استراتيجية جديدة لنضال هذا الشعب.

إن الاصرار على استراتيجية الكفاح المسلح، ثم الاصرار، داخل هذا الكفاح المسلح، على الحرب الداخلية، قد ضيع من ايدينا سنوات ذهبية، وذهبت الفرص التي قل نظيرها في تاريخ الانتفاضات الكوردستانية المسلحة سدى. هذا، في الوقت الذي كان يجب أن تأخذ كل الاطراف الكوردستانية السياسية - المسلحة عبرا ودروسا كبيرة، من تاريخ قمع الانتفاضات الكوردستانية السابقة، وكيف خطط المحتلون لخماد تلك الانتفاضات. ففي هذه المرة، ليس فقط لم يلجأ العراق وايران الى العمل المشترك، بل كانا غارقين في اوسع الحروب واشدها حقدا وكرهية، ومع ذلك، فان الاحقاد الداخلية وشهوة التسلط الحزبي، قد ألحقت أضرارا بالغة بنضال شعبنا، بدلا من الاستفادة القصوى من هذه الفرصة المتاحة، كما أن مسألة سقوط النظام كانت امرا مفروغا منه عند الاغلبية المطلقة من هذه القوى، لذلك:

- لم يفكروا في تغيير استراتيجية الكفاح المسلح.
 - لم يوقفوا الحرب الداخلية.
 - لم يعمقوا اشكال النضال الاخرى في المدن.
 - لم يحددوا وفق اتفاقية مشتركة لأجنحة الحركة الكردية، تكتيكا عسكريا مناسبيا شاملا، في زمن الحرب.
 - لم تكن هناك سياسة مشتركة تجاه النظام، فقد كانت تتأرجح بين سياسة اسقاط النظام، وبين اجراء مفاوضات مرنة معه.
- وعندما تجاوز الأمر حدود العمل المشترك، ووصلت الحرب بين العراق وايران الى طريق مسدود، لم تسعف الحركة، كما يجب، المصالحة العامة والجهة الوطنية وحل المشاكل التي كانت تعاني منها، كما لم ينقذها ايقاف الحرب الداخلية من هزيمة الانفالات.

١/٩ - نهاية الحرب الباردة والكورد

استمرت الحرب الباردة: الباردة شكلا والساخنة مضمونا، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٦م) الى عام (١٩٩٠م)، أما الفرق بين هذه الحرب (الباردة) مقارنة بالحرب العالمية الاولى والثانية، فهو عدم محاربة القوى العظمى بعضها البعض مباشرة، كما حصل في الحربين العالميتين:

الاولى والثانية. ففي هذه الحرب قاتلت القوى العظمى بعضها البعض بصورة غير مباشرة: عن طريق الدول، والشعوب والعمال والقوى المسلحة الأخرى، وكانت فائدة هذه الحرب، وفي جميع مجريات الحرب الباردة، ولمدة طويلة، هي للقوى العظمى، لأن الدول الرأسمالية ذوات الأسواق المفتوحة، والحرية الليبرالية، هي التي انتصرت في المحصلة النهائية على الدول ذوات الأسواق المغلقة والنظم البيروقراطية، فان حدث في غضون المراحل الطويلة لهذه الحرب، وحصلت الشعوب أو العمال والدول على مساعدات عسكرية أو سياسية أثناء الصعوبات والأزمات السياسية والعسكرية من هذه الدولة أو تلك، نتيجة لصراعات الحرب الباردة، لاسيما من (الاتحاد السوفيتي والصين)، فإن انتهاء الحرب الباردة بالشكل المعروف أتى على كل الفوائد السياسية والعسكرية التي جنوها منها، ليس هذا فحسب، بل قضت على رأسمالهم النضالي أيضا.

إن أكثر دول أوروبا الشرقية والدول السائرة في فلك المعسكر الشرقي: الصين، وكوبا، واليابان... الخ، ابتليت بأزمات شديدة وضائقات اقتصادية لا يمكن معالجتها أو تجاوزها دون أضرار بالغة.

كان الكورد، على رأس قائمة الشعوب التي تمت التضحية بها، بل في بداية بدء الحرب الباردة، أصبح ضحية لنوايا الاتحاد السوفيتي حيث قضى على اول جمهورية تاريخية كوردستانية (جمهورية مهاباد). وبعد كارثة جمهورية مهاباد، كانت منطقة الشرق الاوسط تعاني من المشاكل التي تشيها الحرب الباردة، ولم تكن كوردستان خالية من الفعاليات النضالية والفدائية، لكن القضية الكوردية، وفي غضون قرن كامل، لم يعد لها ملف سياسي خاص، مثل قضايا الشعوب الاخرى، من قبل الاتحاد السوفيتي، لأنه كان صديقا، لكنه يميل الى اعداء شعبنا أكثر، وصدافته لشعبنا أيام ثورة ايلول كانت قصيرة جدا، لو قورنت بمساندته ومساعدته لاعداء شعبنا. ففي فترة الحرب الباردة التي أعقبت سقوط جمهورية مهاباد، كان هناك، وفي كل أجزاء كوردستان، أحزاب تحمل لواء تحرير كوردستان، وكانت هذه الاحزاب تعتبر الاتحاد السوفيتي حامل لواء الاشتراكية ونصير الشعوب، وكانت تسعى دائما من اجل بناء روابط الصداقة معه، واللجوء اليه وطلب العون والمشورة منه.

فعندما اندلعت ثورة ايلول، وجد الحزب الديمقراطي الكوردستاني نفسه في جبهة الاتحاد السوفيتي، حيث ظل البارزاني ومئات الاشخاص من عشيرته ورفاق نضاله (١٣) عاما كاملا في الاتحاد السوفيتي، لكن وعلى الرغم من ذلك، فان الاتحاد السوفيتي لم يجعل في يوم من الايام ابدا القضية الكردية قضية سياسية مهمة ماعدا (بعض الاوقات)، وكان هذا ايضا تكتيكا منه، لا استراتيجيا.

اثناء الحرب الباردة، كان من السهل على الانظمة المحتلة لكوردستان، سواء أكانت هذه الانظمة ملكية (الشاهنشاهية الايرانية)، أم جمهورية (العراقية والتركية)، - الاتصال، في أي وقت تشاء، بالاتحاد السوفيتي والدول الاوربية الشرقية، حتى اذا كانت هذه الانظمة مرتبطة بعلاقات قوية مع البيت الابيض الامريكي، وكان الاتحاد السوفيتي يقبل، وبسرور، انشاء علاقات صداقة مع هذه الانظمة، وكانت محصلة اكثر هذه الصداقات هي ضد الديمقراطية، وضد مصالح شعوب المنطقة، وخاصة الشعب الكوردي، لذلك كانت معاداة القضية الكوردية، طوال تاريخ الحرب الباردة، اكثر شدة وشراسة من أيام الحرب العالمية الاولى والثانية، ويعود احد اسبابه الرئيسة الى العلاقات الاقتصادية والسياسية القوية، بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، مع حكومات الدول التي تتقاسم كوردستان فيما بينها، ونتيجة لهذه العلاقات المبنية على المصالح الاقتصادية، فقد لظمت الصمت المطبق كل من: مجلس الامن والامم المتحدة، وجامعة الدول العربية، والمؤتمر الاسلامي، ودول عدم الانحياز. فكل هذه الجهات والاطراف لظمت الصمت المطبق تجاه الجرائم المرتكبة، بحق الشعب الكوردي الاعزل المسالم .

كانت القوى العظمى تتعامل مع القضية الكوردية وفق متطلبات مصالحها، وكانت آخر هدية من الدول العظمى الى النظام العراقي، في نهاية الحرب الباردة، هي الاسلحة الكيماوية المحرمة دوليا. فحتى الدول المحايدة والملتزمة بعدم تدخلها في النزاعات العسكرية، كسويسرا، والنمسا عقدوا صفقات عسكرية، مع النظام العراقي، اذ باعت سويسرا للعراق طائرات البيلاتوس، بينما وفرت النمسا للعراق مدافع بعيدة المدى.

- ظلت القيادة المخططة لاستراتيجية الحركة الكوردية تنتظر طوال نصف قرن كامل من الحرب الباردة، أن يصبح الاتحاد السوفيتي نصيرا وسندا للثورة المسلحة الكوردية، إلا أن ثورة ايلول (١٩٦١-١٩٧٥)، وقبلها

جمهورية مهباد، انتهتا دون أن يتحقق هذا الأمل، وبعد ثورة ايلول
ايضا، أصيب، من جديد، الكفاح المسلح لشعبنا (١٩٧٦-١٩٨٨م)،
بسبب خيبة الأمل من المساندة والدعم السوفيتي، بنكسة مخيفة، ولم
يتجرأ الاتحاد السوفيتي الوقوف ضد عمليات الأنفالات واستعمال
السلح الكيمياوي من قبل حزب البعث في كوردستان، حتى بقدر
فرنسا.

- الحزب الديمقراطي الكوردستاني / ايران، ظل ايضا يأمل طوال (١٢)
عاما كاملا من نضاله المسلح، والى ما قبل انهيار المعسكر الشرقي،
يأمل في نصره ومساندة هذا المعسكر له، لكن خاب أمله!
- حزب العمال الكوردستاني (PKK) ايضا، كان يدور، منذ بدئه بحرب
الانصار، والى ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، ضمن اطار افكار
المعسكر الشرقي، وكان أمله كبير بمساندة ومساعدة ذلك المعسكر،
لكن أمله خاب ايضا!
- الحزب الشيوعي الايراني (الكوملة - العصابة)، هو من تلك القوى
السياسية-المسلحة الثورية التي شخصت، منذ بدء نضالها الدفاعي
المسلح وبيروية واضحة، المعسكر الشرقي، وكان هذا الحزب يتخذ
مواقفه السياسية تجاه هذا المعسكر، بكل دقة وعلمية، لذلك لم يكن
يعتمد على مساعدة ومساندة الاتحاد السوفيتي له، ورغم ذلك لم
يتسبب موقفهم هذا، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، في انحراف طبقي
وسياسي كبير لهم، كذلك لم تؤد انتهازية القوى اليمينية والقومية
ايضا، كأدوات سياسية للسوفيت، وأذئاب للمعسكر الشرقي، بعد
انهيار المعسكر - الى انهيار هؤلاء ايضا. ومع هذا، فلو قسنا ظواهر
وأحداث ما بعد، وما قبل الحرب الباردة، بالمقياس النظري المنفصل عن
بقية الحقائق السياسية والاجتماعية، كان ينبغي أن يكون للموقف
الحاسم ضد المعسكر الشرقي، بعد انهيار هذا المعسكر، فائدة سياسية
فعالة للقوى صاحبة المواقف، وعلى النقيض من ذلك، كان يجب أن
يسحق كل المرتبطين بالمعسكر الشرقي، بعد انهيار المعسكر، لكن لم
يحصل أي من هذين التوقعين، ويرجع سبب هذا الى أن المقياس النظري

ليس بمقدوره اصدار الاحكام التاريخية لوحده، كما أن عجلة الحياة، بالنسبة الى النضال الطبقي وفلسفة التحرر والديمقراطية والاشتراكية، ما يزال أمامها طريق طويل. وقد اظهر انتهاء الحرب الباردة الكثير من الحقائق غير المعروفة سابقا، حول الديمقراطية ومهمات الديمقراطية، وكيفية حل مشاكل مرحلة الديمقراطية، والعمل من أجل التقدم الاجتماعي والحضاري. ان هذه الحقائق كافة تحتاج الى تأمل وتفكير ودقة نظر واعادة صياغة من جديد، لاسيما ونحن نعيش في ظل عصر جديد، عصر انتهاء الحرب الباردة، وعصر فهم واستيعاب صفائر وكبائر السياسة التي صيغت وتصاغ، في زمن ما بعد الحرب الباردة، وبوادر تغيير هذه السياسات نحو الاحسن، بالنسبة للشعوب وقضيتهم الديمقراطية، بدأت بالبروز، وخاصة التحليلات الاقتصادية والسياسية المعقدة التي تشير الى ان الدول الرأسمالية يبنون استراتيجيتهم الجديدة وفق منطق اقتصادي وسياسي جديدين، وحسب متطلبات النظام الدولي الجديد، واملاءات توفير الاسواق الحرة والمزدهرة داخل الدول الفقيرة والمتخلفة، وليس على النمط الكلاسيكي.

ففي هذه المرحلة من الحياة، يجب تقييم مرحلة الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنظرية والفلسفية الرأسمالية، من جديد، وتحديد مدى تأثيرها، بصورة عامة: يجب معرفة، كيف يتم التخطيط لنظام السوق الحرة، والحرية الليبرالية، من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية، وكيف يتم تنفيذ هذه الخطط وبأي شكل وصورة، وبأية قوة ووسيلة تتم السيطرة على السوق والسياسة الدولية.

فعلى الحركة التحررية لشعب كوردستان التي كانت القوى العظمى تحييك ضدها المؤامرات باستمرار، وتقف ضد اهدافها ومطامحها المشروعة، وتساند وتساعد محتلي كوردستان لمحاربتها- عليها أن تدرس بكل امعان ودقة ماضيها، وتحدد بوضوح الاسباب المختلفة التي ادت الى وقوف الآخرين ضد هذا الشعب المضطهد، ثم تعرف:-

- لماذا قضاوا على حكومة الشيخ محمود، في الحرب العالمية الاولى، وخرقوا معاهدة (سيقر- ١٩٢٠م)؟
- لماذا ساندوا محتلي كوردستان، ووقفوا ضد الثورة الكوردية، اثناء اشتداد الحرب الباردة (١٩٥٠-١٩٨٨)؟
- لماذا ساندوا الحكومات التي حاربت بشراسة الثورة الكوردستانية الجديدة (١٩٧٦-١٩٨٩)؟

هذه المراحل السياسية العالمية، لكل منها، بالنسبة للقوى العالمية العظمى، اسباب سياسية وعسكرية واجتماعية: فالاقتصاد الرأسمالي، والسياسة الامبريالية، في الحرب العالمية الاولى، بنيا على اساس الانتصار في الحرب، ووفق المفهوم الكلاسيكي للرأسمالية، وقد تم تغيير هذا الاساس، كما تم تغيير السياسة الرأسمالية المستندة على احتكار الشركات المتعددة الجنسيات للاسواق العالمية، وفي مقابل ذلك فرض المعسكر السوفيتي سياسة السيطرة على الاسواق المرتبطة باقتصاد هذا المعسكر، وفرض كذلك نظرية التطور اللا رأسمالي العقيمة، وبهذا وقع العالم بين مطرقة وسندان هذين النظامين.

بعد أن انتهت الحرب الباردة بانتصار القطب الرأسمالي وهزيمة الاشتراكية السابقة لأوانها، وقع كل أرجاء العالم تحت سيطرة الدول الرأسمالية الكبيرة، وزعيمتها امريكا، وهذا النجاح لم يأت عفويا وبشكل فوري، بل أخذت مقوماته، منذ ما يقارب عقدا من الزمن، بنظر الاعتبار، وبهذا الشكل، سيوضع كل أرجاء العالم، من الآن فصاعدا، في قالب رأسمالي من طراز جديد، حيث لا تصر الرأسمالية على الاسس الاقتصادية التي اتبعت في الحرب العالمية الثانية، ولا سياسة تطوير الاقتصاد الرأسمالي بعدها التي اتبعت في فترة اشتداد الحرب الباردة، وعقب الانتصار فيها ايضا، لأن التحولات والتطورات العالمية، والمطالب والتطلعات، والتوافقات والتناقضات، والصداقات والصراعات، والظواهر التطبيقية والاقتصادية والاجتماعية، والعلاقات الدولية، والرؤية العالمية المشتركة، قد تغيرت بأجمعها. فمثلما لم يبق عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، كما كان

بعد الحرب العالمية الاولى، كذلك لا يبقى عالم ما بعد الحرب الباردة، كما كان اثناء نصف قرن من الحرب الباردة.

٢/٩ - متغيرات الحرب الباردة

لو بقيت الاسس الاقتصادية والنظام السياسي، فيما بعد الحرب العالمية الثانية، كما كانت، بعد الحرب العالمية الاولى، لأدى ذلك الوضع، بلا شك، الى الانفجار، والى تراكم الأزمات، بصورة اسرع، وهذا ينطبق على الوضع القائم في يومنا هذا، فاذا بقيت القاعدة الاقتصادية والنظام السياسي في العالم، كما كان في العقود السابقة، فان الأزمات ستنفجر عاجلا، لا محالة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، حتى إن كان هذا التوقع نابعا من اقصى درجات السذاجة النظرية، هو: اذا انفجرت الأزمات، كيف يمكن استغلالها لصالح العمال والشعوب المضطهدة؟

من الواضح أن استغلال الأزمات العالمية العميقة يتم عن طريق البديل العالمي، والبديل العالمي يتم بالاقتصاد العالمي، وبالطبقة العالمية، والسياسة العالمية، والحضارة العالمية، وليس بالرغبات النظرية. فعندما لا يكون بديل حاجات العالم مطروحا كنبوءة صادقة مؤكدة وموثوق بها، ومستندة على الاسس الاقتصادية وتأثيراتها وتفاعلاتها الاجتماعية، أو كان هناك اتجاه آخر في الطريق ينبغي سلوكه الى أن يظهر ذلك البديل العالمي، ففي هذه الحالة من الضروري أن يعرف ما مدى هذا الاتجاه ومدى سعته ومجاله، كذلك كيفية النضال وطريقته ضمن مشروع متطلبات هذا الاتجاه. فمادام البديل غير موجود حتى الآن، فهذا يعني ان الثورة الاشتراكية لا تؤخذ بنظر الاعتبار، الى فترة اخرى بعد الحرب الباردة، بل ليس بعيدا أن تؤثر الاحداث المستقبلية على مسار النضال الاشتراكي وكيفية تحقيق الاشتراكية، وتغييره جذريا ايضا، واذا كان الامر هكذا: فان النظام الجديد الناجح، الذي ظهر بعد الحرب الباردة، قد انفتحت أمامه ابواب الميادين، بشكل افضل من السابق، لتنفيذ برامج وتثبيت خطته، بل هو في الحقيقة مستمر في تثبيت خطته، لأنه لم يبق امامه حتى العراقيل السابقة. اذن، الرأسمالية التي انتصرت رغم كل ذلك العدا والصرع الذي واجهته، ستنصر بسهولة اكثر الآن بانبساط واستواء الارضية التي تسير

عليها سياساتها، كما أن الصراعات الطبقية والسياسية الباقية المناوئة لها، مازال امامها شوط بعيد جدا، لكي تشكل خطرا على خططها الرأسمالية، بل تحتاج الى وقت طويل، لتخلق وضعا اجتماعيا، ووعيا سياسيا ونظرية مرشدة فعلا، للمتغيرات المستقبلية نحو العدالة الاجتماعية. ان احدي الخواص الهامة للظواهر الرأسمالية الجديدة، هي الغاء القوانين والقواعد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ظل الحرب الباردة، كذلك ظهور التحولات الاجتماعية الجديدة، والظواهر الحضارية الجديدة والحوادث السياسية الجديدة ايضا و تشمل:

- ١- تقهقر الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية.
- ٢- تقدم المانيا واوربا الغربية بشكل اكثر تأثيرا.
- ٣- انسحاب الصين من المواقع الايديولوجية المتزمتة.
- ٤- انتعاش اليابان ودول آسيا الشرقية.
- ٥- فشل الثورة المسلحة الطويلة الأمد.
- ٦- انتصار الانتفاضة المستمرة.
- ٧- سقوط الانظمة الدكتاتورية (الديمقراطية الثورية).
- ٨- احياء البرلمانات البرجوازية.

ان انطلاق هذه الظواهر والتحولات والاحداث الجديدة، كأية مسألة اخرى، كانت لها جوانب ايجابية وجوانب سلبية، فالجوانب السلبية لها تمثلت في الاستغلال الطبقي، والتفرقة العنصرية والجنسية والحضارية والصناعية، وخرق الحريات، ووجود الآلاف من شبكات التجسس، وفقدان العدالة، وتفشي الظلم والقهر المتعدد الالوان والاشكال، أما الجوانب الايجابية لها، فتمثلت في معرفة كل الحقائق، وانتهاء عصر الخداع والزيف، حيث لم يبق مجال لخرق الحقوق الديمقراطية والانسانية، باسم الاشتراكية، ولا مجال لمساندة ومساعدة الانظمة الدكتاتورية باسم الرأسمالية.

في بداية مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة، ألغي معظم الأسس والقواعد القديمة، وانتفضت الشعوب المكبلة باغلال التبعية وكسرت قيودها، وحصلت على استقلالها، او هي في طريقها للحصول على الاستقلال. ان الميزة الواضحة الظاهرة لنجاح استقلال هذه الشعوب، بعد

الحرب الباردة، هي انها انتصرت وحققت استقلالها بدون الثورة الطويلة الأمد، بل بالانتفاضة والكفاح داخل المدن، وفي فترة قليلة، وبهذه النجاحات والانتصارات، وتجربة العديد من الشعوب في اوربا الشرقية، اثبت أن هذا العصر يحمل بشرى تغييرات سياسية مؤثرة وفعالة للشعوب والمقوق الديمقراطية، واهمها التخلي عن الثورة الطويلة الأمد المليئة بالأضرار، واندحار الكفاح المسلح، ومن ثم الترحيب بالانتفاضة القصيرة الأمد، والمحققة لانتصار الشعوب بصورة اسرع.

وبهذا، أي: بانتهاء عصر الحرب الباردة، وحلول عصر التخلي عن صراعات الحرب الباردة، لم يصبح فقط نجاح الكفاح المسلح من الناحية العسكرية صعب جدا، بل أصبح حتى الاستمرار على نهج الثورة المسلحة، كنهج استراتيجي لانتصار الشعوب المضطهدة عملا صعبا أيضا، من الناحية السياسية، لأنه، ان لم يلتفت احد الى القضية الكوردية(او الحركات المسلحة الاخرى في العالم) التفتاتة سياسية، في فترة اشتداد الحرب الباردة، وفي حالة وجود كل تلك الصراعات والثغرات، في صفوف اطراف الحرب الباردة، فكيف يمكن أن تحقق الثورة المسلحة اهدافها، بعد انتهاء الحرب الباردة؟!

في جميع اجزاء كوردستان، لاتزال الثورة المسلحة مقبولة الى الآن. كوردستان / ايران فيها كفاح مسلح على طريقة حرب الانصار، لكنها اجبرت على التقهقر الى ما وراء الحدود، وبهذا الشكل فان القوى المسلحة في الساحة هي:

- الحزب الديمقراطي الكوردستاني / ايران.
- منظمة الحزب الشيوعي الايراني (الكوملة - العصابة).
- الحزب الديمقراطي الكوردستاني (القيادة الثورية).

ليس لدى هذه الأحزاب اقل ما يمكن من البرامج السياسية المشتركة، والأسوأ من ذلك هو عدم تمكنهم من الاحتفاظ بمقر واحد لهم داخل كوردستان / ايران، اضافة الى أنهم لم يتمكنوا من ايجاد حل جذري لداء حرب الاقتتال الداخلي، المجهضة لآمال الجماهير الذي اصيبوا به منذ

سنوات طويلة، حيث لا تزال حرب (قتل الديمقراطيين!) بين جناحي الحزب الديمقراطي، مستمرة الى يومنا هذا*.

في كوردستان/ تركيا، تستمر منذ سبعة اعوام كاملة، حرب الانصار بقيادة حزب العمال الكوردستاني (PKK)، الذي احتكر الساحة لنفسه، وحرّم الاطراف الاخرى من المشاركة فيها، بل واغتال وقتل عشرات المناضلين والمقاتلين من الاحزاب الكوردستانية الاخرى، من الذين حاولوا تشكيل مفارز للمقاومة، والانكى من ذلك كله، هو قتله العشرات من الذين تركوا صفوفه، وأرادوا ان يقاتلوا مستقلين، لكنه، وعلى الرغم من كل ما ذكر، فان هذا الحزب وحركته المسلحة، قد انبثقا من رحم شعب مضطهد مظلوم، حرم على ابنائه حتى حق التكلم بلغته الام الكوردية، لذلك، ومن هذا المخاض القومي، تمكن حزب العمال الكوردستاني استيقاظ الوعي القومي الكوردي في كوردستان/ تركيا، بعد عشرات السنين من السبات والقنوط، وتمكن ايضا من قيادة الحركة المسلحة الكوردستانية والاستمرار في المقاومة والبقاء، الا انه لم يتمكن رغم مرور سبعة اعوام من عمر هذه الحركة، التي تصادف ذكرى تأسيسه السابعة نهاية الحرب الباردة، وبداية عصر جديد، من تأسيس مقر ثابت واحد داخل كوردستان/ تركيا.

فظوال اثني عشر عاما من حرب الانصار في كوردستان/ ايران، وسبعة اعوام في كوردستان/ تركيا ايضا، لم يتحول شكل النضال من حرب الانصار الى الحرب المتحركة، لذلك يمكن أن نقول أن حركة حرب الانصار، في هذين القسمين من كوردستان تدور في دائرة مغلقة، وفتح هذه الدائرة، من الناحية العسكرية، ان كان ممكنا في عصر الحرب الباردة، الى حد ما، فانه وصل الى طريق مسدود بعد الحرب الباردة. إن السبيل الثوري الوحيد (عدا استراتيجية حرب الانصار) للخروج من دائرة حرب الانصار المغلقة هذه، يكمن في تغيير استراتيجية الكفاح المسلح لتحرير كوردستان، المنذلع من الجبال، ونقلها الى المدن أي: من الكفاح المسلح الى الانتفاضة. فعدا هذا السبيل ليس هناك سبيل آخر، إلا اذا حصلت مصادفة تغيرات في السياسة العالمية والأقليمية التي حصل في اوربا الشرقية، وتغيرات في ميزان القوى

* بعد طبع الكتاب توقف الاقتتال بين الجناحين الديمقراطيين وبعد مرور سنوات عديدة من توقف القتال اندمج الجناح المنشق الى الحزب الام! - المؤلف - الطبعة الجديدة المنقحة.

بين الحركة المسلحة وايران وتركيا، وإلا فمن المستحيل اسقاط النظام أو طرد المحتل ، بهذه الحركات المسلحة.

اذن ليس هناك من حل أمام قوى حرب الانصار في هذين القسمين من كوردستان، سوى اخراج هذه القدرة القتالية لحرب الانصار التي هي محوريتها، من الاطار الاستراتيجي، وتحويلها الى اداة عسكرية تكتيكية، لخدمة استراتيجية الانتفاضة، أي: الانتفاضة المستمرة في المدن، وهي ايضا اضافة الى استراتيجيات الانتفاضة المعدة مسبقا، تحتاج الى التكتيك والشعارات والسياسة الاعلامية والادارية والنظرية، وهذا يستحيل بدون تغيير الايديولوجية الجامدة، والانعطاف الفكري من الماضي الى الحاضر، الى جانب التغيرات النفسية، والجماهيرية المختلفة الشاملة، وتحتاج الى تحركات عالمية واقليمية وايرانية وتركية وكوردستانية واسعة ومستمرة، ولا بد من قلع جذور الحقد والكراهية من النفوس، وتصحيح الاخطاء وسد الثغرات والنواقص، ونقد الذات، وتغيير جمود الكفاح المسلح والعقلية العسكرية العشائرية من الأساس، والعمل باستمرار من اجل تثبيت الاستراتيجية الجديدة، وهي استراتيجية الانتفاضة المستمرة، وتربية الجماهير بهذه الروحانية باستمرار، لكي تتخلى عن استراتيجية الكفاح المسلح القديمة والقبول باستراتيجية الانتفاضة المستمرة الجديدة.

٣/٩ - انتفاضة كوردستان

ان لم تصل استراتيجية الكفاح المسلح في كوردستان / العراق، بانهييار ثورة ايلول، من كل النواحي: العالمية، والاقليمية، والعسكرية، والسياسية- الى طريق مسدود، وبقي، الى حد ما، مجال من الناحية السياسية والقومية، لاستئناف الكفاح المسلح مجددا، بعد الانهييار، في كوردستان / العراق، فحتى الان، وبعد سنوات طويلة من الكفاح المسلح، وداخل اشتداد مختلف انواع الاحداث الكبيرة والصغيرة التي هزت العالم والمنطقة وكوردستان لم يتم وضع هذا القسم من الكفاح المسلح الذي ظل يملك قابلية للعمل، حتى بعد الانهييار، في خدمة استراتيجية الانتفاضة داخل المدن، ان الكفاح المسلح هذا، على الرغم من حصول العديد من الاحداث الكبيرة المساعدة والمهيئة لفرص نجاحه (سقوط نظام الشاه، والحرب العراقية-الايرانية) إلا انه اصيب بهزيمة

نكراء، وفاقت تضحياته وضحاياه كل تضحيات وضحايا الامم على وجه الارض. إنها هزيمة عمليات الانفال للإبادة الجماعية على يد النظام البعشي العراقي الشوفيني في الاعوام (١٩٨٧-١٩٨٩)!

بعد عمليات الانفالات، تغيرت سيماء الحركة المسلحة لشعبنا بالكامل، واصيب كل الاحزاب الكوردستانية المسلحة بكارثة كبيرة، اوصلتها الى حد اليأس من تحقيق كل اهدافها وتطلعاتها القومية والطبقية، واستحالت الى أمل وحيد، تمثلت في منع النظام العراقي بأية وسيلة، من ترحيل كل سكان كوردستان، عن طريق الضغط الدولي والدبلوماسي، او اجراء مفاوضات مرنة معه، من اجل تحقيق اقل ما يمكن تحقيقه، من مطالب (الجبهة الكوردستانية). باختصار، فمذ انتهاء عمليات الانفالات، والى يوم احتلال الكويت كانت المحاولات السياسية والدبلوماسية المهمة لقوى الجبهة الكوردستانية تنصب على بذل الجهود لاعادة الحالة الى ايام ما بعد انهيار عام (١٩٧٥م)، زمن اتفاقية الجزائر، لأن النظام قد انهزم، من الناحية العسكرية، في تلك الاتفاقية، ونكس رأسه مجبرا لنظام شاه ايران، لكنه في الانفالات التي جرت بعد ايقاف الحرب العراقية-الايروانية، كان النظام يعتبر نفسه منتصرا، لذلك، فإن رفض ذلك المطلب في حينه، وفي زمن ضعف النظام العراقي عام (١٩٧٥م)، يعني انه لا يقبل به مطلقا، بأي شكل من الأشكال، في زمن انتصاره العسكري، وأعلى درجة من قدراته العسكرية الفاشية، وبكل ما يملكه من اسلحة كيميائية، لا يقبل حتى بأدنى درجة من درجات الاتفاق السياسي، لاسيما انه كان ينظر الى علاقات قوى الجبهة الكوردستانية مع الحكومة الايروانية، باقصى درجات الحقد والكراهية الفاشية، واعتبرها خيانة وطنية عظمية، لكنها لم تكن كذلك في حقيقة الامر، بل الخيانة الوطنية العظمية كانت تلك الحرب القاسية التي أشعلها النظام ضد ايران.

إذا قارنا الهزيمة العسكرية في الانفالات عام (١٩٨٨م) مع جميع الهزائم التي مني بها الشعب الكوردي في تاريخه المعاصر، فإن هزيمة

-كان من المفروض انتهاج تكتيك عسكري وسياسي اكثر فعالية، اثناء الحرب العراقية-الايروانية، لكن هذا العمل كان محالا، بدون تعاون ومشاركة كل القوى الكوردستانية - المؤلف -.

الانفلات كانت اخطر بكثير من الهزائم السابقة، وذلك، بسبب تغيرات أرضية هذه الهزيمة وزمانها مقارنة بالهزائم السابقة. فبعد كل هزيمة عسكرية، في الانتفاضات المسلحة السابقة منذ القرن التاسع عشر، وإلى ثورة ايلول ايضا، كان يصدر قرار فوقي بانتهاء الانتفاضات وتشتيت المنتفضين.

في هزيمة الانفلات، ومع كل الاخطاء الاستراتيجية العسكرية التي شاركت فيها جميع القوى السياسية الكوردستانية المسلحة، طوال سنوات الكفاح المسلح الممتد من بعد انهيار ثورة ايلول عام (١٩٧٥م)، وإلى هزيمة الانفلات عام (١٩٨٨م)، بالإضافة إلى الجرائم وعمليات النهب والسلب التي حصلت طوال عمر هذه الحركة، بدءا من الحرب الداخلية، وإلى التصرفات المشينة التي انتشرت بين الناس، والظلم والجور الذي ارتكبه، على مرأى ومسمع منهم - اللصوص المتسترون بلباس الثورية من ذوي المسؤوليات العالية في الحركة الكوردية، وانتهاء بالعداء المباشر للحرية والديمقراطية، نعم باضافة إلى كل هذه الحقائق التي اصبحت وصمة عار على جبين هذه الحركة المسلحة، يجب ألا ننسى وجود جملة من الحقائق العسكرية والسياسية، وألا نجعلها لقمة سائغة للطروحات النظرية، لأنه كلما تمت غريلة الحقائق للتفريق بين ما هو ايجابي او سلبي منها موضوعيا، كلما اصبح الطريق أمام خطوات الكفاح المستقبلي أكثر ضياء ووضوحا. أما هذه الحقائق، فهي:

١- ان البرجوازية الكوردية (الضعيفة اصلا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية)، بالإضافة الى هزائمها، ومسؤوليتها عن جميع الاعمال المخجلة داخل الحركة الكوردية المسلحة، ابتداء من ثورة ايلول وانتهاء بالانفلات، واطافة الى الاخطاء الاستراتيجية السياسية والعسكرية لحركتها، من نواحي كثيرة، إلا أنها ظلت تدافع باستمرار عن اهدافها الطبقية، طوال تلك السنوات، كما سعت عمليا، من اجل تحقيق ذلك الهدف ميدانيا، وعرضت حياتها للخطر في سبيله. ففي الوقت الذي كان معظم اليساريين أخلص من اولئك البرجوازيين وأنقى، ولم يكونوا مسؤولين حتى عن أقل الجرائم خطرا وعقوبة، إلا أن ابتعادهم عن الحركة المتاحة للجماهير،

ودورائهم في المتاهة النظرية، ضيع من ايديهم رأسمالهم التنظيمي هذا، ومنعه من أن يكون سببا في نجاحهم السياسي، كذلك لم يكن قسم من اولئك الاشخاص (الجماعات) من الذين احتسبوا زورا على اليسار-مستعدين بقدر استعداد البرجوازية الكوردية للتضحية بانفسهم، ووضعها امام مخاطر ساحات النضال.

٢- ان قدرة القوى البرجوازية الكوردية، رغم كثرة مشاكلها وهزائمها، وضعف القوى اليسارية الكوردستانية، و قلة هزائمها وقلة أزماتها ومشاكلها السياسية، لا تعود اسبابها فقط الى قدرة القوى البرجوازية والمساندة التي تتلقاها، بل الى ما هو اكثر اهمية من ذلك، وهو أن الاسباب الحقيقية لهذه الظاهرة ترجع الى الارضية الاجتماعية للحركة التحررية، لشعب مضطهد حيث البرجوازية تستند على هذه الارضية القومية التحررية، في حين لا يملك اليسار هذا الرصيد.

٣- ان برجوازية الشعوب المضطهدة، على الرغم من ضعفها الاقتصادي داخل مجتمعاتها، لها قاعدة اقتصادية طبقية على المستوى العالمي ايضا، في الوقت الذي لا يملك العمال والفلاحون هذه القاعدة، وما كان باسمهم في هذا المجال، ظهر انه كان عكس المطلوب!

٤- كان من المنتظر الاعلان عن انهيار سياسي وعسكري آخر، بعد الانفالات، إلا أن هذا لم يحدث، وكان عدم الاعلان عن الانهيار، بل الاصرار على ادامة الكفاح المسلح على نهج حرب الانصار في تلك الايام الصعبة التي قل نظيرها، وفي ظل القرى المهدامة الخالية في كوردستان، لهُو احد الاعمال الحسنة التي تسجل لصالح (الجبهة الكوردستانية).

لقد كانت تلك المفارز المسلحة التي قامت، بعد الانفالات، بتنفيذ الواجبات والمهام التي اثبتت عدم انهيار الثورة الجديدة، في احلك وأخطر

الظروف التي مرت بها كوردستان - تتكون من أبناء بررة لشعبنا. نعم لقد كانوا ابطالا بكل معنى الكلمة^(١)

ان بقاء المقاومة المسلحة، بعد الانفالات، واستمرارها في العمل يعود الى مخلفات الصراع بين العراق وايران، وبداية عصر انتهاء الحرب الباردة، إذ تعرضت الانظمة الدكتاتورية والفاشية، كالعراق، الى ضغط دولي، وكان النظام العراقي في مقدمة الانظمة الفاشية التي تعرضت للنقد، وليس بعيدا أن تكون سياسة حب العظمة، والبرامج العسكرية البعثية، بعد انتهاء الحرب العراقية - الايرانية قد وضعت تحت مجهر دراسة واستقصاء كيفية تأمين مصالح امريكا في الشرق الاوسط والخليج.

ان صمود (الجبهة الكوردستانية)، إن لم يتمخض عن مكاسب سياسية تؤدي الى اقناع النظام للتفاوض معها، فهو لم يعد بالضرر عليها، ليس هذا فحسب، بل استفادت منه (الجبهة الكوردستانية) اعظم فائدة، بعد احتلال الكويت، وقيام الانتفاضة الجماهيرية في كوردستان العراق.

كانت الانتفاضة، بصورة عامة، انتفاضة عفوية ضد الفاشية، ولم تخطط مباشرة أية جهة: عراقية، أو كوردستانية، يسارية أم يمينية أم معتدلة - للقيام بهذه الانتفاضة، من الناحية الاستراتيجية، فحتى بعد اندلاعها، لم تتم قيادتها مباشرة، من قبل أي طرف من الاطراف.

إن الاحزاب العراقية في المنفى، لاسيما في ايران وسوريا، كانت تنتظر سقوط النظام العراقي نتيجة لحرب الكويت، لكي يعود كل طرف، إما بمساعدة ايران او سوريا، الى الوطن، ولم يكن لدى (الجبهة الكوردستانية) أي قرار بقيام الانتفاضة، وكان لديهم أمل كبير بسقوط النظام في هذه الحرب، وكانوا خائفين من نتائج هذه الحرب وتقلبات ظروفها الى الحد الذي لم تبادر بقايا قوات الجبهة التي تم اعدادها وتهيئتها، الى الهجوم على النظام في اية مدينة أو قرية، قبل وبعد هزيمة النظام، وكان ذلك خوفا من تكرار كارثة حلبجة وبقاء النظام والعودة الى المفاوضات معه، بعد الحرب، لكن سياسة الجبهة الكوردستانية هذه لا تعني أن اطراف الجبهة لم يكونوا قد أعدوا

- بعد الانتفاضة، اهمل البعض من اولئك الپيشمرگة الذين شاركوا في عمليات حرب الانصار التي اعقبت الانفالات، وصعد على اكتافهم مجموعة من الانتهازيين. -المؤلف-.

أنفسهم لفرصة ساحة اخرى، خاصة اذا قامت الانتفاضة، بل كانت الانتفاضة ضمن توقعاتهم وحساباتهم.

وعندما ظهرت هزيمة العدو للجميع، بدأت مشاعر السخط وعدم الرضا في اعماق الناس تزداد، وتكبر، باستمرار، بل ظهرت علامات هيجان وفوران الانتفاضة، عندها بدأت وسائل اعلام (الجبهة الكوردستانية) بتشجيع وتحريض الجماهير على الانتفاضة بصورة مكشوفة، بل واقتربت مفارزهم المسلحة من المدن ايضا. في خضم هذا الاضطراب والفوضى الذي هز العالم بأجمعه، من جراء هذه الحرب، كانت المعارضة العراقية غارقة في جدال ونقاش حول ضرورة وعدم ضرورة عقد مؤتمر حول الاوضاع المستجدة في العراق؟!

عندما انهزم النظام كليا، وانتفضت الجماهير، في معظم المدن والقرى العراقية والكوردستانية، حينذاك قررت قوى المعارضة العراقية عقد مؤتمر (بيروت) من اجل عدم ضياع الفرصة، ومع ذلك كان مؤتمرا ضعيفا، وبلا برنامج، ومليئا بالتناقضات والصراعات التي لا اول لها ولا آخر، حتى انه ظهرت في المؤتمر منظمات سياسية، لا تمثل إلا الذين تحدثوا باسمها، ولم تكن تملك، لا في العراق ولا في كوردستان، حتى عش عصفورا! ناهيك عن التنظيمات والجماهير!

٤/٩ - الهزيمة المؤقتة والحرية

كانت الانتفاضة عفوية، ومليئة بالنواقص والثغرات، وكان اهم تلك النواقص واكبرها، هو عدم وجود برنامج محدد مشترك للانتفاضة، معد من قبل المعارضة مسبقا، هذه العفوية والافتقار الى برنامج محدد عرضت هذه الانتفاضة الى مشاكل سياسية و اعلامية يومية. فوجود هذه النواقص والثغرات خطرة حتى في انتفاضة منظمة، فكيف بها، بالنسبة الى انتفاضة عفوية غير منظمة. هذا، عدا موقف امريكا والغرب غير الايجابي، اثناء اشتداد الانتفاضة.

نستطيع أن نقول: ان النتائج التي خلفتها السياسة الفاشية للنظام العراقي في نفوس الناس، بعد يأسهم من الكفاح المسلح وعدم سقوط النظام

في الحرب العراقية - الايرانية، قد خلقت لديهم قناعة بدائية وعفوية بالانتفاضة، لكنه كان ايمانا حديث التكوين والظهور، غير مطعم بالفكر الحقيقي للانتفاضة والقيادة الثورية للانتفاضة . فبدلا من أن يترك هذا الفكر الحديث الولادة للانتفاضة ينمو بشكل طبيعي داخل مشروعه، بعد اندحار الكفاح المسلح ثم ينضج ويكتمل بصورة تامة، فاجأه وعرقله احتلال النظام للكويت، ثم هزيمة النظام المفاجئة والسريعة في الحرب، وقد خلق هذا الامر ضغطا كبيرا بين الناس، لصالح الفكر الجديد لقيام الانتفاضة، لاسيما اصرار النظام على عدم الانسحاب من الكويت واصرار دول الحلفاء على دحر النظام العراقي وطرده من الكويت، وقد تيقن الناس في العراق بسقوط النظام، في كل الاحوال، وقد وصل هذا الايمان، برؤية الجيش العراقي المنحدر والمجير على الانسحاب من الكويت بشكل غير منظم- الى حد اشعال فتيل بارود الحقد المكتوم في اعماق الناس ضد الفاشيين، وقد شملت نيران الانتفاضة أكثر المناطق التي يسكنها الشيعة في وسط وجنوب العراق، ومعظم مدن كوردستان.

ان الشيعة، ومنذ ملحمة كربلاء التي قتل فيها (الحسين بن علي) ورفاقه واهل بيته، يؤمنون بالانتفاضة المسلحة، وكان للمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق حضوره العسكري والسياسي المؤثر على الساحة العراقية ولا سيما في الجنوب، والكورد ايضا جعلوا الكفاح المسلح سنة وطريقا لتحرير كوردستان، لاسيما في تاريخهم المعاصر، إلا أن الكفاح المسلح لكلا الطرفين تعرض الى هزيمة عسكرية، بعد توقف الحرب العراقية- الايرانية. اذن، اذا كانت استراتيجية الكفاح المسلح لم تتغير عند الطرفين، ولم يعدا مسبقا لهذه الانتفاضة، فلا بد أنهما اعتبرا الانتفاضة فرصة، للعودة الى الميدان، عن طريق القوة، من اجل تحقيق استراتيجيتهما المسلحة.

كما قلنا سابقا، كانت اطراف المعارضة العراقية تعتقد أن سقوط النظام العراقي أمر محتم، ولا يقبل أي شك، لاسيما في بداية حرب الكويت. ففي هذه المرحلة بالذات، كان نزول الشيعة الى الميدان بالسلح، في المناطق التي تسكنها اغلبية شيعية، ونزول قوات (الجبهة الكوردستانية) ايضا الى الساحة في مدن وقصبات كوردستان، جعل نهج الكفاح المسلح يسيطر من جديد على نهج الانتفاضة، بل خلط بين الانتفاضة والانتفاضة المسلحة،

والكفاح المسلح بشكل، اعتقدت الجماهير بأن الكفاح المسلح هو الوسيلة المثلى للقضاء على بقايا الجيش العراقي المهزوم. لقد كانت سيطرة الكفاح المسلح هذه على الانتفاضة، اكبر خطأ عسكري وسياسي وقعت فيه الشيعة و(الجبهة الكوردستانية)، اذ غيروا، بذلك، نهج الانتفاضة، كنهج ثوري يلائم المدن، الى نفس النهج المسلح القديم المهزوم باستمرار.

لقد قامت الانتفاضة بصورة عفوية، ولم يكن لها برنامج محدد، ولا شعار مركزي واحد، ولا اعلام موحد، ولم تظهر قيادة موحدة أثناء الانتفاضة، وكان أمام الانتفاضة شوط بعيد لتشمل كل المدن العراقية الكبيرة والمتوسطة، لاسيما (بغداد والموصل) والمدن القريبة من بغداد، ولم تنظم الكثرة الكاثرة من الناس الى الانتفاضة، كذلك لم يحصل تمرد كبير داخل قوات الجيش العراقي، وهو شرط مهم، لإصابة النظام العراقي بالشلل. فبالرغم من عدم اكتمال هذه العوامل الضرورية، رجعت المعارضة العراقية والكوردستانية الى الميدان بعقلية الكفاح المسلح بدلا من السعي لتحقيق اكتمال تلك العوامل الضرورية عن طريق خدمة الانتفاضة، والتعويض عن نواقص وقصور عفوية قيام الانتفاضة، بقدر الامكان. ففي الوقت الذي لم يكن لدى المعارضة العراقية أي برنامج مشترك للانتفاضة، حتى على الصعيد العسكري في الأقل، وهو ما حصل ايضا في الهزيمة العسكرية للحركة المسلحة الكوردستانية، في الانفلات، لم يكن لدى (الجبهة الكوردستانية) أي برنامج عسكري مشترك معد ومحدد مسبقا، الى يوم الانتفاضة، فكل طرف كان يرسل ويستدعي مفارزه حسب هواه، ووفق سياسته!

إن سيطرة وتحكم الكفاح المسلح في الانتفاضة، بهذه الصورة الواسعة، وعدم وضع الكفاح المسلح في خدمة وتطوير وترسيخ نهج الانتفاضة، حتى وإن الحقت ضربات، من الناحية العسكرية، بالنظام العراقي، هنا او هناك، فانها، هكذا ايضا، الحقت اضرارا بالغة بالانتفاضة من ناحيتين اثنتين:-

١- اوقف الكفاح المسلح انتشار الانتفاضة بين اكثريه الجماهير، ومنع توسعها وانتقالها الى المدن العراقية والكوردستانية الأخرى، وربط آمالهم وأمانهم في النجاح والنصر، بانتصار القوى المسلحة من الناحية العسكرية. جرى هذا، في الوقت الذي، يكمن جوهر نجاح

الانتفاضة في دفع الجماهير الى الالتفاف حول راية الانتفاضة، والسعي من اجل: إما كسب الجيش واجهزة النظام القمعية، للانضمام الى صفوف الانتفاضة، وإما اقناعها بالوقوف على الحياد، او تشتيت صفوفها.

٢- أعطى الكفاح المسلح مبررات للنظام، لكي يحشد جيشه، ومؤسساته القمعية الاخرى، ويشجع جنوده، ويبعث النخوة الوطنية فيهم، باسم ايقاف التدخل الخارجي، ومنع احتلال الوطن، للتصدي للمنتفضين وقمع الانتفاضة، بلا رحمة. هذا في حين كانت معنويات الجيش العراقي، نتيجة لاندحاره في حرب احتلال الكويت، في حالة انهيار وهبوط تامين، ولكن النظام العراقي استغل الاخطاء العسكرية في الانتفاضة، من اجل اعادة تنظيم صفوف جيشه المنهار.

فبالاضافة الى مسألة الكفاح المسلح هذه والانتفاضة، فان النظام استغل بعض المسائل السياسية والدبلوماسية والتصرفات الخاطئة المختلفة الاخرى، لاصحاح الانتفاضة منها:-

- قرار امريكا القاضي بالتفاوض مع النظام العراقي، وهو في اقصى درجات هزيمته، والذي صدر في (٢٨/٢/١٩٩١م)، الحق اثرا نفسيا خطيرا بمعنويات الجماهير المنتفضة، وبالمقابل أحيا الآمال الميتة للنظام وجيشه مرة اخرى. حصل هذا، في الوقت الذي كانت الجماهير تنتظر من دول الحلفاء عدم ايقاف الحرب إلا بعد سقوط النظام، وكان النظام يعرف تمام المعرفة انه يقف على حافة أية هاوية مهلكة، لذلك رضي بكل شروط امريكا في تلك المفاوضات التي اعقبت وقف اطلاق النار!
- اظهار انتفاضة سكان جنوب العراق بمظهر (شيعي-اسلامي)، مما افزع الغرب خوفا من تكرار التجربة الايرانية في العراق، في حين لم تكن للغرب علاقات وطيدة مع المعارضة العراقية والكوردستانية آنذاك، كما أن القوى الليبرالية والمذهبية الصديقة للغرب، كانت ضعيفة في ذلك الوقت.

- عندما فرض الكفاح المسلح على الانتفاضة، لم يكن هناك برنامج عسكري دقيق للقيام بهجمات متكررة ومستمرة على قوات النظام العراقي حتى تشكل خطرا على بغداد، بل حصل عكس هذا، فبعد العديد من النجاحات والانتصارات، خاصة في كوردستان، اعتمدت خطة الدفاع السلبي (وفي الدفاع موت للشورة)، وهذا اعطى للنظام فرصة للانسحاب من الكويت، كما كان يرغب، وعمل على تنظيم صفوفه، واستغل فوضى عدم وجود برنامج عسكري للانتفاضة، وعدم استمرار الهجمات العسكرية، ليبدأ الهجوم من جديد، وأقام مذبحه في جنوب العراق، وحدثت في كوردستان كارثة الهجرة الجماعية، بدون أن يتمكن عشرات الالوف من المسلحين من التصدي للهجمات العسكرية العراقية، بنفس مستوى التصدي في المعارك الأخيرة العنيفة للانفالات.
- التصرفات اللصوصية المشينة لبعض افراد القوى المسلحة: السرقة، والسلوك غير الثوري، والابتعاد عن تنظيم الجماهير، وعدم وجود برنامج لتقديم الخدمات والتربية السياسية، والعداء لليساريين، والتصرف بدون برنامج اداري ديمقراطي لادارة الشعب والاحزاب السياسية المختلفة.
- العلاقة غير المنظمة، بين المعارضة العراقية ودول الجوار، وسعي هذه الدول من اجل تنفيذ خططها ضد النظام العراقي، اثناء الانتفاضة.

هذه الحقائق جميعها التي تجسدت جميعها داخل الانتفاضة العفوية، لم تترك مجالا لتحويل هذه الانتفاضة، كانتفاضة تحررية، الى انتفاضة مستمرة، الى حين تحقيق آخر هدف من اهداف الشعب العراقي عموما، والشعب الكوردستاني خصوصا، وهو اسقاط الفاشيين، ووصول بديل ديمقراطي الى

الحكم، يقر، بدون شروط، حق تقرير المصير للكورد، بما فيه حق الانفصال وتأسيس جمهورية كوردستان المستقلة ايضا*.

فعلى الرغم من احماد الانتفاضة في عموم العراق احمادا دمويا على ايدي جلاوزة النظام البعثي العراقي ، الا ان الكورد، كعادتهم دائما، تمكنوا من احياء وتفعيل ميّزتهم وخاصيتهم الكوردستانية، في هذه المرحلة من تاريخهم، واستطاعوا، بعد الكبوة المؤقتة، والهجرة الجماعية-تحرير معظم مناطق كوردستان، والمحافظة على الحرية التي سادت كوردستان، ماعدا (كركوك وخانقين ومندلي وسنجار...)، في ظل وضع عالمي جديد، يشمل الشرق، في بداية عصر انتهاء الحرب الباردة، حتى صارت كوردستان خندقا لتقرير مصير النظام العراقي، وهكذا ثبت عمليا وموضوعيا أن الانتفاضة هي مرحلة جديدة، ولها استمرارية سياسية واجتماعية وقانونية ايضا، على الرغم من كل الاخطاء والانحرافات الذاتية.

* طرحنا هذه الافكار عدة مرات، قبل انتصار الانتفاضة، وقبل رفع الاحزاب الكوردستانية شعار الفدرالية في كوردستان العراق- المؤلف- الطبعة الجديدة المنقحة والمزيدة.

٥/٩- الهجرة والمفاوضات والبرلمان

عندما اخمدت الانتفاضة، اتضح بشكل واضح وجلي ومؤكد ان جميع القوى العراقية والكوردستانية، بكل ما تملك من سلاح، وجميع المؤيدين المسلحين الذين التفوا حولها، لم يكن بمقدورها الحاق الهزيمة العسكرية التامة بالبعث العراقي، على الرغم من هزيمته في حرب الكويت هزيمة منكرة، وان هذه الحقيقة العسكرية، وبعد فرض النهج العسكري على الانتفاضة، أصبحت هي الخطة التاريخية الثانية التي تقف مسؤوليتها على عاتق القوى المسلحة التي بدلت سيماء وجوهر الانتفاضة، عن طريق المقاومة المسلحة، في الوقت الذي لم يكن لديها حتى اقل ما يمكن من الخطط والبرامج العسكرية، لهذه المقاومة. كذلك توضح أن جميع الاطراف كانت تعتقد ان النظام ساقط-لا محالة-لذلك كانت واثقة من النصر! وهكذا وقعت الواقعة الكبرى، حيث اييد اكثر من (٧٠) الف انسان في الجنوب، واجبر الشعب في كردستان على الهجرة الجماعية، هجرة ترك كردستان نحو الحدود، كمأساة تاريخية نادرة في تاريخ الشعوب...

ان هجرة الشعب في كردستان لها سببان مباشرين:-

الأول: شراسة الفاشية العراقية صاحبة السجل الاسود والجرائم النكراء المخجلة، كجريمة قصف حلبجة والقصبات والقرى الكوردستانية الاخرى في عمليات الانفال، بالاسلحة الكيماوية.
الثاني: عدم ثقة الناس بـ(الجبهة الكوردستانية)، في التصدي حتى للجيش العراقي المهزوم.

وبناء على هذين السببين، قام الشعب الكوردي، لأول مرة، في تاريخه القديم والحديث، بالهجرة الجماعية العفوية، وترك مدنه وقراه، وفي خضم اشتداد هذه الهجرة، وموت العشرات من الاطفال، وقسوة ظروف الناس التي وصلت الى حد لا يطاق، وضع الشعب مرة أخرى وكل القوى، على المحك العسكري والسياسي والاداري، حيث ظهر جميع القوى، اضافة الى اندحارها العسكري، واطرافها الى لجوئها مرة اخرى الى خيمة المفاوضات المتهرئة الغربية والعجيبة! ظهورا(أي الاحزاب الكوردستانية) ضعفاء، كما

كانوا، من جهة ادارة شؤون الناس. ففي الاسبوع الاول من الهجرة، تعلم الناس بسرعة في ميدان تجربة الهجرة الجديدة، ان (الجهة الكوردستانية) ليس لديها خيار سياسي وعسكري وبديل آخر، سوى المفاوضات، وظهر جليا ولاول مرة في التاريخ، أن المفاوضات لا تلقى أية مساندة او دعم، على المستوى العالمي، بل تلقى الرأي العام العالمي، لاسيما الاوربي المتهيج والمتعاطف مع الكرد انباء مفاوضات قيادة (الجهة الكوردستانية)، بهذه الصورة، ومع اشد الانظمة المشيرة للثقل والاشمزاز في العالم، بكل استغراب واستهجان*.

لقد تبين أن هذه الظروف المستجدة سوف تعقبها تغييرات سياسية اخرى، وتبعاً لذلك تغيرت الهجرة من كارثة كبيرة الى مساندة ودعم خيالي لقضية شعبنا. ففي اثناء الهجرة المليونية الكبرى، ونشر صور المنكوبين من ابناء شعبنا، على شاشات الفضائيات العالمية، وتأثيرها البالغ والمحزن على الرأي العالمي، وخاصة الاوربي - اضطر وزير خارجية الولايات الامريكية (جيمس بيكر)، وهو على متن الطائرة ان يتكلم مع رئيسه (جورج بوش الاب)، لكي يطلب منه اتخاذ موقف انساني، للحد من كارثة انسانية حقيقية غير مسبوقة، تحصل لشعب كوردستان العراق، وقد تحركت امريكا فعلا على الصعيد العالمي، ولاقت تحركها تجاوبا من الدول الاوربية، ولا سيما من فرنسا، واقترحت، في مجلس الامن، تحديد منطقة آمنة للشعب الكوردي، وبناء على ذلك، اجتمع مجلس الامن، وصوت لصالح التدخل المباشر في القضية، واصدر القرار (٦٨٨)، وفرض بموجبه منطقة آمنة للشعب الكوردي، يمتد الى خط العرض (٣٦)، وقد فتح هذا القرار الباب امام الامم المتحدة ومجلس الامن، لكي يقرروا التدخل في شؤون الداخلية لكل دولة، يواجه شعبه كارثة انسانية وكان هذا القرار لا سابقة له في مجلس الامن والامم المتحدة، لكنه مهد السبيل لتدخلهما في القضايا السياسية

* عرفنا في اليوم التالي من المفاوضات، ان دولة السويد وبعض الدول الاسكندنافية والاوربية الاخرى، قد اتخذت قرارا، بطرح قضية استقلال كوردستان عن العراق، في مجلس الامن والامم المتحدة، ولكن المفاوضات، وبالشكل الذي اجريت، قد اجهضت هذه الفكرة - المؤلف - الطبعة الجديدة المنقحة والمزيدة.

لمصلحة شعوب يوغسلافيا السابقة وافريقيا ٠٠ والى اخره. فعدم الثقة بالنظام، وظهور ضعف (الجبهة الكوردستانية)، وظهور معالم دعم القضية الكوردية، من قبل الرأي العام العالمي، اثر كل ذلك في ومواقف الجماهير ومشاعرها. ففي الوقت الذي كانت وفود الجبهة الكوردستانية منهمكة في المفاوضات والتنقل بين بغداد وكوردستان، واجراء المقابلات التلفزيونية معهما، وحسب مخطط بعثي، مبشرين بنجاح مفاوضاتهم مع البعث (الرئيس صدام) و اعلان نتائجها قريبا. نعم في هذا الوقت بالذات، بدأت الجماهير المتمرسه التي نضجت خصالها الثورية في اتون الانتفاضة، بالهجوم على معسكرات جيش النظام ومقراته ورباياه، في المدن، وطرد آلاف الجنود المنهارين، بالتصفيق والضرب بالايدي، وحرروا معظم مدن كوردستان تارة اخرى من دون اي تخطيط وقرار من قبل الجبهة الكوردستانية، وعادت (الجبهة الكوردستانية) الى الميدان مرة أخرى، إلا أن الكادحين من الپيشمرگه، كانوا يهاجمون، في احيان كثيرة، مؤسسات النظام القمعية تضامنا مع الجماهير، بدون قرار مسبق من قياداتهم، وبالمقابل حصل في أوقات محددة، وفي هذه الفترة أيضا، أن بعضا من مسؤولي (الجبهة) عملوا على اخماد روح التمرد عند الناس، ومنعوهم من الهجوم على مؤسسات النظام، حتى انهم انقدوا مجرمين كبارا للنظام، من ايدي الجماهير! ونتيجة لاشتداد حماس الدعم العالمي ومجيء جيش (الحلفاء) الى حدود كوردستان، اثر الهجرة الجماهيرية الكبرى، واصرار الجماهير على طرد النظام، رجعت الجبهة الكوردستانية الى داخل المدن، وسيطرت عليها مرة اخرى، وبهذا الشكل، سيطرت الجبهة مرتين على كوردستان، في غضون شهرين ولكن ظهر، وفي المرة الثانية أن النظام لا يستطيع أن يعود الى كوردستان، كما حصل في المرة الاولى، لأن قرارات الامم المتحدة لا تسمح بهذا، لذلك كان على (الجبهة) تأمين الأمن والاستقرار والمحافظة على ارواح وممتلكات الكورد في كوردستان، وكانت هذه هي المهمة والواجب الاكثر اهمية بالنسبة لها، الى جانب ترسيخ الديمقراطية والحرية، لكن الذي حصل فعلا بعد مرور خمسة أشهر على الهجرة، وتحرير معظم مناطق كوردستان العراق مرة اخرى، والى يوم صدور قرار اجراء انتخابات البرلمان، أي: في غضون سنة كاملة - نستطيع أن نقول عنه: ان الأوضاع التي سادت في تلك الفترة في

كوردستان يمكن درجها ضمن أسوأ النماذج في تاريخ كفاح الشعوب من أجل نيل الحرية. فالسراقات، والفوضى، والقتل والنهب، وقطع الطرقات على الناس، والعيش على حساب الآخرين، كل هذه الاعمال والأخطار والرزايا والأمراض انتشرت انتشار النار في الهشيم داخل المجتمع الكوردي، بينما كان المفروض أن يحصل العكس، لأن قوى (الجبهة الكوردستانية) قد ذاقت مرارة الفشل طوال تاريخها، إلى الحد الذي كان يجب عليها أن تحافظ على هذا المكسب بكل ما أوتيت من قوة ومن امكانيات، وأن تسارع إلى تقديم الخدمات والاعمال المفيدة إلى الجماهير، وإلى السهر على أمنهم واستقرارهم.

ومع كل هذا، كان الضرر السياسي المؤثر يكمن في عدم دراسة مرحلة ما بعد الانتفاضة، كمرحلة جديدة، من قبل اكثرية القوى، وعدم معرفة واجباتها ومهامها الاساسية، فهم تصرفوا في هذه الفترة، كما في السابق، بنفس العقلية الثورية المسلحة، وبها كانوا يديرون شؤون الناس ايضا: كمارك متعددة، وسيطرات لا عدد لها، والاف من المقرات، وظاهرة حمل السلاح، وعدم الاهتمام بالقضاء والعدالة، والحزبية الضيقة... الخ، هذه جميعها كانت من المظاهر البارزة غيرالصحية لمعظم قوى (الجبهة)، وبهذا الشكل لم يؤخذ بعين الاعتبار ربع مستلزمات تأمين الواجبات السياسية والادارية والقانونية والثقافية الضرورية لتلك المرحلة.

إن هذه الظواهر السلبية جميعها كانت تلحق اضرارا بالغة بالانتفاضة والجماهير، والمكانة السياسية لشعبنا بين الامم، وفي نظر الرأي العام العالمي، ضمن مشروع مستلزمات المرحلة السياسية الجديدة، فيما بعد الانتفاضة، حتى إن الاختلافات على مسألة المفاوضات والظواهر السياسية العالمية الجديدة بين الجماهير والقوى السياسية، اقتربت من الهاوية والدخول في طريق مسدود، أي: بدأت الجماهير تتساءل بقلق عن خطر اندلاع حرب داخلية وشيكة اخرى!

- إلى متى تستمر الفوضى السياسية؟!
- إلى متى يستمر تشتت قوات البيشمركة وعدم توحيدها؟!
- إلى متى تستمر عمليات النهب والسلب وارتكاب الجرائم؟!

- الى متى يستمر عدم انتخاب سلطنة ديمقراطية و.. الى متى تستمر هذه المفاوضات العقيمة مع النظام، والتي جربناها طوال (٢٢) عاما بمختلف انواعها وصورها؟!

إن هذه الاسئلة كانت تولد ضغطا سياسيا واجتماعيا ونفسيا كبيرا على (الجبهة الكوردستانية) التي كانت تعاني من اختلافات في الآراء ووجهات النظر حول هذه المسائل، لاسيما بين (الاتحاد الوطني الكوردستاني) و(الحزب الديمقراطي الكوردستاني) كما كانت الاطراف اليسارية وغير اليسارية خارج (الجبهة) عاجزة عن اتخاذ قرارات حول هذه المسائل، لأنها، اضافة الى قلة امكانياتها، لم تكن متفقة على ادنى برنامج مشترك، وأما الاطراف الاخرى داخل (الجبهة)، فكانت تسعى الى المحافظة على مصالحها الحزبية الخاصة لدى الطرفين الرئيسيين في (الجبهة): (الاتحاد الوطني الكوردستاني) و(الحزب الديمقراطي الكوردستاني)، وحتى لو قدمت اقتراحات مفيدة، كانت اقتراحاتهم لا تلقى آذانا صاغية!

بعد أن كادت المشاكل والاختلافات تصل الى حافة هاوية الانفجار المدمر، رضخت (الجبهة الكوردستانية) الى ضغط الجماهير، والضغوطات الخارجية، والخوف من انفجار التناقضات التي تهدد الجميع، وقررت اخيرا اجراء الانتخابات البرلمانية.

إن انتخاب البرلمان، كمشروع للانتخاب، كمبدأ للانتخاب، كتجربة جديدة ديمقراطية، داخل مجتمعنا الكوردي، هو أحد المنجزات السياسية الديمقراطية لشعبنا والتي لا مثيل لها بين شعوب الشرق. هناك شعوب قليلة، أستقبلت بهذا الشوق والحماسة مشروع الديمقراطية، لاسيما بين الشعوب المتخلفة، لكن تلك التجربة الفريدة، وبكل أسف، قد وصم جبينها بوصمة تقليل الاهتمام بالروح الديمقراطية عندما فرضت نسبة ٧% من مجموع الأصوات كشرط للدخول إلى البرلمان، هذا إضافة إلى الألاعيب المفضوحة التي مورست من اجل الحصول على اكثرية الاصوات، الى الحد الذي طعن في نزاهة الانتخابات... هذه الظاهرة ليست لها أية علاقة بالشعب، ومع ذلك نجحت الانتخابات، وولد البرلمان، ووضع وجهها لوجه امام المهمات السياسية والاجتماعية والدبلوماسية الجديدة، لانجاز واجبات

الانتفاضة. فاذا كان اعلان الفيدرالية لكوردستان، واصدار قرار بناء اسس توحيد قوات البيشمركة، ومنع انفجار الحرب الداخلية بين (الحزب الديمقراطي الكوردستاني) و(الاتحاد الوطني الكوردستاني)، هي من الاعمال الجيدة للبرلمان، فان هناك الكثير من الاعمال غير المنجزة امام البرلمان ومجلس وزراء كوردستان، منها:

- انعاش اقتصاد كوردستان المشرف على الافلاس، والانتاج العام المقرب من الصفر.
- ايجاد فرص عمل للعمال والكادحين الذين يعانون اكثر من غيرهم من الفقر، ومعالجة البطالة التي وصلت الى اعلى معدلاتها.
- المحافظة على أمن الحدود، والضرب على ايدي الجواسيس والمخربين واللصوص الذين مازالوا يعيشون بأمن البلاد.
- الاهتمام بالوضع الصحي للناس، والذي هو في ادنى درجاته، كذلك المستلزمات الحياتية الضرورية الاخرى، كالماء، والكهرباء، والنظافة، والراتب، والطرق والجسور...الخ.
- اعمار القرى المهتمة التي تحتاج الى تعميم وبناء من جديد، والتي لم يعمر إلا ما يقارب ١٠% منها.
- التخطيط التربوي العلمي، ومحو الامية، والبرامج الاجتماعية والثقافية...الخ، التي لم يجر أي تخطيط واعداد لها بعد الانتفاضة، ومسائل عديدة اخرى.

لم يمر وقت طويل على اجراء انتخابات البرلمان، لكن مع ذلك، كان من الممكن تنفيذ بعض من تلك المهمات والواجبات، كما يجب تحقيق بقية المهمات والواجبات، بالكفاح والسعي المستمر. ان تحمل مسؤولية تشكيل البرلمان ومجلس الوزراء، له علاقة بدرجة تنفيذ المهام التشريعية الديمقراطية للبرلمان، فكل طرف اعطى، في زحمة اشتداد الحملة الانتخابية، وعودا وعهودا كثيرة للجماهير، كان من الضروري أن يعرف أن الجماهير التي اعطت ثقتها له، رغم مشاكل الماضي، تنتظر منه تحقيق متطلباتها وتأمين احتياجاتها، وإلا فانها غير مستعدة للبقاء على موقفها وثقتها السابقة لهذه الاطراف بدون تحقيق تلك المطالب. فمن الآن فصاعدا، تنتظر

الجماهير تحقيق آمالها الاقتصادية والسياسية والثقافية، لان الجماهير الكوردستانية قد ضحت بكل غال ونفيس، اثناء النضال التحرري من اجل التحرير والنصر.

ان الحياة السياسية داخل المدينة تختلف عن ظروف الكفاح المسلح في الجبال، فاذا كانت الجماهير قد وقفت صامدة، في الجبال، بوجه المشاكل اكثر مما كان متوقعا خوفا من هجمات النظام الذي كان يهدد مصير شعبنا وارضا، وخوفا على مصير الكورد، كذلك، اذا كانت الجماهير داخل المدن قد أخذت المشاعر السياسية والقومية والخدمات السابقة، بنظر الاعتبار، بحكم استمرار بقاء البعث، وبقاء الأخطار التي كانت تهدد وجودها، لعلها تتخلص من خطر النظام، ويحل قسم من مشاكلها بأي شكل من الأشكال، إلا أن على هذه القوى أن تعرف أن الثقة التي منحتها الجماهير لها، ستقل شيئا فشيئا تناسباً مع مدى تحقيق مطالبها، لأن الحقائق تظهر في المدن بسرعة أكثر و... ينمو وعي الجماهير فيها، بشكل أفضل.

فللجبل مهامه، وللمدينة مهامها، ومشاكل الناس بعد نيلهم الحرية تكون أكثر من مشاكل طريق نيل الحرية.

كذلك... ينبغي أن يعرف الجميع أن انتخابات البرلمان ومجلس الوزراء ليست أول تجربة لممارسة الحكم الوطني في كوردستان، بل هناك تجربة حكومة الشيخ محمود وجمهورية مهاباد المنكوبتين هما تجربتان سابقتين لشعبنا في هذا الميدان، كما أن هذه المساندة الدولية للقضية الكوردية ليست الأولى من نوعها في تاريخ شعبنا، لأن معاهدة (سيفقر) ومساندة الاتحاد السوفيتي لجمهورية مهاباد ما زالتا حيتين في أذهان شعبنا.

صحيح أن الزمان والأرضية السياسية والدولية والإقليمية قد تغيرت، وصحيح أن أحداث التاريخ لا تتكرر كما هي، لكنه إضافة إلى هذه الحقائق هناك حقيقة مصيرية أخرى، يجب أخذها بنظر الاعتبار دوماً... وهي ... أن مصير الشعوب هو بيد الشعوب أنفسها، وكل شعب سنحت له فرصة مواتية كالتي سنحت لشعب كوردستان، ولم يتمكن قادته من استغلالها على أكمل وجه، ولم يمنعوا فشل هذه الفرصة، عن طريق تقديم الخدمات وتحقيق المنجزات وإشاعة الديمقراطية... فان خطراً جسيماً يظل يهدد هذا الشعب... كيفما يكن تطور الزمان... وفي أية مرحلة يكن التاريخ لاسيما إذا كان الشعب محاصراً كالشعب الكوردي.

ملخص لاثباتات احصائية

بعد انتهائنا من كتابة فصول الكتاب المخصصة للبحوث والمسائل السياسية والعسكرية والنظرية جملة وتفصيلا، ركزنا في متن الكتاب على كيفية اثبات حقيقة تاريخية مشوشة ومعكوسة، تسلحت بها الشعوب، من اجل تحررها، الا وهي: نهج الكفاح المسلح، ودوره في تحرير الشعوب المظلومة. وطبقا لمنهجية الكتاب، وحسب الفسحة العلمية للمنهج الديالكتيكي في الكتابة، سعينا، وبطريقة، مركزة الى اثبات ما اعتقدناه صائبا، مع علمنا المسبق بأن تأليف كتاب، يحتوي على مواضيع لم يعتد عليه السياسيون والثوريون، في كوردستان والمنطقة، هو بمثابة مغامرة في هذا الضمار من البحوث، لأننا، كنا نعرف سلفا، بأن كتابة بحث، من اجل نفي ما بات من المسلمات النظرية والأيديولوجية، هو، لذاته، مسألة شائكة ومعقدة، ولاثبات هذه المفاهيم الجديدة، داخل ساحة اليسار الديمقراطي والتحرري اضطررنا الى ان نغوص في اعماق نماذج متعددة، من تجارب الشعوب والحركات المسلحة، والثورات الطويلة الامد، اقتبسناها من تجارب قارات مختلفة، ومن نماذج لشعوب عديدة، لكن، ومع كل هذه الامور، تبين لنا بعد انتهائنا من كتابة فصول الكتاب، بأنه لا يزال بحاجة الى اثباتات ودلائل دامغة مساندة لبحثنا، ومن صلب المواضيع، وبطريقة علمية ومكثفة، ولم يكن دليلنا الى هذا الطريق المختصر سوى ملاحق احصائية، وقد ظهر لنا اثناء بحثنا وتقصينا، في بطون الكتب والموسوعات، لجمع المعلومات، لما كنا نهدف اليه، من اتمام الملاحق الضرورية لهذا الغرض، بأن هذه الملاحق لها دلالة علمية ومعرفية بالغة، لاثبات وتوثيق ما ورد من مواضيع في هذا الكتاب.

لقد تكشف لنا بعد هذا، ومن خلال تجربتنا الخاصة ايضا، بأن لغة الارقام والاحصاء لذاتها، هي اللغة الصادقة القاطعة المبرهنة للحقائق

والوقائع، في حين ان لغة البحث والتحليل، على الرغم من اعتباراته العلمية المؤثرة، سوف تبقى لغة تحليلية نسبية، من وجهات نظر مختلفة. فان اردنا ابداء وجهة نظر اكثر شمولاً، لكي نميز بدقة علمية ودلائلية، بين لغة الاحصاء وخطاب البحث، نقول: اننا- معشر الكتاب والمثقفين- في الشرق الاسلامي المعتادين على انماط النقاشات المطولة والبحوث المفصلة، والى يومنا هذا، الذي تجاوزت فيه المناهج العلمية مراحل تحليلية عديدة، ما زال اكثرنا والى الآن، اسرى للمناهج الكلاسيكية في الكتابة، لا سيما الكتاب والمثقفون في شرق وشمال كوردستان.

لقد حاولنا، ومن خلال هذا الملحق الاحصائي، ان نستند الى لغة الارقام ونستند على التجارب المرحلية في تاريخ الشعوب، ومن ثم نترك للقارئ الحكم النهائي.

ان الملحق الاحصائي هذا يقلب صفحات التاريخ، ابتداء من الحرب العالمية الاولى، والى نهاية الحرب الباردة، وخاصة صفحات الحروب الطويلة الامد، لعصرنا (المعولم) الذي نعيش في خضم تطوراته و متغيراته وتحولاته: عصر العولمة الذي بات واضحاً فيه ان ثورة المعلومات، سوف ينتصر على كل الثورات، والمفاهيم الثورية السابقة، ولكن، ومع الاسف الشديد، فان معلومات بعض الاحزاب وقادة الحركات، حول هذا العصر، والى الآن، شحيحة، الى درجة، لو اصروا على تعنتهم الايديولوجي، وشحة معلوماتهم في عصر ثورة المعلومات، سوف يتسببون في كارثة سياسية لشعوبهم، ومن ضمنها الشعب الكوردي، في شرق وشمال كوردستان.

لعلنا، بملحقنا الاحصائي هذا، قد خدمنا القارئ النبيل الكريم، اذ الحكم له اولاً و اخيراً، وله منا الشكر الجزيل، في كل الاحوال.

الملحق (١)

الحركات المسلحة المنتصرة، بعد سنوات الحرب العالمية الثانية

سنة الانتصار	ضد	سنة قيام الحركة	الحركة
١٩٤٩	داخلية، اليابان	١٩٢٧	الصين
١٩٥٤ - ١٩٧٥	فرنسا، امريكا	١٩٤٦	فيتنام الشمالية
١٩٥٤ - ١٩٧٥	فرنسا، امريكا	١٩٤٦ - ١٩٦٠	لاوس...
١٩٥٤ - ١٩٧٥	فرنسا، امريكا	١٩٤٦ - ١٩٦٠	فيتنام الجنوبية
١٩٥٢	اليابان، امريكا	١٩٢٧	كوريا...
١٩٦٢	فرنسا	١٩٥٤	الجزائر...
١٩٥٩	داخلية، امريكا	١٩٥٦	كوبا
١٩٦٠	فرنسا	١٩٥٧	الكامبيون
١٩٦٤	داخلية، امريكا	١٩٦٠	كاتنكا...
١٩٧٥	البرتغال افريقيا الجنوبية	١٩٦١	انغولا
١٩٨٣	البرتغال	١٩٦٣	كينيا
١٩٧٤	البرتغال	١٩٦٤	الموزنبيق
١٩٨٠	داخلية - امريكا	١٩٦١ - ١٩٦٨	غواتيمالا
١٩٧٥	امريكا	١٩٦٥	كمبوديا
١٩٧٩	افريقيا الجنوبية	١٩٧٠	ناميبيا

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

١٩٧٩	أپارتايت	١٩٧٢	روديسيا
١٩٧٩	امريكا	١٩٧٢	نيكاراغوا
١٩٨٠	فرنسا	١٩٧٦	الجاد

الملحق (٢)
الحركات المسلحة المستمرة

الحركة	سنة قيام الحركة	ضد
الفلبين، الحزب الشيوعي	١٩٥٧	النظام الفلبيني الدكتاتوري
اريتريا	١٩٦١	النظام الاثيوبي ()
فلسطين	١٩٦٥	اسرائيل
اوغندا	١٩٢٤	اثيوبيا
لبنان	١٩٧٥	داخلية، اسرائيل
الباسك (ارهاب)	١٩٧٥	اسپانيا
ايرلندا الشمالية	١٩٦٨	بريطانيا
كوردستان / العراق	١٩٧٦	نظام البعث العراقي
السلفادور	١٩٧٦	داخلية، امريكا
كمبوديا	١٩٧٨	داخلية، فيتنام
افغانستان	١٩٧٩	داخلية، الاتحاد السوفيتي*
كوردستان / ايران	١٩٨٠	الجمهورية الاسلامية الايرانية
كوردستان / تركيا	١٩٨٥	النظام التركي
بيرو	١٩٨٥	داخلية، امريكا
التاميل	١٩٨٦	النظام السريلانكي
البوليساريو	١٩٧٥	المغرب

* نالت اريتريا استقلالها من اثيوبيا - المترجم.

* نالت افغانستان حريتها بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي منها (المترجم).

الملحق (٣)
الحركات المسلحة الفاشلة

سنة الفشل	ضد	سنة قيام الحركة	الحركة
١٩٥١		١٩٣٩	اسپانيا (الجمهوريون)
١٩٤٩	داخلية، بريطانيا	١٩٤٧	اليونان
١٩٤٥	الحكم الملكي	١٩٤٣	كوردستان / العراق (البرزانيون)
١٩٤٦	الحكم الشاهنشاهي	١٩٤٦	كوردستان / ايران (جمهورية مهاباد)
١٩٤٦	الحكم الشاهنشاهي	١٩٤٦	آذربايجان / ايران
١٩٥٩	الصين	١٩٥٥	التبت
١٩٥٧	بريطانيا	١٩٤٨	ماليزيا
١٩٦٠	بلجيكا	١٩٥٨	الكونغو
١٩٦١	داخلية، امريكا	١٩٥٩	البرغواي
١٩٦١	داخلية، امريكا	١٩٥٩	الدومينيكان
١٩٥٨	اندونيسيا	١٩٥٧	سومطرة
١٩٦١	داخلية، امريكا	١٩٦٠	كولومبيا
١٩٦٠	داخلية	١٩٦١	البرازيل
١٩٦٥	النظام العراقي	١٩٦١	كوردستان / العراق
١٩٦٦	داخلية، امريكا	١٩٦٢	بيرو

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٣			
١٩٦٣	داخلية، امريكا	١٩٦٢	الاكوادور
١٩٦٧	داخلية، بريطانيا	١٩٦٢	فنزويلا
١٩٦٤	داخلية	١٩٦٣	لواندا
١٩٦٤	داخلية، بريطانيا	١٩٦٤	تنزانيا
١٩٦٤	داخلية، بريطانيا	١٩٦٤	كينيا
١٩٦٤	داخلية، فرنسا	١٩٦٤	الغابون
١٩٦٧	داخلية، امريكا	١٩٦٥	پوليفيا
١٩٦٨	النظام الشاهنشاهي	١٩٦٧	كوردستان / ايران
١٩٦٥	داخلية، امريكا	١٩٦٥	الاورغواي
١٩٦٨	النظام العماني والبريطاني والايروني، والاردني	١٩٦٨	ظفار / عمان
١٩٧٢	داخلية	١٩٧٢	بورندي
١٩٧٢	داخلية	١٩٧٢	الارجنتين
١٩٧٣	باكستان	١٩٧٣	بلوجستان

الملحق (٤)

الدول التي قامت فيها حركات مسلحة، في قارة آسيا التي يبلغ عدد دولها (٣٨)، توزعت على الشكل الآتي:

الحركات الناجحة	الحركات المستمرة	الحركات الفاشلة
-----------------	------------------	-----------------

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

١- الصين	١- الفلبين	اندرنوسيا
٢- فيتنام	٢- كمبوديا	٢- مالايزيا
٣- كوريا الشمالية	٣- فلسطين	٣- كوردستان / العراق
٤- لاوس	٤- كوردستان / العراق	٤- بلوجستان / باكستان
٥- اليمن الجنوبية	٥- لبنان	٥- ظفار / عمان
٦- كمبوديا	٦- كوردستان / ايران	٦- كوردستان / ايران
	٧- كوردستان / تركيا	٧- آذربايجان / ايران
	٨- التاميل / سريلانكا	

$$\text{المجموع} = ٦ + ٨ + ٧ = ٢١$$

وهذا يعني أن من مجموع (٣٨) دولة آسيوية، اندلعت في (٢١) دولة منها حركات مسلحة، بعد الحرب العالمية الثانية، نجحت منها (٦) حركات، وفشلت (٧) حركات، ومازالت (٨) حركات مستمرة الى يوم الانتهاء من هذا البحث.

الملحق (٥)

الدول الافريقية التي قامت فيها حركات مسلحة، بعد الحرب العالمية الثانية، هي (٢٣) دولة، توزعت على الشكل الآتي:

الحركات الفاشلة	الحركات المستمرة	الحركات الناجحة
١- بورندي	١- اريتريا / اثيوبيا*	١- الجزائر
٢- تانزانيا	٢- بوروندي	٢- انغولا
٣- زوندا	٣- بوليساريو / المغرب	٣- اوغندا
٤- كونغو	٤- تيمور الشرقية / اندونيسيا	٤- الشاد
٥- المغرب	٥- اوغندا	٥- زامبيا
٦- كامرون		٦- زائير
٧- كينيا		٧- زيمبابوي
		٨- ساحل العاج
		٩- غينيا
		١٠- غينيا بيساو
		١١- كينيا

$$\text{المجموع} = ١١ + ٥ + ٧ = ٢٣$$

أي من مجموع (٥٢) دولة افريقية، قامت في (٢٣) دولة منها حركات مسلحة، نجحت منها (١١) حركة، وفشلت (٧) حركات، ومازالت (٥) حركات مستمرة الى حين الانتهاء من هذا البحث.

الملحق (٦)

دول أمريكا الوسطى التي قامت فيها حركات مسلحة، بعد الحرب العالمية الثانية، هي (٩) دول، توزعت على الشكل الآتي:

الحركات الفاشلة	الحركات المستمرة	الحركات الناجحة
١- جامايكا	١- السلفادور	١- كوبا
٢- الدومنيكان		٢- نيكاراغوا
٣- كوستاريكا		
٤- غواتيمالا		
٥- هايتي		
٦- هندوراس		

$$\text{المجموع} = ٢ + ١ + ٦ = ٩$$

* انتهت حركة شعب اريتريا بالنصر وحصول شعبها على الإستقلال .

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

أي من مجموع (١٨) دولة في أمريكا الوسطى، قامت في (٩) دول منها حركات مسلحة، نجحت منها (٢) اثنتان، وفشلت (٦) حركات، ومازالت حركة واحدة منها مستمرة الى حين اعداد هذا البحث.

الملحق (٧)

دول أمريكا الجنوبية التي قامت فيها حركات مسلحة، بعد الحرب العالمية الثانية، هي (١٢) دولة، توزعت على الشكل الآتي:

الحركات الناجحة	الحركات المستمرة	الحركات الفاشلة
لا توجد	١ - بيرو	١ - الأرجنتين
		٢ - الاكوادور
		٣ - الاورغواي
		٤ - البرازيل
		٥ - يوليفيا
		٦ - ياراغواي
		٧ - كولومبيا
		٨ - فنزويلا

$$\text{المجموع} = ٠ + ١ + ٨ = ٩$$

أي من مجموع (١٢) دولة في أمريكا الجنوبية، قامت في (٩) دول منها حركات مسلحة، لم تنجح في اية من هذه الدول، وفشلت في (٨) ثماني دول، ومازالت واحدة منها مستمرة الى حين اعداد هذا البحث.

الملحق (٨)

ملخص احصائي بالحركات المسلحة في القارات والمناطق الحيوية في العالم، بعد الحرب العالمية الثانية:

القارات	عدد الدول	الناجحة منها	المستمرة منها	الفاشلة
آسيا	٣٨	٦	٨	٧
افريقيا	٥٢	١١	٥	٧
أمريكا الجنوبية	١٢	×	١	٨
أمريكا الوسطى	١٨	٢	١	٦
المجموع	١٢٠	١٩	١٥	٢٨

ملاحظة:

يظهر من هذه الاحصائيات بصورة عملية، وبدون جدال، أن الكفاح المسلح، سواء حرب الانصار، أم الثورة الطويلة الأمد، مع انه بذلت جهود كبيرة من اجل جعله قانونا ثابتا لتحرير الشعوب المحتلة والخاضعة للإمبرياليه، إلا أنه لم ينجح إلا داخل (١٩) شعبا من هذه الشعوب من مجموع (١٢٠) شعبا، وفشل في (٢٨) شعبا، وهو اكثر من مجموع الحركات الناجحة، ومازالت (١٥) حركة مجهولة المصير الى الآن، اضافة الى (٥٨) دولة لم تقترب من الكفاح المسلح.

أما في قارة اوربا، فانه بعد فشل ثورات اليونان، واسپانيا لم يزيد احد في هذه القارة نظرية الكفاح المسلح، ولم يظهر فيها شيء من هذا القبيل باستثناء العمليات الارهابية للباسك في اسپانيا، والاييرلنديين في ايرلندا الشمالية، لذلك لم ندخل دول اوربا في هذا الجدول، أي، ان الثورات المسلحة كانت ناجحة في الدول المتخلفة بصورة اكثر، وأقل استمرارية في الدول شبه المتقدمة، وفاشلة في الدول المتقدمة، وان (٤٠) ثورة من المجموع الكلي لهذه الثورات كانت ثورات داخلية، وضد الاجنبي، و(١٨) منها ضد امريكا، و(٧) منها ضد بريطانيا، و(٦) منها ضد فرنسا و(٧) منها ضد اليابان.

المصادر

المصادر العربية:

- ادغار سنو، النجم الاحمر فوق الصين، المراحل الاولى من تأريخ الثورة الصينية، ترجمة: كمال ابوالحسن و كمال ابو العز.
- احمد نوري النعيمي، الدكتور، تركيا و حلف شمالي الاطلسي، المطبعة الوطنية، الاردن ١٩٨١.
- اوليانوفسكي - بافلوف، آسيا تختار، دار التقدم، - موسكو.
- التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران، ١٩٨١.
- جان اسمين، الثورة الثقافية الصينية، ترجمة، ذوقان قرقوط.
- جان بابي، القوانين الاساسية للاقتصاد الراسمالي، ترجمة: لجنة من: شريف حتاتة، محمد خليل قاسم، سعد كامل، حلیم طوسون.
- جان اللنشتين، تأريخ الظاهرة الستالينية، ترجمة، جوزيف سماحة.
- روجية دوبرية، ثورة في الثورة، ترجمة: الياس سحاب، الطبعة الاولى، كانون الثاني ١٩٦٨.
- كارل ماركس - فردريك أنجلس، البيان الشيوعي، دار دمشق للطباعة والنشر.
- الماركسية و حرب العصابات، ترجمة: ابراهيم العابد و ماهر الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر - بيروت.
- ماوتسى تونغ، المؤلفات المختارة، المجلد الثاني، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين ١٩٦٩.
- محمد حسنين هيكل، الحل والحرب، شركة مطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٩٧٧.

المصادر الفارسية:

- آدينه, ژماره: ۲۹, آبان ۱۳۶۷.
- ادوارد كرانسكاو, خاطرات سياسى خروشوف, مترجم, محمد رفيعى مهرآبادى.
- ارتور كند, يالتا يا تقسيم جهان, مترجم: محمد طلوعى, ضاٹ اول, پائيز ۱۹۶۵.
- ارنستو چه گوارا در انقلاب (با دو مقاله چاپ نشده) انتشارات مرواريد, مترجم: م.أ. رهجو.
- از لينين تا گورباتچف, مترجم: نگارش محمود طلوعى, سازمان انتشارات هفته, چاپ اول ۱۳۶۷.
- ژارژ شاليان- ژان بييرازو, اطلس استراتيژيك جهان, ترجمه: د. ابراهيم جعفرى, انتشارات اطلاعات, تهران ۱۳۶۶.
- مسائل نيمكره غربى, كوبا, كاسترو و انقلاب, منوچهر كمالي طه, موسسه انتشارات امير كبير, تهران ۱۳۶۶.
- ميخائيل گورباتچوف, پراسترويكا دومين انقلاب روسيه, مترجم: عبدالرحمن صدرية, چاپ سوم تاريخ نشر ۱۳۶۶.
- يان دريشاير, تحولات سياسى در اتحاد شوروى (از برژنف تا گورباتچف) مترجم: هرمز همايون پور, چاپ اول ۱۳۶۷ تهران.

المصادر الكردية:

- چه پكى له قسه كانى سه رۆك ماوتسى تۆنگ, كتيبخانه ي بىر نوى, به غداد ۱۹۷۳.
- چيا, ئەمنى سترايژى عيراق و سى كوچكه ي به عسيان: ته رحيل, ته عريب, ته بعيس, كۆمه له ي ره نجده رانى كوردستان, زنجيره ي ليكۆلينه وه / ۳.
- عه زيز شه مزينى (دكتور) جولانه وه ي رزگارى نيشتمانى كوردستان, چاپى دووهم, چاپخانه ي ئيبراهيم عه زۆ ۱۹۸۵, وه رگيترانى فه ريد ته سه سه رد.
- كارل ماركس, هه ژده ي برۆميترى لويىس بۆناپارت, وه رگيترانى: سيامه ندى شاسوارى.

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٣٣٣

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٨ - ٤	قراءة نقدية للكاتب المصري (رجائي فايد)
٩ - ١٣	قراءة للكاتب المصري (علوانى مغيب)
١٥	مقدمة للطبعة الثالثة
١٧	امتنانى للترجمة
٢٠ □	استهلال للتعريف بالمؤلف
٣٠	تقديم
الفصل الأول	
٣٧	١- كوردو- الشجاع
٤٧ □	١/١- هذه الثورة
٤٧	٢/١- جوهر البحث
٥٧ □	٣/١- نشأة نهج حرب الأنصار
٦٣ □	٤/١- بعد ثورة اكتوبر
الفصل الثاني	
٦٩ □	٢- الشروط الموضوعية والذاتية
٧٦ □	١/٢- الثورة الصينية
٧٧ □	٢/٢- نوعية الثورة الصينية وكيفية قيامها
٨٠ □	٣/٢- الثورة في أى مكان؟
٨٢ □	٤/٢- أسير.. جبهة
٨٦ □	٥/٢- العودة الى الماضى
الفصل الثالث	
٨٩ □	٣- المناهج المختلفة في حرب الانصار

٩٠	١/٣ - اولاً: كوبا
٩٣	٢/٣ - ثورة بلا طليعة
٩٧	٣/٣ - امريكا اللاتينية
١٠٢	٤/٣ - مميزات كل نهج من النهجين
١٠٤	٥/٣ - ثانياً: نيكاراغوا
الفصل الرابع	
١٠٧	٤ - النتائج والمستقبل
١٠٨	١/٤ - التغيير والتطوير
١١٠	٢/٤ - الثورة تتغير
١١٢	٣/٤ - تغير المواقع الطبقيّة
١١٧	٤/٤ - بوليفيا..ضريح جيفارا
الفصل الخامس	
١٢١	٥ - تشويه صورة الثورة
١٢٥	١/٥ - الدكتاتورية الستالينية
١٣٤	٢/٥ - خروتشوف: الانقلاب على ستالين
١٥١	٣/٥ - ماو: الثورة المرتدة
١٥٥	٤/٥ - الجبهة الصينية المتحدة
١٦١	٥/٥ - دكتاتورية الطبقات الاربع.. الصينية
١٦٥	٦/٥ - الثورة الثقافية
١٦٨	٧/٥ - طروحات العوالم الثلاثة
الفصل السادس	
١٧٢	٦ - مقدمة الاصلاح
١٨١	١/٦ - البروسترويكا والثورية
١٨٦	٢/٦ - الشكل والمضمون
١٩٥	٣/٦ - هل تنتصر الثورة بلا ظهير؟
٢٠٠	٤/٦ - الثورة المضادة
الفصل السابع	
٢٠٥	٧ - الثورة بين نهجين

٢٠٧	١/٧ - ثورة الجبال (النهج الأول)
٢١٦	٢/٧ - انتفاضة المدن (النهج الثاني)
٢٢٢	٣/٧ - مضمون الانتفاضة
٢٢٨	٤/٧ - الانتفاضة الايرانية المستمرة
٢٣٢	٥/٧ - الانتفاضة الفلسطينية المستمرة
٢٣٨	٦/٧ - استمرارية الانتفاضة المستمرة
الفصل الثامن	
٢٤١	٨- الاعداد لثورة كوردستان
٢٤٥	١/٨ - جمهورية مهاباد والرجوع الى المدن
٢٤٧	٢/٨ - ثورة ايلول والعودة الى الجبال
٢٥١	٣/٨ - مقارنة عسكرية بين الثورة الكوردية والنظام العراقي
٢٦٠	٤/٨ - علاقات اليارتى والانهييار
٢٦٨	٥/٨ - الوضع بعد الانهييار
٢٧١	٦/٨ - ارضية استئناف القيام بالكفاح المسلح
٢٨٣	٧/٨ - الفرق بين الحركات الكوردية
الفصل التاسع	
٢٨٩	٩- الانفالات والاحداث
٢٩٢	١/٩ - نهاية الحرب الباردة والكورد
٢٩٧	٢/٩ - متغيرات الحرب الباردة
٣٠٢	٣/٩ - انتفاضة كوردستان
٣٠٧	٤/٩ - الهزيمة المؤقتة و الحرية
٣١٢	٥/٩ - الهجرة والمفاوضات والبرلمان
٣١٩	ملخص لاثباتات أحصائية
الملاحق	
٣٢١	١- الحركات المسلحة المنتصرة
٣٢٢	٢- الحركات المسلحة المستمرة
٣٢٣	٣- الحركات المسلحة الفاشلة
٣٢٤	٤- الدول التي قامت فيها حركات مسلحة في آسيا

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٣٢٥	٥- الدول الأفريقية التي قامت فيها حركات مسلحة
٣٢٥	٦- دول أمريكا الوسطى التي قامت فيها حركات مسلحة
٣٢٦	٧- دول أمريكا الجنوبية التي قامت فيها حركات مسلحة
٣٢٦	٨- ملخص احصائي بالحركات المسلحة في العالم
٣٢٨	المصادر العربية والفارسية والكوردية

المترجم في سطور

الدكتور بندر علي أكبر شاكه محمد

- من مواليد (١٩٤٨ م) ، مدينة مندلي / كوردستان العراق.
- حاصل على شهادة:
- ١- بكالوريوس آداب اللغة العربية / جامعة بغداد ، كلية التربية (١٩٧٠ م).
- ٢- ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة السليمانية (٢٠٠٣ م).
- ٣- دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من جامعة الأنبار (٢٠٠٧ م).
- ٤- يعمل الآن أستاذا في جامعة السليمانية / كلية التربية.
- ٥- عمل كمدرس في وزارة التربية أكثر من ٢٢ سنة في عدة محافظات عراقية.
- ٦- عين مديرا للمناهج والمكتبات في وزارة التربية في إقليم كوردستان، ثم مستشارا تربويا، ومسؤولا عن وضع وتغيير المناهج، ومشرفا اختصاصيا في نفس الوزارة من (١٩٩٢ - ٢٠٠٣ م).
- في المجال الأكاديمي:
- ١- صاحب رسالة الماجستير الموسومة (صور الطبيعة ودلالاتها في الشعر الجاهلي والشعر الكوردي الكلاسيكي) جامعة السليمانية.
- ٢- صاحب اطروحة الدكتوراه الموسومة (المؤثر العربي والإسلامي في شعر الغزل الكردي) جامعة الأنبار. علما أن الاطروحة قد تم طبعها ونشرها.
- في المجال السياسي:
- انضم إلى صفوف الحركة الكردية منذ (١٩٦٦ م)، وأصبح عضوا في منظمة جامعة بغداد للحزب الديمقراطي الكردستاني ومسؤولا للجنة

- المحلية في مندلي بعد اتفاقية آذار(١٩٧٠م) وصدر بحقه مذكرة إلقاء القبض (١٩٦٩م).
- التحق بصفوف الحركة الكردية المسلحة (١٩٧٤-١٩٧٥م).
 - انضم إلى صفوف (العصبة الماركسية اللينينية) في (١٩٧٤م)، ثم الاتحاد الوطني الكوردستاني، منذ تأسيسه في (١٩٧٥م)، وعمل في صفوف تنظيماته السرية في بغداد، بعد اتفاقية الجزائر التي قضت على الحركة، وإلى عودته وابعاده إلى محافظة الأنبار،
 - القي القبض عليه في (١٩٧٧)، و(١٩٧٨) بسبب نشاطه السياسي المعارض، وتعرض للتعذيب والمحاكمة أمام محكمة الثورة، ثم الملاحقة والمحاسبة، إلى عام ١٩٩١.
 - مسؤول لجنة التنظيمات السرية في بغداد ومندلي للاتحاد الوطني الكوردستاني (١٩٩٣-٢٠٠٣م).
 - نائب مسؤول مركز تنظيم بغداد للاتحاد الوطني الكوردستاني (٢٠٠٣-٢٠٠٥م).
 - نائب مسؤول مكتب العلاقات الوطنية والعربية للاتحاد الوطني الكوردستاني (٢٠٠٥-٢٠٠٨م).
 - عضو مكتب الفكر والتوعية للاتحاد الوطني الكوردستاني.
 - عضو اكااديمية التوعية وتأهيل الكوادر للاتحاد الوطني الكوردستاني حالياً.
 - في المجال الثقافي والصحفي والأدبي:
- ١- عضو تحرير صحيفة الاتحاد والمشراف اللغوي لها منذ (١٩٩٤-٢٠٠١م)، وصاحب زاوية اسبوعية ، وكتب العديد من المقالات المتنوعة، وترجم الكثير من المقالات والدراسات من اللغة الكردية والفارسية إلى العربية، ونشرها في (الاتحاد) والصحف العراقية والعربية التي كانت تصدر في لندن، كالزمان والشرق الاوسط، باسم مستعار هو (انور مندلاوي).

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

- ٢- ترجم كتاب (شورشي كوردستان وكورانكاريه كاني سه رده م -
ثورة كوردستان و متغيرات العصر)، لمؤلفه (ملا بختيار) إلى اللغة العربية،
وطبع مرتين، وهذه الطبعة هي الثالثة.
- ٣- ترجم العديد من القصص باللغة الكوردية إلى العربية ونشرها في
المجلات.
- ٤- ترجم كتاب (ميدووي بيري كوردي) لمؤلفه ماموستا جعفر إلى
اللغة العربية.

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١٠	هاشم كهريبي	تايين و دسهلات	٣٣٨
٢٠١٠	رهسول سولتاني	فيمينيزم	٣٣٩
٢٠١٠	بيان محمد سعيد	سياسة التعريب في قضاء شنكال	٣٤٠
٢٠١٠	فرهاد جلال مصطفى	الامن و مستقبل السياسة الدولية	٣٤١
٢٠١٠	ثوميد قهرداغى	زنجيره يهك گفتوگوئى مهدهنى، عهلمانيهت و تايين، عدقل و شهريعت، كوردو ميدياي عهدهبي	٣٤٢
٢٠١٠	فريدريش دورينمات ت: غسان نعسان	مسرحيات و تحليل	٣٤٣
٢٠١٠	زانا رفيق سعيد	رجعية القانون في الماضي على الجرائم ضد الإنسانية	٣٤٤
٢٠١٠	تيسماعيل بيشكچي و. رهوا حاجي	كورده كان و مافى چارهى خونوسين زنجيرهى هوشيارى، ژماره (١)	٣٤٥
٢٠١٠	خهليل عهبدوئلا	سيستمى سياسى سويسرا زنجيرهى هوشيارى، ژماره (٢)	٣٤٦
٢٠١٠	فهريد تهسهسهرد	تايين و دهولت له ميسرى سهردهمى محمد عدلى پاشادا زنجيرهى هوشيارى، ژماره (٣)	٣٤٧
٢٠١٠		گوڤارى كهلتور	٣٤٨
٢٠١٠	ناماده كردنى: د. هيمدادى حوسين	روژنامهى كوردى گوڤارى ههولتير سالى (١٩٧٠ - ١٩٧٢)	٣٤٩
٢٠١٠	ته حسين ناميق	ناوچسه جيناكو كه كان، تاييندهو تاسوكانى چارهسهر، زنجيرهى هوشيارى، ژماره (٤)	٣٥٠
٢٠١٠	فهريد تهسهسهرد	به عه ره بگردن و به جوله كه كردن، زنجيرهى هوشيارى، ژماره (٥)	٣٥١

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١٠	ن: عهبدو لڤره همان مونيڤ و: عوسمان حه سه ن شاكر	ثاين و نازادى بيروڤا زنجيرهى هوڤشيارى ، ژماره (٦)	٣٥٢
٢٠١٠	ن. ئيرنست رينان و. كاميل محمد قه رده داغى	نه ته وه چيه...? زنجيرهى هوڤشيارى ، ژماره (٧)	٣٥٣
٢٠١٠	يوسف يوسف	خانقين .. حكايات اعوام الرماد	٣٥٤
٢٠١٠	راميار مه حمود	به عسيزم و سه ركوتكردى ژيان	٣٥٥
٢٠١٠	د. فرست مرعى	الدولة الايوبية في اليمن	٣٥٦
٢٠١٠	ن. هاشم صالح و. نارام ئەمىن شوانى	سپينوزا	٣٥٧
٢٠١٠	ئاماده كوردنى عادل عه لى	په رله مان ميژووى سه ره ه لدان و پيڤكها ته و ته ركه كانى	٣٥٨
٢٠١٠	د. شورش حسن عمر	الحصانة البرلمانية في قانون انتخاب برلمان كوردستان - العراق ومشروع دستور اقليم كردستان	٣٥٩
٢٠١٠	مسته فا مه له كيان و. له عه ره وييه وه: ياسين عومهر	ثاين و مؤد ير نه زنجيرهى هوڤشيارى ژماره ١٠	٣٦٠
٢٠١٠	فريد اسرد	المدارس السياسية الثلاث في العراق و امكانية التعايش السلمي فيما بينها زنجيرهى هوڤشيارى ژماره ١١	٣٦١
٢٠١٠		گۆڤارى كه لتوور	٣٦٢
٢٠١٠	ئاماده كوردنى: سالح ره همان	نوينه رانى كورد له يه كه مين خولى په رله مانى عراقى نويدا	٣٦٣

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١٠	كنياز ابراهيم ميرزوييف ت. عن الروسية: احمد حيدر علي	الموسوعة الكرد الصغرى	٣٦٤
٢٠١١	ريبين حهسن	پينگه‌ي ميديا لهه لِبـژاردني سه‌رؤكايه تي ته ميريكا دا ، ژ. ز. (١٢)	٣٦٥
٢٠١١	د. شورش حسن عمر	مميزات النظام الفدرالي في العراق (ذ. ز. ١٣)	٣٦٦
٢٠١١	مهلا بهختيار	جيهانگيري ، فاكته‌رو گرفته‌كاني ديموكراسي، ژ. ز. (١٤)	٣٦٧
٢٠١١	فهريد ته‌سه‌سه‌رد	په‌ي‌دا‌بوني عه‌لمانيه‌ت له‌توركي‌اي عوسمانيدا، ژ. ز. (١٥)	٣٦٨
٢٠١١	ن. محمد رها شالگوني و. عوسمان حسن شاكر	ئيسلام و مؤذيرنه ، ئيسلام له‌به‌رده‌م ته‌گه‌ري عه‌لمانيه‌تدا (ژ. ز. هوشيارى (١٦)	٣٦٩
٢٠١١	هه‌ستيار كه‌مال كوردى	سياسه‌تي روسي‌اي قه‌يسه‌ري به‌رامبه‌ر به‌كورد (١٨٠٥٠-١٩١٤)	٣٧٠
٢٠١١	بقلم: عبدالرزاق محمود القيسي	المحطات، اثرت في حياة الكورد و حركاتهم القومية	٣٧١
٢٠١١	ن. ده‌يقده ميله‌ر و. له‌تينگليزيه‌وه: كارزان كاوسين	كورته باسيكي فه‌لسه‌فه‌ي سياسي	٣٧٢
٢٠١١	ئاماده‌كردني : نه‌وزاد عه‌لي ته‌حمده	هه‌والئامه‌ي كوردستاني عيراق	٣٧٣
٢٠١١	ن. مارتين فان برونه‌سن و. له‌ته‌لمانيه‌وه: د. كوردؤ عه‌لي	ئاغاو شيخو ده‌ولته به‌رگي دووه‌م	٣٧٤

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١١	ماموستا جعفر ترجمة: د. بندر علي	تاريخ الفكر الكردي	٣٧٥
٢٠١١	هه لته خه سه ره و هه مه وه ندى	روژنامه نووسى كوردى له كوردستانى عيراقدا (١٩٩١-٢٠٠٥)	٣٧٦
٢٠١١	نهوزاد عه لى ته حمهد	مافى چارهى خو نووسين له ته ده بياتى (ى. ن. ك. دا) (١٩٧٥-١٩٩٢)	٣٧٧
٢٠١١	د. نورى تاله بانى	سياسه تى گوڤرينى رووخسارى نه ته وه بى ناوچهى كه ركوك - ژ. هوشارى (١٧)	٣٧٨
٢٠١١	ن. مايكل ليزنبيرك و. كارزان محمهد	ته نفال له كوردستانى عيراق ژ. هوشارى (١٨)	٣٧٩
٢٠١١	به ختيار جه بار شاوهريس	ئويوزسيون له چه مكه وه يو ته رك، ژ. ز. (١٩)	٣٨٠
٢٠١١	عابد خالد ره سول	به شداري كردنى سياسى ژ. ز. (٢٠)	٣٨١
٢٠١١	ن. عه بدوللا عه نزي و. سه ردار عبدالكريم	سيستمى فيدرال له ده وه لته تى ئيماراتدا، ژ. ز. (٢١)	٣٨٢
٢٠١١	خه ليل عه بدوللا	كورد و پرسى دانپيدانانى ده ستورى	٣٨٣
٢٠١١	عادل عه لى	تيريزم هه ره شه و مه ترسيه كان	٣٨٤
٢٠١١	ئاماده كردنى: عه لى جوللا	چراى ماله هه زاره كان	٣٨٥
٢٠١١		كه لتور - ژماره (٣)	٣٨٦
	نوسينى : ناستين كلارين و. له فارسيه وه: كاوسين بابيه كر	سيكولاريزم به زمانى سواده - عه لمانيه ت	٣٨٧
٢٠١١	نهوزاد عه لى ته حمهد	كوردستان	٣٨٨

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١١	تأليف: حسن ارفع ترجمة: عبدالرزاق محمود القيسي	دراسة تاريخية وسياسية حول "الشعب الكردي"	٣٨٩
٢٠١١	ن: نوري تاله باني و. شاناز ره مزي	كورتته يهك له تارانه كانى رژيمى عيراق دژى گهلى كورد	٣٩٠
٢٠١١	فهرید ئەسەسەرد	گەشە کردنى سەرمایەدارى له كوردستاندا	٣٩١
٢٠١١	و. مظفر عبدالوهاب	سياسهت له نيتوان بېرو جيبه جيكرندا	٣٩٢
٢٠١١	ن. نينگۆنۆيمايه و. ريبوار توفيق	كورد گهلىكى بى دهولتهت، زنجيره ناميلكهى كورد له ميداي جيهانيدا، ژماره (١)	٣٩٣
٢٠١١	ن. د. جين شارپ و. كارزان محمد	له ديكتاتوريه وه بو ديموكراسى	٣٩٤
٢٠١١	ئه نوهر حسين بازگر	مۆدئىلى حزبايه تى له كوردستان ژ. ز. هۆشيارى (٢٥)	٣٩٥
٢٠١١	د. حميد عزيز ت: محسن بنى ويس	فلسفة الديمقراطية الاجتماعية ذ. ز. هۆشيارى (٢٦)	٣٩٦
٢٠١١	ن. مۆريس بارييه و. عوسمان حسن شاكر	دهوله تشارى ديرين ژ. ز. هۆشيارى (٢٧)	٣٩٧
٢٠١١	ن. نينيان سمارت و. ياسين عومەر	تايين و سياسهت ژ. ز. هۆشيارى (٢٨)	٣٩٨
٢٠١١	خهليل عهبدووللا	به جينۆسايديناسينى نه نفال ژ. ز. هۆشيارى، ژ (٢٩)	٣٩٩
٢٠١١	فهرید ئەسەسەرد	جيوپۆله تىكى كوردستان ز. هۆشيارى، ژ. (٣٠)	٤٠٠

ثورة كوردستان و متغيرات العصر

٢٠١١	ن. حميد حسين كازم ته لسه مهري و. عادل عهلي	ديموكراسي و بنه ماكاني گه شه پيداني سياسي، ز. هژشيارى، ژ. (٣١)	٤٠١
------	--	---	-----